حياة

الأئمة الاثني عشر

دراسة وتحليل

باقر شريف القرشي

دار الكتاب الإسلامي

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

حياة

الإمام زين العابدين ع

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

Qurashi

حياة
الإمام زين العابدين (ع)

دراسة وتحليل

باقر شريف القرشي

الجزء الأول

دار الكتاب الإسلامي
قم - ايران

(RECAP)
BP193
.14
.Q73
1988
vol 1-2

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ ءادَمَ ونُوحاً وءَالَ إبْرَاهِيمَ وءَالَ عِمْرَان عَلَى الْعَلَمِينَ * ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *

(سورة آل عمران الآية ٣٣ - ٣٤)

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً*

(سورة الأحزاب الآية ٣٣)

﴿ قُلْ لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ *

(سورة الشورى الآية ١٥

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
[redacted]

الاهداء

إلى ضمير الأمة الإسلامية ، ورائد كرامتها ووعيها
إلى أبي الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام
ارفع ـ بخضوع وإجلال ـ
إلى مقامه الرفيع هذه الدراسة عن حياة ولده الإمام زين العابدين عليه السلام الذي هو ملء فم الدنيا في فضائله وعلومه وتقواه راجياً التفضل علي بالقبول لأعده ذخراً يوم القى الله .

المؤلف

تقديم

- ١ -

وليس في تأريخ هذا الشرق ـ الذي هو مهد النبوات ـ من يضارع الإمام زين العابدين عليه السلام في ورعه وتقواه ، وشدة انابته إلى الله ، اللهم إلا آباؤه الذين أضاؤا الحياة الفكرية بنور التوحيد ، وواقع الإيمان .

لقد حكت سيرة هذا الإمام العظيم سيرة الأنبياء والمرسلين ، وشابههم بجميع ذاتياتهم ، واتجاهاتهم ، فهو كالمسيح عيسى بن مريم في زهده ، وإنابته إلى الله وكالنبي أيوب في بلواه وصبره ، وكالرسول محمد صلّى الله عليه وآله في صدق عزيمته وسمو أخلاقه . . . ولا تحد نزعاته الخيرة وأرصدته الروحية ، وحسبه أنه وحده في تأريخ هذه الدنيا ، قد عرف بزين العابدين ولم يمنح لأحد هذا اللقب سواه .

-٢-

وبرز الإمام زين العابدين عليه السلام على مسرح الحياة الإسلامية كألمع سياسي إسلامي عرفه التأريخ ، فقد استطاع بمهارة فائقة ـ وهو في قيد المرض وأسر الأمويين ـ أن ينشر أهداف الثورة العظمى التي فجرها أبوه الإمام الحسين القائد الملهم للمسيرة الإسلامية الظافرة ، فأبرز قيمها الأصيلة بأسلوب مشرق كان في منتهى التقنين والأصالة والإبداع .

لقد قام هذا الإمام العظيم ببلورة الفكر العام ، وازاحة التخدير الاجتماعي الذي مُنيت به الأمة أيام الحكم الأموي الأسود الذي عمد إلى شل الحركة الثورية في الإسلام ، فأحال حياة المسلمين إلى اشلاء مبعثرة ما بها من حياة وإحساس لقد وضع هذا الإمام العبوات الناسفة في أروقة السياسة الأموية ففجرت نصرهم المزعوم ، ونسفت معالم زهوهم وجبروتهم ، وأعادت للإسلام حياته ونضارته . . . لقد حقق الإمام عليه السلام هذه الانتصارات الباهرة بخطبه الحماسية الرائعة التي ألقاها على الجماهير الحاشدة في الكوفة ، وفي دمشق ، وفي يثرب ، والتي كان لها الأثر البالغ في إيقاظ الأمة وتحريرها من عوامل الخوف والارهاب .

- ٣ -

لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أقوى العوامل في تخليد الثورة الحسينية ، وتفاعلها مع عواطف المجتمع وأحاسيسه ، وذلك بمواقفه الرائعة التي لم يعرف لها التأريخ مثيلاً في دنيا الشجاعة والبطولات وكان من بينها أنه حينما حمل أسيراً إلى ابن مرجانة الذي هو أقْذر ارهابي على وجه الأرض ، فاستهان الإمام به ، ونعى عليه ما اقترفه من عظيم الجريمة والإثم ، وقابله الطاغية بالتهديد بالقتل ، إلا أن الإمام لم يعن به وسدد له السهام النافذة لقلبه ببليغ منطقه ، وقد كان لحديثه معه صدى هامٌّ في الأوساط الرسمية وغيرها من عامة الناس ، وظل يلقي الأضواء على معالم الثورة الحسينية، ويبث موجاتها على امتداد الزمن والتأريخ .

أما خطابه في بلاط يزيد فإنه من أروع الوثائق السياسية في الإسلام ، ولا أكاد أعرف خطاباً سياسياً أبلغ ، ولا أشد تأثيراً منه في إيقاظ الجماهير وتوعية الرأي العام ، فقد سد على يزيد كل نافذة يسلك منها للدفاع عن نفسه ، وتبرير جريمته في قتله لسيد شباب أهل الجنة، وإبادته للعترة الطاهرة . . وأخذ الناس يتحدثون بإعجاب وإكبار عن خطاب الإمام الذي كان من ثمرات النهضة الحسينية ، وصفحة من صفحاتها المشرقة .

- ٤ -

وكان من مظاهر تخليده للثورة الحسينية كثرة بكائه على ما حل بأبيه وأهل بيته وأصحابه من أهوال يوم الطف ، فقد حرم الإمام على نفسه الفرح والسرور ، وذاب أسىً وحزناً ، وعُد من البكائين الخمس الذين مثلوا الأسى على امتداد التأريخ .

وفيما أحسب أن كثرة بكائه ليس من عظم ما مُني به من الخطوب، والمصائب الجسام التي حلت به من فجائع كربلاء ، وإنما كان تخليداً لثورة أبيه التي كانت من أجل تحرير الإنسان من الظلم والعبودية والطغيان ، وقد احدث بكاؤه على أبيه لوعة في نفوس المسلمين ولعل هذه الظاهرة جملة من العوامل التي حفزت الجماهير الإسلامية على مناجزة الحكم الأموي ، فقد انطلقت الشرارة الأولى من يثرب ، فأعلن ابناء الصحابة عصيانهم المسلح على حكومة يزيد التي استهانت بقيم الأمة ومقدراتها .

- ٥ -

واتجه الإمام الأعظم زين العابدين عليه السلام ـ بعد كارثة كربلا ـ صوب العلم لأنه وجد فيه خير وسيلة لأداء رسالته الاصلاحية ، كما وجد فيه خير ضمان لراحته النفسية التي أذابتها كوارث كربلا ، وقد هرع للانتهال من بحر علمه ابناء الصحابة، والعلماء والفقهاء، فأخذ يغذيهم بعلومه ومعارفه ليكونوا مناراً للعلم والأدب في العالم الإسلامي ، ويعرض هذا الكتاب إلى اعطاء صورة من تراجمهم .

لقد انبرى الإمام عليه السلام إلى إنارة الفكر العربي والإسلامي بشتى أنواع العلوم والمعارف ، وقد دعا ناشئة المسلمين إلى الإقبال على طلب العلم ، وحثهم عليه ، وقد مجَّد طلابه ، وأشاد بحملته ، وقد نمت ببركته الشجرة العلمية المباركة التي غرسها جده الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله ، فأقبل الناس ـ بلهفة ـ على طلب العلم ودراسته فكان حقاً من ألمع المؤسسين للكيان العلمي والحضاري في دنيا الإسلام .

- ٦ -

أما الثروات الفكرية والعلمية التي أثرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام فإنها تمثل الإبداع والانطلاق والتطور ، ولم تقتصر على علم خاص ، وإنما شملت الكثير من العلوم كعلم الفقه والتفسير وعلم الكلام ، والفلسفة ، وعلوم التربية والاجتماع ، وقد عني بصورة خاصة بعلم الأخلاق ، واهتم به اهتماماً بالغاً ، ويعود السبب في ذلك إلى أنه رأى انهيار الأخلاق الإسلامية ، وابتعاد الناس عن دينهم من جراء الحكم الأموي الذي حمل معول الهدم على جميع القيم الأخلاقية فانبرى عليه السلام إلى اصلاح المجتمع وتهذيب اخلاقه ، وتقول عنه الشيعة : إنه حين استسلم الناس لشهواتهم تابعين لملوكهم جعل الإمام يداوي النفوس المريضة بالصرخات الأخلاقية والايات السامية[١] .

لقد عالج الإمام عليه السلام بصورة موضوعية وشاملة القضايا التربوية والأخلاقية ، وبحوثه في هذا المجال من انفس البحوث الإسلامية وأدقها في هذا الفن .

- ٧ -

ولعل من أجمل تلك الثروات بل من أهمها وأكثرها عطاءاً في تنمية الفكر الإسلامي هي أدعيته الجليلة التي عرفت بالصحيفة السجادية، والتي اسماها العلماء تارة بزبور آل محمد (ص) ، وأخرى بإنجيل ال محمد (ص) وعدوها بعد القرآن الكريم ، ونهج البلاغة في الأهمية وهي - بحق - منهج متكامل للحياة الإسلامية الرفيعة ، وذلك بما حوته من معالم الاخلاق، وقواعد الاجتماع . . . ومن الجدير بالذكر أنها احتلت المكانة المرموقة عند الأوساط العلمية الإمامية فعكفوا على دراستها وشرحها ، وقد تجاوزت شروحها أكثر من خمسة وستين شرحاً[٢]، كما أن من مظاهر اهتمامهم بها أنهم كتبوا نسخاً منها

---

(١) نظرية الإمامة (ص : ٣٥٠) .

(٢) الذريعة في تصانيف الشيعة .

بخطوط جميلة تعد من أنفس الخطوط العربية، كما زخرفت بعضها بالزخرفة الثمينة التي هي من أنفس الذخائر في الخطوط العربية .

- ٨ -

ونعود مرة أخرى للحديث عن الصحيفة السجادية فنقول : إن أهميتها لم تقتصر على العالم العربي والإسلامي ، وإنما تعدت إلى العالم الغربي فقد ترجمت إلى اللغة الإنكليزية والألمانية والفرنسية ، وأقبل علماء تلك الأمم والشعوب على دراستها، والامعان في محتوياتها ، وقد وجدوا فيها كنزاً من كنوز الفكر والعلم ، كما وجدوها تفيض بالعطاء لتربية النفس وتهذيبها بمكارم الأخلاق . . ومن الحق أنها اضافت إلى ذخائر الفكر الإنساني ثروة لا تطاول ، ولن تثمن وأنها قد حوت من الوان الثقافة العالية ما ندر وجوده في الكتب الدينية والاخلاقية ، كما أنها من أهم المصادر في دراستنا عن شخصية الإمام (ع).

- ٩ -

أما مُثل الإمام زين العابدين عليه السلام وعناصره النفسية فهي مما تبهر العقول وتدعو إلى الاعتزاز والفخر لكل مسلم بل لكل إنسان يدين لإنسانيته ، ويخضع لمثلها وقيمها .

لقد تحلى هذا الإمام العظيم بكل أدب ، وتزين بكل فضيلة وشرف ، وتجرد من كل أنانية ، وابتعد ابتعاداً مطلقاً عن جميع زخارف الحياة ، ومباهجها، وكان من ألمع نزعاته الانابة إلى الله ، والانقطاع إليه ، فقد شاعت في عقله وقلبه وجسمه محبة الله والخوف منه ، وأشرقت نفسه بنور اليقين بالله ، وامتلأت ذاته رجاءاً وأملاً برحمة الله . . . وكان فيما اجمع عليه المؤرخون قد اجهد نفسه أي اجهاد على العبادة والطاعة ، وحملها من أمره رهقاً .

ولم ير الناس في عصره من هو أعبد ، ولا من هو أتقى منه ، ونظراً لكثرة عبادته فقد لقب بسيد الساجدين ، وزين العابدين وإمام المتقين .

- ١٠ -

وأشفق عليه أهله من كثرة عبادته ، وخافوا عليه ما يعانيه من المشقة والإعياء فخفوا مسرعين إلى الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصاري ، وكان عنده أثيراً، وطلبوا منه أن يلتمس منه في أن لا يجهد نفسه في العبادة فكلمه جابر وطلب منه ذلك برجاء ، وكان مما قاله له : أنه بقية النبوة ، وبقية الله في الأرض ، وأنه ممن يستدفع به البلاء ، إلا أن الإمام عليه السلام أصر على ما ذهب إليه من الدأب على العبادة ، وملازمة الطاعة، فانطلق جابر يقول بإعجاب :

« ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين . . . ».

حقاً إنه لم ير في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين في زهده وتقواه ، وشدة أنابته لله .

- ١١ -

وظاهرة أخرى من المثل العليا التي اتصف بها الإمام عليه السلام هو أنه كان كثير البر والإحسان بالعبيد ، وكان يشفق عليهم كثيراً ، وكان من أهم ما يصبو إليه في حياته تحريرهم من الرق والعبودية ، وقد اعتق مجموعة كبيرة منهم ، ولو وجد مجالاً لما أبقى رقاً ولعل السبب في ذلك هو القضاء على الرقية وعلى استعباد الإنسان لأخيه الإنسان ، وتعريف المسلمين بواقع دينهم العظيم الذي جاء لتحرير الإنسان وانقاذه من الذل والعبودية ، وتحريره فكرياً وجسدياً من جميع ألوان التبعية .

- ١٢ -

ومن الحق أن يقال : إن هذا الإمام الملهم العظيم ليس لطائفة خاصة من الناس ، ولا لفرقة معينة من الفرق الإسلامية دون غيرها ، وإنما هو للناس جميعاً على اختلاف عصورهم، بل وعلى اختلاف أفكارهم وميولهم واتجاهاتهم ، فإنه سلام الله عليه يمثل القيم الإنسانية والكرامة الإنسانية ، ويمثل كل ما يعتز به هذا الإنسان من الكمال والآداب ، وسمو الأخلاق .

ونظراً لسمو شخصيته العظيمة ، وما له من الأهمية البالغة في نفوس المسلمين فقد سارعت كثير من الفرق الإسلامية إلى القول بأنه منها ، فالمعتزلة التي تعد من أكثر الفرق الإسلامية تخصصاً في البحوث الكلامية ، قد عدوه ـ باعتزاز وشرف ـ منهم[1] واحداً . كما ادعت الصوفية أنه من أعلامهم ، وترجموا له في موسوعاتهم[2] .

- ١٣ -

وكان المسلمون يرون في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام تجسيداً حياً لقيم الإسلام وامتداداً مشرقاً لجده الرسول الأعظم (ص) ، فهو يحكيه في منهجه وسيرته ومآثره وقد ملك القلوب والعواطف بأخلاقه الرفيعة ، وكانوا لا يرون غيره أهلاً لقيادتهم الروحية والزمنية ، وكانوا يزدرون بملوكهم الأمويين الذين لم تتوفر فيهم أية نزعة من نزعات الفضيلة ، وقد دلل على ذلك ما حدث في البيت الحرام في موسم الحج ، وكان مزدحماً بالوفود من كل حدب وصوب ، فأطل عليهم الإمام ليطوف بالبيت ، وكأنما أطل عليهم النبي (ص) ، فصعّدوا تهليلهم وتكبيرهم وازدحموا عليه كازدحامهم على الحجر الأسود فكان السعيد منهم من يلمس ثيابه أو يقبل يديه ، أو يأخذ التراب من تحت أقدامه للتبرك به ، في حين أن خصمه هشام بن عبد الملك عميد الأسرة الأموية كان من جملة الحجيج ، الا أنه لم يعن به أي أحد ، وقد خف إليه أهل الشام يسألونه عن هذا الرجل العظيم الذي قابله الجمهور بهذه الحفاوة والتكريم ، فأنكر الطاغية معرفته لئلا يزهد فيه أهل الشام ، فانبرى شاعر البلاد الأموي الفرزدق ، وعرفه للجماهير برائعته الخالدة التي مثلت وعي الفكر ويقظة الضمير ، وقد استحال البيت الحرام إلى سوق عكاظ ، وتعالت من جميع جنبات المسجد الهتافات بإعادة لرائعة الفرزدق والدعاء له ، وقد تميز هشام غيضاً ، وانتفخت أوداجه .

---

(١) طبقات المعتزلة (ص ١٥ـ ١٦).

(٢) حلية الأولياء ١٧٢/٣ .

لقد كان الأمويون يشعرون بدخالتهم على هذه الأمة ، وأنهم ليسوا أهلاً لقيادتها ، وإنما فرضوا سلطانهم عليها بقوة السلاح ، وإنما معدن الحكم والقيادة للإمام علي بن الحسين ، فلذلك كانوا يحقدون عليه ، وقد أدلى الوليد بذلك قال : « لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا . . . »[1] وقد عمدوا إلى اغتياله كما اغتالوا غيره من أئمة المسلمين ، وأعلام الإسلام من الذين كانوا يشكلون خطراً عليهم .

- ١٤ -

وكان لا بد في هذه الدراسة أن « تعنى بدراسة العصر الذي نشأ فيه الإمام (ع) فإن دراسة العصر اصبحت من الشؤون المنهجية التي لا غنى للباحث عنها ، فهي تمثل الاستقرار السياسي أو الاضطراب السياسي ، كما تصور الحياة الاجتماعية بما فيها من إبداع وتقدم أو جمود وانحطاط ، ومن الطبيعي أن البحث عن هذه الظاهرة مما له الدخل المباشر في الكشف عن شؤون الشخصية التي تتناولها الدراسة والبحث .

أما عصر الإمام عليه السلام ـ فإنه فيما أحسب ـ من أسوأ العصور الإسلامية على امتداد التأريخ ، فقد حدثت فيه كثير من الأحداث الجسام التي ابتلي بها المسلمون ، وأخلدت لهم المحن والخطوب ، وكان من أقساها وأفجعها ، وأشدها هولاً مأساة كربلا ، التي هي من أفجع القضايا العالمية ، فقد انتهكت فيها حرمة النبي (ص) ، في ذريته ، وأهل بيته ، ولم ترع له فيهم أية حرمة ، وقد شاهد الإمام (ع) بأسى بالغ جميع مآسي تلك الكارثة الخالدة في دنيا الأحزان فكانت فصولها المؤلمة تلاحقه في كل ساعة من حياته حتى لحق بالرفيق الأعلى ، ومن بين الأحداث المفجعة التي عاناها الإمام عليه السلام واقعة الحرة التي انتهكت فيها حرمة النبي (ص) في مدينته ومركز دعوته ، فقد استباحتها جلاوزة يزيد بن معاوية فاقترفوا فيها كل ما حرمه الله من إثم وحرام وسحقوا جميع القيم والأعراف . . . ومضافاً لذلك ثورة التوابين وثورة القائد

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر ١/ ٥١ .

الملهم العظيم المختار بن يوسف ، وهذه الثورات ـ التي سنتحدث عنها في غضون هذا الكتاب ـ إنما كانت امتداداً لثورة أبي الشهداء عليه السلام .

ومن الأحداث البارزة في ذلك العصر ثورة ابن الزبير التي كانت وليدة للأطماع السياسية ، فلم يكن ابن الزبير ـ فيما اعتقد ـ قد ثار من أجل تحرير الأمة ، وانقاذها من عنف الأمويين وبطشهم وإنما ثار ليأخذ الملك من أيديهم ، وينفرد بالملك والسلطان ويتلذذ بخيرات البلاد ، وغطرسة الحكم ، فما كان مثل هذا الإنسان ممن يعنى بصالح الأمة ، واستقلالها وكرامتها .

ـ ١٥ ـ

وثمة مشكلة أخرى في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام ، وهي تصارع الأحزاب السياسية ، وتهالكها على الظفر بالحكم ، والفوز بالسلطة ، وقد اغرقت البلاد بالمحن والخطوب ، ومن المؤكد أن الأحزاب السياسية القائمة في ذلك العصر لم تنشد أي هدف من أهداف الأمة، ولم تسع لمعالجة أي قضية من قضاياها المصيرية ، وإنما كانت تسعى وراء اطماعها ، ومصالحها المادية . . . وكان من أبرز تلك الأحزاب الحزب الأموي الذي تدعمه الدولة ، وتسانده بجميع طاقاتها وكان يضم الزعماء والطبقة المترفة في البلاد، ومن بين تلك الأحزاب الحزب الزبيري، وهو يضم الكثير من أبناء الحجاز ، الذين كانوا يسعون إلى أن ترجع لهم عاصمة الدولة الإسلامية ، وينفردون بالحكم . . . ومن بين تلك الأحزاب حزب الخوارج وهو حزب ثوري كان ناقماً على حصر السلطة بالقرشيين ، إلا أن ذلك الحزب قد مُني بالجمود والانحطاط الفكري ، فقد اختلطت عليه الأمور فانساب في متاهات سحيقة من الضلال معتقداً عن غباوة وجهل أنها الحق ، ومن غبائه أنه نصب العداء للإمام أمير المؤمنين رائد الحق والعدالة الاجتماعية في الأرض، كما استباح إراقة دماء المسلمين من الذين لا يؤمنون بفكرتهم وسوف نتحدث عن هذه الأحزاب عند البحث عن الحياة السياسية في عصر الإمام .

- ١٦ -

ومن الأحداث الجسام في عصر الإمام عليه السلام هو ما عمدت إليه السلطة الأموية من فرضهم سب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والعترة الطاهرة على المنابر والمآذن وخطب الجمعة ، وجعل بغضهم جزءاً من الحياة الدينية للمسلمين، بالإضافة إلى مطاردتهم لشيعة أهل البيت (ع) تحت كل حجر ومدر ، وإشاعة القتل والتنكيل فيهم ، وقد امتحنت الشيعة في عهدهم كأشد ما يكون الامتحان ، وكان ذلك بمرأى ومسمع من الإمام زين العابدين عليه السلام ، وهو لم يتمكن من حمايتهم وانقاذهم مما هم فيه ، وكان ذلك من أشق الآلام وأشدها عليه .

- ١٧ -

ولابد لنا من اعطاء صورة متميزة عن سيرة الملوك الذين حكموا الأمة في عصر الإمام عليه السلام ، وذكر اتجاهاتهم السياسية والفكرية وما جرى للإمام (ع) معهم فإن ذلك - فيما احسب - من متممات البحث عن شخصيته العظيمة .

وإنا إذ نذكر شؤون أولئك الملوك فإنا لا نتعصب ولا نتحيز لأية جهة كما لا نقسو بالحكم على أي أحد منهم ، وإنما نعرض لما أثر عنهم من الأحداث المؤسفة ، التي وضعتهم أمام محكمة التأريخ ، ومن الطبيعي أن حملهم على الصحة ، والتبرير لأعمالهم ، إنما هو شطط على المنطق ، وتمرد على الأدلة، وبعد عن الصواب، وانحراف عن الحق .

- ١٨ -

أما دراستنا في هذا الكتاب فإنها تعتمد على أوثق المصادر المخطوطة والمصورة والمطبوعة التي هي علوم المؤرخين والرواة ، ومن الجدير بالذكر أن أكثر الأحداث والصور التي نرسمها لا نكتفي في ذكر مصدر واحد لها بل ننقلها من عدة مصادر ليكون ذلك آكد ، وأدل على المقصود .

وقد بذلت جهداً شاقاً وعسيراً في مراجعة المخطوطات والمصورات

التي اقتبسنا منها هـذه البحوث ، وقـد اشرت في هـامش الكتاب إلى الخـزانة التي توجد فيها .

- ١٩ -

وإني إذ أسير في نهاية هـذا التقـديم أعلن - بصـورة جـازمـة - أني لم استـوعب في هذا الكتـاب - على ما فيـه من جهل وتتبـع - إلا أقل القليـل من حياة هذا الإمام العظيم الذي هو ملء فم الدنيـا في فضائله وعلومـه ، فإني لم أفتش في كتب الأخـلاق والحديث والتفسير والفقه وغيـرهـا من سـائـر العلوم الإسلامية إلا وجدت له كلمـة ذهبية أو رأيـاً أصيلاً أو حـديثاً ممتعـاً ، فاذن لم يكن هذا الكتاب - على ما فيه من سعة وشمول - إلا صفحة موجـزة عن حياتـه أو مؤشراً خافتاً على بعض معالم حياته وشخصيته .

لقد كررت نفس هذه المقالة أو ما يشبهها في كثير من مقـدمات الكتب التي الفتهـا عن حياة الأئمـة الطاهـرين ولم يكن ذلك - يعلم الله - عن غلو في الحب لهم أو اندفاع لعاطفة الـوراثة لآبـائي الذين هـاموا بـالولاء لأهـل البيت عليهم السلام ، وإنما كان ذلك ناشئاً عن دراسة جادة ، وتتبع دقيق لحياتهم ، ومن المؤكد أن من يقرأ سيرتهم يؤمن إيماناً لا يخامـره أدنى شك بـأنهم سلام الله عليهم يمثلون سيـرة الأنبياء في إشـراقها وسمـوهـا ، وأنهم المثـل الأعلى لكمالات العقل الإنساني والأنموذج الفـريد لكـل ما يعتـز به هـذا الإنسان من القيم والآداب .

- ٢٠ -

ولا بد لنا من الإشـارة إلى أن نشر أمثـال هذه البحـوث من سيرة الأئمـة الطاهرين عليهم السـلام ، لا غنى لنا عنهـا ، فإنـا نعيش في عصر تعيش فيـه الإنسانية في مستنقع آسن ، وفي درك هابط ، وفي ظلام بهيم ، قد انحرفت عن سنن الكون ، وشذت عن الفطرة الأصيلة التي فطرها الله عليها ، وقد واجهت الطغيان والاضطهاد والبغي ، والتهديد والتشريد .

إن البشـريـة تعيش قلقـة حـائـرة سـادرة في متـاهـات المـادة ، وجحيم

الحروب ، وجفاف الأرواح والقلوب ، وانها في حاجة إلى أن تستنشق نسائم الحياة الكريمة من هدي العترة الطاهرة الذين هم نفحة من رحمات الله التي تفضل بها على عباده، وهم كجدهم الرسول صلّى الله عليه وآله الذي بعثه الله رحمة للبشرية لمن آمن به ، ومن لم يؤمن به على حد سواء .

-٢١-

وإني إذ اقفل هذا التقديم أرى من الحق علي أن أشير إلى الجهد الخلاق الذي اضفاه علي أخي سماحة الحجة الشيخ هادي شريف القرشي في تأليفي لهذا الكتاب ، فقد عانى الكثير من المتاعب في مراجعة بعض الموسوعات وغيرها مما استفدته منه مضافاً إلى كثير من ملاحظاته القيمة التي أسداها علي في هذه البحوث ، واني - يعلم الله - لعاجز عن تقديم ما يستحقه هذا الأخ الوفي من جزيل الشكر ، ولكني أوكل ذلك إلى الله تعالى ، فهو الذي يتولى جزاءه ، ويثيبه على ذلك كما يثيب المخلصين من عباده .

النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

السيدة شاه زنان

نحن بين يدي سيدة كريمة من سيدات نساء المسلمين عفة وشرفاً وطهارة ، وهي السيدة الجليلة « شاه زنان » سليلة الملوك ، وأم الإمام زين العابدين عليه السلام ، وتحتل هذه السيدة الجليلة المكانة المرموقة في عالم المرأة المسلمة ، فقد كانت من سيدات نساء عصرها بل وفي الطليعة من سيدات نساء المسلمين ، وقد تحلت بأوسمة شريفة كان من بينها :

أ ـ نسبها الوضاح فهي حفيدة كسرى الملك العادل ، ومفخرة ملوك الشرق الذي يقول فيه النبي (ص)ـ باعتزاز ـ ولدت في زمن الملك العادل كسرى .

ب ـ إنها زوجة أبي الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام .

ج ـ إنها أم الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام .

د ـ إنها جدة الأئمة الطاهرين من نسل الإمام زين العابدين (ع) .

هـ ـ إنها الرابطة المقدسة بين العرب والفرس .

وقد اكسبتها هذه الجهات شرفاً إلى شرفها ، ومجداً إلى مجدها .

صفاتها النفسية :

أما صفاتها النفسية فكان البارز منها العفة ، والطهارة ، والكمال ، وسمو الآداب وحدة الذكاء ، ونظراً لما توفرت فيها من النزعات الخيرة ، والصفات الشريفة ، فقد بادر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى زواجها من ولده الإمام الحسين عليه السلام ، كما عهد إليه بالإحسان إليها ، والبر

بها. . . ونعرض - بإيجاز - إلى بعض شؤونها حسبما نصت عليه المصادر التي في أيدينا.

الروايات في زمن اقترانها:

وتضاربت الروايات في الزمن الذي تم فيه اقترانها بالإمام الحسين عليه السلام، وفيما يلي تلك الروايات:

أ - في عهد عمر:

روى الكليني بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لما أقدمت بنت يزدجر على عمر أشرف لها عذارى المدينة، وأشرق المسجد بضوئها، فلما نظر إليها عمر غطت وجهها وقالت: «ا ف بيروج باداهرمز». ومعنى ذلك في اللغة العربية: اسود يوم هرمز إذا صارت بناته سبايا، فقال عمر: اتشتمني هذه؟ وهمّ بها، فقال له أمير المؤمنين: ليس لك ذلك خيرها رجلاً من المسلمين، واحسبها بفيئه فخيرها، فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الحسين[1] ويقرب من هذه الرواية ما ذكره بعض المؤرخين من أن ليزدجر ابنتين وقعتا في الأسر في عهد عمر فأخذهما الإمام أمير المؤمنين فدفع واحدة منهما إلى الإمام الحسين فولدت له الإمام زين العابدين، ودفع الأخرى إلى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم[2] وذكر ابن خلكان مثل ذلك إلا أنه زاد عليه انهن كن ثلاثاً فدفع الثالثة إلى عبدالله بن عمر[3].

(ب) في عهد عثمان:

روى الصدوق أن عبدالله بن عامر لما فتح خراسان أيام عثمان أصاب ابنتي يزدجر فبعث بهما إلى عثمان فوهب إحداهما إلى الحسن، والأخرى للحسين، وأنهما توفيتا في حال نفاسيهما[4].

---

(١) أصول الكافي ١/٤٦٧، دلائل الإمامة (ص٢٧٠).

(٢) شذرات الذهب ١/١٠٤، نزهة المجالس ٢/١٩٢، زهرة المقول (ص ٦).

(٣) وفيات الأعيان ٢/٤٢٩.

(٤) عيون الأخبار وفنون الآثار (ص ١٤٣)، روضة الواعظين ١/١٣٧، تحفة الراغب (ص ١٣) اعلام الورى (ص ١٥١)، الارشاد.

(ج) في خلافة أمير المؤمنين :

روى جمع من المؤرخين والرواة أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما ولي الخلافة أرسل حريث بن جابر والياً على جانب من المشرق فبعث إليه بابنتي يزدجر بن شهريار فنحل شاه زنان إلى ولده الإمام الحسين(ع) فولدت له الإمام زين العابدين (ع) ، ونحل الأخرى إلى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم ، الفقيه المشهور .

هذه هي الروايات التي ذكرت في زمن زواجها بالإمام سيد الشهداء عليه السلام ومن الجدير بالذكر أن الروايتين الأخيرتين لم تصرحا بسبي السيدة شاة زنان مع شقيقتها ، وإنما صرحتا بإرسالهما إلى الخليفة ، نعم الرواية الأولى صريحة بسبيهما .

التحقيق في الروايات :

ولابد لنا من وقفة قصيرة للنظر في هذه الروايات المتضاربة ، والذي نراه بمزيد من التأمل أن الرواية الأولى بعيدة عن الصحة ، وذلك لما يلي :

أولاً : ـ إن يزدجر كان حياً طيلة خلافة عمر وتوفي بعد وفاته، وقد قتل في مرو سنة (٣٠ هـ) وذلك في السنة السادسة من خلافة عثمان وأكبر الظن أن شاه زنان مع شقيقتها قد اختفيتا بعد مقتل أبيهما حتى خلافة الإمام أمير المؤمنين فلما ولى حريث بن جابر على تلك المنطقة ظفر بهما، وبعث بهما إلى الإمام (ع).

ثانياً: ـ أن مما يؤكد عدم صحة الرواية الأولى هو ما رواه أبو حنيفة أنه لما جيء بابنة يزدجر إلى الإمام أمير المؤمنين، قال (ع) لها:

« اختاري من شئت من المسلمين . . . » .

فأجابته عن وعي وسمو قصد :

« إني أريد رأساً لا رأس عليه . . . » .

ودل ذلك على مدى وعي هذه الأميرة، ورد عليها الإمام بلطف قائلاً :

« إن علياً شيخ كبير . . . » .

ومعنى ذلك أن الإمام عليه السلام لا رغبة له في النساء لأنه شيخ كبير يضاف إلى ذلك انشغاله بالشؤون العامة التي أحاطت به.

واصرت الأميرة على ما ذهبت إليه قائلة :

« قد كلمتك بالجملة . . . »

وانبرى بعض الدهاقين من الفرس فطلب من الإمام أن يزوجها منه ، فرده الإمام قائلاً :

« ذاك إليها إن شاءت رفضت ، وإن شاءت قبلت . . . ».

إنه ليس للإمام عليها سلطان في أمر زواجها، وإنما ذلك يتبع إلى رغباتها النفسية ، وليس لأحد أن يجبرها على ما يريد ، وامتنعت السيدة من أجابته[1] ومن المظنون قوياً أنها السيدة (شاه زنان)، وأن زمان زواجها قد تم في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

ثالثاً : أن الرواية الثالثة أشهر من الروايتين المتقدمتين ، والشهرة من مرجحات الرواية حسبما يرى ذلك أكثر الفقهاء ، وقد ذهب المحقق المقرم إليها .

أقوال شاذة :

ذكر بعض المؤرخين أقوالاً شاذة فيما يتعلق بنسب السيدة (شاه زنان) وهي :

(أ) إنها من بلاد السند[2] .

(ب) أنها من سبي كابل[3].

---

(١) الأخبار الطوال .

(٢) مرآة الجنان ١/ ١٩٠، النجوم الزاهرة ١/ ٢٢٩، المنمق في أخبار قريش(ص ٤٣٧).

(٣) تأريخ اليعقوبي ٣/ ٤٦ .

وهذان القولان قد خالفا ما اجمع عليه الرواة والمؤرخون من أنها ابنة يزدجر ملك الفرس ، وقد شاع ذلك حتى في عصر الإمام ، وعرفه الناس جميعاً ، وفي ذلك يقول ابو الأسود الدؤلي المعاصر للإمام :

وأن وليداً بين كسرى وهاشم ... لأكرم من نيطت عليه التمائم
هو النور نور الله موضع سره ... ومنبع ينبوع الإمامة عالم[1]

وقد أدلى الإمام زين العابدين عليه السلام بذلك بقوله : « أنا ابن الخيرتين » وقد أشار عليه السلام بذلك إلى الحديث النبوي المستفيض « لله تعالى من عباده خيرتان : فخيرته من العرب قريش ، ومن العجم فارس . . . »[2] وقال بعض المؤرخين : أن علي بن الحسين جمع بين النبوة والملك من ناحية أجداده .

إسمها الشريف :

وعرفت السيدة أم الإمام عليه السلام بشاه زنان ، وهذا ليس اسماً لها ، وإنما هو لقب لها ، ومعناه في اللغة العربية ملكة النساء أو سيدة النساء[3]، أما اسمها الشريف فقد اختلف فيه المؤرخون ، وفيما يلي بعض اقوالهم :

١ ـ سلامة[4] .
٢ ـ سلافة[5] .
٣ ـ غزالة[6] .

---

(١) بحار الأنوار ٤٦/١٦٦ .
(٢) وفيات الأعيان ٢/٤٢٩، الأئمة الأثنا عشر لابن طولون (ص ٧٥).
(٣) نور الأبصار للشبلنجي (ص ١٢٦).
(٤) أصول الكافي ١/٤٦٦، تهذيب الكمال م ٧/ق ٢ مصور في مكتبة السيد الحكيم، سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٧ ، الطبقات لخليفة خياط (ص ٢٣٨) الأسامي والكنى للنيسابوري .
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ورقة ٤٦ مصور في مكتبة السيد الحكيم، الإمامة في الإسلام (ص ١١٦) أنساب الأشراف (ص ١٠٢) دائرة المعارف للبستاني ٩/٣٥٥ نور الأبصار(ص١٣٦) الكامل ٢/٤٦٤ .
(٦) صفة الصفوة ٢/٥٢، شذرات الذهب ١/١٠٤ سر السلسلة العلوية (ص ٣١) نهاية الارب ٢١/٣٢٤ خلاصة الذهب المسبوك (ص ٨).

٤ ـ سلمة[١] .

٥ ـ سادرة[٢] .

٦ ـ شهربانوية[٣] .

هذه بعض الأقوال التي ذكرت في اسمها أما التحقيق في أن أي واحد منها هو الصحيح فلن يعنينا ذلك إذ ليس فيه فائدة تعود إلى القراء .

الرابطة المقدسة :

لقد كانت السيدة شاه زنان الرابطة المقدسة بين العرب والفرس ، فقد تفرع منها زين العابدين الذي هو ابن الخيرتين ، وأبو الذرية الطاهرة التي امدت العالم العربي والإسلامي بجميع عوامل الوعي ، والشرف والنهوض ، يقول السيد عبد العزيز سيد الأهل : « وزين العابدين رباط قوي بيننا نحن العرب ، وبين فارس ، ثم هو رباط قوي ما بين الناس جميعاً ، وكأنه أحد الأسباب القوية التي ساقها القدير اللطيف ليمحو الفرقة ويعز الألفة ، ويقرب بين الناس »[٤] لقد كانت هذه الرابطة من أقوى الروابط وأكثرها عائدة على العرب والفرس فقد أشاعت بينهما المحبة والمودة والألفة .

نعرة جاهلية :

وهدم الإسلام جميع الحواجز الجاهلية التي تفرق المسلمين ، وتشل وحدتهم ، والتي منها امتناع العربي من الزواج بغير العربية، وذلك حفظاً على الدم العربي ، وعلى الأنساب العربية ، ومن المحقق أن هذه الظاهرة مما توجب تفكك المسلمين ، وتصدع شملهم ، فإن الاسلام بكل اعتزاز وفخر ـ قد طرح هذه الأنانيات الفارغة ، والعناوين الجوفاء ، ونادى بشرف النفس ،

---

(١) الأئمة الأثني عشر (ص ٧٥) .

(٢) الاتحاف بحب الأشراف (ص ٤٩) .

(٣) روضة الواعظين ٢٣٧/١ ، عيون المعجزات مخطوط (ص ٣١) غاية الاختصار (ص ١٥٥) .

(٤) زين العابدين (ص ٧) .

وجمال الروح ، فقال النبي (ص) : إن أكرمكم عند الله اتقاكم . لقد بين الإسلام بصورة إيجابية المساواة العادلة بين المسلمين ، فحطم الفوارق الطبقية ، وسائر العنصريات ، فقد زوج رسول الله (ص)، قريبته زينب بنت جحش ، وهي من سيدات بني هاشم من مولاه زيد بن حارثة ، وقد اراد (ص) بذلك أن تتخذ الجماعة المسلمة درساً منه ، وتسير على ضوء هذا الطريق الواضح المستقيم وقد سار أئمة أهل البيت عليهم السلام على ضوء هذا المنهج الرسالي فحاربوا العنصرية ، وقاوموا الامتيازات الجاهلية فتزوجوا بالإماء بعد عتقهن ، أو قبل عتقهن بالملك ، وكان لذلك الأثر البالغ في نفوس العرب ، فقد تراجعوا عن نظرتهم الجاهلية ، ويقول المؤرخون أنه عندما تزوج الإمام الحسين عليه السلام بالسيدة شاه زنان، وانجبت منه علم الهدى الإمام زين العابدين (ع)، ورأى العرب كماله وسمو ذاته هرعت قريش على اتخاذ امهات الأولاد[1] ومن الطريف ما روى المبرد عن رجل من قريش كانت أمه أمة ، قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب فقال لي يوماً :

« من أخوالك؟ . . . » .

« أمي فتاة »[2] .

ونقص الرجل في عين سعيد ، وانحط شأنه إلا أن الرجل كان ذكياً ، وانتظر فترة حتى دخل عليه سالم بن عبدالله بن عمر ، وهو من المع شخصيات قريش وكانت أمه أمة ،وتعاطى معه الحديث فلما خرج بادر الرجل قائلاً :

« يا عم من هذا؟ » .

فثار سعيد ، وصاح بالرجل قائلاً :

« يا سبحان الله !! اتجهل مثل هذا من قومك، هذا سالم بن عبدالله ابن عمر بن الخطاب . . » .

وانبرى الرجل قائلاً :

---

(١) تأريخ دمشق .

(٢) الفتاة : مؤنث الفتى تجمع على فتيات وفتوات .

من أمه؟».

« فتاة ».

وأقبل عليه القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وكانت أمه فتاة ، ودار بينهما حديث فلما انصرف من عنده سأله مثل السؤال الأول فأجابه سعيد بمثل جوابه السالف ، ثم دخل عليه الإمام زين العابدين وسيد الساجدين فقابله سعيد باحتفاء وتكريم ، فلما خرج من عنده ، قال له الرجل :

« يا عم من هذا؟ ».

فرد عليه سعيد بتأثر قائلاً :

« هذا الذي لا يسع لكل مسلم أن يجهله ، هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . . ».

« وسارع الرجل قائلاً :

« من أمه؟».

فتاة . . . »

وانبرى الرجل قائلاً :

« يا عم رأيتني نقصت في عينك حين قلت لك : أمي فتاة فما لي أسوة بهؤلاء؟ ».

والتفت سعيد إلى خطئه ، وراح يكبر الرجل ، ويعتني به[1] .

إن هذه الظاهرة المنحطة التي كانت سائدة في ذلك العصر إنما هي من مخلفات العصر الجاهلي المتخلف فكرياً واجتماعياً ، فأي نقص على الرجل في أن تكون أمه رومية أو فارسية أو غيرهما يقول الشاعر :

لا تشمتن امرأً في أن تكون له ... أم من الروم أو سوداء عجماء

فإنما أمهات القوم أوعية ... مستودعات وللأحساب آباء

إن الذي يرفع من شأن الإنسان إنما اعماله الحسنة ، وخدماته لأمته

(١) الكامل للمبرد ٢/٤٦٢ ، نزهة الجليس ٢/٢٣ ، الأئمة الأثنا عشر (ص ٧٦) .

وبلاده ، وسمو ذاته ، وإن كانت أمه سوداء عجماء ، وإذا كانت اعماله سيئة ، وذاته منحطة فإنه وضيع ، وإن كان سيداً قرشياً ، وقد قرر ذلك وأكده الإسلام العظيم الذي لا يعنى إلا بالأعمال فهي المقياس عنده في الرفع والخفض.

احتفاء الإمام علي بها :

واحتفى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالسيدة شاه زنان ، وذلك لعلمه بإيمانها ووفور عقلها ، وقد أثرت عنه مجموعة من الأخبار التي تشيد بفضلها ، كان منها ما يلي :

(أ) أنه اوصى ولده الإمام الحسين بالبر بها والإحسان اليها قائلاً : واحسن إلى شهربانويه ، فإنها مرضية ستلد لك خير أهل الأرض بعدك . »[1].

(ب) أنه أخبر أهله بأنها ستكون الأم الطاهرة للأئمة الطاهرين قال عليه السلام : « وهي أم الأوصياء ، الذرية الطاهرة »[2].

لقد تفرع من هذه السيدة الكريمة الأئمة الطاهرون الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

لقد اعتنى الإمام أمير المؤمنين بالسيدة شاه زنان ، فقد وجد عندها طاقات من الفضل والكمال ، والأدب ، وقد سألها عليه السلام فقال لها :

« ما حفظت من أبيك بعد وقعة الفيل ؟ . . . » .

فأجابته بهذه الكلمة الذهبية التي تنم عن سعة فكر أبيها ، وخبرته بشؤون الحياة:

« إنه كان يقول : إذا غلب الله على أمر ذلت المطامع دونه ، وإذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة . . . » .

وبهر الإمام من هذه الكلمة الحكيمة التي حكت واقع الحياة فراح يبدي

---

(١) عيون المعجزات مخطوط في مكتبة الإمام أمير المؤمنين ، اثبات الهداة ٥/١٤،

(٢) بصائر الدرجات (ص ٩٦) اثبات الهداة ٥/٢١٤، ناسخ التواريخ ١/١٣.

اعجابه بها قائلاً : « ما احسن ما قال أبوك ! تذلّ الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير . . . »[1].

إن كل شيء في هذا الوجود خاضع لمشيئة الله وإرادته ، وإن الله تعالى هو القاهر والغالب وأن الإنسان مهما اعتمد على الوسائل الوثيقة والمحكمة التي يتخيل أنها تدرأ الأخطار عنه فإنها لا تجديه شيئاً لأنها قد تنقلب عليه فيكون بها حتفه ونهايته .

عناية الحسين بها :

وأحاط الإمام الحسين عليه السلام زوجته السيدة شاه زنان بهالة من العناية والتكريم ، وقدمها على بقية نسائه ، وقد وجدت هذه السيدة في كنف الإمام وتحت ظلاله من الاحتفاء والتكريم ما أنساها ما كانت فيه من الترف والنعيم أيام ملك أبيها ، وقد غذاها الإمام بتعاليم الإسلام، وروحانيته ، حتى زهدت بما كانت فيه من الملك والسلطان، يقول السيد عبد العزيز سيد الأهل :

« وعلمها الحسين عليه السلام من تعاليم الإسلام ما أنساها قصور المدائن ومروج كابل . . . »[2].

إشادة المؤرخين بها :

وأشاد بعض المؤرخين بهذه السيدة الكريمة ، وفيما يلي ما قالوه :

(أ) المبرد

وأدلى المبرد في حق هذه السيدة الجليلة بقوله : « كانت شاه زنان من خيرة النساء . . . »[3].

حقاً لقد كانت شاه زنان من سيدات النساء في عفتها ، ووفور عقلها وسمو آدابها .

---

(١) الأرشاد (ص ١٦٠) البحار ٤٦/ ١١-١٢ .
(٢) زين العابدين (ص ١٦) .
(٣) الكامل ٢/٤٦٢ .

(ب) ابن شدقم

قال ابن شدقم : « كانت شاه زنان ذات فضل كثير. . . »[1].

(ج) الكنجي .

قال الإمام الحافظ محمد بن يوسف الكنجي : « لقد جعل الله تبارك وتعالى الأئمة المهديين من نسل الحسين من بنت كسرى دون سائر زوجاته . . »[2]، لقد منح الله هذه السيدة الكريمة بالطافه وعنايته فقد حباها بالفضل العظيم بأن جعلها أماً كريمة للإمام زين العابدين وجدة طيبة زكية للأئمة الطاهرين الذين رفعوا كلمة الله عالية في الأرض . . . وبهذا ينتهي بنا الحديث في شؤون هذه السيدة الجليلة .

---

(١) زهرة المقول (ص ١٦).

(٢) كفاية الطالب (ص ٤٥٤).

الوليد العظيم

وأشرقت الدنيا بولادة الإمام زين العابدين عليه السلام الذي فجر ينابيع العلم والحكمة في الأرض ، وقدم للناس بسيرته أروع الأمثلة والدروس في نكران الذات ، والتجرد عن الدنيا، والانقطاع إلى الله .

وقد استقبلت الأسرة النبوية بمزيد من الأفراح والمسرات هذا الوليد المبارك الذي بشر به النبي صلّى الله عليه وآله، وقد شملت الابتهاجات جميع من يتصل بأهل البيت من الصحابة وأبنائهم ، وقد ولد ـ فيما يقول بعض المؤرخين ـ ضعيفاً نحيفاً ، يقول السيد عبد العزيز سيد الأهل : « لقد وُلد ضعيفاً نحيفاً تلوح في نظراته ومضات خافتة ، وكأنها ومضات هم منطفىء ، وما لبثت هذه الومضات المكسورة ان دلت فإنما تدل على حزن قادم يوشك أن يقع . . . »[1] لقد رافقته الخطوب وصاحبته الآلام منذ ولادته فقد اختطفت يد المنون أمه الزكية ، وهو في المهد ، وتتابعت عليه المحن بعد ذلك يتبع بعضها بعضاً ، فلم يبتل أي إنسان بمثل ما ابتلي به هذا الإمام العظيم .

مراسيم الولادة

وسارع الإمام أمير المؤمنين (ع) أو ولده الإمام الحسين (ع) إلى إجراء

---

(١) الإمام زين العابدين (ص ١٨).

مراسيم الولادة الشرعية على الوليد المبارك فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، وقد أقام بذلك في قلبه معبداً ينبض بأحاسيس التقوى والصلاح ، فكانت نغماً حياً يسيره نحو البر والعمل الصالح .

إن أول ما استقبل به الإمام زين العابدين في هذه الحياة ، هو صوت « الله أكبر » وقد طبع في قلبه ومشاعره ، وصار في ذاتياته ومقوماته وفي اليوم السابع من ولادته عق عنه أبوه بكبش ، وحلق رأسه ، وتصدق بزنته فضة أو ذهباً على المساكين عملاً بالسنة الإسلامية المقدسة .

مكان الولادة :

واختلف المؤرخون في المكان الذي حظي بولادة الإمام زين العابدين عليه السلام ، وفيما يلي ما ذكروه .

(أ) انه وُلد في الكوفة[1] .

(ب) كانت ولادته في يثرب[2] .

والذي أراه أن ولادته كانت في الكوفة ، وذلك لما اجمع عليه الرواة والمؤرخون أنه وُلد قبل وفاة جده أمير المؤمنين (ع) بسنتين[3] ومن المقطوع به أن الإمام الحسين وأفراد عائلته كانوا مع الإمام أمير المؤمنين في الكوفة ، ولم يقم أي أحد منهم في يثرب طيلة خلافته .

الزمان :

وتضاربت أقوال المؤرخين في الزمان الذي كانت فيه ولادة الإمام ،

---

(١) شذرات الذهب (١/١٠٤).

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٨٧) بحر الأنساب (ورقة ٥٢) مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين، دائرة المعارف للبستاني ٩/٣٥٥، الإمامة في الإسلام(ص١١٦) نور الأبصار (ص ١٣٦).

(٣) أخبار الدول (ص ١٠٩) نور الأبصار (ص ١٣٦) مطالب السؤول ٢/٤١ تأريخ الأئمة لابن ابي الثلج (ص ٤) دائرة المعارف ٩/٣٥٥.

وفيما يلي ما ذكروه :

(أ) ولد في اليوم الخامس من شعبان سنة (٣٨ هـ)[١] وذلك في يوم الخميس[٢] .

(ب) ولد في يوم الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة (٣٨هـ)[٣] .

(ج) ولد في النصف من جمادى الأولى سنة (٣٨ هـ)[٤] .

(د) ولد يوم الجمعة ٢٦ جمادى الآخرة سنة (٣٨ هـ)[٥] .

(هـ) ولد في شهور سنة (٣٣ هـ)[٦] وهذا القول شاذ ومخالف لما اجمع عليه الرواة والمؤرخون من أن ولادته كانت سنة (٣٨ هـ) .

والمشهور عند الإمامية هو القول الأول ، فإنهم يقيمون مهرجاناتهم العامة احياءً لذكرى ولادته في اليوم الخامس من شعبان .

تسميته :

الشيء المحقق الذي اجمع عليه المؤرخون والرواة هو أن الرسول الأعظم (ص) قد سمى حفيده بعلي بن الحسين ، ولقبه بزين العابدين، وذلك قبل أن يخلق بعشرات السنين ، وكان ذلك من العلامات الباهرة لنبوته . . . وقد تضافرت الأخبار بنقل ذلك عنه ، وهذه بعضها . . .

١ ـ روى الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري قال كنت جالساً عند رسول الله (ص) والحسين في حجره ، وهو يداعبه، فقال (ص) يا جابر يولد له مولود اسمه (علي) إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين ،

---

(١) تحفة الراغب (ص ١٣) مطالب السؤول ٢/ ٤١ الفصول المهمة لابن الصباغ(ص ٢١٢ كشف الغمة .

(٢) الصراط السوي (ورقة ١٩٢) مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين، مطالب السؤول ٢/ ٤١ نور الأبصار (ص ١٣٦) .

(٣) روضة الواعظين ١/ ٢٢٢ .

(٤) بحر الأنساب (ورقة ٥٢) .

(٥) الإمامة في الإسلام (ص ١١٦) .

(٦) النفحة العنبرية مصور في مكتبة السيد الحكم .

فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد ، فإن ادركته يا جابر فاقرئهمني السلام . . [1].

وأذاع جابر هذا الحديث كما أنه أدرك الإمام محمد الباقر عليه السلام وبلغه هذه التحية من جده الرسول (ص) فتلقاها الإمام بمزيد من الغبطة والسرور .

٢ ـ روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن سفيان بن عيينة عن ابن الزبير قال : كنا عند جابر فدخل عليه علي بن الحسين ، فقال له جابر : كنت عند رسول الله (ص) فدخل عليه الحسين فضمه إليه ، وقبله ، واقعده إلى جنبه ، ثم قال (ص) : يولد لابن هذا ابن يقال له : علي بن الحسين إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقم سيد العابدين فيقوم هو[2] .

٣ ـ روى سعيد بن المسيب عن ابن عباس ان رسول الله (ص) قال : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين؟ فكأني انظر إلى ولدي علي بن الحسين يخطر بين الصفوف. . .[3] هذه بعض النصوص التي أثرت عن النبي (ص) في تسميته لحفيده بعلي ومنحه بلقب زين العابدين ، كما فيها الاشادة بأهميته ومكانته عند الله تعالى .

مع ابن تيمية :

وأنكر ابن تيمية تسمية النبي (ص) لولده علي بهذا الأسم ، وقال : هذا شيء لا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل العلم[4]. وقد اغمض ابن تيمية عينيه عما ذكره الحفاظ واعلام المؤرخين والرواة في ذلك . . ولكن الرجل قد مني بالانحراف عن الحق فأعلن العداء لأهل البيت عليهم السلام الذين الزم الله بمودتهم ، وجعلهم الرسول (ص) سفن النجاة وأمن العباد، وقد تنكر لكل فضيلة من فضائلهم، وجحد كل ما يرويه الحفاظ من مآثرهم .

---

(١) وسيلة المآل في مناقب الآل (ورقة ٧) مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين .
(٢) تأريخ دمشق ١٤٢/٣٦ مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين.
(٣) علل الشرايع (ص ٨٧) البحار ٣/٤٦.
(٤) منهاج السنة ١٢٣/٢ .

كنيته :

وكني الإمام زين العابدين عليه السلام بما يلي :

(أ) أبو الحسين.

(ب) أبو الحسن .

(ج) أبو محمد[1].

(د) أبو عبدالله[2].

ألقابه :

أما القابه الشريفة فهي تحكي نزعاته الخيرة ، وما اتصف به من محاسن الصفات ومكارم الأخلاق، وعظيم الطاعة والعبادة لله ، وهذه بعضها :

١ ـ زين العابدين :

وأضفى عليه هذا اللقب جده رسول الله (ص) ـ كما تقدم ـ وإنما لقب به لكثرة عبادته[3] وقد عرف بهذا اللقب ، واشتهر به ، حتى صار اسماً له ، ولم يلقب به أحد سواه ، وحقاً أنه كان زيناً لكل عابدٍ وفخراً لكل من أطاع الله

٢ ـ سيد العابدين :

من القابه البارزة (سيد العابدين) وذلك لما ظهر منه من الانقياد والطاعة لله ، فلم يؤثر عن أي أحد من العبادة مثل ما أثر منه عدا جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

---

(١) تهذيب اللغات والأسماء القسم الأول (ص ٣٤٣) نور الأبصار ١٣٧ صفة الصفوة ٢/٥٢، تحفة الراغب ص ١٣ .

(٢) تهذيب الكمال م٧/ ق ٢ ورقة ٣٣٤ مصور في مكتبة السيد الحكيم سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٧، تأريخ الإسلام ٢/٦٦، تأريخ دمشق ٣٦/ ورقة ١٤٢ مصور في مكتبة الإمام امير المؤمنين .

(٣) تهذيب التهذيب ٧/٣٠٦، شذرات الذهب ١/١٠٤ وجاء فيه « سمي زين العابدين لفرط عبادته » .

٣ ـ ذو الثفنات :

لقب بذلك لما ظهر على اعضاء سجوده من شبه ثفنات البعير[١] وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام : كان لأبي في مواضع سجوده آثار ناتئة ، وكان يقطعها في السنة مرتين : في كل مرة خمس ثفنات فسمي ذو الثفنات لذلك[٢] وفي رواية أنه جمع الثفنات في كيس وأوصى أن تدفن معه .

٤ ـ السجاد :

من القابه الشريفة التي اشتهر بها « السجاد »[٣] وذلك لكثرة سجوده فقد كان من أكثر الناس سجوداً لله تعالى وطاعة له ، وحدث الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام عن كثرة سجود أبيه قال : إن علي بن الحسين ما ذكر الله عزّ وجلّ نعمة عليه إلا سجد ، ولا قرأ أية من كتاب الله عزّ وجلّ فيها سجود إلا سجد ، ولا دفع الله عنه سوءً يخشاه إلا سجد ولا فرغ من صلاة مفروضة الا سجد ، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسُمي السجاد لذلك[٤] ونظم ابن حماد كثرة سجود الإمام وعبادته بهذه الأبيات الرقيقة :

وراهب أهل البيت كان ولم يزل ... يُلقب بالسجاد حين تعبده
يقضي بطول الصوم طول نهاره ... منيباً ويقضي ليله بتهجده
فأين به من علمه ووفائه ... وأين به من نسكه وتعبده[٥]

٥ ـ الزكي :

لُقب بالزكي لأن الله زكاه وطهره من كل دنس كما زكى آباءه الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

---

(١) صبح الأعشى ١/٤٥٢، بحر الأنساب ورقة ٢٥، تحفة الراغب (ص ١٣) الأضداد في كلام العرب ١/١٢٩، ثمار القلوب (ص ٢٩١) وجاء فيه كان يقال لكل من علي بن الحسين، وعلي بن عبدالله بن العباس ذو الثفنات لما على اعضاء السجود منهما من السجادات الشبيهة بثفنات الابل وذلك لكثرة صلاتهما .

(٢) علل الشرايع (ص ٨٨) بحار الأنوار ٤٦/٦ وسائل الشيعة ٤/٩٧٧.

(٣) علل الشرايع (ص ٨٨).

(٤) وسائل الشيعة ٤/٩٧٧ علل الشرايع (ص ٨٨).

(٥) المناقب .

٦ ـ الأميـن :

من القابه الشريفة التي عـرف بها (الأمين) [١] فقـد كان المثـل الأعلى لهذه الصفة الكـريمة، وقـد قال (ع) : (لـو أن قاتـل أبي أودع عندي السيف الذي قتل به أبي لأديته إليه) .

٧ ـ ابن الخيرتين :

من القـابـه التي اشتهـر بهـا (ابن الخيـرتين) وكـان يعتـز بهـذا اللقب ويقول : أنا ابن الخيـرتين ، إشارة لقـول جده رسـول الله (ص) : « لله تعالى من عباده خيـرتان ، فخيرته من العـرب هاشم ومن العجم فـارس »[٢] ونسب الشبراوي إليه هذه الأبيات التي ذكر فيها اعتزازه بهذا اللقب :

خـيـرة الله مـن الـخـلق أبـي ... بعـد جـدي وأنـا ابن الخيـرتين
فضـة قـد صيـغت مـن ذهب ... فـأنـا الـفـضـة ابـن الـذهـبـيـن
من لـه جـد كجـدي في الـورى ... أو كـأبـي وأنـا ابـن الـقـمـريـن
فـاطـمـة الـزهـراء أمـي وأبـي ... قـاصـم الـكـفـر بـبـدر وحـنـيـن
ولـه فـي يـوم أحـد وقـعـة ... شفت الغـل بعض العسكـرين[٣]

وأكبر الظن أن هـذه الأبيات ليست لـلإمام زين العـابدين ، وإنمـا قيلت على لسان أبيه كما هي صريحة في ذلك .

هذه بعض القابه ، وذكرت لـه القاب اخـرى[٤] ، وهي تنم عما اتصف به من الصفات الرفيعة والنزعات العظيمة .

وفاة أمه :

وأول نكبة داهمته وهـو في المرحلة الأولى من طفـولته وفـاة امه ، فقـد

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٨٧) بحر الأنساب (ورقة ٥٢) نور الأبصار (ص ١٣٧).
(٢) الكامل للمبرد ١/٢٢٢ وفيات الأعيان ٢/٤٢٩ .
(٣) الأتحاف بحب الأشراف (ص ٤٩) ـ وفي صدر البيت الثاني ـ كما لا يخفى ـ زحاف.
(٤) ناسخ التواريخ .

اصابتها بعد ولادتها حمى النفاس ، وضلت ملازمة لها ، وقد اجتهد الإمام الحسين (ع) في أن يطفىء عنها وقدة الحمى وجذوتها فلم يستطع ، واشتد بها الحال، وفتك بها المرض فتكاً ذريعاً وذبلت نضارتها ، وعادت كأنها جثمان فارقته الحياة ، وكانت تلقي نظرات مشفوعة بالالم والحسرات على طفلها الرقيق الذي لم ينتهل من نمير عطفها وحنانها .

واشتدت بها الحمى، وانتابتها الام مبرحة ، وبقيت أياماً تعاني من شدة الأسقام حتى صعدت روحها إلى السماء كأسمى روح صعدت إلى الله[1] وقد انطوت بموتها صفحة ناصعة من صفحات الفضيلة والعفة والحياء ، وكل ما تعتز به المرأة من أدب وكمال . . . وقد رزئت الأسرة النبوية بوفاة هذه السيدة الجليلة التي كانت تمثل الشرف والفضيلة ، وقد جرى لها تشييع حاشد ضم الإمام الحسين وخيار المسلمين وجماهير كثيرة من المسلمين ، وقد وارى جثمانها الشريف في الكوفة وقد تألم الإمام الحسين لفقد هذه السيدة التي عاشت بينهم أياماً كأيام الزهور فلم يطل منها العهد .

لقد نكب الإمام زين العابدين عليه السلام بوالدته وهو في أول مرحلة من مراحل طفولته، وكان ذلك ايذاناً لتتابع المحن والخطوب عليه التي لم تجر على أي إنسان سواه .

مربيته :

وعهد الإمام الحسين عليه السلام إلى سيدة زكية من أمهات اولاده بالقيام بحضانة ولده زين العابدين ورضاعته ورعايته، وقد عنيت به هذه المرأة الصالحة كأشد ما تكون العناية ، فكانت ترعاه كما ترعى الأم الرؤوم فلذة كبدها، وقد درج الإمام في جو من الكتمان الشديد، فلم يخبره أحد بموت أمه الا بعد أن كبر لئلا يحترق قلبه ويقلق باله[2].

---

(١) اثبات الوصية للمسعودي (ص ١٤٣) الإمام زين العابدين (ص ١٨).
(٢) الإمام زين العابدين (ص ١٩).

صفاته الجسمية :

أما صفاته وملامحه الجسمية فقد ذكر المؤرخون أنه كان اسمر قصيراً نحيفاً[1] ورقيقاً[2]، وكان كلما تقدمت به السن ازداد ضعفاً وذبولاً، وذلك لكثرة عبادته ، وقد اغرقته في الأحزان والآلام مذبحة كربلاء، فقد ضلت اهوالها تلاحقه حتى لحق بالرفيق الأعلى .

هيبته ووقاره:

أما هيبته فتعنو لها الوجوه والجباه ، فكانت تعلو على اسارير وجهه أنوار الأنبياء ، وهيبة الأوصياء ، ووصف شاعر العرب الأكبر الفرزدق في رائعته هيبة الإمام بقوله :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم

ويقول الشيخاني القادري : وكان لا تشبع من رؤية صباحة وجهه عين الناظر[3] لقد كانت هيبته تحكي هيبة جده الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله، وقد بهر بها المجرم السفاح مسلم بن عقبة الذي استهان بجميع القيم والمقدرات فحينما رأى الإمام ارتعدت فرائصه ، وقابله بمزيد من العناية والتكريم وقال لمن حوله : إن على زين العابدين سيماء الأنبياء .

نقش خاتمه :

أما نقش خاتمه فقد كان يحكي مدى انقطاعه واتصاله بالله ، فقد نقش عليه « وما توفيقي إلا بالله »[4] وقيل كان نقش خاتمه ،« علمت فاعمل »[5] .

---

(١) نور الأبصار (ص ٣٦).

(٢) أخبار الدول، ص ١٠٩، الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ١٩٢) من مصورات مكتبة الإمام امير المؤمنين .

(٣) الصراط السوي في مناقب آل النبي ص ١٩٢.

(٤) الفصول المهمة (ص ١٨٧) لأبن الصباغ ، اخبار الدول ص ١٠٩) الصراط السوي (ورقة ١٩٢).

(٥)عيون الأخبار لابن قتيبة ١/٣٠٢.

نشأته وسلوكه

لقد توفرت للإمام زين العابدين عليه السلام جميع المكونات التربوية الرفيعة التي لم يظفر بها أحد سواه، وقد عملت على تكوينه، وبناء شخصيته بصورة متميزة جعلته في الرعيل الأول من أئمة المسلمين الذين منحهم الرسول (ص) ثقته، وجعلهم قادة لأمته، وأمناء على اداء رسالته . . . لقد تجسدت في نشأة الإمام وسلوكه جميع عناصر الخير والفضيلة والكمال ، ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى هاتين الظاهرتين من مناحي حياته :

نشأته :

نشأ الإمام زين العابدين في بيت النبوة والإمامة ذلك البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، وفي المرحلة الأولى من طفولته كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتعاهده ، ويفضي عليه أشعة من روحه التي طبق شذاها العالم بأسره، فكان الحفيد ـ بحق ـ صورة صادقة عن جده يحاكيه ويضاهيه في عناصره ، ومكوناته النفسية .

أما الفترة التي عاشها الإمام زين العابدين في كنف جده فقد كانت قصيرة جداً ، وقد حددها المؤرخون بسنتين، وهي من أثقل السنين التي مرت على الإمام أمير المؤمنين فقد طافت به الأزمات، وتفاقمت عليه الأحداث بصورة رهيبة ومذهلة ، وكان من أشدها وأثقلها عليه أن جيشه الذي كان يقاتل

باطل معاوية قد مني بالهزيمة والتمرد والعصيان ، وقد راح يعج بالدعاء والابتهال إلى الله أن ينقله إلى جواره ، وينقذه من ذلك المجتمع الغوغائي الذي لم يع اهدافه ، وقد استجاب الله دعاءه فانبعث له اشقى الأولين والآخرين الإرهابي المجرم عبد الرحمن بن ملجم فاغتاله وهو في بيت من بيوت الله ، وكان قائماً يصلي لربه ، وفي الساعات الأخيرة من حياته احتف به أهل بيته وابناؤه ، وكان من بينهم الإمام زين العابدين ، فعهد بالإمامة إلى ولديه الحسن والحسين ، ونص على إمامة حفيده الطفل زين العابدين ، وأبلغه تحيات النبي (ص) وتحياته إلى ولده محمد الباقر عملاق هذه الأمة ، ورائد نهضتها الفكرية والعلمية .

وممن تولى تربية الإمام زين العابدين عمه الزكي الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة ، وريحانة رسول الله (ص) وسبطه الأول ، فقد كان يغدق عليه بعطفه وحنانه ، ويغرس في نفسه مثله العظيمة ونزعاته الفذة ، وظل ملازماً له حتى أشرف على ميعة الشباب ، وقد انطبعت في أسارير نفسه ، ودخائل ذاته سيرة عمه بطل الفكر والاصلاح في الإسلام وكان ممن تولى تربية الإمام زين العابدين والده أبو الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ، فقد رأى فيه امتداداً ذاتياً ومشرقاً لروحانية النبوة ومثل الإمامة، فأولاه المزيد من رعايته وعنايته ، وقد سكب في نفسه قيمه وطاقاته الندية ، وقد قدمه على بقية ابنائه ، وصاحبه في أكثر أوقاته ، ويقول المؤرخون : إن زين العابدين قد مرض فخف إليه الإمام الحسين مسرعاً لعيادته ، وراح يمنّيه قائلاً :

« ما تشتهي يا بني؟ . . . » .

فأجابه جواب من أناب إلى الله وانقطع إليه :

« اشتهي أن أكون ممن لا يقترح على الله ربي ما يدبره لي . . . » .

وبهر الإمام الحسين من هذه الكلمات المشرقة التي دلت على عظيم المعرفة وعمق الإيمان ، وانبرى قائلاً بإعجاب :

« أحسنت ، ضاهيت إبراهيم الخليل حيث قال جبرائيل له : هل من حاجة ؟ فقال : لا أقترح على ربي ، بل حسبي الله ونعم الوكيل !!! »[1] .

حقاً لقد ضاهى زين العابدين إبراهيم خليل الله في عظيم إيمانه ، وشدة إنابته ، وانقطاعه إلى الله .

لقد كان الإمام عليه السلام بحكم تربيته ونشأته المثل الأعلى لكل ما يعتز به الإنسان من سمو الكمال ، وقيم الأخلاق .

سلوكه :

أما سلوك الإمام زين العابدين فكان كسلوك آبائه مصدر إشعاع وهداية إلى الناس ، وكان يتحرى في سلوكه السير على منهج جده الإمام أمير المؤمنين (ع) والاقتداء بسيرته وهديه ، ويقول الرواة : إنه كان يمعن في قراءة سيرة جده حينما تجهده العبادة فيتنفس تنفس الصعداء ، ويقول بحسرات :

« اين عبادتي من عبادة جدي أمير المؤمنين ؟ . . » .

لقد كان يحمل في سريرته روح جده الإمام أمير المؤمنين ، وسيد العارفين فسار على منهاجه ، واقتدى به في جميع مناحي سلوكه ، ونتحدث عن بعض مظاهر هذه الناحية من حياته .

سيرته في بيته :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أرأف الناس وأبرهم وأرحمهم بأهل بيته ، وكان لا يتميز عليهم ، بل كان كأحدهم ، وأثر عنه أنه قال : لأن أدخل السوق ومعي دراهم ابتاع بها لعيالي لحماً ، وقد قرموا[2] أحب إلي من أن اعتق نسمة[3] وكان يبكر في خروجه صبحاً لطلب الرزق لعياله ، فقيل

---

(١) البحار ٤٦/٦٦ دعوات قطب الراوندي مخطوط بمكتبة الإمام أمير المؤمنين .

(٢) قرموا : أي اشتد شوقهم إلى اللحم .

(٣) البحار ٤٦/٦٧ .

له : إلى أين تذهب ؟ فقال : اتصدق لعيالي من طلب الحلال ، فإنه من الله عز وجل صدقة عليهم[1] . وكان يعين أهله في حوائجهم البيتية ، ولا يأمر أحداً منهم فيما يرجع إلى أي شأن من شؤونه الخاصة ، كما كان يتولى بنفسه خدمة نفسه خصوصاً فيما يرجع إلى شؤون عبادته فإنه لم يك يستعين بها أو يعهد إلى أحد في قضائها .

لقد سار الإمام في بيته سيرة لم ير الناس مثلها فقد تمثلت فيها الرحمة والتعاون والرأفة ، ونكران الذات .

بره بمربيته :

وبعد أن كبر الإمام زين العابدين عليه السلام علم بموت أمه ، وأدرك أن ما أسدته إليه هذه المربية الصالحة من ألوان البر والإحسان إنما كان خدمة له وتقرباً إلى الله ، فقابل (ع) ذلك المعروف بكل ما تمكن عليه من أنواع الإحسان وقد بلغ من جميل بره بها أنه امتنع أن يواكلها فلامه الناس ، وأخذوا يسألونه بالحاح قائلين :

« أنت أبر الناس ، وأوصلهم رحماً فلماذا لا تؤاكل أمك ؟ . . . » .

فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه وكماله قائلاً :

«أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليها[2] فأكون قد عققتها . . . »[3] .

أية إنسانية تضارع هذه الإنسانية ؟ وأي نفس ملائكية هذه النّفس ؟ وحسبه أنه ابن الحسين الذي ملأ الدنيا بشرفه وكماله .

رواية موضوعة :

ذكر ابن كثير رواية لا أساس لها من الصحة ، فقد روى أن الإمام زين

---

(١) بحار الأنوار ٤٦/٦٧ .

(٢) شذرات الذهب ١/١٠٥ الكامل للمبرد ١/٣٠٢ .

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/٩٧ .

العابدين زوج أمه من مولى له ، واعتقد أمة فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك فكتب إليه « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ، وقد اعتق صفية فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمه زينب بنت جحش »[1] .

أما صدر هذه الرواية دون ذيلها فهو مفتعل ، والذي يدلل عليه ما يلي :

أولاً : إن السيدة أم الإمام توفيت في نفاسها ، وقد ذكر ذلك جمهور المؤرخين والرواة ، وقد المحنا فيما تقدم إلى مصادر ذلك في هامش الكتاب .

ثانياً : أن الإمام أبا الحسن الرضا عليه السلام صرح بذلك في حديثه مع سهل بن القاسم النوشجاني ، فقد قال له : إنها ـ أي أم الإمام علي بن الحسين ـ ماتت في نفاسها فكفله بعض امهات ولد أبيه فسماها الناس أمه ، وإنما هي مولاته ، وزعموا أنه زوج أمه ، ومعاذ الله ذلك ، وإنما زوج هذه ، قال سهل : ولم يبق طالب بخراسان إلا كتب هذه عن الرضا[2] .

إن مصدر هذه الرواية لا أساس له من الصحة مطلقاً ، وأما عتق الإمام لبعض مملوكاته وزواجه بها فأمر يتفق مع روح الإسلام وهديه ، ولا مانع منه .

مع أبويه

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أبر الناس بأبيه ومربيته ، فقد خفض لهما جناح المودة والرحمة ، ولم تبق مبرة ولا خدمة إلا قدمها لهما ، وبلغ من عظيم بره لأبيه أنه طلب من عمته زينب بطلة كربلا في يوم الطف أن تزوده بالعصى ليتوكأ عليها ، وبالسيف ليذب به عن أبيه في حين أن المرض قد فتك به فلم يتمكن أن يخطو خطوة واحدة على الأرض إلا أن عمته صدته

---

(١) البداية والنهاية ١٠٨/٩ .

(٢) عيون اخبار الرضا (ص ٢٧٠) .

عن ذلك لئلا تنقطع ذرية النبي (ص) فأي مبرة مثل هذه المبرة؟ ومن خدماته لأبيه أنه قام بعد شهادته بتسديد ما عليه من الديون الضخمة التي كان قد أنفقها على البؤساء والمحرومين . . . فمن مبراته لأبويه دعاؤه لهما .

دعاؤه لأبويه :

أما دعاء الإمام زين العابدين (ع) لأبويه فهو من المع القواعد في التربية الإسلامية الهادفة إلى إصلاح الأسرة وسعادتها، وشيوع المحبة والاحترام بين أفرادها ومن الطبيعي أن الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع بأسره ، وإذا فسدت فسد المجتمع كذلك ، لأنها الخلية الأولى في بناء المجتمع وتكوينه ، وفيما يلي نص هذه اللوحة الذهبية من دعائه :

« اللهم صل على محمد عبدك ، ورسولك وأهل بيته الطاهرين ، واخصصهم بأفضل صلواتك ورحمتك وبركاتك ، وسلامك واخصص اللهم والدي بالكرامة لديك ، والصلاة منك يا أرحم الراحمين .

اللهم صلّ على محمد وآله ، وألهمني علم ما يجب لهما علي الهاماً ، واجمع لي علم ذلك كله تماماً ، ثم استعملني بما تلهمني منه ، ووفقني للنفوذ فيما تبصرني من علمه ، حتى لا يفوتني استعمال شيء علمتنيه ، ولا تثقل اركاني[1] عن الحفوف[2] فيما الهمتنيه . . . » .

ومثلت هذه الكلمات المشرقة سمو آداب الإمام ومعالي اخلاقه ، ومدى احترامه لأبويه ، فقد دعا لهما الله أن يخصهما بالفضل والكرامة لديه ، وأن يلهمه تعالى ما يجب لهما من الحقوق ليقوم بأدائها ، وأن لا يثقله عن أدائها . . ولنستمع إلى قطعة أخرى من دعائه لهما . .

« اللهم صلّ على محمد وآله كما شرفتنا به ، وصل على محمد وآله كما أوجبت لنا الحق على الخلق بسببه .

---

(١) اركاني : أي اعضائي وجوارحي .
(٢) الحفوف : الاحاطة والشمول .

اللهم اجعلني اهابهما هيبة السلطان العسوف ، وأبرهما بر الأم الرؤوف ، واجعل طاعتي لوالدي ، وبري بهما أقر لعيني من رقدة الوسنان[1] واثلج لصدري من شربة الظمآن حتى اوثر على هواي هواهما ، وأقدم على رضاي رضاهما ، واستكثر برهما بي وإن قل ، واستقل بري بهما وإن كثر . . . » وليس في دنيا البر والإحسان للأبوين مثل ما ذكره الإمام في هذه الفقرات لأبويه فقد سأل من الله تعالى أن يمنحه المزيد من الهيبة لهما ليطيعهما ولا يخالفهما، وأن يبرهما بر الأم الرؤوف لولدها ، وأن يؤثر هواهما على هواه ، ويقدم رضاهما على رضاه ، وأن يشكر ما أسدياه اليه من البر والإحسان وأن يستقل بره لهما ، ومن الطبيعي أن مثل هذه الآداب من الأبناء تجاه ابائهم فإنها مما تنسيهم متاعب الحياة وآلام الشيخوخة ، كما توجد سعادة الأسرة وازدهار الحياة الاجتماعية ، ونعود إلى مواصلة ذكر الفقرات المشرقة من دعاء الإمام لأبويه .

« اللهم خفض لهما صوتي » واطب لهما عريكتي[2] واعطف عليهما قلبي ، وصيرني بهما رفيقاً ، وعليهما شفيقاً ، اللهم اشكر لهما تربيتي ، وأثبهما على تكرمتي ، واحفظ لهما ما حفظاه مني في صغري ، اللهم ما سهما مني من أذى أو خلص لهما عني من مكروه أوضاع قبلي لهما من حق فاجعله حطة لذنوبهما ، وعلواً في درجاتهما وزيادة في حسناتهما ، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات . . . »

ومثلت هذه القطعة آداب أهل البيت عليهم السلام وسمو تربيتهم فقد أضاف الإمام فيها إلى ما ذكره سابقاً من حقوق الأبوين حقوقاً أخرى وهي :

١ ـ أن يخفض الولد صوته أمام أبويه ، ولا يعلو به عليهما .
٢ ـ أن يطيب لهما عريكته ، ولا يقابلهما بالشدة والقسوة .
٣ ـ أن يملأ قلبه عطفاً وحناناً ومودة لهما .

---

(١) الوسنان الشديد النعاس الذي تتوق نفسه إلى النوم .
(٢) العريكة : الطبع .

٤ ـ الدعاء لهما بالمغفرة والرضوان على ما أسدياه إليه من المعروف واللطف أيام صغره الذي هو في أمس الحاجة إلى رعايتهما وتربيتهما .

٥ ـ الطلب من الله أن يكتب لهما المزيد من الأجر على ما مسهما من الأذى ، وخلص إليهما من المكروه أو التقصير في أداء حقوقهما من قبله ، وليس في عالم التربية المثالية مثل هذه الآداب التي يسمو بها الإنسان وتزدهر بها حياته ، ولنستمع إلى قطعة اخرى من كلامه عليه السلام .

« اللهم وما تعديا علي فيه من قول أو أسرفا علي فيه من فعل ، أو ضيعاه لي من حق ، أو قصرا بي عنه من واجب فقد وهبته لهما ، وجدت به عليهما ، ورغبت إليك في وضع تبعته عنهما ، فإني لا اتهمهما على نفسي ، ولا استبطئهما في بري ، ولا أكره ما تولياه من أمري يا رب ، فهما أوجب حقاً علي ، وأقدم احساناً إلي ، واعظم منه لدي من أن أقاصهما بعدل أو أجازيهما على مثل ، أين ذا يا إلهي طول شغلهما بتربيتي ؟ وأين شدة تعبهما في حراستي ؟ وأين اقتارهما على أنفسهما للتوسعة علي ؟ هيهات ما يستوفيان مني حقهما ، ولا أدرك ما يجب علي لهما ، ولا أنا بقاض وظيفة خدمتهما . . . فصل على محمد وآله ، واعني يا خير من استعين به ، ووفقني يا أهدى من رغب إليه ، ولا تجعلني في أهل العقوق للآباء والأمهات يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون . . . » .

إن هذه التربية العلوية إنما هي نفحة من روح الله لتكون مناراً إلى الأمم والشعوب لترفع من قيمة الإنسان ، وتسمو به إلى عالم الملكوت . . . لقد عرض هذا الإمام المربي إلى أن الواجب يحتم على الأبناء أن يسامحوا آباءهم على ما يصدر منهم من تعد عليهم في القول أو إسراف في الفعل أو تقصير في واجب ، عليهم أن يهبوا كل ذلك لهم مكافأة لهم ومجازاة لتربيتهم وعنايتهم ونعمتهم التي لا يؤدي الولد البار مهما عمل من خدمة بعض ما يجب عليه من البر والإحسان لأبيه . . . ولنستمع إلى القطعة الأخيرة من دعاء الإمام :

« اللهم صل على محمد وآله وذريته ، واخصص أبوي بأفضل ما خصصت به آباء عبادك المؤمنين ، وأمهاتهم يا أرحم الراحمين ، اللهم لا تنسني ذكرهما في ادبار صلواتي ، وفي آناء من أناء الليل ، وفي كل ساعة من ساعات نهاري ، اللهم صل على محمد وآله ، واغفر لي بدعائي لهما ، واغفر لهما ببرهما بي مغفرة حتماً ، وارض عنهما بشفاعتي لهما رضى عزماً ، وبلغهما بالكرامة مواطن السلامة اللهم وان سبقت مغفرتك لهما فشفعهما في ، وإن سبقت مغفرتك لي فشفعني فيهما حتى نجتمع برأفتك في دار كرامتك ، ومحل مغفرتك ورحمتك إنك ذو الفضل العظيم ، والمن القديم ، وأنت أرحم الراحمين . . . »[1] إن الإنسانية إنما تسمو وتتميز بهذه الأخلاق العلوية الهادفة إلى خلق مجتمع متكامل واحد تسوده المحبة والألفة والاحترام المتبادل خصوصاً في عالم الأسرة التي ينطلق منها تهذيب الفرد وبناء شخصيته .

لقد دعا الإمام (ع) لأبويه في هذه الفقرات الأخيرة طالباً من الله أن يتفضل عليهما بالمغفرة والرضوان ، وأن يغفر له ببركة دعائه لهما ، وأن يغفر لهما ببرهما له ، فأي مودة ورحمة للأبوين مثل هذه المودة والرحمة ؟

مع ابنائه :

أما سلوك الإمام زين العابدين عليه السلام مع أبنائه فقد تميز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم ، فغرس في نفوسهم نزعاته الخيرة ، واتجاهاته الإصلاحية العظيمة وقد صاروا بحكم تربيته لهم من المع رجال الفكر والعلم والنضال في الإسلام ، فكان ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام من أشهر ائمة المسلمين ، ومن أكثرهم عطاءاً للعلم ، وهو صاحب المدرسة الفقهية الكبرى التي تخرج منها كبار الفقهاء والعلماء أمثال ابان بن تغلب وزرارة بن أعين ، وغيرهما ممن اضاءوا الحياة الفكرية في الإسلام ، . . وأما ولده

---

(١) الصحيفة السجادية الدعاء الرابع والعشرون .

عبد الله الباهر فقد كان من أبرز علماء المسلمين في فضله ، وسمو منزلته العلمية ، وقد روى عن أبيه علوماً شتى ، وكتب الناس عنه ذلك[1] أما ولده زيد فقد كان من أجلّ علماء المسلمين وقد تخصص في علوم كثيرة كعلم الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام وغيرها وهو الذي تبنى حقوق المظلومين والمضطهدين ، وقاد سيرتهم النضالية ، في ثورته الخالدة التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الإسلامي ، وساهمت مساهمة ايجابية وفعالة في الإطاحة بالحكم الأموي .

وعلى أي حال فإنا نعرض - بإيجاز - إلى بعض مناحي سلوك الإمام (ع) ، مع ابنائه .

وصاياه لأبنائه :

وزود الإمام زين العابدين عليه السلام أبناءه ببعض الوصايا التربوية التي هي خلاصة تجاربه في هذه الحياة لتكون منهجاً يسيرون عليها ، وفيما يلي بعض وصاياه .

١ - أوصى عليه السلام بعض ابنائه بهذه الوصية القيمة التي القت الأضواء على الأصدقاء والأصحاب ، والزمت بالاجتناب عمن يتصف منهم بالنزعات الشريرة خوفاً من سريان العدوى والتلوث إلى من يصادقهم ، وهذا نص وصيته :

« يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ، ولا تحادثهم ، ولا ترافقهم في طريق ، فقال له ولده : من هم ؟ قال (ع) إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ، ويبعد لك القريب ، وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك، وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله، وأنت أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصاحبة القاطع لرحمة فإني وجدته ملعوناً في كتاب

---

(١) غاية الاختصار (ص ١٠٦) .

الله . . . »[1] إن مزاملة هؤلاء الأصناف تجر الويل والخسران ، وتعود بالأضرار البالغة على من يصادقهم ، وما أكثر هؤلاء الأصناف في المجتمع قديماً وحديثاً ، وما اندر الأزكياء والأصفياء الذين ينتفع بمصاحبتهم .

٢ ـ ومن جملة وصاياه الرفيعة لأبنائه هذه الوصية الحافلة بالنصائح الجليلة وهذا نصها :

« يا بني اصبر على النائبة ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا تجب أخاك إلى شيء مضرته عليك اعظم من منفعته لك . . . »[2] .

لقد أوصى الإمام الحكيم ولده بالصبر على النوائب ، والأحداث التي تداهمه وعدم الانهيار أمامها ، فإن ذلك مما يؤدي إلى تماسك الشخصية ، وصلابتها ، كما أوصى (ع) بعدم التعرض والتعدي على حقوق الناس ، فإن ذلك اضمن لسلامة الشخص من الاعتداء عليه ومقابلته بالمثل ، كما أوصاه بعدم اجابة الصديق إلى أمر يعود عليه بالضرر والخسران .

٣ ـ ومن وصاياه لبعض أولاده هذه الوصية الرائعة، وهي :

« يا بني إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي ، ورضيني لك فحذرني منك ، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له . . »[3] .

وحفلت هذه الوصية بالنقاط التالية :

أ ـ إن الأبناء لا يكنون في أعماق نفوسهم لآبائهم من المودة والعطف مثل ما يكنه الآباء لهم ، ولذلك أكد تعالى في غير آية من كتابه المجيد بلزوم رعايتهم وطاعتهم .

ب ـ إن الله تعالى حذر الآباء من أبنائهم من مصادر الفتنة والشقاء لهم .

---

(١) تحف العقول (ص ٢٧٩) البداية والنهاية ٩/ ١٠٥ ، وسائل الشيعة .
(٢) البيان والتبيين ٢/ ٧٦ ، العقد الفريد ٣/ ٨٨ .
(٣) العقد الفريد ٣/ ٨٩ .

ج ـ إن التربية الناجحة للأبناء هي أن لا يفرط الآباء بالمودة والحنان لهم فإن ذلك مما يؤدي إلى ضعف شخصية الطفل ، وعدم استطاعته على الصمود أمام الأحداث ، وقد أكد هذه الظاهرة علماء التربية والنفس .

د ـ إن أفضل الأبناء هم الذين يقومون بخدمة آبائهم والإحسان إليهم وبذلك يخرجون من حدود التقصير والعقوق لهم .

٤ ـ ومن وصاياه القيمة هذه الوصية التي خص بها ولده الإمام الباقر عليه السلام ، وقد حذره فيها من مصاحبة الأحمق ، وقد جاء فيها :

« يا بني إياك من مصاحبة الأحمق أو تخالطه ، واهجره ، ولا تحادثه فإن الأحمق هجنة عياب ، غائباً كان أو حاضراً ، إن تكلم فضحه حمقه ، وإن سكت قصر به عيه ، ون عمل أفسد ، وإن استرعي اضاع ، لا علمه من نفسه يغنيه ، ولا علم غيره ينفعه ، ولا يطيع ناصحه ، ولا يستريح مقارنه ، تود أمه أنها ثكلته ، وامرأته انها فقدته ، وجاره بعد داره ، وجليسه الوحدة من مجالسته ، إن كان اصغر من في المجلس أعنى من فوقه ، وإن كان أكبرهم أفسد من دونه . . »[1] لقد عرض الإمام عليه السلام إلى لزوم الابتعاد عن الأحمق ، وذلك لما في الاتصال به من المضاعفات السيئة التي تجر الويل والعطب وقد أدلى عليه السلام بعيوب الأحمق ونقائصه .

٥ ـ ومن وصاياه الرائعة التي نصح بها ابناءه هذه الوصية :

« جالسوا أهل الدين والمعرفة ، فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة آنس واسلم فإن ابيتم إلا مجالسة الناس فجالسوا أهل المروآت فإنهم لا يزمتون في مجالسهم . . »[2] .

هذه بعض وصاياه التربوية لأبنائه ، وقد وضع فيها المناهج السليمة لسلوكهم ومسيرتهم في هذه الحياة .

---

(١) وسائل الشيعة ٥/٤٢١ .

(٢) رجال الكشي (ص ٤١٩).

دعاؤه لأبنائه :

أما دعاء الإمام لأبنائه فهو في منتهى الروعة والجلال ، فقد حكى سلوكه النير معهم وما يتمناه لهم من سمو الآداب ، ومكارم الأخلاق ، ولنستمع ونصغي إليه فإنه من أسمى الثروات في التربية الإسلامية .

« اللهم ومُنَّ علي ببقاء ولدي ، وبإصلاحهم لي ، وبامتاعي بهم ، إلهي امدد لي في أعمارهم ، وزد في آجالهم ، ورب لي صغيرهم ، وقوِّ لي ضعيفهم ، وأصح لي ابدانهم وأديانهم وأخلاقهم ، وعافهم في أنفسهم ، وفي جوارحهم ، وفي كل ما عنيت به من أمرهم ، وأدرر لي ، وعلى يدي ارزاقهم ، واجعلهم ابراراً اتقياء بصراء سامعين ، مطيعين لك ولأوليائك محبين مناصحين ، ولجميع اعدائك معاندين ومبغضين آمين . . . » .

ومثلت هذه الفقرات مدى روحانية الإمام عليه السلام في سلوكه لتربية ابنائه ، فقد قامت تربيته لهم على الإصلاح الشامل ، والتهذيب المطلق ، فقد دعا لهم بما يلي :

أ ـ أن يمن الله عليهم بالبقاء والإصلاح ليكونوا قرة عين له .

ب ـ أن ينعم الله عليهم بالصحة الشاملة لأبدانهم ، وأديانهم وأخلاقهم .

ج ـ أن يعافي الله نفوسهم وأرواحهم ، وذلك بتطهيرها من الرذائل والآثام .

د ـ أن يمنحهم تعالى العافية في جوارحهم لئلا يصابوا بعاهة في أجسامهم مما تشل فعالياتهم .

هـ ـ أن يوسع الله عليه وعليهم من أرزاقه ، ولا يذيقهم مرارة الفقر فإنه من أفجع الكوارث وافتكها .

و ـ أن يهديهم تعالى إلى مرضاته فيجعلهم ممن يسارعون إلى الخيرات وبأمره يعملون .

ز ـ أن يحبب لهم تعالى اولياءه ، ويبغض لهم اعداءه .

وهذا العطف مما يوجب تماسك الأسرة وانسجامها ، وإذا تربى الولد على هذا الأنموذج من الخلق الرفيع كان قرة عين لأبيه . . . ولنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء الشريف .

« اللهم اشدد بهم عضدي ، وأقم بهم أودي ، وكثر بهم عددي ، وزين لهم محضري ، وأحي بهم ذكري ، واكفني بهم في غيبتي ، واعن بهم على حاجتي ، واجعلهم لي محبين ، وعلي حدبين مقبلين ، مستقيمين لي ، مطيعين غير عاصين ، ولا مخالفين ولا خاطئين ، واعني على تربيتهم وتأديبهم ، وهب لي من لدنك معهم أولاداً ذكوراً ، واجعل ذلك خيراً لي ، واجعلهم لي عوناً على ما سألتك، وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم ، فإنك خلقتنا وأمرتنا ونهيتنا ، ورغبتنا في ثواب ما أمرتنا ، ورهبتنا عقابه ، وجعلت لنا عدواً يكيدنا ، سلطته على ما لم تسلطنا عليه منه ، اسكنته صدورنا ، وأجريته مجاري دمائنا لا يغفل إن غفلنا ولا ينسى إن نسينا يؤمننا عقابك ، ويخوفنا بغيرك ، إن هممنا بفاحشة شجعنا عليها ، وإن هممنا بعمل صالح ثبطنا عنه ، يتعرض لنا بالشهوات وينصب لنا بالشبهات ، إن وعدنا كذبنا ، وإن منانا اخلفنا والا تصرف عنا كيده يضلنا ، والا تقنا خباله[1] ، يستزلنا[2] اللهم فاقهر سلطانه عنا بسلطانك حتى تحبسه عنا بكثرة الدعاء لك فنصبح من كيده في المعصومين بك . . . » .

واحتوت هذه الفقرات الرائعة على أمرين ، وهما :

أولاً : إن الإمام سأل الله تعالى أن يحقق له ما يرجوه ويأمله في اولاده ، الأزكياء ، وكان مما يرجوه منهم ما يلي :

١ ـ أن يشد بهم عضده ، ويقويه بهم فإن الولد الصالح قوة للأب .

٢ ـ أن يقيم بهم ما اعوج ، واشكل عليه من أموره .

---

(١) خباله : أي فساده .

(٢) يستزلنا : أي يوقعنا في المهالك والمزلات .

٣ ـ أن يكثر بهم عدده فيكونوا أسرة ذات عدد كبير ملحوظين أمام المجتمع .

٤ ـ أن يزين بهم محضرة ومجلسه ، وذلك بسمو آدابهم ومعالي أخلاقهم .

٥ ـ أن يكفيه بهم في حال غيابه ، وذلك بقيامهم في مهماته .

٦ ـ أن يعينوه على حوائجه ، ولا يتركوه وحده .

٧ ـ أن يمنحهم تعالى حب أبيهم والعطف عليه ، ليطيعوا أوامره ، ويجتنبوا معاصيه ، وما لا يرضيه .

إن الأبناء إذا كانوا بهذه الصفة من الصلاح ، والاخلاص لآبائهم ، فإن جل متاعب الدنيا تزول وينعمون بهم في حال شيخوختهم التي هي مركز الضعف .

ثانياً : إن الإمام اعاذ نفسه وذريته بالله تعالى من شر الشيطان الرجيم الذي هو العدو الأول للإنسان الذي يلقيه في متاهات سحيقة من المعاصي والآثام ، وقد عرض الإمام عليه السلام إلى سلطة الشيطان على الإنسان ، وهيمنته عليه فقد سكن في أعماق النفوس ، ونفذ إلى جميع خلايانا وذكر أموراً أخرى ، والتي منها ما يلي :

١ ـ إن الشيطان يغري الإنسان باقتراف المعاصي ، ويسهل عليه عقاب الله الذي اعده للعصاة من عباده ، كما يخوف الإنسان بغير الله تعالى فيجعله يخاف ويخشى منه أكثر مما يخشى ويخاف من الله .

٢ ـ إن الإنسان إذا همّ بمعصية شجعه الشيطان عليها ، ودفعه لها حتى يوقعه بها .

٣ ـ إن الإنسان إذا همّ بعمل الخير ، وبما يقربه إلى الله زلفى ثبطه عنه الشيطان وجعله يتكاسل عنه ، حتى يصرفه عنه .

٤ ـ إن الشيطان يغري الإنسان بالشهوات ، ويزينها له حتى ينقاد لها .

٥ ـ ن الشيطان يلقي في قلب الإنسان الأوهام والشبهات التي توجب بعد الإنسان عن ربه .

وعرض الإمام بعد ذلك إلى أن جميع أماني الشيطان للإنسان كذب وخداع ، ولا حقيقة ولا واقع لها ، ثم سأل الإمام عليه السلام أن يصرف عن المؤمنين كيد الشيطان ومكره حتى لا يقعوا في حباله . . . ولنستمع بعد هذا إلى القطعة الأخيرة من هذا الدعاء الشريف .

« اللهم اعطني كل سؤلي ، واقض لي حوائجي ، ولا تمنعني الاجابة ، وقد ضمنتها لي ولا تحجب دعائي عنك ، وقد امرتني به ، وامنن علي بكل ما يصلحني في دنياي وآخرتي ما ذكرت منه ، وما نسيت ، أو أظهرت أو اخفيت أو اعلنت أو أسررت ، واجعلني في جميع ذلك من المصلحين بسؤالي إياك ، المنجحين بالطلب إليك غير الممنوعين بالتوكل عليك المعوذين بالتعوذ بك ، والراغبين في التجارة عليك المجارين[1] بعزك الموسع عليهم الرزق الحلال من فضلك الواسع بجودك وكرمك ، المعزين من الذل بك، والمجارين من الظلم بعدلك ، والمعافين من البلاء ، برحمتك ، والمغنين من الفقر بغناك ، والمعصومين من الذنوب والزلل والخطأ بتقواك والموفقين للخير والرشد والصواب بطاعتك ، والمحال بينهم وبين الذنوب بقدرتك ، التاريكين لكل معصيتك ، الساكنين في جوارك ، اللهم اعطنا جميع ذلك بتوفيقك ورحمتك ، واعذنا من عذاب السعير ، واعط جميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات مثل الذي سألتك لنفسي ولولدي ، في عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، إنك قريب مجيب ، سميع عليم ، عفو غفور ، رؤوف رحيم ، وآتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . . . »[2] .

سلام الله عليك يا زين العابدين لقد أوتيت من الحكمة وفصل الخطاب

---

(١) المجارين : أي المحفوظين من الظلم .
(٢) الصحيفة السجادية : الدعاء الخامس والعشرون .

ما لم يؤته أحد سوى آبائك الذين سنوا أصول الفصاحة والبلاغة والحكمة في دنيا العرب والإسلام .

لقد أعرب الإمام عليه السلام في هذه الفقرات عن عظيم اخلاصه وإنابته وطاعته لله ، وتعلقه به ، وانقطاعه إليه ، فقد سأل منه تعالى أن يعطيه جميع ما سأله وأن يقضي له جميع حوائجه ، وأن يمن عليه بما يصلحه في أمر آخرته ودنياه ، وأن يجعله ممن يريد الإصلاح فيما يستجيب له من دعائه ، وأكثر من التذلل والتملك إلى الله الذي بيده ملكوت كل شيء ، ثم سأل الله تعالى أن يعطي جميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات مثل الذي سأل لنفسه ولولده في عاجل الدنيا وآجل الآخرة.

لقد ربى ابناءه على مثل هذا الهديي الذي يمثل جوهر الإسلام ، وواقع الإيمان فكانوا من اتقى ابناء المسلمين ، ومن أكثرهم تحرجاً في الدين .

مع مماليكه :

وسار الإمام زين العابدين عليه السلام مع مماليكه سيرة تتسم بالرفق والعطف والحنان فكان يعاملهم كابنائه ، ويغدق عليهم بره ومعروفه وإحسانه ، وقد وجدوا في كنفه من الرفق ما لم يجدوا في ظل آبائهم ، ويقول الرواة إنه لم يعاقب أمة ولا عبداً فيما إذا اقترفا ذنباً[1] وقد كان له مملوك فدعاه مرتين فلم يجبه ، وفي الثالثة قال له الإمام برفق ولطف :

- « يا بني أما سمعت صوتي ؟ . . . » .

- « بلى . . » .

- « لم لم تجبني ؟ . . » .

- « أمنت منك . . . » .

فخرج الإمام وراح يحمد الله ويقول :

---

(١) البحار ٤٦/١٠٣ .

« الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني . . . »[1] .

لقد فرح الإمام لأنه لم يكن قاسياً ، ولا جباراً حتى يخاف منه الناس أو يحذرون .

مع جيرانه :

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام من أبر الناس بجيرانه، فكان يرعاهم كما يرعى أهله ، وكان يعول ضعفاءهم وفقراءهم ، ويعود مرضاهم ، ويشيع موتاهم ، ولم يترك لوناً من ألوان البر إلا اسداه إليهم ، وكان يستقي لضعفاء جيرانه في غلس الليل البهيم كما روى ذلك الزهري[2] وليس في تاريخ الإنسانية مثل هذا اللون من البر والمعروف .

دعاؤه لجيرانه :

ولم يكتف الإمام زين العابدين عليه السلام بما أسداه على جيرانه من أنواع البر والإحسان وإنما شملهم بدعائه ، فكان يدعو لهم بالتوفيق والحسنى والسداد كما كان يدعو لنفسه وأهل بيته ، وكانوا من مهامه ، وقد خصهم بدعاء من أدعيته الشريفة ، وفيما يلي نصه :

اللهم صل على محمد وآله ، وتولني في جيراني ، وموالي العارفين بحقنا ، والمنابذين لأعدائنا بأفضل ولايتك ، ووفقهم لإقامة سنتك ، والأخذ بمحاسن أدبك في إرفاق ضعيفهم ، وسد خلتهم ، وعيادة مريضهم ، وهداية مسترشدهم ، ومناصحة مستشيرهم ، وتعهد قادمهم ، وكتمان أسرارهم ، وستر عوراتهم ، ونصرة مظلومهم ، وحسن مواساتهم بالماعون ، والعود عليهم بالجدة والأفضال ، وإعطاء ما يجب لهم قبل السؤال . . . » .

---

(١) تاريخ دمشق ٣٦/١٥٥ .

(٢) بهجة الأبرار .

لقد دعا الإمام عليه السلام بهذه الدعوات المباركة لجيرانه ، وخص دعاءه بالعارفين والمؤمنين بحق أهل البيت عليهم السلام الذين ألزم الله مودتهم وجعلهم النبي (ص) سفن النجاة وأمن العباد ، والأدلاء على مرضاة الله وطاعته ، وكان من بنود هذا الدعاء :

١ ـ أن يوفقهم الله لإقامة سنة الإسلام ، وإحياء فروضه وتعاليمه .

٢ ـ أن يوفقهم الله ، ويهديهم للأخذ بمحاسن آداب الله ، وهي :

(أ) أن يرفقوا بضعفائهم ، ويعطفوا عليهم .

(ب) أن يقوموا بسد حاجات جيرانهم ، ويعينوهم على شؤون هذه الدنيا .

(ج) أن يعود كل فرد منهم مرض عند إخوانه في الله .

(د) أن يهدوا من يطلب الهداية والرشاد .

(هـ) أن يقدموا الرأي الصائب ، والنصيحة الكاملة لمن يستشيرهم .

(و) أن يتعاهدوا من يقدم من إخوانهم من السفر .

(ز) إذا أسرَّ بعضهم في سره لأخيه فعليه أن يكتمه ولا يذيعه بين الناس .

(ح) أن يستر بعضهم عورة بعض ولا يبديها لأن في نشرها هتكاً له وإسقاطاً لكرامته .

(ط) أن يقوموا بنصرة المظلوم منهم ، ولا يدعوه وحده لأن في ذلك نشراً للظلم وإماتة للعدل .

(ي) أن يواسي بعضهم بعضاً في الحياة الاقتصادية ، فلا يتركوا الضعفاء والفقراء ينهشهم الفقر والبؤس .

(ك) أن يسعفوا فقراءهم بالمال قبل السؤال لأن فيه مذلة على الفقير .

وهذه البنود من أهم المواد في النظام الاجتماعي في الإسلام الذي يهدف إلى جمع الناس على صعيد المحبة والمودة والالفة ، ويقضي على جميع النعرات والفوارق التي توجب فساد الحياة الاجتماعية . ولنستمع إلى بقية هذا الدعاء الشريف :

« واجعلني اللهم أجزي بالإحسان مسيئهم ، وأعرض بالتجاوز عن ظالمهم ، وأستعمل حسن الظن في كافتهم ، وأتولى بالبر عامتهم ، وأغض بصري عنهم عفة ، وألين جانبي لهم تواضعاً ، وأرق على أهل البلاء منهم رحمة ، وأسر لهم بالغيب مودة ، وأحب بقاء النعمة عندهم نصحاً ، وأوجب لهم ما أوجب لحامتي[1] ، وأرعى لهم ما أرعى لخاصتي، اللهم صل على محمد وآله ، وارزقني مثل ذلك منهم واجعل أوفى الحظوظ فيما عندهم ، وزدهم بصيرة في حقي ومعرفة بفضلي حتى يسعدوا بي ، وأسعد بهم آمين رب العالمين . . »[2] .

إن أهم ما يتمناه الإمام ـ في هذه الفقرات ـ أن يسدي إلى جيرانه الأيادي البيضاء ، ويقدم لهم المزيد من الخدمات التي منها :

١ ـ أن يقابل من أساء إليه بالبر والإحسان ، ليقتلع بذلك النزعة الشريرة من نفس المسيء .

٢ ـ أن يتجاوز عمن ظلمه ، واعتدى عليه ، ولا يقابله بالمثل ، وهذه سيرة جده رسول الله (ص) فقد كان يصفح الصفح الجميل عمن ظلمه .

٣ ـ أن يستعمل حسن الظن بجيرانه ، ولا يظن بأحد منهم سوءاً ، والظن الحسن يجمع الناس على صعيد المحبة والإلفة والوفاق .

٤ ـ أن يتولى بالبر والإحسان كافة جيرانه ، سواء منهم الضعيف والغني ، والعدو والصديق .

٥ ـ أن يلين لهم جانبه تواضعاً ، ولا يكون معهم فظاً غليظاً .

٦ ـ أن يرق قلبه على أهل البلاء منهم فيحسن لهم ، ويدعو لهم .

٧ ـ أن يسر لهم في أعماق قلبه المودة والرحمة .

٨ ـ أن يحب لهم دوام النعمة .

٩ ـ أن يعاملهم بالإحسان والمعروف كما يعامل أقاربه وأرحامه .

١٠ ـ أن يرعاهم بألطافه كما يرعى خاصته .

---

(١) الحامه : الأقارب .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء السادس والعشرون .

إن هذه الأخلاق العلوية تمثل جوهر الإسلام ، وواقعه ، وهي تدعو بصورة إيجابية إلى بناء مجتمع متكامل ، متحد بمشاعره ، متماسك بعواطفه .

وعلى أي حال فإن الإمام عليه السلام بعدما أعلن هذه العواطف الكريمة تجاه جيرانه تمنى أن يكنوا له مثل ما يكن لهم من المودة والحب ، كما سأل من الله أن يجعل له عندهم أوفى الحظوظ ، وأن يزيدهم بصيرة ومعرفة بفضله ، وأن يوفقهم للقيام برعاية حقوقه .

مع جلسائه :

أما سلوك الإمام عليه السلام مع جلسائه فكان يتميز بالآداب الرفيعة والخلق الإسلامي العظيم ، فكان يحترم ، ويكرم كل من جلس معه ، وقد قال عليه السلام : « ما جلس إلي أحد قط إلا عرفت له فضله »[1] وكان يوقر جلساءه ، ويقابلهم بالمزيد من ألطافه ، ومعالي أخلاقه ، وقد دخل عليه نصر ابن أوس الطائي ، فرحب به الإمام ، وقال له :

- «ممن أنت ؟» .
- «من طي . . » .
- «حياك الله، وحيا قوماً عُزِيْتَ إليهم، نعم الحي حيك. . .» .

والتفت الطائي إلى الإمام فقال له :

- «من أنت ؟ . . » .
- «علي بن الحسين . . » .
- «أولم يقتل بالعراق مع أبيه ؟ . . » .

فقابله الإمام ببسمات فياضة بالبشر قائلة :

- «لو قتل يا بني لم تره . . »[2] .

ويقول المؤرخون إنه كان لا يسمح لأحد من جلسائه أن يعتدي على من

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ليوسف القرطبي ١/٤٦ .

(٢) تأريخ دمشق ٣٦/١٤٥ .

أساء إليه فقد دخل عليه أحد أعدائه ، فقال له :

« هل تعرف الصلاة ؟ . . » .

فانبرى أبو حازم وهو من أصحاب الإمام فأراد الوقيعة به ، فزجره الإمام ، وقال له « مهلاً يا أبا حازم إن العلماء هم الحلماء الرحماء ، ثم التفت إلى الرجل بلطف وقال له :

« نعم أعرفها . . » .

سأله الرجل عن بعض خصوصيات الصلاة فأجابه الإمام عنها ، فخجل الرجل ، وراح يعتذر للإمام ويقول له : ما تركت لأحد حجة[1]. لقد كان شأن الإمام في معالي أخلاقه مع جلسائه وغيرهم شأن جده الرسول الأعظم (ص) الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق .

مع شيعته :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يتحرى في سلوكه مع شيعته أن يكونوا قدوة حسنة لكل إنسان مسلم في ورعهم وتقواهم وحريجتهم في الدين وقد جهد في تربيتهم وتهذيبهم بالأخلاق الإسلامية الرفيعة ، وقد بث فيهم المواعظ والنصائح ، وحفزهم على التقوى والعمل الصالح ، فقد قال (ع) لبعض شيعته :

« أبلغ شيعتنا أنه لن يغني عنهم من الله شيء ، وأن ولايتنا لا تنال إلا بالورع . . »[2] .

إن الورع عن محارم الله من أهم الوسائل في نجاة الإنسان من عذاب الله وعقابه ، كما انه من أنجح الطرق للظفر بولاية أهل البيت عليهم السلام التي هي حصن من حصون الله .

---

(١) بهجة الأبرار .

(٢) الدر النظيم (ص ١٧٣) .

ووفد جماعة على الإمام (ع) وعرفوا نفوسهم له بأنهم من الشيعة فأمعن الإمام في وجوههم فلم ير عليها أثر الصلاح ، فقال لهم : « أين السمت في الوجوه ؟ أين أثر العبادة ؟ أين سيماء السجود ؟ إنما شيعتنا بعبادتهم ، وشعثهم ، قد قرحت العبادة منهم الآماق ووثرت الجباه والمساجد ، خمص البطون ، ذبل الشفاه ، قد هيجت وجوههم ، واخلق سهر الليالي ، وقطع الهواجر، حثيثهم ، المسبحون إذا سكت الناس ، والمصلون إذا نام الناس ، والمحزونون إذا فرح الناس ، يعرفون بالزهد ، وشاغلهم الجنة . . »[1] .

إن هذه الصفات التي ذكرها الإمام (ع) إنما تتوفر في خواص الشيعة ، وحواري الأئمة عليهم السلام أمثال عمار بن ياسر ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي ، وميثم التمار ، ونظرائهم ممن أترعت نفوسهم بالتقوى والصلاح ، ووعوا رسالة الإسلام ، أما الأكثرية الساحقة من الشيعة فإنما هم من أتباع أهل البيت وموالهم ، ولا شبهة أن الولاء للأئمة عليهم السلام مما يوجب الغفران ، ويدلل على ذلك ما روي عنه عليه السلام ، حينما مرض فقد دخل عليه جماعة من صحابة النبي (ص) لعيادته فقالوا له :

« كيف أصبحت يا ابن رسول الله فدتك أنفسنا ؟ » .

« في عافية والله المحمود على ذلك ، وكيف أصبحتم أنتم ؟ . . » .

« أصبحنا والله لك يا ابن رسول الله محبين ، وادين . . » .

فبشرهم الإمام بالفردوس الأعلى لولائهم لأهل البيت قائلاً :

« من أحبنا لله أسكنه الله في ظل ظليل يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ومن أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله الجنة ، ومن أحبنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب . . »[2] .

---

(١) صفات الشيعة من مخطوطات مكتبة السيد الحكيم .

(٢) نور الأبصار (ص ١٢٧) .

رواية موضوعة :

من الروايات الموضوعة ما رواه ابن عساكر أن جماعة من أهل العراق وفدوا على الإمام زين العابدين عليه السلام ، فقال لهم : « يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ، ولا تحبونا حب الأصنام ، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شينا . . »[1] وهذه الرواية افتعلت للحط من شأن الشيعة وانهم يغالون في حبهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام ، ويرفعونهم إلى مستوى الخالق العظيم ، وهو اتهام رخيص لا سند له من الواقع . إن حب الشيعة للأئمة الطاهرين عليهم السلام قائم على أساس الفكر والوعي ويستند إلى الكتاب العزيز والسنة المتواترة ، وليس فيه أي شائبة من الغلو . . . إن أهم ظاهرة في ولاء الشيعة لأئمة أهل البيت (ع) هي أنها تأخذ معالم دينها عنهم ـ تلتزم بما أثر عنهم في حياتهم الدينية ، ومما لا شبهة فيه أن الأخذ بفقه أهل البيت والاستناد إليه في مقام العمل مجز عن الواقع ، فهل في هذه الجهة غلو ، وإنحراف عن الدين ؟

وقد رويت نفس هذه الرواية بشكل آخر ليس فيها طعن على الشيعة ، فقد روى يحي بن سعيد قال : كنت عند علي بن الحسين فجاءه نفر من الكوفيين ، فقال لهم علي بن الحسين : يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ، فإني سمعت أبي يقول : قال رسول الله (ص) : يا أيها الناس لا ترفعوني فوق حقي ، فإن الله عز وجل قد اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً[2]» وليس في هذه الرواية ما يدعو إلى التشكيك فيها .

إلزامه للشيعة بالتقية

وألزم الإمام زين العابدين عليه السلام شيعته بالتقية نظراً للظروف العصيبة الخانقة التي كانت تمر بهم ، فقد كان الحكم الأموي يفتش بدقة عن

---

(١) تأريخ دمشق ١٥٧/٣٦ . والشين: ضد الزين، أي: العيب.

(٢) الذرية الطاهرة ورقة ٢٩ مخطوط في مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل ٤٤ .

العناصر الموالية لأهل البيت ليقوم بتصفيتهم جسدياً ، وقد جاء أمر الإمام (ع) بلزوم التقية وإخفاء شيعته موافقاً للحكمة ، ومتفقاً مع روح الإسلام وجوهره ، قال عليه السلام : « يغفر الله للمؤمن كل ذنب ، ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين ترك التقية ، وتضييع حقوق الأخوان »[1] .

لقد حفظت التقية دماء شيعة أهل البيت في تلك العصور السود التي كان فيها الحكم الأموي يتتبعهم تحت كل حجر ومدر فأشاع فيهم القتل والإعدام ، وبلغ الحال أن من يقذف من المسلمين باليهودية والنصرانية أهون عليه من أن يوصف بأنه من شيعة آل محمد (ص) وقد ندد بالشيعة من لا وعي له من الحاقدين على آل البيت (ع) لإلتزامهم بالتقية ، ولم يعلم انها ضرورة إسلامية ملحة ، ولولا التزامهم بها لم يبق أحد يدين بالولاء للأئمة الطاهرين .

استغفاره لمذنبي شيعته :

وبلغ من حب الإمام زين العابدين عليه السلام لشيعته والموالين انه كان يدعو لمذنبيهم في كل يوم ، فقد قال (ع) لأم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر : « إني لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة مائة مرة ، لأنا نصبر على ما نعلم ويصبرون على ما لا يعلمون . . »[2] ودل هذا الحديث على مدى تعاطف الإمام على شيعته ، وحبه لهم ، فقد دعا لمذنبيهم بالمغفرة والرضوان فأي بر وأي إحسان أعظم من هذا البر والإحسان » .

مع أعدائه :

أما سلوك الإمام عليه السلام مع أعدائه ، والحاقدين عليه ، والظالمين له فقد تميز بالصفح والعفو عنهم ، والإحسان إليهم ، والبر بهم ، يقول

---

(١) الإمام زين العابدين (ص ٢٠٢) نقلاً عن المحاسن للبرقي .
(٢) الوافي ٢/١٨٣ عيون المعجزات (ص ٧٦) .

المؤرخون : إن إسماعيل بن هشام المخزومي كان والياً على يثرب ، وكان شديد البغض والحقد على آل البيت (ع) وكان يبالغ في إيذاء الإمام زين العابدين ، ويشتم آباءه على المنابر تقرباً إلى حكام دمشق ، ولما ولي الوليد ابن عبد الملك الخلافة بادر إلى عزله والوقيعة به لهنات كانت بينهما قبل أن يلي الملك والسلطان ، وقد أوعز بإيقافه للناس لاستيفاء حقوقهم منه ، وفزع ابن هشام كأشد ما يكون الفزع من الإمام زين العابدين لكثرة اعتدائه عليه ، وإساءته له ، وقال : ما أخاف إلا من علي بن الحسين فإنه رجل صالح يسمع قوله في ، أما الإمام (ع) فقد عهد إلى أصحابه ومواليه أن لا يتعرضوا له بمكروه ، وأسرع إليه فقابله ببسمات فياضة بالبشر وعرض عليه القيام بما يحتاج إليه من معونة في أيام محنته قائلاً :

« يا ابن العم عافاك الله لقد ساءني ما صُنع بك فادعنا إلى ما أحببت . . » وذهل هشام وراح يقول بإعجاب :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء . . . »[1] .

ولنستمع ونمعن في دعائه الشريف بالمغفرة لأعدائه وظالميه ، إلى ما اقترفوه من الاعتداء عليه يقول عليه السلام :

« اللهم وأيما عبد نال مني ما حظرت عليه ، وانتهك مني ما حجرت عليه فمضى بظلامتي ميتاً ، أو حصلت لي قبله حياً ، فاغفر له ما ألم به مني ، واعف له ما أدبر به عني ، ولا تقفه على ما ارتكب فيّ ، ولا تكشفه عما اكتسب بيّ ، واجعل ما سمحت به من العفو عنهم ، وتبرعت به من الصدقة عليهم أزكى صدقات المتصدقين وأعلى صلات المتقربين ، وعوضني من عفوي عنهم عفوك ، ومن دعائي رحمتك حتى يسعد كل واحد منا بفضلك ، وينجو كل منا بمنك . . »[2] .

حقاً لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام نسخة لا ثاني لها في تاريخ البشرية عدا آباءه . . . لقد كان في سلوكه دنيا من الشرف والنبل والإنسانية مما يعجز عنه الوصف ، ويقصر اللفظ أن يحيط أو يلم به .

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر ١ / ٣٥ طبقات أبن سعد ٥ / ٢٢٠ .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء الثامن والثلاثون .

عناصره النفسية

ولم يخلق الله فضيلة أو موهبة كريمة يتميز بها هذا الإنسان إلا وهي من عناصر شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام ومن ذاتياته ، فلم يجاره أي أحد في نزعاته ، وعناصره النفسية التي كان السائد فيها سمو الآداب ، ومكارم الأخلاق ، وشدة التحرج في الدين . . . ولا يكاد يقرأ أحد سيرته الندية إلا وينحني إجلالاً وإكباراً له ، ويذهب به الإعجاب إلى غير حد ، وقد استصغر عظماء الرجال في الإسلام من المعاصرين له نفوسهم أمام الحشد الهائل من فضائله وعبقرياته ، يقول سعيد بن المسيب وهو من كبار علماء المدينة : « ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين ، وما رأيته قط إلا مقت نفسي . . »[1] .

لقد رفعته مثله العليا إلى قمة الشرفِ والمجد التي ارتقى إليها العظماء من آبائه الذين وهبوا حياتهم للإصلاح الاجتماعي ، ونتحدث ـ بإيجاز ـ عن بعض عناصره النفسية .

الحلم :

أما الحلم فهو من صفات الأنبياء والمرسلين ، وهو من أجل صفات

---

(١) تأريخ اليعقوبي ٣/٤٦

الإنسان ، وأميزها لأنه ينم عن سيطرة الإنسان على نفسه ، وعدم خضوعه لأية نزعة من نزعات الغضب والانتقام ، وقد عرفه الجاحظ بقوله : « إنه ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك »[1] وكان الإمام زين العابدين عليه السلام من أعظم الناس حلماً ، وأكظمهم للغيظ ، وقد ذكر الرواة والمؤرخون بوادر كثيرة من حلمه كان منها ما يلي :

١ ـ كانت له جارية تسكب في يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة، فسقط الابريق من يدها على وجهه الشريف فشجه، فبادرت الجارية قائلة:

ـ إن الله عز وجل يقول : « والكاظمين الغيظ » .

وأسرع الإمام قائلاً :

ـ «كظمت غيظي . . » .

وطمعت الجارية في حلم الإمام ونبله فراحت تطلب منه المزيد قائلة :

ـ «والعافين عن الناس » .

فقال لها الإمام برفق ولطف :

ـ «عفا الله عنك . . » .

وأسرعت الجارية قائلة :

ـ «والله يحب المحسنين . . » .

وقابلها الإمام بمزيد من اللطف والإحسان قائلاً :

ـ «إذهبي فأنت حرة . . »[2] .

٢ ـ ومن بوادر حلمه أن وغداً لئيماً استقبله بالسب والشتم بلا سبب ، فقابله الإمام باللطف قائلاً له :

« يا فتى إن بين أيدينا عقبة كؤوداً ، فإن جزتُ منها فلا أبالي بما تقول : وإن أتحير فيها فأنا شر مما تقول . . »[3] .

---

(١) تهذيب الأخلاق (ص ١٩)

(٢) تأريخ دمشق ٣٦/١٥٥ نهاية الارب ٢١/٣٢٦

(٣) البحار ٤٦/٩٦ .

لقد كان الإمام مشغولاً بعواطفه ومشاعره نحو الله ، والفزع من أهوال دار الآخرة التي لا ينجو فيها إلا المتقون ، ولم يزعجه هذا الهراء الذي ينم عن نفس قد خسرت الأخلاق والآداب .

٣ ـ ومن آيات حلمه انه خرج من المسجد فسبه رجل فأسرع إليه الناس للانتقام منه فنهاهم (ع) عن ذلك ، وأقبل عليه قائلاً :

« ما ستره الله عنك أكثر ألك حاجة نعينك عليها ؟ . . » .

وخجل الرجل ، وود أن الأرض قد ساخت به ، ولما نظر إليه الإمام أشفق عليه فألقى إليه خميصة[١] كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، وقد قلع بذلك من نفس الرجل نزعة الاعتداء على الناس بغير حق ، وأعاده إلى طريق الحق والرشاد فكان إذا رأى الإمام بادر إليه قائلاً : إنك من أولاد الأنبياء[٢] .

٤ ـ وظاهرة أخرى من حلم الإمام أن لئيماً اعتدى عليه فسبه ، فأشاح عليه السلام بوجهه عنه ، فانتفخت أوداج اللئيم ، وراح يقول له :

« إياك أعني . . » .

وأسرع الإمام قائلاً :

« وعنك أغضي . . . » .

وتركه الإمام وانصرف عنه ، ولم يقابله بالمثل[٣] وقد تميز الرجل غيظاً وغضباً .

٥ ـ ومن عظيم حلمه أن رجلاً افترى عليه ، وبالغ في سبه ، فقال (ع) له :

« إن كنا كما قلتَ : فنستغفر الله ، وإن لم نكن كما قلتَ : فغفر الله لك . . . » .

---

(١) الخميصة : ثوب أسود مربع .

(٢) البداية والنهاية ٩/١٠٥ .

(٣) البداية والنهاية ٩/١٠٥ .

وبهت الرجل ، وراح يعتذر من الإمام قائلاً :

« جُعلت فداك ، ليس كما قلتُ : أنا فاغفر لي . . . » .

فقابله الإمام ببسمات مقرونة بالرضا والعفو قائلاً :

« غفر الله لك ٠٠ » .

وانصرف الرجل وكله إعجاب ، وإكبار للإمام ، وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء[١] .

٦ ـ ونادرة أخرى من حلمه فقد كان رجل من آل الزبير اعتدى عليه شخص فسبه فأعرض عنه فلما انصرف الرجل قام الزبيري فجعل يسب الإمام ويفتري عليه ، والإمام ساكت لم يجبه ، فقال له الزبيري :

« ما يمنعك من جوابي ؟ . . » .

فقال له الإمام برفق ولطف : ما منعك من جواب الرجل[٢] .

هذه بعض النوادر التي ذكرها المؤرخون من حلمه ، وهي تكشف عن طاقات غير متناهية من الفضائل الماثلة فيه ، والتي رفعته إلى أعلى درجات الكمال الإنساني .

الصبر :

ومن عناصره النفسية الصبر على ما ألم به من المحن والبلوى ، فمن المقطوع به أنه لم يبتل أحد في هذه الدنيا بمثل ما ابتلي به هذا الإمام العظيم فقد طافت به الخطوب والمصائب منذ أن أدرك الحياة إلى أن فارقها ، فقد فجع بوفاة أمه وهو في المرحلة الأولى من طفولته ، ولم ينتهل من نمير حنانها ، وعطفها ، وشاهد وهو في غضون الصبا لوعة أسرته على فقد جده الإمام أمير المؤمنين الذي اغتاله المجرم عبد الرحمن بن ملجم ، وما أعقب ذلك من إجبار عمه الإمام الزكي الحسن (ع) على مصالحة الباغي ابن

---

(١) صفة الصفوة ٢/٥٤ .

(٢) الكامل للمبرد ٣/٨٠٥ .

الباغية معاوية بن أبي سفيان الذي هو وصمة عار وخزي على العالم العربي والإسلامي . فإنه حينما استوى على أريكة الحكم ظهرت نزعاته الجاهلية ، وحقده البالغ على الإسلام والمسلمين ، فقد سخر جميع أجهزة دولته على محو الإسلام من خارطة الوجود واتخذ أشد الإجراءات القاسية ضد أهل البيت عليهم السلام ففرض سبهم على المنابر والمآذن ، كما قام بالتصفية الجسدية لشيعتهم الذين كانوا يمثلون الوعي الديني والسياسي في الإسلام .

ولما أشرف الإمام زين العابدين (ع) على ميعة الشباب فجع بوفاة عمه الإمام الحسن ريحانة رسول الله (ص) فقد اغتاله بالسم كسرى العرب معاوية بن هند[1] ، وقد ترك ذلك حزناً عميقاً في نفس الإمام (ع) وبقية أفراد الأسرة النبوية فقد أذهلهم هذا المصاب الجلل .

ومن أعظم المحن التي مني بها الإمام أنه رأى السيوف الآثمة في صعيد كربلاء ، وهي تحصد رؤوس الصفوة من أهل بيت النبوة بصورة مفجعة لم يعهد لها نظير في تأريخ الأمم والشعوب ، وبعد مصرع تلك الكوكبة من دعاة العدالة والحق ، أحاط الجناة من أجلاف أهل الكوفة بالإمام زين العابدين عليه السلام فأحرقوا خباءه وأخبية عقائل النبوة ، وحملوه أسيراً إلى طاغية لئيم وضيع ، وهو ابن مرجانة فقابله بالشماتة والازدراء ، والإمام صابر قد أوكل أمره إلى الله ، وبعد ذلك حمل إلى لقيط آخر وهو يزيد بن معاوية ، وقد جرت عليه من المحن والخطوب ما تذوب لها لفائف القلوب ، وقد تجرع (ع) تلك الآلام القاصمة راضياً بقضاء الله ، فأي نفس كانت نفسه وأي ضمير كان ضميره ؟ أما نفسه فإنها قد رجعت عند كل هول عصف بها إلى خالق الكون وواهب الحياة ، وأما ضميره فهو الطاهر النقي الذي هو أصلب وأقوى من كل شيء .

لقد كان الصبر على المصائب من عناصره وذاتياته ، وقد أثر عنه في مدح الصبر أنه رأس طاعة الله[2] ومن عظيم صبره أنه سمع ناعية في بيته ،

(١) منحه هذا اللقب الخليفة الثاني .

(٢) الإمام زين العابدين للمقرم (ص ١٩) .

وكان عنده جماعة فنهض ليرى ماذا حدث ، فأخبر أنه قد توفي أحد أبنائه ، ورجع إلى مجلسه فأخبر أصحابه بالأمر فعجبوا من صبره ، فقال لهم : إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ، ونحمده فيما نكره[1] وكان يرى الصبر من الغنائم والجزع من الضعف[2] .

إن قوة شخصيته ، وعدم إنهيارها أمام الأحداث المذهلة تُعد من أندر الشخصيات على إمتداد التأريخ .

العزة والإباء :

ومن ذاتيات الإمام زين العابدين عليه السلام العزة والإباء ، فقد ورث ذلك من أبيه سيد الشهداء عليه السلام الذي مشى إلى الموت بشوق ورغبة في سبيل عزته وكرامته فقد خيره الزعانف بين السلة والذلة فاختار السلة ، وخاطبهم بقوله : والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر لكم إقرار العبيد ، وقد تمثلت هذه الظاهرة الكريمة في الإمام زين العابدين ، فقد قال : « ما أحب أن لي ببذل نفسي حمر النعم »[3] وقال في عزة النفس : « من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا »[4] . ولما حمل أسيراً إلى الشام لم يكلف أحداً من الموكلين بحراسته كما لم يكلم أي أحد منهم استهانة بهم وإحتقاراً لهم .

ويقول المؤرخون : إن أحد أعمامه أخذ منه بعض حقوقه بغير حق وكان (ع) بمكة والوليد الذي كان ملكا قد حضر موسم الحج فقيل له : لو سألت الوليد أن يرد عليك حقك ؟ فقال لهم هذه الكلمة الخالدة في دنيا الشرف والإباء :

---

(١) حلية الأولياء ١٣٨/٣ .
(٢) الدر النظيم (ص ١٧٣) .
(٣) الخصال (ص ٢٤) .
(٤) البحار ١٣٥/٧٨ .

« أفي حرم الله عز وجل أسأل غير الله عز وجل !! إنى آنف أن أسأل الدنيا من خالقها فكيف أسألها مخلوقاً مثلي . . . »[1] ومن عزته انه ما أكل بقرابته من رسول الله (ص) درهماً قط[2] ونقل المؤرخون نوادر كثيرة من عزته وإبائه ، وهي تكشف عن نفس عصية على الذل والضيم .

الشجاعة :

ومن عناصره النفسية الشجاعة والبسالة ، فقد كان من أشجع الناس وأربطهم جأشاً ، فهو ابن الحسين الذي هو أشجع من وُلد من صلب آدم . . . وكان من شجاعته النادرة أنه لما أدخل أسيراً على الطاغية عبيد الله بن مرجانة جابهه الطاغية بكلمات التشفي فأجابه الإمام بكلمات نارية ملتهبة كانت أشد على الطاغية اللئيم من وقع السيوف وضرب السياط ، ولم يحفل الإمام بسلطانه وجبروته ، فاستشاط ابن مرجانة غيظاً ، وانتفخت أوداجه ، وأمر بقتله ، فلم يرتهب الإمام ولم يفزع ، وإنما قال له بكل هدوء :

« القتل لنا عادة ، وكرامتنا من الله الشهادة . . » .

ولما أدخل على يزيد بن معاوية ، قابله الإمام بكل جرأة ، ونعى عليه ما اقترفه من عظيم الجرم ، وسد عليه كل ثغرة يسلك منها للدفاع عن نفسه ، وتبرير جريمته .

لقد ورث الشجاعة من أبويه علي والحسين اللذين هما من أشجع من خلق الله ، فليس في دنيا الإسلام ، ولا في غيره من يضارعهما في البطولة والبسالة وقوة العزم ، والصلابة في الدفاع عن الحق .

التجرد من الأنانية :

ومن عناصره النفسية البارزة التجرد من كل أنانية ، فلم يكن لها أي

---

(١) البحار ٤٦/٦٤ .

(٢) مجالس ثعلب ٢/٤٦٢ .

سلطان عليه ، وقد نقل المؤرخون عنه نوادر كثيرة تدلل على ذلك ، كان من بينها أنه إذا أراد السفر سافر مع قوم لا يعرفونه ليقوم بنفسه برعايتهم وخدماتهم ولا يخدمه أحد منهم ، وسافر مرة مع قوم لا يعرفونه ، فنظر إليه رجل فعرفه فصاح بالقوم :

- «ويلكم أتعرفون هذا ؟ . . »
- «لا ندري . . »
- «هذا علي بن الحسين . . »

وأسرع القوم نحو الإمام ، وجعلوا يقبلون يديه ورجليه رافعين عقيرتهم قائلين :

« أتريد أن تصلينا نار جهنم ؟ ما الذي حملك على هذا ؟ . . »

فأجابهم بصوت خافت رقيق النبرات :

« كنت قد سافرت مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله (ص) ما لا أستحق وإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك ، فصار كتمان أمري أحب إلي . . »[1] .

وكان من تجرده من هذه الظاهرة أنه إذا مر بشارع ، ورأى ما يؤذي السائرين فيه من حجر أو مدر[2] نزل عن دابته ، ونحاه بيده الكريمة عن الطريق[3] وكان إذا سار في الطريق على بغلته لم يقل لأحد : الطريق ، ويقول : هو مشترك ، وليس لي أن أنحي عنه أحداً[4] لقد تجسدت في هذه النفس العظيمة جميع خصائص النبي (ص) التي امتاز بها على سائر النبيين والتي كان من أبرزها سمو الآداب ومكارم الأخلاق .

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢/١٤٥ وقريب منه في الكامل للمبرد ٢/٤٨٢ .
(٢) المدر : الطين الذي لا رمل فيه .
(٣) الإمام زين العابدين (ص ٧٠) .
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٢٤٠ تأريخ دمشق ٣٦/١٦١ .

الإحسان إلى الناس :

ومن ذاتيات الإمام زين العابدين عليه السلام الإحسان إلى الناس والبر بهم فقد كان قلبه الشريف يفيض بالرحمة والحنان عليهم ، يقول المؤرخون : إنه ما علم أن على أحد ديناً ، وله به مودة إلا أدى عنه دينه[1] وكان يبادر لقضاء حوائج الناس خوفاً من أن يقوم بقضائها غيره فيحرم الثواب ، وقد قال : إن عدوي يأتيني بحاجة فأبادر إلى قضائها خوفاً من أن يسبقني أحد إليها أو أن يستغني عنها فتفوتني فضيلتها[2] وبلغ من عطفه على الناس ما رواه الزهري قال : كنت عند علي بن الحسين (ع) فجاء رجل من أصحابه ، فقال له : إني أصبحت وعلي أربعمائة دينار دين ، ولا أتمكن من قضائها ، وعندي عيال ، ولم يكن عند الإمام في ذلك الوقت شيء من المال ليسعفه به فبكى عليه السلام وقال : أية محنة أو مصيبة أعظم على حر مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خلة فلا يمكنه سدها[3] .

السخاء :

أما السخاء فكان عنصراً من عناصره ، ومقوماً من مقوماته ، وقد أجمع المؤرخون على أنه كان من أسخى الناس ، وأندادهم كفاً ، وأبرهم بالفقراء والضعفاء ، وقد نقلوا نوادر كثيرة من فيض جوده وكرمه كان منها ما يلي :

مع محمد بن أسامة :

ومرض محمد بن أسامة فعاده الإمام ، ولما استقر به المجلس أجهش محمد بالبكاء فقال له الإمام :

« ما يبكيك ؟ »

« علي دين » .

« كم هو ؟ » .

---

(١) الإمام زيد لأبي زهرة (ص ٢٤) .

(٢) ناسخ التواريخ ١٣/١ .

(٣) امالي الصدوق .

« خمسة عشر ألف دينار » .

« هي علي » .

ولم يقم الإمام (ع) من مجلسه حتى دفعها له[1] وقد أزاح عنه كابوس الدين وهمه .

إطعام عام :

ومن كرمه وسخائه أنه كان يطعم الناس إطعاماً عاماً في كل يوم في يثرب ، وذلك في وقت الظهر في داره[2] .

إعالته بمائة بيت :

ومن فيض جوده أنه كان يعول بمائة بيت بالمدينة في السر[3] وكان في كل بيت جماعة من الناس[4] .

إن السخاء يدل على طهارة النفس من الشح ، وعلى الشعور برحمة الناس وعلى شكر الله على عطائه .

حنوه على الفقراء :

ومن ذاتياته وعناصره العطف والحنان على الفقراء والمحرومين والبؤساء ، ونعرض لبعض شؤونهم معهم :

أ ـ تكريمه للفقراء :

كان عليه السلام يحتفي بالفقراء ، ويرعى عواطفهم ومشاعرهم ، فكان

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ١٠٥ سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٣٩ تأريخ الإسلام ٢/ ٢٦٦ الحلية ٣/ ١٤١ .

(٢) تأريخ اليعقوبي ٣/ ٦ .

(٣) تهذيب اللغات والأسماء (ص ٣٤٣) .

(٤) البحار ٤٦/ ٨٨ .

إذا أعطى سائلاً قبله لئلا يرى عليه أثر الذل والحاجة[1] وكان إذا قصده سائل رحب به وقال له : مرحباً بمن يحمل زادي إلى دار الاخرة[2] .

إن تكريم الفقير بمثل هذا النحو من المودة والعطف مما يوجب تماسك المجتمع ، وشيوع المحبة بين أبنائه .

ب ـ عطفه على الفقراء :

كان عليه السلام كثير العطف والحنان على الفقراء والمساكين ، وكان يعجبه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم ، وكان يناولهم بيده[3] كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتي باباً من أبوابهم فيناولهم إياه[4] ، وبلغ من مراعاته لجانب الفقراء والعطف عليهم أنه كره اجتذاذ النخل في الليل ، وذلك لعدم حضور الفقراء في هذا الوقت فيحرمون من العطاء فقد قال (ع) : (لقهرمانه) وقد جذ نخلاً له من آخر الليل « لا تفعل ألا تعلم أن رسول الله (ص) نهى عن الحصاد والجذاذ بالليل ، وكان يقول : الضغث تعطيه من يسأل فذلك حقه يوم حصاده[5] .

نهيه عن رد السائل :

ونهى الإمام (ع) عن رد السائل ، وحرمانه من العطاء وذلك لما له من المضاعفات السيئة التي منها زوال النعمة وفجأة النقمة فقد روى سعيد بن المسيب قال : حضرت عند علي بن الحسين يوماً حتى صلى الغداة فإذا سائل على الباب فقال (ع) : أعطوا السائل ، ولا تردوا السائل[6] وأكد الإمام عليه

(١) الحلية ١٣٧/٣ .
(٢) صفة الصفوة ٥٣/٢ .
(٣) البحار ٦٢/٤٦ .
(٤) البحار ٦٢/٤٦ ، وقريب منه في دائرة المعارف للبستاني ٣٥٥/٩ .
(٥) وسائل الشيعة ١٣٨/٦ .
(٦) الكافي ١٥/٤ .

السلام على ضرورة ذلك في كثير من أحاديثه ، فقد روى أبو حمزة الثمالي قال : صليت مع علي بن الحسين الفجر بالمدينة يوم جمعة ، فلما فرغ من صلاته نهض إلى منزله ، وأنا معه فدعا مولاة له تسمى سكينة ، فقال لها : لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتوه فإن اليوم يوم جمعة ، فقال له أبو حمزة : ليس كل من يسأل مستحقاً ، فقال (ع) : أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه ، ونرده فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله ، أطعموهم ، أطعموهم ، إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيتصدق منه ، ويأكل منه هو وعياله ، وإن سائلاً مؤمناً صواماً مستحقاً له عند الله منزلة اجتاز على باب يعقوب يوم جمعة عند آوان فطاره ، فجعل يهتف على بابه: أطعموا السائل ، الغريب الجائع من فضل طعامكم ، وهم يسمعونه ، قد جهلوا حقه ، ولم يصدقوا قوله : فلما يئس منهم وغشيه الليل مضى على وجهه ، وبات طاويا يشكو جوعه إلى الله ، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعا ، بطانا ، وعندهم فضلة من طعامهم ، فأوحى الله إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة لقد أذللت عبدي ذلة استجررت بها غضبي ، واستوجبت بها أدبي ، ونزول عقوبتي وبلواي عليك ، وعلى ولدك ، يا يعقوب أحب أنبيائي إلي وأكرمهم علي من رحم مساكين عبادي ، وقربهم إليه ، وأطعمهم وكان له مأوى وملجأ ، يا يعقوب أما رحمت عبدي المجتهد في عبادته ، القانع بالسر من ظاهر الدنيا . . . أما وعزتي لأنزلن بك بلواي ، ولأجعلنك وولدك غرضاً للمصائب .

فقال أبو حمزة : جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا ؟[1] قال (ع) في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآله شباعا ، وبات السائل الفقير طاويا جائعا[2] .

إن حرمان الفقير المحتاج ، وعدم إسعافه مما يوجب زوال النعمة ، وحلول غضب الله ، وقد تواترت الأخبار عن أئمة الهدى بذلك ، فلا ينبغي

---

(١) هي التي رأى فيها أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين .
(٢) دار السلام ٢/١٤١ للنوري .

لمن أحب بقاء نعمة الله عليه أن يرد سائلاً أو يحرم بائساً وفقيراً مما هو وديعة في يده .

صدقاته :

وكان من أعظم ما يصبو إليه الإمام زين العابدين عليه السلام في حياته الصدقة على الفقراء لإنعاشهم ورفع البؤس عنهم ، وكان (ع) يحث على الصدقة ، وذلك لما يترتب عليها من الأجر الجزيل ، فقد قال « ما من رجل تصدق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء في تلك الساعة إلا أستجيب له »[1] ونعرض إلى بعض ألوان صدقاته :

أ ـ التصدق بثيابه :

كان عليه السلام يلبس أفخر الثياب فكان يلبس في الشتاء الخز فإذا جاء الصيف تصدق به أو باعه وتصدق بثمنه ، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ، ويتصدق بهما إذا جاء الشتاء[2] وكان يقول : إني لأستحي من ربي أن آكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه[3] .

ب ـ التصدق بما يحب :

كان عليه السلام يتصدق بما يحب ، ويقول الرواة : إنه كان يتصدق باللوز والسكر ، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »[4] وروى المؤرخون أنه كان يعجبه العنب ، وكان صائماً فقدمت له جاريته عنقوداً من العنب وقت الإفطار فجاء سائل فأمر بدفعه إليه ، فبعثت الجارية من اشتراه منه ، وقدمته إلى الإمام ، فطرق سائل آخر الباب ، فأمر

---

(١) وسائل الشيعة ٦/٢٩٦ .
(٢) تأريخ دمشق ٣٦/١٦١ .
(٣) ناسخ التواريخ ١/٦٧ .
(٤) البحار ٤٦/٨٩ .

(ع) بدفع العنقود إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه، وقدمته للإمام، فطرق سائل ثالث الباب فدفعه الإمام إليه[1] وقد ضارع بهذه المبرة آباءه الذين قدموا قوتهم ثلاثة أيام متوالية وهم صائمون إلى المسكين واليتيم والأسير فأنزل الله في حقهم سورة ﴿ هل أتى ﴾ التي بقيت وسام الشرف لهم على امتداد الزمن حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ج ـ مقاسمة أمواله :

وقاسم الإمام أمواله مرتين فأخذ قسماً له، وتصدق بالقسم الآخر على الفقراء والمساكين[2] وقد ضارع بذلك عمه الإمام الحسن ريحانة رسول الله (ص) فقد قاسم أمواله مرتين أو ثلاثاً.

صدقاته في السر :

وكان أحب شيء عند الإمام (ع) الصدقة في السر لئلا يعرفه أحد، وقد أراد أن يربط نفسه، ومن يعطيهم من الفقراء برباط الحب في الله، وتوثيقاً لصلته باخوانه الفقراء في الإسلام، وكان يحث على صدقة السر ويقول : إنها تطفىء غضب الرب[3] وكان يخرج في غلس الليل البهيم فيوصل الفقراء بهباته وعطاياه، وهو متلثم، وقد اعتاد الفقراء على صلته لهم في الليل فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه فإذا رأوه تباشروا وقالوا : جاء صاحب الجراب[4] وكان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئاً من الدنانير، فيقول له العلوي : إن علي بن الحسين لا يوصلني، ويدعو عليه فيسمع الإمام ذلك، ويغضي عنه، ولا يعرفه بنفسه، ولما توفي (ع) فقد الصلة فعلم أن الذي

---

(١) المحاسن للبرقي (ص ٥٤٧، فروع الكافي ٦/ ٣٥٠.

(٢) خلاصة تهذيب الكمال (ص ٢٣١) الحلية ٣/ ١٤٠ جمهرة الأولياء ٢/ ٧١ البداية والنهاية ٩/ ١٠٥ طبقات ابن سعد ٥/ ١٩.

(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٧٥ أخبار الدول (ص ١١٠) نهاية الأرب ٢١/ ٣٢٦.

(٤) البحار ٤٦/ ٨٩.

كان يوصله هو الإمام فكان يأتي إلى قبره باكياً ومعتذراً منه[1] وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي ابن الحسين[2] . وروى المؤرخون أن جماعة من أهل المدينة كانوا يعيشون وهم لا يدرون من الذي يأتيهم بمعاشهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتونه بالليل[3] وكان عليه السلام شديد التكتم في صلاته وهباته فكان إذا ناول أحداً شيئاً غطى وجهه لئلا يعرفه[4] ويقول الذهبي : إنه كان كثير الصدقة في السر[5]

وكان عليه السلام يجعل الطعام الذي يوزعه على الفقراء في جراب ويحمله على ظهره وقد ترك أثراً عليه[5] . ويروي اليعقوبي أنه لما غسل الإمام (ع) وجد على كتفيه جلب كجلب البعير[6] فقيل لأهله ما هذه الآثار ؟ فقالوا : من حمل الطعام في الليل يدور به على منازل الفقراء[7]

وعلى أي حال فقد كانت صدقاته في السر من أعظم المبرات ، ومن أكثرها أجراً وثواباً عند الله .

ابتغاؤه لمرضاة الله :

ولم يك الإمام عليه السلام يبتغي في بره وإحسانه إلى الفقراء إلا وجه الله والدار الآخرة ، فكان من أبرز من عناهم الله تعالى بقوله : « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[8] .

---

(١) البحار ٤٦/١٠٠ .

(٢) صفة الصفوة ٢/٥٤ الاتحاف بحب الاشراف (ص ٤٩) .

(٣) الأغاني ١٥/٣٢٦ .

(٤) البحار ٤٦/٦٢ .

(٥) تذكرة الحفاظ ١/٧٥ .

(٦) الجلب : جمع جلبة ـ بضم الجيم وسكون اللام ـ وهي القشرة التي تعلو الجرح عند البرء ، ومنه قولهم : « طارت جلبة الجرح » تاج العروس .

(٧) تأريخ اليعقوبي ٣/٤٥ .

(٨) سورة البقرة : آية ٢٦٢ .

إن عطايا الإمام وصدقاته للفقراء كانت خالصة لوجه الله غير مشوبة بأي غرض من أغراض الدنيا التي يؤول أمرها إلى التراب ، وقد روى الزهري قال : رأيت علي بن الحسين في ليلة باردة ، وهو يحمل على ظهره دقيقاً فقلت له :

« يا ابن رسول الله ما هذا ؟ » .

وسارع الإمام قائلاً بصوت خافت :

« أعد سفراً ، أعد له زاداً أحمله إلى موضع حريز » .

« هذا غلامي يحمله عنك . . » .

فامتنع الإمام من إجابته ،وتضرع الزهري إليه أن يحمله هو بنفسه عنه إلا أن الإمام أصر على ما ذهب إليه وقال له :

« ولكني لا أرفع نفسي عما ينجيني في سفري ، ويحسن ورودي على ما أرد عليه ، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك . . » .

وانصرف الزهري عن الإمام ، وبعد أيام التقى به ، وقد ظن أنه كان على جناح سفر ولم يع مراده ، فقال له :

« يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي تركته أثراً ؟ . . . » .

فأخبره عليه السلام بالسفر الذي اعد له العدة، وهيأ له الجهاز اللازم ، انه السفر إلى دار الحق قائلاً :

« يا زهري ليس ما ظننت ، ولكنه الموت، وله استعد ، إنما الاستعداد للموت ، تجنب الحرام ، وأبذل الندى للخير. . . »[1].

لقد كان انفاق الإمام عليه السلام على الفقراء انفاقاً منبعثاً عن طلب مرضاة الله والسعي وراء مغفرته ورضوانه .

---

(١) علل الشرايع (ص ٨٨) البحار ٤٦/ ٦٥ـ ٦٦ .

الزهد في الدنيا :

وظاهرة أخرى من نزعات الإمام النفسية ، وهي الزهد في الدنيا ، وعدم الاعتناء بأي مبهج من مباهجها ، لقد اعتصم الإمام بالزهد ، والاعراض الكامل عن الدنيا ، فلم تفتنه ولم تخدعه، فقد عرف واقعها وحقيقتها ، وعلم أن الإنسان مهما تقلب في الطيبات والمناعم لابد أن يتحول عن هذه الحياة ، ولا يجد بين يديه إلا ما عمل من خير ، وقد شاع في عصره أنه من أزهد الناس ، وقد سئل الزهري عن أزهد الناس فقال : علي بن الحسين[1] وقد رأى عليه السلام سائلاً يبكي فتأثر منه ، وراح يقول : « لو أنّ الدنيا كانت في كف هذا ثم سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكى عليها »[2] إن زهد الإمام لم يكن استكانة للفقر أو استسلاماً للعجز أو قناعة بغير عمل ، وإنما كان قائماً على التقوى، والورع عن محارم الله ، والاحتياط الشديد في أمور الدين ، شأنه في ذلك شأن جده وأبيه اللذين طلقا الدنيا، ولم يحفلا بأي شأن من شؤونها سوى ما يتصل بالحق وتأييد الفضيلة .

مع الصوفية :

ونظراً لزهد الإمام عليه السلام ، وإعراضه الكامل عن الدنيا فقد عده الصوفيون من أعلامهم ، وترجموا له ترجمة وافية[3] وجعله الكلابازي ممن نطق بعلومهم ونشر مقاماتهم ، ووصف احوالهم قولاً وفعلاً بعد الصحابة[4] وهذا الرأي ـ فيما اعتقد ـ ليس موضوعياً ، وإنما هو سطحي للغاية فإن منهج الصوفيين رفض الحياة الدنيا رفضاً كاملاً ، والعيش في ظلمات الكهوف، ولبس أخشن الثياب ، وأكل الجشب من الطعام ، وغير ذلك من الأمور التي

---

(١) البحار ٤٦/٦٢ .

(٢) الفصول المهمة (ص ١٩٢).

(٣) جمهرة الأولياء ٢/٧١ حلية الأولياء ٣/١٣٣ .

(٤) التعرف (ص ١١).

لم تتفق مع واقع الدين الذي لم يقنن أي حكم فيه حرجاً أو ضيقاً على الناس لقد كانت الحياة التي عاشها الإمام زين العابدين (ع) تتجافى مع التصوف ، فقد كان يلبس افخر الثياب ، ويقول الرواة : أنه كان يلبس جبة خز، ومطرف[1] خز وعمامة خز[2] وفند بعض الباحثين عن التصوف الرأي القائل أنه من الصوفية، يقول: « فزهد علي بن الحسين نفسي، وعقلي باطني، وذلك اجدى من الزهد القائم على الجوع، ولبس الصوف لأن الأول يمليه الادراك وتقيمه الفطرة العميقة إلى الحياة ، أما اللباس ففيه تظاهر. . »[2].

إن سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام صريحة واضحة في رفض المناهج الصوفية ، يقول المؤرخون : ان الإمام الرضا (ع) لما بويع بولاية العهد قال له بعض الصوفية : إن الإمامة تحتاج إلى من يأكل الجشب ، ويلبس الخشن ، وكان الإمام متكئاً فاستوى جالساً، فرد عليه هذا المقال الرخيص قائلاً له :

« كان يوسف بن يعقوب نبياً فلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب والقباطي المنسوجة بالذهب، وإنما يراد من الإمام قسطٌ وعدل ، إن الله لم يحرم ملبوساً ولا مطعماً ، وتلا قوله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴾[3].

إن هذه السيرة الندية لا تلتقي بأي حال مع التصوف الذي لا يحمل أي طابع اسلامي .

كراهته للهو :

ومن الصفات التي طبع عليها كراهته للهو ، فقد كان يبغض الحياة التافهة ويمجها ولا يميل إليها ، فلم ير في جميع فترات حياته لاهياً ولا

---

(١) المطرف : رداء من خز مربع ذي اعلام ، القاموس .
(٢) الصلة بين التشيع والتصوف ١/١٦٩ .
(٣) عيون أخبار الرضا .

ضاحكاً ، وقد قال (ع) : « من ضحك ضحكة مجَّ من العلم مجة » وكان في يثرب رجل بطال يضحك منه الناس، فقال : قد اعياني هذا الرجل - يعني الإمام زين العابدين - ان اضحكه ، واجتاز عليه الإمام وخلفه موليان له فبادر الرجل فانتزع الرداء منه ، وولى هارباً ، فلم يلتفت له الإمام وسارع من كان مع الإمام فأخذوا الرداء منه ، وطرحوه عليه فقال (ع) لهم : من هذا؟ فقالوا : إنه بطال يضحك أهل المدينة منه ، فقال (ع) قولوا له : ان لله يوماً يخسر فيه المبطلون[1].

الإنابة إلى الله :

ومن أبرز عناصر الإمام وذاتياته الإنابة إلى الله ، والانقطاع إليه ، وقد تمثل ذلك في مناجاته، وأدعيته وعباراته التي حكت شدة اتصاله بالله ، خالق الكون وواهب الحياة .

لقد أناب الإمام إلى الله ، وأوكل جميع أموره ومهامه إليه تعالى، فما أهمه أمر الا فزع الى الله ، فقد أيقن أن الالتجاء إلى غيره يعود بالخيبة والخسران، وقد روى المؤرخون أنه اجتاز على رجل جالس على باب رجل من الأثرياء فبادره الإمام قائلاً :

- «ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ . . » .
- «البلاء - أي الفقر والبؤس - »
- «قم فارشدك إلى باب خير من بابه ، والى رب خير لك منه . . » .

ونهض معه الرجل فأخذ به حتى انتهى به إلى مسجد رسول الله (ص) وقال له : استقبل القبلة ، وصل ركعتين ، وارفع يدك بالدعاء إلى الله تعالى وصل على نبيه ، ثم ادع بآخر سورة الحشر ، وست آيات من أول سورة الحديد ، وبالآيتين في أول سورة عمران ، ثم سل الله سبحانه ، فإنك لا

---

(١) أما لي الصدوق (ص ٢٢٠).

تسأله شيئاً إلا اعطاك[1] إن من التجأ إلى الله فقد التجأ إلى حصن حريز ، وأما الالتجاء إلى غيره فإنه لا يغني شيئاً ، ولا يجدي نفعاً .

صور رائعة من إنابته :

للإمام زين العابدين عليه السلام من إنابته وعظيم اخلاصه لله تعالى ما احتوت عليه صحيفته السجادية التي هي انجيل آل محمد (ص) وهي تصور مدى تمسك الإمام وتعلقه بالله ، وفيما يلي بعضها .

١ ـ التجاؤه إلى الله

والتجأ الإمام عليه السلام بقلبه ومشاعره نحو الله ، وأوكل إليه جميع أموره صغيرها وكبيرها ، وقد أدلى بذلك في هذا الدعاء .

« اللهم ان تشأ تعف عنا فبفضلك ، وان تشأ تعذبنا فبعدلك ، فسهل لنا عفوك بمنك ، واجرنا من عذابك بتجاوزك ، فإنه لا طاقة لنا بعدلك ، ولا نجاة لأحد منا دون عفوك ، يا غني الأغنياء ها نحن عبادك بين يديك ، وأنا افقر الفقراء إليك ، فاجبر فاقتنا بوسعك ، ولا تقطع رجاءنا بمنعك ، فتكون قد اشقيت من استسعد بك ، وحرمت من استرفد فضلك فإلى من حينئذٍ منقلبنا عنك ، وإلى اين مذهبنا عن بابك ، سبحانك نحن المضطرون الذين أوجبت اجابتهم ، وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم ، وأشبه الأشياء بمشيتك ، وأولى الأمور بك في عظمتك ، رحمة من استرحمك ، وغوث من استغاث بك ، فارحم تضرعنا إليك واغننا إذ طرحنا أنفسنا بين يديك ، اللهم إن الشيطان قد شمت بنا إذ شايعناه على معصيتك ، فصل على محمد وآله ، ولا تشمته بنا بعد تركنا إياه لك ، ورغبتنا عنه إليك . . . »[2] .

ويلمس في هذا الدعاء الشريف مدى التجاء الإمام إلى الله ، واعتصامه

---

(١) الجنة الواقية والجنة الباقية للكفعي (ص ١٩٠) مخطوط في مكتبة السيد الحكيم تسلسل (١٢٧٢).

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء العاشر .

به ، فقد اعلن عليه السلام فقره وحاجته الملحة إلى عفو الله ولطفه ، فهو يطلب منه أن لا يحرمه من فيضه وكرمه ، وأن لا يقطع رجاءه بمنعه فيكون بذلك قد شقي بعد سعادته بمعرفته، وقد أبدى عليه السلام من التذلل والتضرع أمام الخالق العظيم ما جعله من سادات المتقين والمنيبين إلى الله تعالى.

٢ ـ انقطاعه إلى الله :

وانقطع الإمام عليه السلام إلى الله انقطاعاً كاملاً ، وقد آمن إيماناً لا يخامره شك أن مصادر النفع والقوة إنما هي بيد الله تعالى وحده ، وان الالتجاء إلى غيره إنما هوالتجاءإلى ما لا يملك نفعاً ولا ضراً ، ولنستمع إلى دعائه في ذلك :

« اللهم إني اخلصت بانقطاعي إليك ، واقبلت بكلي عليك ، وصرفت وجهي عمن يحتاج إلى رفدك ، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك ، ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رأيه ، وضلة من عقله ، فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا ، ورامـوا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتضعوا، فصح بمعاينة أمثالهم حازم ، وفقه اعتباره ، وأرشده إلى طريق صوابه اختياره ، فأنت يا مولاي دون كل مسؤول موضع مسألتي، ودون كل مطلوب إليه ولي حاجتي ، أنت المخصوص قبل كل مدعو بدعوتي ، لا يشركك أحد في رجائي ، ولا يتفق أحد معك في دعائي ، ولا ينظمه وإياك ندائي، لك يا إلهي وحدانية العدد ، وملكة القدرة الصمد ، وفضيلة الحول والقوة ، ودرجة العلو والرفعة ، ومن سواك مرحوم في عمره ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، مختلف الحالات ، متنقل في الصفات ، فتعاليت عن الأشباه والأضداد، وتكبرت عن الأمثال والأنداد، فسبحانك لا إله إلا أنت. . . »[1] .

ويلمس في هذه اللوحة الذهبية مدى انقطاع الإمام إلى الله فقد أقبل بمشاعره وعواطفه نحوه تعالى ، وصرف وجهه وقلبه عن غيره من المخلوقين

---

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء السابع والعشرون .

المحتاجين إلى رفده وعطائه، فإن تعلق الرجاء والأمل بهم إنما هو سفه في الرأي ، وضلال في العقل ، وقد حصر الإمام عليه السلام جميع موارد النفع والقوة به تعالى ، وقد نعى على الذين يطلبون العزة ، والثروة، والارتفاع من غير طريق الله فإنهم جميعاً قد باءوا بالخيبة والخسران، فقد ذلوا، وافتقروا، واتضعوا ، وينبغي لكل من يروم الخير، ويطلب العزة والكرامة أن يتصل بالله وينقطع إليه فهو وحده الذي بيده ملكوت كل شيء ، وأما غيره فهو مرحوم في عمره ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، . . . لقد احتوى هذا الدعاء على خالص الإيمان ، وجوهر التوحيد .

٣ ـ طلبه الحوائج من الله

وكان من إنابته إلى الله أنه قصر طلب حوائجه عليه تعالى وحده لأنه مصدر الفيض ومنبع الرحمة والإحسان، وكان يتوجه إلى الله ويدعوه بهذا الدعاء الشريف :

« اللهم يا منتهى مطلب الحاجات ، ويا من عنده نيل الطلبات ، ويا من لا يبيع نعمه بالأثمان، ويا من لا يكدر عطاياه بالامتنان ، ويا من يستغنى به ، ولا يستغنى عنه ، ويا من يرغب إليه ، ولا يرغب عنه ، ويا من لا تفني خزائنه المسائل ، ويا من لا تبدل حكمته الوسائل ويا من لا تنقطع عنه حوائج المحتاجين، ويا من لا يعنيه دعاء الداعين ، تمدحت بالغناء عن خلقك ، وأنت أهل الغنى عنهم ، ونسبتهم إلى الفقر ، وهم أهل الفقر اليك، فمن حاول سد خلته من عندك ، ورام صرف الفقر عن نفسه بك ، فقد طلب حاجته في مظانها، وأتى طلبته من وجهها، ومن توجه بحاجته إلى أحد من خلقك ، أو جعل سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان ، واستحق من عندك فوت الإحسان .

اللهم ولي إليك حاجة قد قصر عنها جهدي، وتقطعت دونها حيلي ، وسولت لي نفسي رفعها إلى من يرفع حوائجه إليك ، ولا يستغني في طلباته عنك ، وهي زلة من زلل الخاطئين، وعثرة من عثرات المذنبين ، ثم انتبهت

بتـذكيرك لي من غفلتي ، ونهضت بتـوفيقـك من زلتي ، ورجعت ونكصت بتسديدك عن عثرتي ، وقلت : سبحان ربي كيف يسأل محتاج محتاجاً وأنى يرغب معدم إلى معدم ؟ فقصدتك يا إلهي بالرغبة ، وأوفدت عليك رجائي بالثقة بك ، وعلمت أن كثير ما اسألك يسير في وجدك ، وأن خطير ما استوهبك حقير في وسعك ، وأن كرمك لا يضيق عن سؤال أحد ، وأن يدك بالعطايا أعلى من كل يد .

اللهم فصل على محمد وآله واحملني بكرمك على التفضل ، ولا تحملني بعدلك على الاستحقاق ، فما أنا بأول راغب رغب إليك فاعطيته ، وهو يستحق المنع ، ولا بأول سائل سألك فافضلت عليه ، وهو يستوجب الحرمان .

اللهم صلّ على محمد وآله ، وكن لدعائي مجيباً ، ومن ندائي قريباً ، ولتضرعي راحماً ، ولصوتي سامعاً ، ولا تبت[1] سببي منك ، ولا توجهني في في حاجتي هذه وغيرها إلى سواك ، وتولني بنجح طلبتي وقضاء حاجتي ونيل سؤالي قبل زوالي عن موقفي هذا بتيسيرك العسير ، وحسن تقديرك لي في جميع الأمور ، وصل على محمد وآله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبدها ، ولا منتهى لأمدها ، واجعل ذلك عوناً لي وسبباً لنجاح طلبتي ، إنك واسع كريم ،

وكان عليه السلام يذكر حاجته بعد هذا الدعاء ثم يسجد ويقول في سجوده . فضلك آنسني واحسانك دلني ، فاسألك بك وبمحمد وآله صلواتك عليهم أن لا تردني خائباً . .[2].

وحكى هذا الدعاء الشريف شدة تمسك الإمام عليه السلام بالله ، وعظيم إيمانه به ، فقد ايقن بأنه تعالى وحده هو المنتهى في طلب حوائج العباد ، وهو الذي يفيض عليهم نعمه والطافه ، ولا يبيعها عليهم بالأثمان ، ولا يكدرها عليهم بالمن ، فبعطاياه يستغني الإنسان ، وإن جميع الخلق

---

(١) البت : القطع .

(٢) الصحيفة السجادية : الدعاء الثالث عشر .

محتاجون إلى نيله ، ومفتقرون إلى كرمه ، وهو تعالى في غنى عنهم ، وإن الذكي العارف هو الذي يلتجىء إلى الله تعالى وحده في سد خلته وصرف الفقر عن نفسه ، واما من توجه إلى غيره في سد خلته وقضاء حوائجه فقد تعرض للحرمان ، وفوت على نفسه الاحسان . . . ويأخذ الإمام عليه السلام في التضرع والتذلل إلى الله تعالى طالباً منه المغفرة والرضوان وعرض (ع) إلى أن خطير ما سأله من الله إنما هو يسير بالنسبة إليه تعالى فهو ذو الهبات والعطايا الواسعة ، وإن يده تفيض بالجود والكرم وهي أعلى من كل يد كريمة وسخية .

حقاً لقد كان هذا الإمام العظيم سيد العارفين ، وإمام المتقين ، وإن في ادعيته ومناجاته مع الله أرصدة هائلة لإصلاح النفوس من الغي والتمرد والشر.

٤ ـ تضرعه إلى الله :

ومن انابته إلى الله أنه كان دائم التضرع والاستكانة إليه تعالى ، وكان يدعو بهذا الدعاء الشريف :

« الهي احمدك ـ وأنت للحمد أهل ـ على حسن صنيعك إلي ، وسبوغ نعمائك علي ، وجزيل عطائك عندي ، وعلى ما فضلتني به من رحمتك ، واسبغت[1] علي من نعمتك، فقد احسنت عندي ما يعجز عنه شكري، ولولا احسانك إلي وسبوغ نعمائك علي ما بلغت احراز حظي ، ولا اصلاح نفسي، ولكنك ابتدأتني بالإحسان، ورزقتني في أموري كلها الكفاية، وصرفت عني جهد البلاء ، ومنعت مني محذور القضاء .

الهي : فكم من بلاء جاهد[2] قد صرفت عني ، وكم من نعمة سابغة أقررت بها عيني ، وكم من صنيعة كريمة لك عندي ، أنت الذي اجبت عند الاضطرار دعوتي ، وأقلت عند العثار زلتي ، وأخذت لي من الأعداء بظلامتي

---

(١) اسبغت : اي أوسعت علي .

(٢) جاهد : أي موجب للمشقة .

إلهي ، ما وجدتك بخيلاً حين سألتك ، ولا منقبضاً حين اردتك بل وجدتك لدعائي سامعاً ، ولمطالبي معطياً ، ووجدت نعماك علي سابغة في كل شأن من شأني ، وكل زمان من زماني ، فأنت عندي محمود ، وصنيعك لدي مبرور ، تحمدك نفسي ولساني وعقلي حمداً يبلغ الوفاء وحقيقة الشكر حمداً يكون مبلغ رضاك عني ، فنجني من سخطك يا كهفي حين تعييني المذاهب ، ويا مقيلي عثرتي ، فلولا سترك عورتي لكنت من المفضوحين ، ويا مؤيدي بالنصر ، فلولا نصرك إياي لكنت من المغلوبين ، ويا من وضعت له الملوك نير[1] المذلة على اعناقها ، فهم من سطواته خائفون ويا أهل التقوى ، ويا من له الأسماء الحسنى ، اسألك أن تعفو عني ، وتغفر لي ، فلست بريئاً فاعتذر ، ولا بذي قوة فأنتصر ، ولا مفر لي فافر ، واستقيلك عثراتي ، واتنصل إليك من ذنوبي التي قد أوبقتني ، وأحاطت بي فأهلكتني ، منها فررت إليك رب تائباً ، فتب علي متعوذاً ، فاعذني مستجيراً ، فلا تخذلني سائلاً ، فلا تحرمني معتصماً ، فلا تسلمني داعياً ، فلا تردني خائباً ، دعوتك يا رب مسكيناً مستكيناً[2] مشفقاً[3] خائفاً ، وجلاً فقيراً ، مضطراً إليك ، اشكو إليك يا إلهي ضعف نفسي عن المسارعة فيما وعدته أولياءك والمجانبة عما حذرته اعداءك ، وكثرة همومي ، ووسوسة نفسي .

إلهي : لم تفضحني بسريرتي ولم تهلكني بجريرتي ، ادعوك فتجيبني وإن كنت بطيئاً حين تدعوني ، وأسألك كل ما شئت من حوائجي ، وحيث ما كنت وضعت عندك سري فلا ادعو سواك ، ولا ارجو غيرك لبيك ، لبيك تسمع من شكا إليك ، وتلقى من توكل عليك ، وتخلص من اعتصم بك ، وتفرج عمن لاذ بك .

الهي : فلا تحرمني خير الآخرة والأولى لقلة شكري ، واغفر لي ما تعلم من ذنوبي ، إن تعذب فأنا الظالم المفرط المضيع الآثم المقصر

---

(١) النير : الخشبة التي توضع على عنق الثور وقت الحرث .
(٢) المستكين : المتضرع .
(٣) مشفقاً : أي خائفاً أشد الخوف .

المضجع[1] المغفل حظ نفسي ، وان تغفر فأنت ارحم الراحمين . . »[2].

ويفيض هذا الدعاء الشريف بالاستكانة والتذلل والخضوع إلى الله الخالق العظيم ، وقد حمد الإمام (ع) عن إيمان ومعرفة واخلاص، واعترف بعجزه عن أداء شكره لما أولاه من النعم ولما اسدى عليه من الألطاف التي لا تحصى وطلب منه بعد ذلك المغفرة والعفو مستجيراً ومعتصماً به ، وقد ابدى عليه السلام من الخوف والوجل من الله تعالى مما يهز أعماق النفوس ودخائل القلوب .

٥ ـ تذلله أمام الله :

وذاب الإمام عليه السلام في محبة الله ، واخلص له كأعظم ما يكون الاخلاص ، وقدتضرع إليه ، وتذلل أمامه ، وكان من مظاهر تذلله أنه كان يدعو بهذا الدعاء الشريف .

« رب افحمتني ذنوبي ، وانقطعت مقالتي ، فلا حجة لي ، فأنا الأسير ببليتي ، المرتهن بعملي ، المتردد في خطيئتي ، المتحير عن قصدي ، المنقطع بي ، قد أوقفت نفسي موقف الاذلاء المذنبين ، موقف الاشقياء المتجرئين عليك ، المستخفين بوعدك ، سبحانك أي جرأة اجترأت عليك ، وأي تغرير غررت بنفسي ؟ ! مولاي ارحم كبوتي لحر وجهي ، وزلة قدمي ، وعد بحلمك على جهلي ، وباحسانك على اساءتي ، فأنا المقر بذنبي ، المعترف بخطيئتي ، وهذه يدي وناصيتي [3] استكين بالقود من نفسي ، ارحم شيبتي ، ونفاد أيامي ، واقتراب أجلي ، وضعفي ، ومسكنتي ، وقلة حيلتي ، مولاي : وارحمني إذا انقطع من الدنيا أثري ، وامحى من المخلوقين ذكري ، وكنت من المنسيين كمن قد نسي ، مولاي وارحمني عند تغير صورتي وحالي إذا بلي جسمي ، وتفرقت اعضائي ، وتقطعت اوصالي ، يا غفلتي عما يُراد

---

(١) المضجع : المتهاون في الأمر والمقصر فيه .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء الخمسون .

(٣) الناهية مقدم الرأس .

بي ، مولاي وارحمني في حشري ونشري[1] واجعل في ذلك اليوم موقفي ، وفي احبائك مصدري ، وفي جوارك مسكني يا رب العالمين . . »[2] .

لقد استوعب الإيمان بالله قلب الإمام ، وميول فطرته ، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه وسلوكه ، وبهذا الرصيد الهائل من الإيمان استحق أن يكون إمام المتقين ، وسيد المنيبين . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض عناصره النفسية .

---

(١) الحشر : هو الجمع ، والنشر هو الرجوع إلى الحياة بعد الموت .
(٢) الصحيفة السجادية الدعاء الثاني والخمسون .

إمامته

الإمامة عنصر حي في تكوين الفكر السياسي والحضاري في الإسلام ، وهي جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام الخالدة ، بل هي جوهره وحقيقته ، والإسلام بدونها يفقد ذاتياته وفعالياته ، ويكون جامداً وشبحاً مبهماً وعصباً خالياً من الحياة والإحساس ونعرض - بإيجاز - إلى شؤون الإمامة ، وإلى إمامة الإمام زين العابدين (ع) وإلى ما أثر عنه في هذا المجال .

معنى الإمامة :

أما معنى الإمامة ومدلولها فهي - كما حددها علماء الكلام وغيرهم - عبارة عن القيادة الروحية والزمنية للأمة لشخص تتوفر فيه النزعات الخيرة ، والصفات الشريفة والتي من أهمها العدالة ، ونكران الذات ، والتجرد من الأنانية ، وعدم الانقياد للعواطف وسائر المؤثرات الخارجية سوى ما يتصل منها بالحق والعدل .

ضرورة الإمامة :

أما الإمامة في الإسلام فهي ضرورية لا غنى للحياة الإسلامية عنها ، وهي عنصر أساسي في إقامة العدل الاجتماعي ، وبناء مجتمع أفضل لا ظل فيه للغبن الاجتماعي ، ولا شبح فيه للفقر والحرمان .

إن الإمامة في الإسلام تعنى بتوزيع خيرات الله على عباده ، وتوفير الفرص المتكافئة لهم ، وحمايتهم من الاستغلال والاستعباد، وهي من أسمى ما توصل إليه تطور الفكر البشري في عالم الحكم والسياسة ، وهي إنما تحقق الوسيلة التي خططها لها الإسلام فيما إذا تقلدها الأئمة المتقون من عترة النبي (ص) الذين هم عدلاء الذكر الحكيم، وسفن نجاة هذه الأمة ، وسنوضح ذلك في البحث التالي .

النبي والإمامة :

والشيء المؤكد الذي لا خفاء فيه أن النبي (ص) قد رتب الخلافة والإمامة من بعده ولم يترك الأمة من بعده فوضى تتعرض للأخطار والأزمات ، فقد نص على خلفائه الأئمة الإثني عشر من أهل بيته ، وفي طليعتهم سيدهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد نصبه علماً ومرجعاً للأمة ، ولم يكن (ص) بذلك مدفوعاً بأي عاطفة من العواطف التقليدية ، وإنما قلد الإمام (ع) هذا المنصب الخطير لكفاءته ومواهبه وعبقرياته وشدة احتياطه في الدين ، فقد اجمع علماء المسلمين على اختلاف ميولهم ومذاهبهم على أن الإمام أعلم من في الأمة بعد النبي (ص) وأدراهم بشؤون الشريعة وأحكام الدين ، واعرفهم بالشؤون السياسية والعسكرية والاجتماعية لا سيما وأن الأمة كانت جديدة عهد بالإسلام فهي تحتاج قبل كل شيء إلى بيان محاسن أحكام الشريعة الإسلامية، وتفصيل ما تبتلى به من العقود والايقاعات والمواريث والحدود ، وغيرها ، ومن الطبيعي أن عدم ترشيحه لهذا المنصب إنما هو حرمان للأمة من التمتع بمواهب هذا العملاق العظيم ، وهذا مما يمتنع عقلاً صدوره عن النبي (ص) الحريص على أمته الرؤوف بها كما قال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٨.

أما النصوص التي أثرت عن النبي (ص) في النص على إمامة الإمام أمير المؤمنين (ع) فهي مجموعة ضخمة أجمع الرواة والمؤرخون على روايتها، ومن أهمها حديث الغدير المتواتر الذي نصب فيه النبي (ص) الإمام خليفة من بعده ، وأمر المسلمين بمبايعته ، وقال فيه: « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ». وقد سئل الإمام زين العابدين عليه السلام عن معنى هذا الحديث فقال (ع) ، إن رسول الله (ص) أخبرهم الإمام من بعده[1] .

وقد عرض السادة العلماء من الشيعة في كتبهم الكلامية وغيرها إلى إقامة الدولة العلمية التي لا تقبل الجدل والشك على إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام وأنهم أوصياء النبي (ص) وخلفاؤه، وأن سيرتهم ومآثرهم تدلل على إمامتهم، ونيابتهم العامة عن الرسول (ص) كما تدلل على أنهم يملكون أرصدة هائلة من العلم والتقوى والحريجة في الدين لا يملكها أحد غيرهم .

سمو منزلة الأئمة :

أما سمو منزلة الأئمة ، وعظيم مكانتهم عندالله فلا يعرفها أحد سواهم ، وقد تحدث عنها الإمام زين العابدين عليه السلام في مواضع متعددة كان منها :

١ ـ قال عليه السلام : « أن الله خلق محمداً وعلياً واحد عشر من ولده من نور عظمته ، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق ، يسبحون الله ويقدسونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلّى الله عليه وآله. . »[2]. وقد اعتقد بذلك حكيم المعرة أبو العلاء المعري الذي كان يسيء الظن بالناس سوى ائمة أهل البيت (ع) يقول :

والشخوص التي اضاء سناها ... قبل خلق المريخ والميزان
قبل أن تخلق السموات ... وتؤمر افلاكهن بالدوران

(١) معاني الأخبار للصدوق (ص ٦٥).
(٢) أصول الكافي ١/ ٥٣٠ .

٢ ـ قال عليه السلام : « نحن أئمة المسلمين ، وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين ، وقادة الغر المحجلين ، وموالي المؤمنين ، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، وبنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها ، ولم تخل الأرض منذ خلق الله الأرض من حجة لله مشهور أو غائب مستور ، ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله . . . » .

فانبرى إليه شخص قائلاً :

« كيف ينتفع الناس بالغائب المستور؟ . . »

ورد الإمام عليه هذه الشبهة ببرهان قاطع قائلاً :

« كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب . . . »[١] .

أجل ـ والله ـ إن أئمة أهل البيت هم أئمة المسلمين ، وحجج الله على الخلق اجمعين ، ولولاهم ما عبد الله عابد ، ولا وحده موحد، ولا اقيمت للإسلام سنة ، ولا دانت له كلمة ، ولا رفعت له شعائر ، وهم الآية المخزونة ، والباب المبتلي به الناس من عرفهم ودان لهم بالولاء فقد نجا، ومن جحدهم وخالفهم فقد هوى .

٣ ـ قال عليه السلام : « رب صل على أطايب أهل بيته ـ يعني أهل بيت النبي ـ الذين اخترتهم لأمرك، وجعلتهم خزنة علمك ، وحفظة دينك ، وخلفاءك في أرضك ، وحججك على عبادك ، وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بإرادتك ، وجعلتهم الوسيلة اليك ، والمسلك إلى جنتك ، رب صل على محمد وآله صلاة تجزل لهم بها من نحلك[٢] وكرامتك ، وتكمل لهم الأشياء من عطاياك ونوافلك[٣] وتوفر عليهم الحظ من عوائدك ، وفوائدك ،

---

(١) أمالي الصدوق (ص ١١٢) ينابيع المودة ١٤٧/٣ ، روضة الواعظين (ص ١٧٠) .

(٢) نحلك : جمع نحلة وهي العطية .

(٣) نوافلك : جمع نافلة وهي العطية الفاضلة .

رب صل عليه وعليهم صلاة لا أمد في أولها ، ولا غاية لأمدها ، ولا نهاية لآخرها ، رب صل عليهم زنة عرشك ، وما دونه ، وملء سمواتك وما فوقهن وعدد أراضيك، وما تحتهن وما بينهن ، صلاة تقربهم منك زلفى ، وتكون لك ولهم رضى ، ومتصلة بنظائرهن أبداً»[1].

لقد اختار الله أئمة أهل البيت عليهم السلام لأداء رسالته ، وجعلهم خزنة لعلمه وحفظة لدينه ، وخلفاء في أرضه ، وحججاً على عباده ، ووهبهم المنزلة الرفيعة عنده فهم الوسيلة إليه ، والمسلك إلى جنته، والأبواب لرحمته .

٤ ـ **قال عليه السلام** : « نحن خلفاء الأرض ، ونحن أولى الناس بالله ، ونحن المخصوصون في كتاب الله ، ونحن أولى الناس بالله، ونحن الذين شرع الله لنا دينه ، فقال : « شرع لكم في الدين ما وصى به نوحاً ، والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى » فقد علمنا، وبلغنا واستودعنا علمهم ونحن ورثة الأنبياء ، ونحن ذرية أولى العلم، أن أقيموا الدين بآل محمد (ص) ولا تتفرقوا فيه . . . »[2] .

أما أنتم ـ يا أئمة اهل البيت ـ فخلفاء الله في أرضه، وأولى الناس بالله ، قد شرع الله لكم دينه ، واصطفاكم لتبليغه ، وارتضاكم لأداء أمانته ، لا يجحد فضلكم إلا كافر أو منحرف عن الدين ، ولا يحبكم إلا كل مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان .

لزوم الرجوع إلى الأئمة :

ويجب الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام في أخذ الأحكام الدينية منهم لأنهم أدرى بشؤون الشريعة ، واعرف بأحكام الدين من غيرهم ، وقد أكد الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك بقوله :

---

(١) الصحيفة السجادية الدعاء السادس والأربعون .

(٢) ناسخ التواريخ ٢/٤٩، البحار.

« إن دين الله عزّ وجلّ لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة ، والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم ، فمن سلم لنا سلم ، ومن اقتدى بنا هدي ، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك ، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي انزل السبع المثاني ، والقرآن العظيم ، وهو لا يعلم . . » لقد اثبتت البحوث الفقهية والأصولية التي ذكرها علماء الشيعة الإمامية بطلان التمسك بالقياس والاستحسان في شؤون الشريعة الإسلامية ، وان علم الفقه علم توقيفي يجب التعبد فيه بالنص ، فإن فقد النص أو كان مجملاً أو معارضاً بمثله فيجب الرجوع إلى الأصول العملية ، وهي التي يرجع إليها الشاك في مقام العمل ، أما الرجوع إلى غير ذلك من القياس ونحوه فإنه لا يجزي ومؤاخذ عليه .

وجوب طاعة الإمام :

واهتم الإسلام اهتماماً بالغاً باطاعة الإمام لأن إقامة النظام الاجتماعي في الإسلام يرتبط بها ويتوقف عليها سير الحياة الاسلامية، كما أن في التمرد وعدم الطاعة اخلالاً في النظام ، وإشاعة للفوضى ، وتعريض الأمة للأزمات والأخطار، وقد أكد الإمام زين العابدين عليه السلام على لزوم طاعة الامام ، وذكر أهميته وسمو منزلته ، قال (ع) :

« اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام اقمته علماً لعبادك ، ومناراً في بلادك ، بعد أن وصلت حبله بحبلك ، والذريعة إلى رضوانك وافترضت طاعته ، وحذرت معصيته، وأمرت بامتثال أوامره، والانتهاء عند نهيه ، والا يتقدمه متقدم ولا يتأخر عنه متأخر ، فهو عصمة اللائذين ، وكهف المؤمنين ، وعروة المستمسكين وبهاء العالمين .

اللهم فاوزع لوليك شكر ما انعمت به عليه ، وأوزعنا مثله فيه ، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً ، وافتح له فتحاً يسيراً، واعنه بركنك الأعز ، وأشدد

---

(١) ناسخ التواريخ ١٤١/١ نقلةً عن اكمال الدين .

ازره ، وقو عضده، وراعه بعينك ، واحمه بحفظك، وانصره بملائكتك وامده بجندك الأغلب ، واقم به كتابك ، وحدودك وشرائعك ، وسنن رسولك صلواتك اللهم عليه وآله ، وأحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك ، وأجل به صدأ الجور عن طريقتك ، وابن به الضراء من سبيلك ، وأزل به الناكبين عن صراطك ، وامحق به بغاة قصدك عوجاً ، والن جانبه لأوليائك ، وابسط يده على أعدائك ، وهب لنا رأفته ، ورحمته وتعطفه وتحننه ، واجعلنا له سامعين مطيعين ، وفي رضاه ساعين ، وإلى نصرته والمدافعة عنه مكنفين[1] وإليك وإلى رسولك صلواتك اللهم عليه وآله بذلك متقربين . . . » واعرب الإمام عليه السلام في هذه القطعة من كلامه عن وجوب طاعة الإمام ، وحرمة مخالفته ، ولزوم السير على خطه ومنهاجه، كما اعرب (ع) عن سمو منزلة الإمام وأهميته فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين ، وعروة المستمسكين وقد دعا عليه السلام له بالحفظ والنصر والفتح المبين ، والتسديد لإقامة فرائض الدين ، وإحياء سنن الرسول (ص) التي أجهزت عليها القوى الظالمة والمنحرفة عن الإسلام .

عصمة الإمام :

من الصفات الأولية التي يجب أن تتوفر في الإمام العصمة من كل دنس وإثم سواء ما ظهر منها أم ما بطن ، ويجب أن يتخلى عن ذلك في جميع مراحل حياته ، وقد أدلى الإمام زين العابدين عليه السلام بضرورة اتصاف الإمام بالعصمة قال (ع):

« إن الإمام منا لا يكون إلا معصوماً . . » .

وسئل عن معنى المعصوم فقال :

« وهو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو والقرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة»[2] وأنكر من لا حريجة له في الدين على الشيعة قولهم : بعصمة

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء السادس والأربعون .

(٢) تأريخ التربية عند الإمامية (ص ١٩).

أئمتهم ، وعابوا عليهم ذلك ، وقد قاسوا الأئمة بسائر الناس الذين يخضعون لأهوائهم وشهواتهم، وكان ذلك ناشئاً إما عن حقد على أهل البيت أو عن جهل بمعرفتهم، فمن المؤكد أن من يمعن النظر في سيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام فإنه يؤمن إيماناً لا يخامره أدنى شك في أنهم سلام الله عليهم يملكون ارصدة هائلة من التقوى والإيمان تمنعهم من اقتراف أي ذنب، الم يقل سيد العترة الإمام أمير المؤمنين (ع) :

« والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت افلاكهن على أن اعصي الله في جلب شعيرة اسلبها من فم جرادة ما فعلت » اليست هذه هي العصمة؟ ولكن الناقدين للشيعة قد وضعوا حجاباً على عقولهم فهم لا يفقهون .

إمامته :

وبعد الحديث إلى ما أثر عن الإمام زين العابدين عليه السلام في شؤون الإمامة نعود إلى البحث عن إمامته ، وهي من البديهيات التي لا تقبل الجدل والشك ، وذلك لما يتمتع به من النزعات الكريمة والصفات الرفيعة التي لا توجد إلا عند من امتحن الله قلبه للإيمان ، وقد ألمحنا إلى بعضها عند البحث عن سلوكه ، وعناصره النفسية ومما يدلل على إمامته ما يلي :

النص على إمامته :

ويعتبر النص على الإمام ضرورياً عند الشيعة الإمامية في تعيين الإمام ، ونفي الريب عنه ، وقد تواترت النصوص على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام ، ونشير إلى بعضها :

١ ـ إن الرسول الأعظم (ص) عين أوصياءه وخلفاءه الأثني عشر من بعده، وصرح بأسمائهم ، ومنهم الإمام زين العابدين (ع) وقد تضافرت النصوص بذلك[1] .

---

(١) كفاية الأثر (ص٣١١) الغيبة للطوسي (ص ١٠٥) مختصر البصائر (ص ٣٩) سليم بن قيس (ص ٩٤) .

٢ ـ إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد نص على إمامة حفيده زين العابدين وذلك حينما حضرته الوفاة فقد اوصى إلى ابنه الزكي الإمام الحسن عليه السلام وعينه من بعده ودفع إليه مواريث الأنبياء ، واشهد على ذلك ولده الإمام الحسين ومحمد بن الحنفية وجميع أولاده ورؤساء شيعته وقال للحسين : إنك القائم بعد اخيك الحسن ، وإن رسول الله (ص) يأمرك أن تدفع المواريث من بعدك إلى ولدك زين العابدين فإنه الحجة من بعدك، ثم أخذ بيد زين العابدين وكان طفلاً وقال له : إن رسول الله (ص) يأمرك أن توصي بالإمامة من بعدك إلى ولدك محمد الباقر واقرئه من رسول الله ومني السلام »[١].

٣ ـ ونص الإمام الحسين على إمامة ولده زين العابدين عليه السلام ، وعهد إليه بالإمامة من بعده، فقد روى الزهري قال : كنت عند الحسين بن علي إذ دخل علي بن الحسين الأصغر ـ يعني زين العابدين ـ فدعاه الحسين وضمه إليه ضماً ، وقبل ما بين عينيه ، والتفت الزهري إلى الإمام الحسين فقال له :

« يا ابن رسول الله إن كان ما نعوذ بالله أن نراه فإلى من؟ . . » .

فقال الحسين :

« علي ابني هذا هو الإمام أبو الأئمة . . »[٢] .

وروي مثل هذا الحديث عبد الله بن عتبة[٣] ويقول رواة الشيعة : إن الإمام الحسين عليه السلام لما اراد السفر إلى العراق استودع المواريث التي تسلمها من أخيه الحسن عند السيدة أم سلمة زوجة النبي (ص) وأمرها أن تدفعها من بعده إلى زين العابدين، ولما رجع الإمام السجاد إلى يثرب بعد شهادة أبيه سلمته أم سلمة الوديعة التي عندها[٤] وهي من إمارات الإمامة

(١) أصول الكافي باب النص على أمامة الحسن .
(٢) روضات الجنات ٢٤٧ـ ٢٤٨ .
(٣) إثبات الهداة ٥/ ٢١٤ .
(٤) أصول الكافي باب النص على إمامة علي بن الحسين .

وولائها ، وكثير من أمثال هذه النصوص قد دونتها كتب الشيعة القدامى ، ولو لم تك هذه النصوص لكانت مثله العليا ، وصفاته الرفيعة تدلل على امامته .

الإمامة في عصره :

أما الإمامة في إطارها الفكري حسب العقيدة الشيعية فإنها لم تتبلور في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام فلم يك يفهمها أو يدين بها إلا أقل القليل من خواص الشيعة من الذين صهرت نفوسهم تعاليم الإسلام وقيمه ، يقول الحسين بن عبد الوهاب : « وصارت الإمامة ـ في عصر الإمام ـ مكتومة مستورة إلا ممن اتبعه من المؤمنين[1] .

لقد احاطت بالإمام مجموعة من العوامل الرهيبة دعته ألا يتمكن من إظهار المعطيات الضخمة للإمامة ، وبيان الحق أصولاً وفروعاً إلا لطائفة قليلة من خواصه وشيعته[2] وذكر الكشي في ترجمة سعيد بن المسيب أن الفضل إبن شاذان قال : « لم يكن في زمان علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة انفس : سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، ويحيى بن ام الطويل ، وأبو خالد الكابلي ، فهؤلاء كانوا يعرفون الإمامة ويدينون بها دون غيرهم[3] .

لقد اعتزل الإمام عن الناس فترة من الزمن كما اعتزل جده الإمام أمير المؤمنين أيام الخلفاء ، وصار جليس بيته ، وقد ضرب الإمام زين العابدين لنفسه بيتاً من الشعر خارج المدينة[4] مشتغلاً بالعبادة ونشر العلم ، وقد حقن بذلك دمه ودماء البقية الباقية من أهل البيت ، وأنقذهم من شر ذلك الحكم الأسود الذي امتحن به المسلمون امتحاناً عسيراً .

وعلى أي حال فإن المجتمع الإسلامي لم يع الأهداف المشرقة التي

---

(١) عيون المعجزات (ص ٣١) مخطوط .
(٢) روضات الجنات ٤/٤٤ .
(٣) رجال الكشي .
(٤) فرحة الغرى (ص ٣٣) .

تنشدها الإمامة ، كما لم يع الصفات الرفيعة التي يجب أن تتوفر في الإمام من العصمة ووفور العلم ، والدراية التامة بما تحتاج إليها الأمة في مجالاتها السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، ويعود السبب في ذلك إلى اضطهاد الشيعة رسمياً ، وتصفيتهم جسدياً ، واخلاد الكثير منهم في ظلمات السجون ، وحجبهم عن الإمام زين العابدين (ع) وذلك من قبل الدولة الأموية العفنة التي ما تركت لوناً من ألوان الظلم والجور إلا صبته على المسلمين .

إمامة محمد بن الحنفية :

ووصف المؤرخون محمد بن الحنفية بأنه من رجال الدهر في العلم والزهد والعبادة والشجاعة، وهو من أفضل أولاد الإمام أمير المؤمنين بعد الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام[1] وكان ورعاً واسع العلم[2] وقد مالت إليه القلوب[3] وقد دانت بإمامته فرقة من المسلمين سُميت بالكيسانية ، وهي من أقدم الفرق الإسلامية ، وقد منحوه لقب المهدي الذي بشر به النبي الأعظم (ص) وهو قائم آل محمد (ص) الذي اخبر عنه (ص) بأنه سيخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ، وكان ممن دان بإمامته الشاعر الإسلامي الكبير السيد الحميري ، وقد اعتقد ببقائه حياً ، وأنه مقيم بجبل رضوى ، وعنده عسل وماء ، وقد نظم ذلك في هذه الأبيات الذائعة :

ألا ان الأئمة من قريش ... ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط[4] سبط إيمان وبرٍ ... وسبط[5] غيبته كربلاء

---

(١) عمدة الطالب .
(٢) الحلية ٣/١٧٤ .
(٣) الحلية ٣/١٧٤ .
(٤) اراد بالسبط الإمام الزكي ريحانة رسول الحسن عليه السلام .
(٥) أراد بالسبط الإمام الحسين أبا الأحرار وسيد الشهداء .

وسبط[1] لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده عسل وماء[2]

إلا أنه لما تبين له الحق رجع عن معتقده ، ودان بإمامة الأئمة الطاهرين (ع) وقد اعلن ولاءه للإمام الأعظم جعفر الصادق عليه السلام بقوله :

تجعفرت باسم الله والله أكبر وأيقنت ان الله يعفو ويغفر[3]

الإمام مع محمد بن الحنفية :

ومن المؤكد أن محمد بن الحنفية كان يدين بالإمامة للإمام زين العابدين (ع) ، ولم يدع الإمامة لنفسه ، وإنما ادعاها الناس له ، وحاشا أن يدعي ما ليس له ، فقد كان من أشد الناس ورعاً ، ومن أكثرهم تحرجاً في الدين ، وكان على بينة من أمر الإمامة في أنها ليست بيد أحد ، وإنما أمرها إلى الله فهو الذي يهبها لمن يشاء من عباده ، وهو على يقين أن إمام عصره هو الإمام زين العابدين عليه السلام ، ويقول الرواة : أنه جرى بينه وبين الإمام نزاع صوري حول الإمامة فاتفقا على المضي إلى الكعبة ليتحاكما عند الحجر الأسود، وهو الذي يكون حاكماً بينهما وإنما اتفقا على ذلك لبلورة الرأي العام ، وإرجاع القائلين بإمامة محمد إلى الحق ، وسافرا الى مكة فلما انتهيا إليها توجها نحو البيت الحرام ، واستقبل الإمام الحجر الأسود ، ودعا بهذا الدعاء :

« اللهم إني أسألك باسمك المكتوب في سرادق المجد ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العظمة وأسألك باسمك المكتوب في سرادق الجلال ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العزة ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق القدرة ،

---

(١) أراد به محمد بن الحنفية .
(٢) الأغاني ٧/ ٢٤٥ وفي البداية والنهاية ٩/ ٣٨ أن هذه الأبيات إلى الشاعر كثير .
(٣) الأغاني ٧/ ٢٣٥ .

وأسألك بأسمك المكتوب في سرادق السرائر، السابق ، الفائق الحسن النضير ، رب الملائكة الثمانية ، ورب العرش العظيم ، وبالعين التي لا تنام ، وبالاسم الأكبر ، الأكبر ، وبالاسم الأعظم ، الأعظم، الأعظم ، المحيط بملكوت السموات والأرض وبالاسم الذي اشرقت به الشمس ، وأضاء به القمر ، وسخرت به البحار ، ونصبت به الجبال ، وبالاسم الذي قام به العرش والكرسي ، وبأسمائك المقدسات المكرمات ، المكنونات ، المخزونات في علم الغيب عندك اسألك بذلك كله أن تصلي على محمد وآل محمد . . . »[1] .

وانطق الله الحجر الأسود ، من باب الاعجاز كما انطق عيسى بن مريم وهو في المهد صبي- بان الامام هو زين العابدين وهو حجة الله على خلقه ، وأمينه على دينه ، واستبان بذلك الحق[2] ورجع حشد من القائلين بإمامة محمد إلى الامام زين العابدين ، وقد نظم هذه الحادثة الشاعر الكبير السيد الحميري :

علي وما كان مع عمه ... برد الإمامة عطف العنان
وتحكيمه حجراً أسوداً ... وما كان من نطقه المستبان
بتسيلم عم بلا مرية ... إلى ابن أخ منطقا باللسان
شهدت بذلك صدقاً كما ... شهدت بتصديق آي القران
علي إمامي لا أمتري ... وخليت قولي بكان وكان[3]

رجوع الكابلي إلى الحق :

وكان أبو خالد الكابلي يدين بإمامة محمد بن الحنفية إلا أنه رجع عن ذلك لما استبان له الحق ، ودان بإمامة الإمام زين العابدين عليه السلام ، والسبب في ذلك حسبما يقول الرواة : أنه قال لمحمد بن الحنفية : « جعلت

---

(١) أدعية الفاضل المقداد (ص ١٨) مخطوط في مكتبة السيد الحكيم .
(٢) بحر الأنساب (ورقة ٤٢) إثبات الوصية (ص ١١٩).
(٣) محمد بن الحنفية (ص ٧٢) نقلاً عن ديوان الحميري المخطوط .

فداك ان لي حرمة ومودة وانقطاعاً ، اسألك بحرمة رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) الا اخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه ؟».

فأجابه محمد جواب المؤمن الذين لا يبغي إلا الحق قائلاً :

« يا أبا خالد حلفتني بالعظيم ، الإمام علي بن الحسين (ع) علي وعليك ، وعلى كل مسلم . . . ».

وأسرع أبو خالد نحو الإمام علي بن الحسين فاستأذن عليه فأذن له ، وقابله بحفاوة وتكريم قائلاً له :

« مرحباً بك يا كنكر ، ما كنت لنا بزائر ما بدا لك ؟» . .

وانبرى أبو خالد بخضوع ، واجلال قائلاً :

« الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت إمامي . . »

وأسرع الإمام قائلاً :

« كيف عرفت إمامك ؟ . . . »

« إنك دعوتني باسمي الذي سمتني به أمي !!! وقد كنت في عمياء من أمري ، ولقد خدمت محمد بن الحنفية دهراً من عمري ، لا أشك أنه الإمام حتى سألته ، بحرمة الله ، وحرمة الرسول ، وحرمة أمير المؤمنين ، فأرشدني إليك ، وقال : هو الإمام علي وعليك ، وعلى الخلق كلهم . . . »[1] .

ونظم السيد الحميري هذه الحادثة بقوله :

عجبت لكر صروف الزمان وأمر أبي خالد ذي البيان
ومن رده الأمر لا ينثني إلى السيد الطهر نور الجنان[2]

من دلائل امامته :

وكان من دلائل إمامته اخباره بوقوع بعض الأحداث في المستقبل ،

---

(٢) الكشي (ص ٧٩- ٨٠).
(٣) محمد بن الحنفية (ص ٧٢).

وقد تحققت بعد عشرات السنين كما أخبر عنها ، وتعتبر هذه الظاهرة ـ عند الشيعة الإمامية ـ من دلائل الإمامة ، فإن الاخبار عن المغيبات من مكنونات علم الله تعالى ، ولا يمنحها الا لأنبيائه وأوصيائهم ، ومما يدلل على ذلك أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخبر عن كثير من الملاحم ، وقد تحققت كلها على مسرح الحياة ، فقد أخبر عن مصارع أهل النهروان، ومصرع ذي الثديَّة ، وأخبر عن زوال دولة بني أمية، واخبر عن كثير من الأحداث ما لوجمعت لكانت كتاباً ، وقد تحقق كل ما أخبر عنه ، وهو القائل لأصحابه :

« سلوني قبل أن تفقدوني . . . فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء بينكم وبين الساعة إلا أخبرتكم به » . . .

وقال مرة لاصحابه :

« لو شئت لأخبرتكم بما يأتي ويكون من حوادث دهركم ، ونوائب زمانكم ، وبلاء أيامكم، وغمرات ساعاتكم . . . » .

. . وعلق الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود على ذلك بقوله : « ولم يكن ـ أي الإمام ـ يرجم بظن ، ولا يستقرىء النجوم ، ولا يلتجىء للكهانة ، وهو يرى بعينه إلى ما وراء المعلوم المنظور ليأتيهم بشذرة من المجهول المستور .

إنما كان ينطق عن حق لا شبهة فيه لأنه كان عندئذٍ يطلعهم على بعض علم محمد (ص) الذي اختصه به من دون الناس . . »[1] .

إن الله تعالى قد منح أئمة أهل البيت عليهم السلام طاقات مشرقة من العلوم ، وخصهم بمكنونات غيبه للتدليل على إمامتهم وقيادتهم الروحية والزمنية لهذه الأمة ، وممن خصه الله بهذه الفضيلة الإمام زين العابدين عليه السلام ، فقد اخبر عن كثير من الملاحم التي تحققت بعده ، وكان من بينها :

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب ٨/١٦٤ .

١ ـ اخباره عن شهادة زيد :

من الملاحم التي أخبر عنها الإمام عليه السلام أنه أخبر عن شهادة ولده الشهيد العظيم زيد ، فقد روى أبو حمزة الثمالي قال : كنت أزور علي بن الحسين في كل سنة مرة وقت الحج ، فأتيته سنة ، وكان على فخذه صبي فقام عنه ، واصطدم بعتبة الباب فخرج منه دم ، فوثب اليه الإمام ، وجعل ينشف دمه ، وهو يقول له :

« إني اعيذك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة . . . » .

وبادر أبو حمزة قائلاً :

« بأبي أنت وأمي أي كناسة؟ . . . »

« كناسة الكوفة . . . »

« جعلت فداك أيكون ذلك؟ . . »

« أي والذي بعث محمداً بالحق إن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية الكوفة مقتولاً ، مدفوناً، منبوشاً، مصلوباً بالكناسة، ثم ينزل فيحرق، ويدق ويذرى في البر . . . » .

وبهر أبو حمزة وراح يسأل عن اسم هذا الغلام قائلاً ؟ . . . » .

« جعلت فداك ما اسم هذا الغلام ؟ . . . » .

« زيد » . .

وتحقق كل ما أخبر به الإمام فلم تمض حفنة من السنين حتى ثار زيد الشهيد الذي هو من ألمع الثائرين الأحرار فقد ثار في وجه الطغيان الأموي مطالباً بتحقيق العدالة الإسلامية ، وتحقيق حقوق الإنسان فاجهزت عليه القوى الظالمة فأردته قتيلاً وانبرى بعض انصاره فدفنه الا أن الحكومة الأموية اخرجته من قبره ، وصلبته، في كناسة الكوفة ، وبقي أربع سنين مصلوباً على جذع وهو ينير للناس طريق الحرية والشرف والكرامة ، ثم انزلوه بعد ذلك وأحرقوه ، وذروا قسماً من رماده في ماء الفرات ليشربه الناس حسبما يقوله الأمويون .

---

(١) فرحة الغري .

لقد تحقق جميع ما أخبر به الإمام في شأن ولده العظيم ، ومن المؤكد أن ذلك من علائم الإمامة ودلائلها .

٢ ـ إخباره عن حكومة عمر بن عبد العزيز :

من الملاحم التي أخبر عنها الإمام عليه السلام أنه أخبر عن عمر بن عبد العزيز وانه سيلي أمور المسلمين ولا يلبث الا يسيراً حتى يموت[١] وتحقق ذلك فقد ولي عمر الخلافة وبقي زمناً يسيراً ووافاه الأجل المحتوم .

٣ ـ إخباره عن حكومة العباسيين :

وأخبر عليه السلام عن حكومة العباسيين ، وقد استشف من وراء الغيب أن حكمهم يقوم على الظلم والجور وعلى الفسق والفساد ، وسيخرجون المسلمين عن دينهم ، وستثور عليهم كوكبة من العلويين مطالبين بتحقيق العدل والحق بين الناس، وأنهم سينالون الشهادة على أيدي أولئك الطغاة، وهذا نص حديثه : روى الإمام أبو جعفر عن أبيه أنه قال : أما أن في صلبه ـ أي صلب ابن عباس ـ وديعة ذرية لنار جهنم وسيخرجون أقواماً من دين الله أفواجاً ، وستصبغ الأرض من فراخ آل محمد (ص) تنهض تلك الفراخ في غير وقت، وتطلب غير مدرك ، ويرابط الذين آمنوا، ويصبرون حتى يحكم الله[٢] .

لقد ثارت كوكبة من العلويين المجاهدين على طغاة بني العباس ، فقد رفع علم الثورة محمد وإبراهيم على المنصور الدوانيقي الذي هو اعتى ملك في تاريخ هذا الشرق ، وكذلك ثار الحسين بن علي صاحب واقعة فخ على الهادي العباسي ، وثار غير هؤلاء من أبناء الرسول (ص) وقد رفعوا راية الحرية والكرامة مطالبين بحقوق المظلومين والمضطهدين، وقد سقوا بدمائهم الزكية شجرة الإسلام التي جهد العباسيون الأقزام على قلعها .

---

(١) دلائل الإمامة (ص ٨٨) بصائر الدرجات .
(٢) إثبات الهداة ٥/٢٤١ .

هـذه بعض الملاحم التي أخبـر الإمام زين العـابدين عليـه السـلام عن وقوعها، وقد تحققت كما أخبر (ع).

لقد منح الله زين العابدين العلم الـذي لا يحد كمـا وهب آباءه ، وكـان عليه السلام يكتم علومه ، ولا يذيعهـا بين الناس لئـلا يفتتن به الجهـال ، وقد اعلن ذلك بقوله :

إني لأكـتـم من علمي جـواهـره ... كيـلا يـرى الحق ذو جهـل فيفتتنا
يـا رب جـوهـر علم لـو أبـوح بـه ... لقيـل لي أنت ممن يعبـد الـوثنـا
ولاستـحـل رجـال مسلمـون دمي ... يـرون اقبح مـا يـأتـونـه حسنـا
وقـد تـقـدم في هـذا أبـو حسن ... إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا[1]

(١) منهاج العابدين (ورقة ٢) مصور لأبي حامد الغزالي ، الإتحاف بحب الأشراف (ص ٥٠) روح المعاني للألوسي ٦/ ١٩٠، روضات الجنات ٣/١٣٣.

انطباعات عن شخصيته

واتفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين عليه السلام ، واجمعوا على الاعتراف له بالفضل ، وأنه نسخة فريدة في هذه الدنيا لا يدانيه أحد في فضائله وعلومه وتقواه وكان من مظاهر تبجيلهم له ، أنهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم[1] ولم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به ، وإنما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم وأهوائهم فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة، والنعوت الشريفة ، وفيما اعتقد أنه لا يكاد يقرأ أحد سيرته العاطرة إلا وينحني إجلالاً وإكباراً أمامه ، فليس أحد يجاريه في نزعاته الخيرة ، وسائر صفاته العظيمة ، فهو قائم في ضمير كل انسان شريف يدين بالولاء للمثل العليا ويعتز بإنسانيته . . . ونعرض إلى انطباعات المعاصرين له ، والمؤرخين عن شخصيته .

آراء معاصريه :

وأدلى المعاصرون للإمام زين العابدين عليه السلام من العلماء ، ومختلف الشخصيات بانطباعاتهم عن شخصيته ، وكلها إكبار وتعظيم له سواء

---

(١) العقد الفريد ٢/٢٥١ .

في ذلك من أخلص له في الود أو أضمر له العداوة والبغضاء، وفيما يلي كلماتهم .

١ ـ جابر الأنصاري :

وكان الصحابي العظيم جابر بن عبدالله الأنصاري منقطعاً لأهل البيت (ع) ومن الموالين لهم ، وقد أعرب عن إعجابه البالغ بالإمام (ع) قائلاً :

« ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين . . . »[١].

حقاً لم ير في أولاد الأنبياء مثل الإمام علي بن الحسين في تقواه وورعه ، وشدة انابته إلى الله ، كما لم يبتل أحد منهم بمثل ما ابتلي به فقد داهمته المحن والخطوب في أكثر أيام حياته .

٢ ـ عبدالله بن عباس :

كان عبد الله بن عباس على جلالة شأنه وتقدمه في السن يجل الإمام زين العابدين وينحني خضوعاً وتكريماً له ، فإذا رآه قام تعظيماً ، ورفع صوته قائلاً : مرحباً بالحبيب الحبيب[٢].

٣ ـ الزهري :

كان محمد بن مسلم القرشي الزهري الفقيه أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام[٣] ممن أخلص للإمام (ع) وهام بحبه ، وقد أدلى بمجموعة من الكلمات القيمة أعرب فيها عما يتصف به (ع) من القيم الكريمة والمثل العظيمة ، وهذه بعض كلماته :

(أ) « ما رأيت هاشمياً مثل علي بن الحسين . . »[٤]

(ب) « ما رأيت قرشياً أورع ، ولا أفضل منه . . . »[٥].

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر ١/ .

(٢) تأريخ دمشق ١٤٧/٣٦ .

(٣) تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩ .

(٤) خلاصة تهذيب الكمال م ٧/ق/ ٢ الأغاني ٣٢٥/١٥ .

(٥) البداية والنهاية ١٠٤/٩ .

(ج) « ما رأيت قرشياً افضل من علي بن الحسين . . . »[1] .

(د) « لم أدرك بالمدينة أفضل منه»[2] .

(هـ) « لم أدرك في أهل البيت رجلاً كان أفضل من علي بن الحسين . . . »[3] .

(و) « ما كان أكثر مجالستي من علي بن الحسين، ما رأيت أحداً أفقه منه »[4] .

(ز) « كان علي بن الحسين أفضل أهل زمانه ، وأحسنهم طاعة »[7] .

(ح) « ينادي مناد في القيامة ليقم سيد العابدين في زمانه فيقوم علي بن الحسين . . »[6] أشار بذلك إلى الحديث النبوي المشهور « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقم سيد العابدين ، فيقوم »[7] .

(ط) « سئل الزهري عن أزهد الناس في الدنيا ؟ فقال : علي بن الحسين »[8] .

ي : قال سفيان بن عيينة : قلت للزهري : لقيت علي بن الحسين ؟ قال: نعم لقيته، وما لقيت أحداً أفضل منه ، والله ما علمت له صديقاً في السر ، ولا عدواً في العلانية ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال لأني لم أر أحداً، وإن كان يحبه إلا وهو لشدة معرفته بفضله يحسده ، ولا رأيت أحداً وإن كان يبغضه إلا وهو لشدة مداراته له يداريه . . »[9] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٣٧، تأريخ الإسلام ٢/٢٦٦ الكاشف ٢/٢٨٢ طبقات الفقهاء ١٠/٣٤.

(٢) تهذيب اللغات والأسماء القسم الأول (ص ٣٤٣).

(٣) الجرح والتعديل القسم الأول من المجلد الثالث (ص ١٧٨).

(٤) خلاصة تهذيب م ٧/ق ٢/ ورقة ٣٣٦ تذكرة الحفاظ ١/٧٥ شذرات الذهب ١/١٠٥ العبر في خبر من غبر ١/١١١.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٨، تأريخ دمشق ١٢/١٩.

(٦) روضات الجنات ٧/٢٤٨ كشف الغمة .

(٧) تأريخ دمشق ٣٦/١٤٠.

(٨) بحار الأنوار .

(٩) علل الشرائع (ص ٨٨) وسائل الشيعة ٥/٥٤١ بحار الأنوار ٤٦/٦٤.

ومن المؤكد أن الزهري لم يدل بهذه الكلمات إلا بعد اتصاله الوثيق بالإمام ، ومعرفته التامة بما اتصف به من المثل العليا والقيم الكريمة ، وقد بلغ من إعجابه به أنه إذا ذكره بكى وقال : زين العابدين[1] .

٤ ـ سعيد بن المسيب :

وكان سعيد بن المسيب من الفقهاء البارزين في يثرب ، ويقول الرواة : انه ليس من التابعين من هو أوسع علماً منه[2] وقد صحب الإمام زين العابدين ووقف على ورعه ، وشدة تحرجه في الدين ، وقد سجل ما رآه وبهر به من مثل الإمام بهذه الكلمات :

(أ) « ما رأيت أورع منه ـ أي من علي بن الحسين ـ . . »[3] .

(ب) « ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين ، وما رأيته قط إلا مقت نفسي ، ما رأيته ضاحكاً يوماً قط . . . »[4] .

(ج) قال رجل لسعيد : ما رأيت أورع من فلان ، فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال لا : قال : ما رأيت أورع منه . . . »[5] .

(د) كان سعيد جالساً وإلى جانبه فتى من قريش فطلع الإمام زين العابدين فسأل القرشي سعيداً عنه ، فأجابه سعيد :

« هذا سيد العابدين علي بن الحسين . . . »[6] .

(هـ) « ما رأيت أودع وأورع من زين العابدين علي بن الحسين . . »[7] وألمّت هذه الكلمات التي أدلى بها هذا الفقيه ببعض صفات الإمام (ع) ،

---

(١) تأريخ دمشق ١٢/١٩ كشف الغمة ٢/٢٨٨ روضات الجنات ٧/٢٤٦ .
(٢) تهذيب التهذيب ٤/٨٥ .
(٣) العبر في خبر من غبر ١/١١١ خلاصة تهذيب الكمال (ص ٢٣١) .
(٤) تأريخ اليعقوبي ٣/٤٦ .
(٥) سير أعلام النبلاء ٤/٣٨ كشف الغمة ٣/٣٩٢ .
(٦) الفصول المهمة (ص ١٨٩) .
(٧) جمهرة الأولياء ٢/٧٤ .

من الورع والطاعة لله ، والوداعة في سلوكه وسيرته مع الناس ، وهي من أندر الصفات واعزها وأعظمها عند الله .

٥ ـ زيد بن اسلم :

كان زيد بن أسلم في طليعة فقهاء المدينة ، كما كان من المفسرين للقرآن الكريم[١] وقد اختص بالإمام زين العابدين عليه السلام ، وبهر في فضله وورعه وتقواه وانطلق يعرب عن إعجابه البالغ بمثل الإمام وقيمه ، وقد أدلى بعدة كلمات كان منها ما يلي :

(أ) « « ما جالست في أهل القبلة مثله ـ أي مثل علي بن الحسين ـ . . . »[٢] .

(ب) « ما رأيت مثل علي بن الحسين فيهم ـ أي في أهل البيت . . »[٣] .

(ج) « ما رأيت مثل علي بن الحسين فهماً حافظاً . . »[٤] .

ومعنى ذلك أن الإمام أفضل مسلم ، وأفضل هاشمي في عصره، كما أنه لم ير مثله في فهمه وسرعة إدراكه وحفظه ، وهذا مما تؤكد عليه الشيعة من أن الإمام لابد أن يكون أفضل أهل عصره في عبقرياته ومواهبه .

٦ ـ حماد بن زيد :

أما حماد بن زيد الجهضي فهو من أبرز فقهاء البصرة ، وكان من أئمة المسلمين[٥] وقد اتصل بالإمام زين العابدين عليه السلام ، وراح يبدي إعجابه بمثله قائلاً :

« كان علي بن الحسين أفضل هاشمي أدركته . . . »[٦] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣/ ٣٩٥ .
(٢) تأريخ دمشق ١٢/ ق ١/ ورقة ١٩ .
(٣) تأريخ دمشق ١٢ / ق١/ ورقة ١٩ .
(٤) طبقات الفقهاء ٢/ ٣٤ .
(٥) تهذيب التهذيب ٣/ ٩ .
(٦) تهذيب اللغات والأسماء القسم الأول (ص ٣٤٣) .

لقد امتاز الإمام على جميع الهاشميين في عصره بسمو آدابه وأخلاقه وكماله.

٧ ـ يحيى بن سعيد :

أما يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني فكان من كبار التابعين، ومن أفاضل الفقهاء والعلماء[١] وقد صحب الإمام وعرف فضله ، وأدلى بحقه هذه الكلمة القيمة :

« سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي رأيته . . . »[٢].

لقد ساد الإمام عليه السلام جميع الهاشميين بإيمانه وتقواه وغزارة علمه وفضله .

٨ ـ مالك :

قال مالك : « لم يك في أهل البيت مثل علي بن الحسين . . . »[٣].

٩ ـ أبو بكر بن البرقي :

قال أبو بكر بن البرقي : « كان علي بن الحسين أفضل زمانه . . . »[٤].

لقد كان الإمام أفضل أهل زمانه بعلمه وتقواه وطاعته لله ، وليس أحد في عصره من يضارعه في كماله وسمو ذاته .

١٠ ـ أبو زرعة :

قال أبو زرعة : « ما رأيت أحداً كان أفقه منه ـ أي من علي بن الحسين ـ »[٥].

---

(١) تهذيب التهذيب ٨١/٢٢٢ .

(٢) تهذيب الكمال م ٧/ ق٢/ ورقة ٣٣٦ ، تهذيب اللغات والأسماء القسم الأول (ص ٣٤٣) التأريخ الكبير القسم الثاني من الجزء الثالث (ص٢٦٦) طبقات ابن سعد ١/٢١٤ الجرح والتعديل ق/١ من المجلد الثالث (ص ١٧٨) .

(٣) سير اعلام النبلاء ٤/٢٣٨ ، وفي تهذيب التهذيب ٧/٣٠٥ « لم يك في أهل بيت رسول الله مثل علي بن الحسين » .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٨ .

(٥) تأريخ دمشق ١٢/ ق١/ الورقة ١٨ .

١١ ـ أبو حازم :

قال أبو حازم : « ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين »[١] وقال أيضاً : « ما رأيت أفقه من علي بن الحسين »[٢].

١٢ ـ أبو حاتم الأعرج :

قال ابو حاتم الأعرج : « ما رأيت هاشمياً افضل من علي بن الحسين »[٣] .

١٣ ـ أبو حمزة الثمالي :

قال ثابت بن أبي صفية : المشهور بأبي حمزة الثقة المأمون « ما سمعت بأحد من الناس كان أزهد من علي بن الحسين إلا ما بلغني من علي بن أبي طالب »[٤] وقال مرة أخرى : « ما سمعت بأحد قط كان أزهد من علي بن الحسين إذا تكلم في الزهد ووعظ ابكى من بحضرته . . »[٥].

١٤ ـ الإمام الصادق :

قال حفيده الإمام الصادق (ع) « ما من ولده ـ أي ولد الإمام أمير المؤمنين (ع) ـ ولا أهل بيته أحد اقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين (ع) »[٦] ، لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام أشبه الناس بجده الإمام أمير المؤمنين في عبادته وعلمه وسائر مواهبه ، فقد كان صورة لذلك العملاق العظيم الذي أضاء سماء الدنيا بعلومه ومعارفه .

١٥ ـ عمر بن عبد العزيز :

وكان عمر بن عبد العزيز ممن يقيم الإمام زين العابدين (ع) ويعرف سموّ مكانته وقد التقى (ع) به فلما انصرف من عنده التفت عمر إلى اصحابه قائلاً :

---

(١) تأريخ دمشق ١٢/ ورقة ١/ ورقة ١٩ .

(٢) تهذيب الكمال م ٧/ق ٢/ ورقة ٣٣٦ كشف الغمة ٣/ ٢٩٢ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٧٥ شذرات الذهب ١/ ١٠٥ العبر في خبر من غبر ١/ ١١١ تأريخ الإسلام٢/ ١٦ .

(٤) سفينة البحار ١/ ٥٧١ .

(٥) أمالي المفيد (ص ١١٧) .

(٦) هامش ديوان الحميري (ص ٣٦٢) .

« من أشرف الناس؟».

فانبرى المرتزقة من أصحابه قائلين :

« أنتم . . ».

فصارحهم بالحقيقة قائلاً :

« كلا إن أشرف الناس هذا القائم ـ يعني الإمام زين العابدين ـ من عندي ، من أحب الناس أن يكونوا منه ، ولم يحب أن يكون من أحد . . . »[1].

ومعنى ذلك أن الإمام (ع) قد بلغ من الشرف منزلة لم يبلغها أحد من الناس على اختلاف طبقاتهم ، فقد احبوا أن يكون لهم صلة أو اتصال به وذلك لسمو منزلته ومكانته الإجتماعية في حين أنه لا يرغب ولا يحب أن يكون من أحد لأنه دون منزلته وبلغ من إكبار عمر للإمام أنه لما بلغه وفاته أبنه بهذه الكلمة القيمة :

« ذهب سراج الدنيا ، وجمال الإسلام ، وزين العابدين . . »[2].

١٦ ـ يزيد بن معاوية :

ولم يقتصر الاعتراف بالفضل للإمام زين العابدين على شيعته ، وإنما تعدى إلى اعدائه ومبغضيه ، فهذا يزيد بن معاوية الذي هو من ألد أعداء أهل البيت (ع) قد اعترف بمواهبه وعبقرياته وذلك حينما الح عليه أهل الشام في أن يخطب الإمام ، فابدى الطاغية مخاوفه منه قائلاً :

« إنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً إنه لا ينزل إلا بفضيحتي ، وفضيحة آل أبي سفيان . . . ».

وقد اعرب بذلك عن مقدرات الإمام العلمية ومواهبه الخطابية ، وأنه يملك من قوة البيان وروعة الاستدلال ما يستطيع به أن يغير الموقف في غير صالح حكومته .

---

(١) بحار الأنوار ٤٦/٣ـ ٤ ، وقريب منه جاء في محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ١٦٦/١ .

(٢) تأريخ اليعقوبي ٤٨/٣ .

١٧ ـ عبد الملك بن مروان :

وهذا عدو آخر من اعداء أهل البيت وهو عبد الملك بن مروان قد اعترف بفضل الإمام وذلك حينما التقى به ، ورأى ذبوله من كثرة العبادة فقال له منبهراً :

« لقد بان عليك الاجتهاد ، ولقد سبق لك من الله الحسنى ، وأنت بضعة من رسول الله (ص) قريب النسب ، وكيد السبب ، وأنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وعصرك ، ولقد أوتيت من الفضل والعلم ، والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ، ولا قبلك إلا من مضى من سلفك . . . »[١] .

١٨ ـ منصور الدوانيقي :

وثمة عدو آخر لأهل البيت (ع) قد اشاد بفضل الإمام عليه السلام وهو المنصور الدوانيقي ، فقد قال في رسالته التي بثها إلى ذي النفس الزكية . ولم يولد فيكم . أي في العلويين ـ بعد وفاة رسول الله (ص) مولود مثله ـ أي مثل زين العابدين[٢] .

١٩ ـ الفرزدق :

وكان الفرزدق شاعر العرب الأكبر ممن غمرته قيم الإمام زين العابدين عليه السلام وآمن بسمو ذاته وقداسته ، وقد انبرى في رائعته الخالدة التي ارتجلها للإشادة بمواهب الإمام وسائر نزعاته وصفاته ، وذلك حينما انكر الطاغية هشام معرفته أمام أهل الشام لئلا يفتتنوا بمعرفته ، فعرفه الفرزدق لهم بقوله :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها : ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يرقى إلى ذروة المجد التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم

---

(١) بحار الأنوار ٤٦/ ٧٥ .

(٢) الكامل للمبرد ٢/ ٤٦٧ العقد الفريد ٥/ ٣١٠ .

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم
بكفه خيزران ريحها عبق ... من كف اروع في عرنينه شمم
من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل امته دانت له الأمم
ينشق نور الهدى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصرها والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدماً وفضله ... جرى بذاك له في لوحه القلم

لقد كان الإمام اعظم صورة رآها الفرزدق في دنيا الشرف والفضائل فهام بحبه والولاء له ، وسنذكر تمام هذه القصيدة في البحوث الآتية .

٢٠ ـ الحميري :

أما السيد الحميري فقد وقف مواهبه لأهل البيت الذين هم معدن الرحمة والفضيلة في الأرض، فلم يترك مأثرة من مآثرهم ، ولا فضيلة من فضائلهم إلا نظمها في البديع من شعره، وقد مدح الإمام زين العابدين عليه السلام بهذا البيت :

ورابعهم علي ذو المساعي ... به للدين والدنيا قوام[1]

٢١ ـ ابن شهاب :

قال ابن شهاب :

« ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين[2].

٢٢ ـ قال ابن زيد :

كان أبي يقول : ما رأيت مثل علي بن الحسين اعظم قط[3].

هؤلاء بعض المعاصرين للإمام (ع) بما فيهم من محبين ومبغضين له قد اجمعوا على أن الإمام صرح من صروح التقوى والعلم في الإسلام .

(١) ديوان الحميري (ص ٣٦).
(٢) المعرفة والتاريخ للبسوي ١/ ٣٦٠.
(٣) المعرفة والتاريخ للبسوي ١/ ٣٦٠ .

المؤرخون :

أما المؤرخون على اختلاف أفكارهم وميولهم فقد اتفقوا على تبجيل الإمام (ع) وتعظيمه، وأنه قد أوتي من المواهب والعبقريات ما رفعته إلى قمة الشرف التي انتهى إليها العظماء من آبائه ، وفيما يلي بعض ما قالوه :

١ ـ ابن عساكر :

قال الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر في ترجمة الإمام (ع) : « كان علي بن الحسين ثقة مأموناً ، كثير الحديث ، عالياً رفيعاً ورعاً . . . »[١] وهذه الصفات من أثمن الصفات وأجلها في دنيا الإسلام .

٢ ـ ابن سعد :

قال محمد بن سعد : « كان علي بن حسين ثقة ، مأموناً ، كثير الحديث ، عالياً رفيعاً ، ورعاً»[٢] لقد اتفق ابن عساكر مع ابن سعد في اضفاء هذه الصفات الرفيعة على الإمام (ع).

٣ ـ ابن حجر العسقلاني :

قال ابن حجر العسقلاني : « علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، زين العابدين، ثقة ثبت ، عابد ، فقيه ، فاضل ، مشهور ، قال ابن عيينة عن الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه »[٣].

٤ ـ ابن حجر الهيثمي :

قال شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي : « وزين العابدين هذا هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة . . . وأضاف يقول: وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح . . . »[٤] لقد كان زين العابدين قد خلف أباه

---

(١) تأريخ دمشق ٣٦/ ١٤٢.
(٢) الطبقات الكبرى ٥/٢٢٢.
(٣) تقريب التهذيب ٢/٣٥.
(٤) الصواعق المحرقة (ص ١١٩).

وورث اعز صفاتـه من العلم والزهـد والعبادة مضـافاً إلى مـا كان يتمتـع به من عظيم التجاوز والعفو عمن اساء إليه .

٥ ـ الذهبي :

قـال محمـد بن أحمـد بن عثمـان الـذهبي : « كـانت لـه ـ أي لـزين العابدين ـ جلالة عجيبة وحق له، والله ذلك ، فقد كان أهلاً لـلإمامـة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله . . . »[١] .

لقد اعترف الذهبي بالواقع المشرق الذي تمتع به الإمام عليه السـلام ، وأنـه أهل لـلإمامـة العظمى وللقيـادة الروحيـة والزمنيـة لهذه الأمـة ، وهي من أسمى المراتب وأهمها في الإسلام .

٦ ـ أبو الفتح :

قـال أبو الفتـح بن صـدقـة : « الإمـام علي بن الحسين بن علي بن أبي طـالب رضوان الله عليهم اجمعـين المعروف بـزين العابـدين ، وهو أحـد الأئمـة الأثني عشر ، ومن سادات التابعين . . . »[٢] .

٧ ـ أبو نعيم :

قال الحافظ أبـو نعيم : « علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليـه السلام زين العابدين ، ومنار القانتين ، كان عابداً وفياً ، وجواداً حفيـاً . . »[٣] لقد تحدث أبو نعيم عن بعض الصفات الماثلـة في الإمام من العبادة والوفـاء والسخاء .

٨ ـ اليعقوبي :

قـال أحمد بن أبي يعقـوب : « كان ـ أي الإمـام زين العابـدين ـ أفضل النـاس ، وأشدهم عبـادة، وكان يُسمى زين العـابدين ، وكـان يُسمى ايضاً ذا

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٠ .
(٢) درر الأبكار (ورقة ٧٠) مصور .
(٣) الحلية ٣/ ١٣٣ .

الثفنات ، لما كان في وجهه من أثر السجود. . . »[1].

لقد كان الإمام زين العابدين من أفضل الناس ، واعظمهم شأناً ، وأكثرهم عبادة وطاعة لله .

٩ ـ الواقدي :

قال الواقدي : « كان ـ أي زين العابدين ـ من أورع الناس ، وأعبدهم واتقاهم لله عزّ وجلّ ، وكان إذا مشى لا يخطر بيده. . . »[2].

لقد نظر الواقدي الى ورع الإمام وعبادته وتقواه وتواضعه ، وهو بهذه الصفات كان من أفضل الناس ، ومن أجلهم .

١٠ ـ صفي الدين :

قال صفي الدين : « كان زين العابدين عظيم الهدى ، والسمت الصالح ، وقد أخرج الخطيب في جامعه عن ابن عباس أن النبي (ص) قال: إن الهدى والسمت الصالح ، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة. . »[3].

١١ ـ النووي :

قال النووي : « واجمعوا على جلالته ـ أي الإمام زين العابدين ـ في كل شيء . . . »[4].

لقد اجمع المسلمون على تعظيم الإمام وإكباره وذلك لما يتمتع به من الصفات الرفيعة التي هي موضع الاعتزاز والفخر لجميع المسلمين.

١٢ ـ عماد الدين :

قال الداعي عماد الدين إدريس القرشي : « كان الإمام علي بن

---

(١) تأريخ اليعقوبي ٣/٤٦.
(٢) البداية والنهاية ٩/ ١٠٤
(٣) وسيلة المآل في عد مناقب الآل (ص ٢٠٨).
(٤) تهذيب اللغات والأسماء ق ١/ ٣٤٣ .

الحسين زين العابدين افضل بيت رسول الله(ص) وأشرفهم بعد الحسن والحسين عليهم جميعاً الصلاة والسلام ، وأكثرهم ورعاً وزهداً وعبادة »[1] .

١٣ ـ ابن عنبة :

قال النسابة الشهير بابن عنبة : « وفضائله ـ أي فضائل الإمام زين العابدين ـ أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف . . . »[2] إن مآثر الإمام زين العابدين وفضائله لا يحيط بها الوصف ، ولا تحصى ، فقد كانت مآثره امتداداً ذاتياً لسيرة آبائه الذين أضاءت هذه الدنيا بمآثرهم وفضائلهم .

١٤ ـ الشيخ المفيد :

قال الشيخ المفيد : « كان علي بن الحسين أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً وقد روى عنه فقهاء العامة من العلوم ما لا يحصى كثرة ، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية ، وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء . . . »[3] .

لقد كان الإمام زين العابدين عليهُ السلام ثروة من ثروات الفكر الإسلامي ، فأشاع العلوم والمعارف في دنيا الإسلام ، وقد روى عنه العلماء ، والفقهاء احكام الإسلام وآداب الشريعة وغير ذلك من مختلف الفنون .

١٥ ـ الجاحظ :

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : « وأما علي بن الحسين فلم أر الخارجي في أمره إلا كالشيعي ، ولم أر الشيعي إلا كالمعتزلي ، ولم ار المعتزلي إلا كالعامي ولم أر العامي إلا كالخاصي ، ولم أجد أحداً يتمارى في تفضيله ، ويشك في تقديمه . . . »[4] .

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار (ص ١٤٤) .
(٢) عمدة الطالب (ص ١٩٣) .
(٣) الارشاد .
(٤) عمدة الطالب (ص ١٩٣ـ ١٩٤) .

ومعنى ذلك أن المسلمين على اختلاف أفكارهم واتجاهاتهم قد أجمعوا على تعظيم الإمام والاعتراف له بالفضل ، وإعلان المودة والولاء له .

١٦ ـ الشراوي :

قال الشراوي : « كان ـ أي الإمام زين العابدين ـ رضي الله عنه عابداً زاهداً ، ورعاً ، متواضعاً ، حسن الأخلاق . . »[١] .

وهذه الصفات هي التي رفعت الإمام إلى قمة المجد ، وجعلت الناس قد هاموا بحبه وبالاخلاص له .

١٧ ـ القليوبي :

قال أحمد القليوبي الشافعي : « فضائله ـ أي فضائل الإمام ـ أكثر من أن تحصى ، أو يحيط بها الوصف . . »[٢] .

١٨ ـ ابن تيمية :

وحتى ابن تيمية المنحرف عن أهل البيت والمعادي لهم قد اعترف بفضل الإمام وسمو منزلته ومكانته قال : « أما علي بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً . . . وله من الخشوع وصدقة السر وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف . . »[٣] .

١٩ ـ الشيخاني :

قال الشيخاني القادري : « سيدنا زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب اشتهرت آياديه ومكارمه ، وطارت بالجو في الجود محاسنه عظيم

---

(١) الاتحاف بحب الاشراف (ص ٤٩) .
(٢) تحفة الراغب (ص ١٣) .
(٣) منهاج السنة ٢/١٢٣ الطبعة الأولى .

القدر ، رحب الساحة والصدر ، وله الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة ، وثبت بالآثار المتواترة . . »[1] .

لقد تحدثت الركبان عن فضائل الإمام زين العابدين ومآثره ومناقبه ، واشتهر بين الناس مكارمه وفضائله ، مضافاً لذلك ما منحه الله من الكرامات التي يمنحها المخلصين من عباده .

٢٠ ـ ابن خلكان :

قال ابن خلكان : « هو ـ أي الإمام زين العابدين ـ أحد الأئمة الإثني عشر ، ومن سادات التابعين ، قال الزهرى : « ما رأيت قرشياً أفضل منه »[2] .

٢١ ـ ابن شدقم :

قال ابن شدقم : « الإمام الحبر ، الزاهد علي بن الحسين زين العابدين . . »[3] .

٢٢ ـ المنوفى :

قال السيد محمود المنوفى : « كان زين العابدين عابداً ، وفياً ، وجواداً صفياً وكان إذا مشى لا تجاوز يده فخذه . . »[4] .

---

(١) الصراط السوي (ورقة ١٩) مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين .
(٢) وفيات الأعيان ٢ / ٤٢٩ .
(٣) زهرة المقول (ص ٦) .
(٤) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ٢ / ٧١ .

الأوسط زين العابدين الملقب بالسجاد . . . وهو أول سبط[1] من أسباط الحسين ورابع معصوم على رأي الإثني عشرية ، وزاهد على رأي غيرهم . . »[2] .

٢٤ ـ المناوي :

قال المناوي : « زين العابدين إمام سند اشتهرت أياديه ، ومكارمه ، وطارت بالجو في الوجود حمائمه ، كان عظيم القدر ، رحب الساحة والصدر ، رأساً لجسد الرياسة ، مؤملاً للإيالة[3] والسياسة . . »[4] .

إن الصفات العظيمة التي اتصف بها الإمام عليه السلام رشحته بإجماع المسلمين إلى الإمامة والقيادة العامة ، وإدارة شؤون المسلمين ، فليس في عصره من يدانيه أو يشابهه في نزعاته الخيرة وملكاته العظيمة .

٢٥ ـ محمد بن طلحة :

قال كمال الدين محمد بن طلحة القرشي الشافعي : « هذا زين العابدين ، قدوة الزاهدين وسيد المتقين ، وإمام المؤمنين ، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله (ص) وسمته يثبت قربه من الله ، وثفناته تسجل له كثرة صلاته وتهجده ، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها ، درت له أخلاف التقوى فتفوقها وأشرقت له أنوار التأبيد فاهتدى بها ، وألفته أوراد العبادة فآنس بصحبتها ، وحالفته وظايف الطاعة فتحلى بحليتها ، طالما اتخذ الليل مطية ركبها لقطع طريق الآخرة ، وظمأ الهواجر دليله استرشد به في منارة المسافر ، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة ، وثبت بالآثار المتواترة انه من ملوك الآخرة . . »[5] .

---

(١) السبط هو الولد على ما ذكره ابن الأعرابي .

(٢) النفحة العنبرية مصور .

(٣) الإيالة : سياسة الرعية وتدبير شؤونها .

(٤) الكواكب الدرية ٢/١٣٩ .

(٥) مطالب السؤول ٢/٤١ .

٢٦ ـ محمد بن سعد :

قال محمد بن سعد : « كان ـ أي الإمام زين العابدين ـ ثقة مأموناً ، كثير الحديث عالياً ، رفيعاً ، ورعاً . . »[١] .

٢٧ ـ السيد عباس :

قال السيد عباس الموسوى : « كان زين العابدين أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم ريحاً ، وأكرمهم نفساً ، وأعلاهم حسباً ، وأعظمهم شرفاً . . »[٢] .

٢٨ ـ السيد محسن :

قال السيد محسن الأمين العاملي : «كان ـ أي الإمام زين العابدين ـ أفضل أهل زمانه ، وأعلمهم ، وأفقههم ، وأورعهم ، وأعبدهم ، وأكرمهم ، وأحلمهم ، وأصبرهم ، وأفصحهم ، وأحسنهم أخلاقاً ، وأكثرهم صدقة ، وأرأفهم بالفقراء ، وأنصحهم للمسلمين ، كان معظماً عند القريب والبعيد ، والولي والعدو ، حتى ان يزيد بن معاوية لما أمر أن يبايعه أهل المدينة على أنهم عبيد وخول لم يستثن من ذلك إلا علي بن الحسين فأمر أن يبايعه على أنه أخوه وابن عمه . . »[٣] .

لقد اتصف الإمام عليه السلام بجميع الصفات العظيمة فما من فضيلة يمتاز بها الإنسان ويشرف بها إلا وهي من صفاته وفضائله فهو كما قيل :

خلقت مهذباً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

٢٩ ـ النويرى :

قال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى : « كان علي بن

---

(١) البداية والنهاية ٩/١٠٤ .
(٢) نزهة الجليس ٢/٢٤ .
(٣) أعيان الشيعة ٤/ق ١/٣٠٨ .

الحسين رحمه الله ثقة ورعاً ، مأموناً ، كثير الحديث من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة . . . »[1] .

٣٠ ـ الشافعي :

قال الإمام الشافعي : « إن علي بن الحسين أفقه أهل المدينة . . »[2] .

٣١ ـ علي بن عيسى الأربلي :

قال أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي : « مناقب الإمام علي بن الحسين تكثر النجوم عدداً ، ويجري واصفها إلى حيث لا مدى ، وتلوح في سماء المناقب كالنجوم لمن بها اهتدى، وكيف لا وهو يفوق العالمين إذا عدا عليا وفاطمة والحسن والحسين ومحمداً ، وهذا تقديم لسجع في الطبع فلا تكن متردداً ، ومتى أعطيت الفكر حقه وجدت ما شئت فخاراً وسؤدداً ، فإنه الإمام الرباني ، والهيكل النوراني ، بدل الأبدال ، وزاهد الزهاد ، وقطب الأقطاب وعابد العباد ، ونور مشكاة الرسالة ، ونقطة دايرة الإمامة ، وابن الخيرتين ، والكريم الطرفين ، قرار القلب ، وقرة العين علي ابن الحسين، وما أدراك ما علي بن الحسين ؟ !! الأواه الأواب، العامل بالسنة والكتاب ، الناطق بالصواب ، ملازم المحراب ، المؤثر على نفسه ، المرتفع في درجات المعارف ، فيومه يفوق على أمسه ، المتفرد بمعارفه ، الذي فضل الخلائق بتليده وطارفه ، وحكم في الشرف فتسنم ذروته ، وخطر في مطارفه ، وأعجز بما حواه من طيب المولد ، وكريم المحتد ، وذكاء الأرومة ، وطهارة الجرثومة ، عجز عنه لسان واصفه ، وتفرد في خلواته بمناجاته ، فتعجبت الملائكة من مواقفه ، وأجرى مواضعه خوف ربه ، فأربى على هامي الصوب وواكفه[3] فانظر أيدك الله في أخباره ، والمح بعين

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢١/٣٢٤ .

(٢) رسائل الجاحظ (ص ١٠٦) نهج البلاغة ١٥/٢٧٤ .

(٣) الصوب : المطر ، والواكف : المطر المنهل .

الإعتبار عجائب آثاره ، وفكر في زهده وتعبده وخشوعه ، وتهجده ودؤوبه في صلاته وأدعيته في أوقات مناجاته ، واستمراره على ملازمة عبادته ، وإيثاره وصدقاته، وعطاياه وصلاته ، وتوسلاته التي تدل مع فصاحته وبلاغته على خشوعه لربه ، وضراعته ووقوفه موقف العصاة مع شدة طاعته واعترافه بالذنوب على براءة ساحته ، وبكائه ونحيبه، وخفوق قلبه من خشية الله ، ووجيبه ، وانتصابه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وجر على الأرض ذيوله ، مناجياً ربه تقدست أسماؤه ، مخاطباً له تعالى ، ملازماً بابه عز وجل ، مصوراً نفسه بين يديه ، معرضاً عن كل شيء ، مقبلاً عليه ، قد إنسلخ من الدنيا الدنية ، وتعرى من الجثة البشرية ، فجسمه ساجد في الثرى وروحه متعلقة بالملأ الأعلى ، يتململ إذا مرت به آية من آيات الوعيد حتى كأنه المقصود بها ، وهو عنها بعيد ، تجد أموراً عجيبة وأحوالاً غريبة ، ونفساً من الله سبحانه قريبة ، وتعلم يقيناً لا شك فيه ولا إرتياب ، وتعرف معرفة من قد كشف له الحجاب ، وفتحت له الأبواب ان هذه الثمرة من تلك الشجرة ، كما ان الواحد جزء من العشرة وان هذه النطفة العذبة من ذلك المعين الكريم ، وان هذا الحديث من ذلك القديم ، وان هذه الدرة من ذلك البحر الزاخر ، وان هذا النجم من ذلك القمر الباهر ، وان هذا الفرع النابت من ذلك الأصل الثابت ، وان هذه النتيجة من هذه المقدمة ، وان خليفة محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة المكرمة المعظمة هذا أصله الطاهر . . . »[1] .

وألم العلامة المحقق الأربلي بأبرز صفات الإمام عليه السلام التي هي من مواضع الإعتزاز والفخر لكل مسلم ، لقد كانت صفاته المشرقة امتداداً ذاتياً لنزعات آبائه وصفاتهم التي غيروا بها مجرى تاريخ الإنسان فقد أضاؤا له الطريق ، وأرشدوه إلى معالم الحق بعدما كان تائهاً في ميادين سحيقة من مجاهل هذه الحياة .

إن فضائل الإمام عليه السلام ومآثره لا يحيط بها الوصف ، ولا يستوفيها

---

(١) كشف الغمة في ترجمة علي بن الحسين .

البيان ، فهو فرع من شجرة النبوة ، ودوحة الإمامة التي أودع الله فيها الكمال المطلق لتكون مناراً للحق في الأرض .

٣٢ ـ البستاني :

قال البستاني : « زين العابدين هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، ولكثرة عبادته لقب بزين العابدين ، ولقب أيضاً بسيد العابدين ، والزكي والأمين ، وذي الثفنات . . »[١] .

٣٣ ـ وجدي :

قال محمد فريد وجدي : « زين العابدين هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، المعروف بزين العابدين ، ويقال له علي الأصغر ، وليس للحسين بن علي عقب إلا من ولد زين العابدين . . . هو أحد الأئمة الإثني عشر في مذهب الإمامية ، كان من سادات التابعين ورؤسائهم . . »[٢] .

٣٤ ـ اغابزرك :

قال شيخ المحققين الشيخ محمد حسن الشهير باغابزرك الطهراني : « الإمام زين العابدين ، وسيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام رابع أئمة الشيعة الإمامية ، الذي اتفق مؤرخو الإسلام على أنه من أشهر رجال التقوى ، والزهد والعبادة . . »[٣] .

٣٥ ـ ابن الجوزي :

قال ابن الجوزي : « هذا زين العابدين ، وقدوة الزاهدين ، وسيد

(١) دائرة معارف البستاني ٩/ ٣٥٥ .
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٤/ ٧٩٣ .
(٣) الذريعة ١٣/ ٣٤٥ .

المتقين ، وإمام المؤمنين ، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله (ص) وسمته يثبت مقام قربه من الله زلفى ، وثفناته تسجل له كثرة صلاته وتهجده ، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده . . »[1] .

٣٦ ـ تاج الدين :

قال تاج الدين بن محمد بن حمزة الحسيني نقيب حلب : « كان علي ابن الحسين سيد بني هاشم ، وموضع علمهم ، والمشار إليه منهم . . »[2] .

٣٧ ـ عارف تامر :

قال عارف تامر : « اشتهر ـ أي الإمام زين العابدين ـ بالزهد والعبادة ولم يك يوجد من يماثله في هذه الصفات ، ولذلك لقب بزين العابدين والسجاد »[3] .

٣٨ ـ الزركلي :

قال خير الدين الزركلي : « علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، الملقب بزين العابدين : رابع الأئمة الأثني عشر عند الإمامية ، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع ، يقال له « علي الأصغر » للتمييز بينه وبين أخيه « علي الأكبر » . . »[4] .

٣٩ ـ أحمد محمود صبحي :

قال الدكتور أحمد محمود صبحي : « هذا هو علي بن الحسين ، ورث إمامته من انتسابه إلى فاطمة الزهراء ، ورسم للشيعة طريق الإمامة الروحية ،

---

(١) تذكرة الخواص .
(٢) غاية الاختصار (ص ١٠٦) .
(٣) الإمامة في الإسلام (ص ١١٦) .
(٤) الأعلام ٥/٨٦ .

وطبع التشيع بطابع الحزن المقيم ، والبكاء المتصل على الحسين ، وعكف على العبادة ، فسمي بالسجاد ، وكني بزين العابدين ، وانتسب إلى النبي (ص) وإلى كسرى فعرف بابن الخيرتين . . »[1] .

ولا بد لنا من وقفة قصيرة مع الدكتور أحمد صبحي فيما أفاده ، فقد ذكر أن الإمام زين العابدين (ع) قد ورث الإمامة من جهة انتسابه إلى جدته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين فإن ذلك لا واقع له لأن الإمامة ليست خاضعة لعملية المواريث ، وإنما هي خاضعة للنص ، وهي بيد الله تعالى فهو الذي يختار لهذا المنصب الرفيع من يشاء من عباده ممن تتوفر فيه النزعات الخيرة والصفات العظيمة ، وهذا هو ما تذهب إليه الشيعة وتدلل عليه في كتبهم الكلامية ، كما ان الإمام زين العابدين عليه السلام ليس هو الذي طبع التشيع بطابع الحزن على الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة ، وإنما كانت رزية كربلاء التي تذوب من هولها القلوب هي التي طبعت التشيع بعالم الأسى والحزن ، وكان الإمام زين العابدين في طليعة المتأثرين بها لأنه شاهد فصولها الحزينة .

٤٠ ـ أحمد فهمي :

قال الشيخ أحمد فهمي : « كان أي الإمام زين العابدين ـ أفضل أهل زمانه ، وأعلمهم ، وأفقههم ، وأورعهم ، وأعبدهم ، وأكرمهم ، وأحلمهم ، وأفصحهم لساناً ، وأكرمهم احساباً ، يحدب على الفقراء ويعين الضعفاء . . . »[2] .

٤١ ـ حسين علي محفوظ :

قال الدكتور حسين علي محفوظ : « كان زين العابدين أفضل خلق

---

(١) نظرية الإمامة (ص ٣٠٧) .
(٢) الإمام زين العابدين (ص ٦٥) .

الله ـ بعد أبيه ـ علماً وعملاً ، وكان أقرب أهل البيت عليهم السلام شبهاً بأمير المؤمنين في لباسه وفقهه وعبادته . . »[1] .

نقاط مهمة :

وحفلت كلمات الأعلام من المعاصرين للإمام ، ومن المؤرخين بنقاط مهمة من بينها ما يلي :

أولاً : ـ ان الإمام كان أفقه علماء عصره ، وأكثرهم دراية وإحاطة بشؤون الشريعة وأحكام الدين .

ثانياً : ـ أنه أفضل هاشمي ، بل وأفضل قرشي في عصره ، وذلك لما يتمتع به من الصفات الكريمة ، والمثل العليا التي قل أن تتوفر بعضها في أي إنسان عدا آبائه .

ثالثاً : ـ أنه أفضل أهل زمانه ، وأعلاهم شأناً ومكانة ، وذلك لنسبه الرفيع ، فهو ابن الخيرتين ، مضافاً إلى عبقرياته ، ومواهبه العظيمة .

رابعاً : ـ أنه من أزهد الناس ، وأكثرهم إعراضاً عن مباهج الحياة الدنيا وزينتها ، فلم يحفل ولم يعن بها .

خامساً : ـ أنه من أورع الناس ، ومن أكثرهم تقوى ، وحريجة في الدين .

سادساً . ـ أنه سراج الدنيا ، وجمال الإسلام[2] وذلك لسيرته الندية العاطرة التي هي نفحة من نفحات النبوة والإمامة .

سابعاً . ـ أنه من أحسن الناس ، وأطيبهم ريحاً ، وأكرمهم نفساً ، وأعظمهم شرفاً .

---

(١) مجلة البلاغ العدد ٧/السنة الأولى (ص ٥٤) .

(٢) وصفه بذلك عمر بن عبد العزيز .

ثامناً : ـ أنه من أفصح الناس ، وأعظمهم بلاغة ، فقد كانت أدعيته ومواعظه وكلماته الحكمية من مناجم الأدب العربي ، ومن أنفس الذخائر الثقافية في دنيا الإسلام .

تاسعاً : ـ أنه من أبر الناس بالفقراء ، ومن أكثرهم عطفاً وحناناً على البؤساء والمحرومين .

عاشراً : ـ أنه من أعبد الناس ، وأكثرهم طاعة لله ، فليس هناك من يضارعه في عبادته وطاعته لله عدا آبائه .

الحادي عشر . ـ أنه من أحسن الناس أخلاقاً ، فقد كان يضارع جده الرسول (ص) في سمو أخلاقه وآدابه .

الثاني عشر . ـ أنه أهل للرياسة ، وزعامة الأمة ، وقيادتها الروحية والزمنية .

الثالث عشر : ـ أن المسلمين قد اجمعوا على تعظيمه ، والاعتراف له بالفضل وليس هناك أي أحد من مناوئيه من يخدش به أو ينال منه .

هذه بعض النقاط التي احتوت عليها كلمات المعاصرين للإمام ، والمؤرخين له على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم ، وهي تدلل على سمو الفكرة التي تذهب إليها الشيعة من أن الإمام لا بد أن يكون أفضل أهل زمانه وأعلمهم .

مع رزايا كربلاء

وعاش الإمام زين العابدين عليه السلام المحنة القاسية التي عاشها أبوه الإمام الحسين عليه السلام أيام حكومة معاوية ويزيد ، وشاركه في آلامه وشجونه ، وكان من أشق ما عاناه الإمام الحسين في تلك الحقبة السوداء أنه رأى السياسة الأموية قد اتجهت في مسارها إلى ضرب الإسلام ، وإبادة ركائزه وقواه ، والعمل على انحطاط الإنسان المسلم ، وشل نشاطاته الفكرية والعقلية ، والحيلولة بينه وبين مبادىء دينه العظيم ، ولم يستطع الإمام في أيام معاوية أن يفجر ثورته الكبرى ، وذلك لعلمه بفشلها وعدم استطاعتها على تغيير الأوضاع القائمة في البلاد ، لأن معاوية كان يتمتع بدبلوماسية قوية و حكمة يستحيل التغلب عليه ، وإفشال مخططاته ، ولكن لما هلك هذا الطاغية ، وتسلم من بعده يزيد مقاليد الحكم رأى الإمام الحسين عليه السلام أن واجبه الديني يقضي عليه بمناجزة يزيد وإسقاط حكومته حفظاً لمصالح المسلمين ، ورعاية لحقوقهم ، ووفاءً لمبادىء دين جده العظيم فأعلن عليه السلام ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب ، وجعلها عبرة لأولي الألباب ، ونعرض - بإيجاز - إلى لقطات من تلك الثورة ، وما رافقها من الأحداث المروعة ، والتي كانت بمرأى ومسمع من الإمام زين العابدين عليه السلام ، وبالرغم مما كان يعانيه من شدة المرض إلا أنه استوعب جميع فصول تلك المأساة بإحساسه المرهف ، وعاطفته اليقظة ، وفيما يلي ذلك .

على صعيد كربلاء :

وانتهى موكب العترة الطاهرة التي تبنت حقوق المظلومين والمضطهدين إلى صعيد كربلا ، وقد تواكبت عليهم المحن والخطوب ، وألمت بهم الرزايا والكوارث ، وأيقنوا بالرزء القاصم ، فقد أحاطت بهم قوى البغي والعدوان وهي مصممة على إراقة دمائهم ، أو إخضاعهم إلى الذل والهوان ، ويأبى الله لهم ذلك .

ونظر الإمام الحسين عليه السلام إلى الفتية من أهل بيته وهم في نضار العمر وريعان الشباب ، فأغرق في البكاء وراح يقول :

« اللهم انا عترة نبيك محمد (ص) قد أخرجنا ، وطردنا ، وأزعجنا عن حرم جدنا وتعدت بنو أمية علينا ، اللهم فخذ لنا بحقنا ، وانصرنا على القوم الظالمين . . » .

ثم خاطب الأبطال من أهل بيته وأصحابه قائلاً :

« الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قلَّ الديانون . . »[1] .

وحكت هذه الكلمات المشرقة الواقع العملي من حياة الناس في جميع مراحل التاريخ ، فهم عبيد الدنيا في كل زمان ومكان ، أما الدين ، فلا ظل له في أعماق قلوبهم ، فإذا دهمتهم الكوارث تنكروا له ، وابتعدوا عنه ، فكان حقاً لعقاً على ألسنتهم .

والتفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم :

« أما بعد : فقد نزل بنا ما قد ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت ، وتنكرت ، وادبر معروفها ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل[2] ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٩٧ .

(٢) المرعى الوبيل : هو الطعام الوخيم الذي يخاف وباله .

المؤمن في لقاء الله ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً . . »[1] . وأعرب في هذا الخطاب عما نزل به من صنوف المحن والبلاء ، وان منطق الدنيا معهم قد تغير ، فقد ساقت لهم المقادير ، صنوفاً مرهقة من الخطوب ، ولكن حفيد النبي (ص) العظيم لم يعبأ ولم يحفل بها ، لأنه على بصيرة من أمره ، فهو يرى الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ، وقد عادت له الحياة كريهة والموت والشهادة في سبيل الله سعادة .

ولما أنهى خطابه هبَّ أصحابه جميعاً ، وهم يضربون أروع الأمثلة للتضحية والفداء من أجل إقامة الحق والعدل ، وقد تكلم كل واحد منهم بكلمة الإخلاص فشكرهم الإمام وأثنى عليهم .

الإمام ينعي نفسه :

وفي ليلة العاشر من المحرم دخل الإمام الحسين عليه السلام إلى خيمته ، وجعل يعالج سيفه ويصلحه ، وقد أيقن بالقتل ، وهو يقول :

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل ... وكل حي سالك سبيلي

وقد نعى نفسه العظيمة بهذه الأبيات ، وكان في الخيمة الإمام زين العابدين وحفيدة النبي (ص) زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما سمع الإمام زين العابدين عرف ما أراده أبوه فخنقته العبرة ، ولزم السكوت وعلم أن البلاء قد نزل ـ حسبما يقول ـ وأما عقيلة بني هاشم فقد أحست أن شقيقها وبقية أهلها عازمون على الموت ، ومصممون على الشهادة فأمسكت قلبها في ذعر ، ووثبت وهي تجر ثوبها ، وقد فاضت عيناها بالدموع ، فوقفت أمام أخيها ، وقالت له بنبرات لفظت فيها شظايا قلبها :

---

(١) معجم الطبراني ، تاريخ ابن عساكر ٧٤/١٣ .

« واثكلاه ! واحزناه ، ليت الموت أعدمني الحياة ، ياحسيناه ، ياسيداه ، يا بقية أهل بيتاه ، استسلمت ، ويئست من الحياة ، اليوم مات جدي رسول الله (ص) وأمي فاطمة الزهراء ، وأبي علي ، وأخي الحسن ، يا بقية الماضين وثمال الباقين . . . » .

فنظر إليها برفق وحنان ، وقال لها :

« يا أخية لا يذهبن بحلمك الشيطان . . » .

وإنبرت العقيلة إلى أخيها ، وهي شاحبة اللون ، قد مزق الأسى قلبها الرقيق المعذب ، فقالت له :

« أتغتصب نفسك اغتصاباً ، فذاك أطول لحزني ، وأشجى لقلبي » .

ولم تملك صبرها بعدما أيقنت أن شقيقها مقتول ، فعمدت إلى جيبها فشقته ، ولطمت وجهها ، وخرت على الأرض فاقدة لوعيها ، وشاركتها السيدات من عقائل الوحي في المحنة القاسية ، وصاحت أم كلثوم :

« وامحمداه ، واعلياه ، وأأماه ، واحسيناه ، واضيعتنا بعدك . . » .

وأثر المنظر الرهيب في نفس الإمام الحسين ، فذاب قلبه أسى وحسرات ، وتقدم إلى السيدات من بنات الوصي فجعل يأمرهن بالخلود إلى الصبر ، والتحمل لأعباء هذه المحنة الكبرى قائلاً :

« يا أختاه ، يا أم كلثوم ، يا فاطمة ، يا رباب ، أنظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن علي جيباً ، ولا تخمشن وجهاً ، ولا تقلن هجراً . . »[1] .

لقد أمرهن بالخلود إلى الصبر ، والتجمل به ، واجتناب هجر الكلام أمام المحن القاسية التي ستجري عليهن .

يوم عاشوراء :

وليس هناك حادث في التاريخ يضارع في كوارثه وآلامه مثل ما جرى

---

(١) حياة الإمام الحسين ١٧٢/٣ - ١٧٣ .

على الإمام الحسين في يوم عاشوراء ، فلم تبق محنة من محن الدنيا ، ولا كارثة من كوارث الدهر إلا جرت على ريحانة رسول الله (ص) وقد تحدث الإمام زين العابدين عليه السلام عن ذلك اليوم العصيب الخالد في دنيا الأحزان قال :

« ما من يوم أشد على رسول الله (ص) من يوم أحد قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤتة قُتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب ، ثم قال : ولا يوم كيوم الحسين إذ دلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه ، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً . . »[1] .

وليس في دنيا الإسلام على امتداد التاريخ يوم أشد وأقسى من يوم الحسين عليه السلام فقد ثار هذا الإمام العظيم ليقيم في هذا الشرق معالم الحياة الكريمة ويوفر الحرية والرخاء والأمن والاستقرار لجميع شعوب العالم ، وقد وقفت في وجهه أولئك الصعاليك من حثالة البشرية ، فأراقت دمه الزاكي في وحشية قاسية لم يشاهد التأريخ لها مثيلاً في فظاعتها ومرارتها وقد اقترفت هذه الجرائم لتعيش هي تحت كابوس من العبودية والظلم والجور .

خطبة الإمام :

فقبل أن تندلع نار الحرب رأى الإمام العظيم أن يقيم الحجة على أولئك الممسوخين ويسد أمامهم كل عذر ، ويجعلهم على بصيرة وبينة من أمرهم ، فقد دعا عليه السلام براحلته فركبها ، واتجه نحوهم ، وهو بتلك الهيبة التي تحكي هيبة جده رسول الله (ص) فخطب فيهم خطابه التأريخي الذي هو من أبلغ وأروع خطاب ورد في الكلام العربي ، وقد نادى بصوت عالٍ يسمعه جلهم قال :

---

(١) بحار الأنوار ١٤٧/٩ .

« أيها الناس اسمعوا قولي ، ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي ، وحتى أعتذر إليكم ، من مقدمي عليكم ، فإن قبلتم عذري ، وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم علي سبيل ، وإن لم تقبلوا مني العذر ، ولم تعطوا النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . . » .

ونقل الأثير كلماته إلى السيدات من عقائل النبوة ، وحرائر الوحي فتصارخن بالبكاء ، وارتفعت أصواتهن ، فبعث إليهن أخاه العباس وابنه عليا ، وقال لهما : سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن ، ولما سكتن استرسل في خطابه فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي (ص) وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ، ولم يسمع لا قبله ، ولا بعده أبلغ منه في منطقه[1] وقال :

« أيها الناس : إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور من غرته ، والشقي من فتنته ، فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها ، وتخيب طمع من طمع فيها ، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحل بكم نقمته ، فنعم الرب ربنا ، وبئس العبيد أنتم ، أقررتم بالطاعة ، وآمنتم بالرسول محمد (ص) ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم ، فتباً لكم ولما تريدون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين . . » .

لقد وعظهم بهذه الكلمات ، فحذرهم من فتنة الدنيا وغرورها ، ودلل على عواقبها الخاسرة ، وأهاب بهم من الإقدام على قتل عترة نبيهم ، فإنهم بذلك يخرجون من الإسلام إلى الكفر ويستوجبون عذاب الله ونقمته ، ثم استرسل الإمام العظيم في خطابه قائلاً :

---

(١) الطبرى ٦/٢٤٢ .

« أيها الناس انسبوني من أنا ؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم ، وابن وصيه وابن عمه ، ؟ وأول المؤمنين بالله ، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه ، أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أوليس جعفر الطيار عمي ؟ أولم يبلغكم قول رسول الله (ص) لي ولأخي ! « هذان سيدا شباب أهل الجنة » فإن صدقتموني بما أقول : وهو الحق ، والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ، ويضر به من اختلقه ، وإن كذبتموني فإن فيكم من إذا سألتموه أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ،وأبا سعيد الخدري ، وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (ص) لي ولأخي ، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ » .

وكان خليقاً بهذا الخطاب أن يرجع إلى قطعات ذلك الجيش عوازب أحلامه ، ويحدث انقلاباً عسكرياً في صفوفهم ، لقد دعاهم ليرجعوا إلى نفوسهم وعقولهم لو كانوا يملكونها ، فيمعنوا النظر في شأنه ، فهو حفيد نبيهم ، وابن وصيه ، وألصق الناس وأمسهم رحماً بالنبي (ص) وهو سيد شباب أهل الجنة ، وفي ذلك حصانة له من سفك دمه ، وانتهاك حرمته ، إلا أن ذلك الجيش لم يع هذا المنطق الفياض ، فقد خلد إلى الجريمة ، وغرق في الضلال .

وانبرى إليه الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوشن فقال له :

« هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول . . » .

وتصدى لجوابه حبيب بن مظاهر وهو من ذخائر الإيمان والإسلام فقال له :

« والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً ، وأنا أشهد أنك صادق ، ما تدري ما يقول : قد طبع الله على قلبك . . »

واستمر الإمام العظيم في خطابه فقال :

« فإن كنتم في شك من هذا القول ، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ، ولا في غيركم ، ويحكم أتطلبونني بقتيل منكم قتلته ، أو مال استهلكته ، أو بقصاص جراحة . . » .

وزلزلت الأرض تحت أقدامهم ، وغدوا حيارى لا يملكون جواباً لرده ، ثم نادى الإمام عليه السلام قادة الجيش من الذين كاتبوه بالقدوم لمصرهم فقال :

« يا شبث بن ربعي ، ويا حجار بن ابحر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا زيد بن الحرث ، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار ، واخضر الجناب ، وإنما تقدم على جند لك مجندة . . » .

ولم تخجل تلك الذوات القذرة من خيانة العهد ونقض الميثاق ، فأجابوه مجمعين على الكذب :

« لم نفعل . . » .

واستغرب الإمام منهم ذلك فقال :

« سبحان الله ، بلى والله لقد فعلتم . . » .

وأشاح الإمام بوجهه عنهم ، ووجه خطابه إلى قطعات الجيش فقال لهم :

« أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض » . .

وانبرى إليه قيس بن الأشعث وهو من ركائز الإثم والباطل في الكوفة ، ومن أسرة لم تنجب شريفاً قط فقال له :

« أولا تنزل على حكم بني عمك ؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب ، ولن يصل إليك منهم مكروه . . » .

فأجابه الإمام :

« أنت أخو أخيك ؟ أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أفر فرار العبيد[1] عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون ، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب . . »[2] .

ومن المؤسف أن هذا الخطاب النير لم ينفذ إلى قلوبهم ، فقد ختم الجهل على قلوبهم فكانوا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً .

الحرب :

ولما فشلت جميع الوسائل التي اتخذها الإمام لصيانة السلم وعدم سفك الدماء أعلن ابن سعد الحرب العامة على الإمام ، فقد زحف إلى مقربة من معسكر الإمام ، وأخذ سهماً فأطلقه صوب الإمام وهو يصيح :

« إشهدوا لي عند الأمير اني أول من رمى معسكر الحسين . . » .

لقد طلب الباغي اللئيم من الجيش أن يشهدوا له عند أميره وسيده ابن مرجانة انه أول من رمى معسكر الحق والكرامة والشرف ، وتتابعت السهام كأنها المطر من رماة جيشه على الحسين وأصحابه ، فلم يبق أحد منهم إلا أصيب بسهم ، والتفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم : « قوموا يا كرام فهذه رسل القوم إليكم . . » .

وتقدمت طلائع الحق من أصحاب الإمام إلى ساحة الحرب ، وبدأت بذلك المعركة بين المعسكرين ، وهي من أعنف المعارك ، التي جرت على الأرض .

مصارع الأبرار :

والتحم معسكر الحق مع جيوش الضلال والباطل ، وقد تسابق أصحاب

---

(١) وفي رواية « ولا أقر لكم إقرار العبيد » .
(٢) حياة الإمام الحسين ٣/١٨٤ - ١٨٨ .

الإمام الحسين مع أهل بيته بشوق ورغبة إلى الموت ، ليظفروا بالنعيم الدائم ، وقد قادوا بذلك حركة الإيمان ، ولم تضعف لأي واحد منهم عزيمة الإيمان ، وقد دللوا بتضحياتهم الهائلة على عظمة الإسلام الذي منحهم تلك الروح الوثابة التي استطاعوا بها ـ على قلتهم ـ أن يقابلوا تلك الوحوش الكاسرة ، وينزلوا بها أفدح الخسائر .

لقد أبدى أصحاب الحسين وأهل بيته من صنوف البسالة والشجاعة ما يفوق حد الوصف والإطراء ، خصوصاً أبا الفضل العباس عليه السلام ، فقد واسى أخاه الحسين ، وفداه بروحه ، وليس في تاريخ الإنسانية في جميع مراحلها أخوة أصدق ، ولا أنبل ولا أوفى من تلك الأخوة ، وقد أشاد الإمام زين العابدين عليه السلام بها قال عليه السلام :

« رحم الله عمي العباس ، فلقد آثر وأبلى ، وفدى أخاه بنفسه ، حتى قطعت يداه ، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة ، كما جعل لجعفر بن أبي طالب ، وإن للعباس منزلة ، عند الله تعالى يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة . . »[1] .

وكان أبو الفضل العباس هو آخر من قتل من اخوة الحسين ، وقد وقف الإمام (ع) على الجثمان المقدس ، وهو يلفظ شظايا قلبه الذي مزقته الكوارث قائلاً :

« الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي . . » .

وشعر الإمام بالوحدة والضيعة بعد فقده لأخيه الذي لم يترك لوناً من ألوان البر والمواساة إلا قدمها له ، وقد أتينا على أخبار شهادته وعظيم رزية الإمام بها في كتابنا (حياة الإمام الحسين) .

إستغاثة الإمام :

وألقى الإمام الممتحن نظرة مشفوعة بالأسى والحسرة على أهل بيته

(١) البحار ١٤٧/٩ .

وأصحابه فرآهم مجزرين كالأضاحي على رمال كربلاءا تصهرهم الشمس ، وسمع عياله ، وقد ارتفعت أصواتهن بالعويل والبكاء يندبن قتلاهن ، ولا يعرفن ماذا سيجري عليهن بعد قتل الحسين ، وقد أثر ذلك على الإمام تأثيراً بالغاً فأخذ يستغيث ، ويطلب الناصر والمعين ليحامي عن حرم رسول الله (ص) قائلاً :

« هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله (ص) ؟ هل من موحد يخاف الله فينا ؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا ؟ . . »[1] .

ولما سمع الإمام زين العابدين هذه الاستغاثة المثيرة ، وثب من فراش المرض وجعل يتوكأ على عصا لشدة مرضه ، فبصر به الحسين ، فصاح بأخته السيدة أم كلثوم : احبسيه لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد ، وبادرت إليه عمته فأرجعته إلى فراشه وأخذ يعاني من الآلام النفسية أكثر مما يعاني من آلام مرضه ، فقد طافت به المحن والخطوب ، فهو يرى الكواكب المشرقة من اخوته وأبناء عمومته صرعى على الأرض ، ويرى أصحابهم الأوفياء مجزرين كالأضاحي ، ويرى أباه وقد أحاط به أعداء الله قد صمموا على قتله ، ويرى عقائل الوحي ، ومخدرات الرسالة في حالة من الذعر والخوف ما لا سبيل إلى تصويره ، وقد قابل تلك الكوارث المفزعة بالصبر ، وتفويض أمره إلى الله .

مصرع الإمام العظيم :

وأحاط الجفاة الجناة بريحانة رسول الله (ص) وهم يوسعونه ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ، ورمياً بالحجارة، وقد أعياه نزف الدم ، وبادر المجرم الخبيث شمر بن ذي الجوشن ، فاحتز رأس الإمام عليه السلام ، ويقول الرواة : انه كان على شفتيه ابتسامة الرضا والنصر الذي أحرزه الإمام إلى الأبد .

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/ ٢٧٤ .

لقد استشهد الإمام من أجل أن يقيم في ربوع هذا الشرق دولة الحق ، ويقضي على الظلم والغبن ، ويوزع خيرات الله على المحرومين والمضطهدين ، وينقذ الأمة من حكم الأمويين الذين كفروا بحقوق الإنسان ، وحولوا البلاد إلى مزرعة لهم يصيبون منها حيثما شاؤا .

حرق الخيام :

وعمد أجلاف البشرية وأوغادها إلى حرق خيام الإمام الحسين عليه السلام غير حافلين بما فيها من عقائل النبوة ومخدرات الوحي وأطفال أهل البيت عليهم السلام ، وقد حملوا أقبسة من النار ومناديهم ينادي :

« احرقوا بيوت الظالمين . . » .

لقد غدا في عرف هؤلاء أن أخبية الحسين هي بيوت الظلم ، وبيوت الأمويين وعملائهم هي بيوت العدل ، وهم الذين أغرقوا البلاد في الظلم والجور .

وحينما التهبت النار في الخيام فرّت بنات رسول الله (ص) في البيداء ، والنار تلاحقهن ، أما اليتامى فقد علا صراخهم وقد هاموا على وجوههم في البيداء ، وهم يستغيثون فلا يجدون من يحميهم ويغيثهم ، وكان هول ذلك المنظر من أفجع ما رآه الإمام زين العابدين ولم يغب عن ذهنه طيلة المدة التي عاشها بعد أبيه ، فكان دوماً يقول :

« والله ما نظرت إلى عماتي وأخواتي إلا وخنقتني العبرة ، وتذكرت فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة ، ومن خباء إلى خباء ، ومنادي القوم ينادي أحرقوا بيوت الظالمين . . »[1] .

الهجوم على زين العابدين :

وهجم الكفرة الجفاة على الإمام زين العابدين ، وقد أنهكته العلة

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٢٩٩ .

ومزقت الأحداث الرهيبة قلبه ، وقد أراد المجرم الخبيث شمر بن ذي الجوشن قتله فنهره حميد بن مسلم قائلاً :

« سبحان الله !! أتقتل الصبيان ؟ إنما هو مريض . . » .

فلم يحفل به ، وبادرت إليه العقيلة عمته زينب فتعلقت به ، وقالت : لا يقتل حتى أقتل دونه[1] فكف اللئام عنه ، وقد نجا منهم بأعجوبة .

جزع الإمام زين العابدين :

وجزع الإمام زين العابدين كأشد ما يكون الجزع ، وتمنى مفارقة الحياة ، وذلك من هول ما رأى من المآسي التي جرت على أهل البيت ، وقد أخذ يعاني آلام الاحتضار حينما رأى جثة أبيه ، وجثث أهل بيته وأصحابه منبوذة بالعراء لم ينبر أحد إلى مواراتها ، وبصرت به عمته العقيلة زينب فبادرت إليه مسلية قائلة :

« ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وإخوتي ، فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السماوات انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة ، والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ، ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه ، فلا يزداد أثره إلا علواً . . »[2] .

وأخذت تسليه بهذا ونحوه حتى أزالت ما ألم به من عظيم الأسى الذي كاد أن يقضي عليه .

---

(١) تأريخ القرماني (ص ١٠٨) .

(٢) كامل الزيارات (ص ٢٦١) .

مواراته للجثث الطاهرة :

وعمد الأجلاف اللئام من أهل الكوفة إلى مواراة جيف قتلاهم ، وتركوا جثمان ريحانة رسول الله (ص) وجثث أهل بيته وأصحابه الممجدين على رمضاء كربلا ، وانبرى قوم من بني أسد من الذين لم يشتركوا في الحرب فحفروا القبور لتلك الجثث الزواكي ، وكانوا متحيرين في معرفتها لأن الرؤوس قد فصلت عنها ، وبينما هم كذلك إذ أطل عليهم الإمام زين العابدين ـ حسبما نصت عليه بعض المصادر الشيعية ـ فأوقف بني أسد على شهداء أهل البيت وغيرهم من الأصحاب ، وبادر بنفسه إلى حمل جثمان أبيه فواراه في مثواه الأخير وهو يذرف أحر الدموع قائلاً :

« طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر ، فإن الدنيا بعدك مظلمة ، والأخرة بنورك مشرقة ، أما الليل فمسهد ، والحزن سرمد أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم ، وعليك مني السلام يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته . . » .

ورسم على القبر الشريف هذه الكلمات : « هذا قبر الحسين بن علي ابن أبي طالب ، الذي قتلوه عطشاناً غريباً » ودفن عند رجلي الإمام فلذة كبده ولده علي الأكبر ، ودفن بقية الشهداء من هاشميين وغيرهم في حفرة واحدة ، ثم انطلق مع الأسديين إلى نهر العلقمي فحفر قبراً ووارى فيه قمر بن هاشم أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام ، وجعل يبكي أمر البكاء وهو يقول :

« على الدنيا بعدك العفا يا قمر بن هاشم ، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته . . »[1] .

وأصبحت تلك القبور الطاهرة رمزاً للكرامة الإنسانية ، ورمزاً لكل تضحية تقوم على الشرف والعدل والحق ، وقد أصبحت من أقدس مراكز العبادة ، وأفضلها في الإسلام .

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

سبايا أهل البيت في الكوفة :

وأدخلت عقائل الوحي ومخدرات الرسالة سبايا إلى الكوفة ، وقد عزفت أبواق الجيش وخفقت راياتهم معلنة النصر والظفر بقتلهم لريحانة رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة ، وقد وصف ذلك المنظر مسلم الجصاص ، يقول : دعاني ابن زياد لإصلاح دار الامارة بالكوفة ، فبينما أنا أجصص الأبواب ، وإذا بالزعقات قد ارتفعت من جميع الكوفة فأقبلت على أحد خدام القصر فقلت له :

- « ما لي أرى الكوفة تضج ؟ » .
- « الساعة يأتون برأس خارجي خرج على يزيد . . » .
- « من هذا الخارجي ؟ . . » .
- « الحسين بن علي . . » .

يقول : فتركت الخادم ، وأخذت ألطم على وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهبا ، وغسلت يدي من الجص ، وخرجت من القصر حتى أتيت إلى الكناس ، فبينما أنا واقف ، والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ أقبل أربعون جملاً تحمل النساء والأطفال ، وإذا بعلي بن الحسين على بعير بغير وطاء وأوداجه تشخب دماً وهو يبكي وقول :

يا أمة السوء لا سقيا لربعكم ... يا أمة لم تراع جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا ... يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرون فينا على الأقتاب عارية ... كأننا لم نشيد فيكم دينا[1]

ويقول جذلم بن بشير : قدمت الكوفة سنة (٦١ هـ) عند مجيء علي ابن الحسين من كربلاء إلى الكوفة، ومعه النسوة وقد أحاطت بهم الجنود ، وقد خرج الناس للنظر إليهم ، وكانوا على جمال بغير وطاء فجعلت نساء أهل الكوفة يبكين وينـدبن ، ورأيت علي بن الحسين قد أنهكته العلة ، وفي عنقه

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٣٣٣ .

الجامعه ويده مغلولة إلى عنقه[1] وهو يقول بصوت ضعيف : إن هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا ؟[2] .

خطاب الإمام زين العابدين :

وأحاطت الجماهير بالإمام زين العابدين عليه السلام ، فرأى أن يخطب فيهم ، ويعرفهم اثم ما اقترفوه ، وما جنوه على أنفسهم وعلى الأمة، فقال عليه السلام بعد حمد الله والثناء عليه :

« أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنا ابن من انتهكت حرمته ، وسلبت نعمته ، وانتهب ماله ، وسبي عياله ، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ، ولا ترات ، أنا ابن من قتل صبراً، وكفى بذلك فخراً .

أيها الناس ناشدتكم الله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه ، واعطيتموه من أنفسكم العهود والميثاق والبيعة ، وقاتلتموه ، فتبا لما قد متم لأنفسكم وسوأة لرأيكم ، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ؟ إذ يقول لكم : قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي ، فلستم من أمتي . . . » .

وعلت أصوات أولئك العبيد الذين سودوا وجه التاريخ بالبكاء والنحيب ونادى مناد منهم :

« هلكتم وما تعلمون . . » .

واستمر الإمام في خطابه فقال :

« رحم الله امرأً قبل نصيحتي ، وحفظ وصيتي ، في الله وفي رسوله

---

(١) امالي الشيخ المفيد (ص ١٤٣) مخطوط .
(٢) مقتل الحسين لعبد الله مخطوط .

وأهل بيته ، فإن لنا في رسول الله (ص) أسوة حسنة ».

فهتفوا اجمعين بلسان واحد :

«نحن يا ابن رسول الله ، سامعون مطيعون ، حافظون لذمامك ، غير زاهدين فيك ، ولا راغبين عنك ، فمرنا بأمرك يرحمك الله ، فإنا حرب لحربك ، وسلم لسلمك نبرأ ممن ظلمك وظلمنا . . ».

ورد الإمام عليهم هذا الولاء الكاذب قائلاً :

« هيهات، هيهات ، أيها الغدرة المكرة ، حيل بينكم ، وبين شهوات انفسكم ، اتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم إلى أبي من قبل ، كلا ورب الراقصات [1] فإن الجرح لما يندمل ، قُتل أبي بالأمس وأهل بيته ، ولم ينس ثكل رسول الله (ص) وثكل أبي ، وبني أبي ، إن وجده والله بين لهاتي ، ومرارته بين حناجري وحلقي ، وغصته تجري في فراش صدري . . . »[2] وأمسك الإمام عن الكلام معرضاً عن أولئك الغدرة الفجرة الذين هم وصمة عار على البشرية ، فهم الذين قتلوا ريحانة رسول الله (ص) الذي جاء ليحررهم ، وينقذهم من ظلم الأمويين وجورهم ، وبعد ذلك ندموا ، وراحوا يبكون عليه .

الطاغية مع الإمام :

وأدخلت سبايا آل رسول الله (ص) إلى قصر الامارة حيث يقيم فيه حاكم الكوفة ابن مرجانة ، وقد بصر الطاغية بالإمام زين العابدين عليه السلام وقد انهكته العلة ، فسأله قائلاً :

- «من أنت؟ . . »
- «علي بن الحسين . . »
- «أو لم يقتل الله علي بن الحسين؟».

فأجابه الإمام بأناة :

---

(١) الراقصات : مطايا الحجيج .

(٢) مثير الأحزان لابن نما ، اللهوف .

« كان لي أخ يُسمى علياً قتلتموه ، وان له منكم مطلباً يوم القيامة . . . »

فثار ابن زياد في وقاحة وصلف ، وصاح بالإمام :

« الله قتله . . »

فأجابه الإمام بكل شجاعة وثبات :

« الله يتوفى الأنفس حين موتها ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله . . . ».

ودارت الأرض بابن مرجانة ، وأخذته العزة بالإثم ، وغاظه أن يتكلم هذا الغلام الأسير بهذه الطلاقة وقوة الحجة ، والأستشهاد بالقرآن ، ويرد عليه كلامه فصاح به :

« وبك جرأة على رد جوابي !! وفيك بقية للرد علي؟ . . . ».

وصاح الرجس الخبيث بأحد جلاديه :

« خذ هذا الغلام واضرب عنقه . . . »

وطاشت أحلام السيدة زينب حفيدة الرسول (ص)، وانبرت بشجاعة لا يرهبها سلطان ، فاعتنقت الإمام ، وقالت لابن مرجانة :

« حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت ، وهل ابقيت أحداً غير هذا ؟ فإن أردت قتله فاقتلني معه » .

وبهر الطاغية ، وقال متعجباً :

« دعوه لها ، يا للرحم ودت أنها تقتل معه . . »

ولـولا هذا الموقف البطولي من العقيلة لقتل الإمام زين العابدين وذهبت البقية من نسل الإمام الحسين عليه السلام التي هي مصدر الخير والشرف في الأرض . . وروى الجاحظ في رسائله أن ابن مرجانة قال لأصحابه في علي بن الحسين :

« دعـوني اقتله فإنه بقية هذا النسل ـ يعني نسل الحسين ـ فاحسم به هذا القرن ، وأميت به هذا الداء ، واقطع به هذه المادة . . . ».

إلا أنهم أشاروا عليه بالإمساك عنه معتقدين أن ما ألم به من المرض سوف يقضي عليه[1].

اختطاف الإمام :

واختطف بعض الكوفيين الإمام زين العابدين، وأخفاه في داره، وجعل يكرمه ويحسن إليه ، وكان كلما رآه أجهش بالبكاء فظن الإمام به خيراً إلا أنه لم تمض فترة يسيرة من الزمن حتى نادى منادي ابن زياد ، من وجد علي بن الحسين وأتى به فله ثلاث مائة درهم ، فلما سمعه الكوفي أسرع إلى الإمام فجعل في عنقه حبلاً وربط يديه بالحبل ، وأخذ الدراهم[2] وهذه البادرة الغريبة ـ إن صحت ـ فإنها تعطي صورة عن تهالك المجتمع الكوفي على المادة ، وتفانيه في الحصول عليها بأي طريق كان .

سبايا آل البيت إلى دمشق :

وحملت ودائع الرسالة ، وعقائل الوحي إلى دمشق الشام ، وهن في حالة مشجية تذوب من هولها النفوس ، وقد خرجت الكوفة بجميع طبقاتها لتوديع سبايا نبيهم ، وقد عج الرجال والنساء بالبكاء ، وقد استغرب الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك منهم وراح يقول :

« هؤلاء قتلونا ، ويبكون علينا !! »[3].

وأمر الخبيث الدنس شمر بن ذي الجوشن أن يغل الإمام زين العابدين بغل في عنقه فغل[4] ، وانطلق الركب في مسيرته نحو الشام ، ويقول المؤرخون : إن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يتكلم مع الجفاة الذين

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٣٤٥- ٣٤٧.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٩٨) المنتظم لابن الجوزي الجزء الخامس ، طبقات ابن سعد .

(٣) مرآة الزمان (ص ٩٩) .

(٤) انساب الأشراف ق ١/ج ١.

رافقوه بكلمة واحدة ولا طلب منهم أي شيء في طيلة الطريق[1] فقد عرفهم اخباثاً لئاماً لا يستجيبون لأي أمر يأمرهم به .

وسارت القافلة لا تلوي على شيء حتى انتهت إلى القرب من دمشق ، فأقيمت هناك حتى تتزين البلد بمظهر الزهو والأفراح .

ولما تزينت دمشق بأبهى زينة ادخلت سبايا آل النبي (ص) وسط هالة من التهليل والتكبير للنصر الذي احرزه حفيد أبي سفيان على حفيد رسول الله (ص).

الشامي مع زين العابدين :

وانبرى شيخ من أهل الشام قد ضللته الدعايات الكاذبة نحو الإمام زين العابدين عليه السلام ، وقد رفع عقيرته :

« الحمدلله الذي اهلككم ، وأمكن الأمير منكم. . . »

وبصر به الإمام فرآه مخدوعاً ، قد خفي عليه الحق ، وخدعه الإعلام الأموي فقال له :

« يا شيخ قرأت القرآن ؟ . . ».

« بلى . . »

« أقرأت قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ واعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى ﴾؟. . . »

وبهر الشيخ فقال بصوت خافت :

« نعم قرأت ذلك . . »

قال له الإمام :

« نحن والله القربى في هذه الآيات ، يا شيخ أقرأت قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾.

« بلى ».

« نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير . . . » .

وسرت الرعدة في أوصال الشيخ ، وتمنى أن تكون الأرض قد وارته ولم يقل ذلك، وقال للإمام :

« بالله عليكم أنتم هم؟ . . »

« وحق جدنا رسول الله (ص) انا لنحن هم من غير شك . . . »

وألقى الشيخ بنفسه على الإمام وهو يوسع يديه تقبيلاً ودموعه تجري على سحنات وجهه قائلاً :

« ابرأ الى الله ممن قتلكم . . . »

وطلب الشيخ من الإمام أن يمنحه التوبة، ويعفو عنه ، فعفا عليه السلام عنه[1] . . .

الإمام في مجلس يزيد:

وعمد جلاوزة يزيد إلى عقائل الوحي وأطفال الإمام الحسين فربقوهم بالحبال كما تربق الأغنام ، فكان الحبل في عنق الإمام زين العابدين إلى عنق عمته زينب ، وباقي بنات رسول الله (ص) وكانوا كلما قصروا عن المشي أوسعوهم ضرباً بالسياط ، وجاؤوا بهم على مثل هذه الحالة التي تتصدع من هولها الجبال ، فأوقفوهم بين يدي يزيد ، فالتفت إليه الإمام زين العابدين فقال له :

« ما ظنك بجدنا رسول الله (ص) لو يرانا على مثل هذه الحالة؟ » . .

فتهافت الطاغية ، ولم يبق أحد في مجلسه إلا بكى ، وتألم يزيد من ذلك المنظر المفجع فراح يقول :

« قبح الله ابن مرجانة لو كان بينكم وبينه قرابة لما فعل بكم هذا . . »

ثم أمر الطاغية بالحبال فقطعت ، والتفت إلى زين العابدين فقال له :

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٣٧١.

« ايه يا علي بن الحسين أبوك الذي قطع رحمي ، وجهل حقي ، ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما رأيت . . »

فأجابه شبل الحسين بكل هدوء واطمئنان :

« ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور . . . »

وتميز الطاغية غضباً ، وذهبت نشوة أفراحه ، وتلا قوله تعالى : ﴿ ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم . » ورد عليه الإمام قائلاً :

« هذا في حق من ظلم ، لا في حق من ظُلم . . ».

وزوى بوجهه عنه احتقاراً له ، واستهانة بشأنه[1] .

خطاب الإمام زين العابدين :

وأذن يزيد للناس إذناً عاماً ، وقد ازدحم بهو قصره بمختلف الطبقات ، وهم يهنئونه بالنصر الكاذب ، وهو جذلان مسرور قد استوسقت له الدنيا ، وصفا له الملك ، وقد أوعز إلى الخطيب أن يعتلي المنبر ، وينال من الإمام الحسين ، وأبيه الإمام أمير المؤمنين ، وصعد الخطيب المنبر ، وبالغ في ذم العترة الطاهرة واثنى ثناءً كاذباً على يزيد وأبيه ، فانبرى إليه الإمام زين العابدين عليه السلام فصاح به :

« ويلك أيها الخاطب اشتريت رضاء المخلوق بسخط الخالق ، فتبوأ مقعدك من النار. . . ».

واتجه الإمام نحو يزيد فقال له :

« اتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فاتكلم بكلمات فيهن لله رضا ، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب . . ».

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٣٧٦.

وبهت الحاضرون ، وعجبوا من هذا الفتى العليل الذي رد على الخطيب والأمير وهو أسير ، فرفض يزيد إجابته ، وألح عليه الجالسون بالسماح له ، فرد عليهم يزيد قائلاً :

« إن صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان . . . » .

فعجبوا من ذلك ، وقالوا له :

وما مقدار ما يحسن هذا العليل؟ » .

إنهم لا يعرفون الإمام ، وحسبوا أنه كبقية الناس ، ولكن الطاغية يعرفه فقال لهم :

« إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً . . . » .

وأخذوا يلحون عليه في أن يسمح له في الخطاب ، ولم يجد بُداً من إجابتهم فسمح له ، واعتلى الإمام اعواد المنبر فخطب خطاباً رائعاً لم يشاهد له التاريخ مثيلاً في روعته وبلاغته وقد ابكى العيون ، واضطرب الجالسون، فقد هيمن على قلوبهم ومشاعرهم ، وكان من جملة ما قاله :

« أيها الناس اعطينا ستاً ، وفضلنا بسبع : اعطينا العلم والحلم ، والسماحة والفصاحة ، والشجاعة ، والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمد (ص) ومنا الصديق ، ومنا الطيار ، ومنا أسد الله ، وأسد الرسول (ص) ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول ، ومنا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب اهل الجنة .

وبعد هذه المقدمة التعريفية لأسرته ، أخذ عليه السلام في بيان فضائلهم قال :

« فمن عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني انبأته بحسبي ونسبي ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفا ، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء ، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى ، أنا ابن خير من انتعل واحتفى ، أنا ابن خير من طاف وسعى ، أنا ابن خير من حج ولبى ، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا ، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فسبحان من أسرى ، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى ، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلّى

بملائكة السما ، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا : لا إله إلا الله ، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله (ص) بسيفين ، وطعن برمحين ، وهاجر الهجرتين ، وبايع البيعتين ، وصلى القبلتين ، وقاتل ببدر وحنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين ، أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين ، وقاطع الملحدين ، ويعسوب المسلمين ، ونور المجاهدين وزين العابدين ، وتاج البكائين ، واصبر الصابرين ، وأفضل القائمين من آل ياسين ، ورسول رب العالمين ، أنا ابن المؤيد بجبرئيل ، المنصور بميكائيل ، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، والمجاهد اعداءه الناصبين ، وأفخر من مشى من قريش أجمعين ، وأول من أجاب واستجاب لله من المؤمنين ، وأقدم السابقين ، وقاصم المعتدين ، ومبير المشركين ، وسهم من مرامي الله على المنافقين ، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله ، وولي أمر الله ، وبستان حكمة الله ، وعيبة علم الله ، سمح ، سخي ، بهلول ، زكي ابطحي، رضي ، مرضي مقدام همام ، صابر ، صوام ، مهذب قوام ، شجاع قمقام ، قاطع الأصلاب ، ومفرق الأحزاب ، أربطهم جنانا ، واطلقهم عنانا ، واجرأهم لساناً ، وأمضاهم عزيمةً ، وأشدهم شكيمة ، أسد ، باسل ، وغيث هاطل ، يطحنهم في الحروب، ويذرهم ذرو الريح الهشيم ، ليث الحجاز ، وصاحب الاعجاز ، وكبش العراق ، الإمام بالنص ، والاستحقاق ، مكي مدني ابطحي ، تهامي ، خيعن عقبي ، بدري ، احدي ، وشجري مهاجري ، من العرب سيدها ، ومن الوغى ليثها ، وارث المشعرين وأبو السبطين الحسن والحسين ، مظهر العجائب ، ومفرق الكتائب والشهاب الثاقب ، والنور العاقب ، اسد الله الغالب مطلوب كل طالب ، غالب كل غالب ، ذاك جدي علي بن أبي طالب، أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن سيدة النساء ، أنا ابن الطهر البتول ، أنا ابن بضعة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم[1] أنا ابن

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣٨٧/٣.

المزمل بالدماء ، أنا ابن ذبيح كربلاء ، أنا ابن من بكى عليه الجن من الظلماء ، وناحت عليه الطير في الهواء[1].

ولم يزل يقول الإمام أنا : حتى ضج الناس بالبكاء ، وخشي يزيد من وقوع الفتنة وحدوث مالا تحمد عقباه، فقد أوجد خطاب الإمام انقلاباً فكرياً ، فقد عرف الإمام نفسه لأهل الشام ، وأحاطهم علماً بما كانوا يجهلون ، فأوعز يزيد إلى المؤذن أن يؤذن ليقطع على الإمام كلامه فصاح المؤذن :

« الله أكبر. . »

فالتفت إليه الإمام فقال له : « كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله ، فلما قال المؤذن :

« أشهد أن لا إلّه إلا الله. . ».

قال علي بن الحسين : شهد بها شعري وبشري ، ولحمي ودمي ، ومخي وعظمي ، ولما قال المؤذن :

« أشهد أن محمداً رسول الله ». .

التفت الإمام إلى يزيد فقال له :

« يا يزيد ، محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت ، وإن قلت : إنه جدي فلم قتلت عترته. . . »[2].

ووجم يزيد ، ولم يطق جواباً، فإن الرسول العظيم هو جد سيد العابدين وأما جد يزيد فهو أبو سفيان العدو الأول للنبي (ص) واستبان لأهل الشام أنهم غارقون في الإثم ، وأن الحكم الأموي قد جهد في غوايتهم واضلالهم .

لقد اقتصر خطاب الإمام على التعريف بالأسرة النبوية ، وما لها من عظيم الفضل والشأن عند الله ، وما قامت به من أعمال جهادية في سبيل الإسلام ، كما تعرض لما جرى عليهم من صنوف القتل والارهاق ، ولم

---

(١) نفس المهوم (ص ٢٤٢).
(٢) مقتل الخوارزمي ٢/٢٤٢.

يتعرض لغير ذلك ، وفيما احسب أن الاقتصار على ذلك من أروع صور الالتفات ، ومن أدق انواع البلاغة فقد كان المجتمع الشامي لا يعرف شيئاً عن أهل البيت سوى ما كان يفتعله ضدهم وعاظ السلاطين ، فقد غذتهم السلطة وعملاؤها بالعداء لآل البيت وبالولاء لبني أمية .

وعلى أي حال فقد أثر خطاب الإمام في أوساط أهل الشام تأثيراً بالغاً ، وجعل بعضهم يسر إلى بعض بدجل الاعلام الأموي ، وبالخيبة والخسران اللذين آلوا إليهما، حتى تغيرت أحوالهم مع يزيد[1] وأخذوا ينظرون إليه باذدراء واحتقار.

الإمام مع المنهال :

والتقى الإمام زين العابدين عليه السلام بالمنهال بن عمر ، فبادره قائلاً : « كيف امسيت يا ابن رسول الله؟ . . »

فرمقه الإمام بطرفه ، وقال له :

« أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون ، يذبحون ابناءهم، ويستحيون نساءهم ، امست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها ، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها ، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين ، فانا لله وانا إليه راجعون »[2].

لقد كان الرسول الأعظم المصدر الأصيل لشرف الأمة العربية فهو الذي خطط لها الحياة الكريمة ، وبنى لها دولة كانت من أعز دول العالم وامنعها، فكان جزاؤه أن عمدت قريش التي تفتخر على العرب بأن محمداً منها إلى قتل ذريته ، واستئصال شأفتهم، وسبي نسائهم .

---

(١) جوهرة الكلام في صلاح السادة الأعلام (ص ١٢٨).
(٢) حياة الإمام الحسين ٢٩١/٣ .

اعتذار الطاغية من الإمام :

ولما كثر الناقمون على يزيد بقتله لريحانة رسول الله (ص) دعا الإمام زين العابدين عليه السلام فأبدى له معاذيره ، والقى المسؤولية على ابن مرجانة، قائلاً :

« لعن الله ابن مرجانة ، أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا اعطيته اياها ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ، ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن قضى الله ما رأيت ، يا بني كاتبني بكل حاجة تكون لك[1] وانه سيكون في قومك أمور فلا تدخل معهم في شيء »[2] .

واعرض الإمام عنه ، ولم يجبه بشيء ، فقد عرف واقع اعتذاره ، وأنه كان هرباً من الجريمة التي اقترفها .

حبر يسأل عن الإمام :

وكان في مجلس الطاغية يزيد حبر يهودي ، وقد اعجب بالإمام زين العابدين عليه السلام، فقال ليزيد:

- «من هذا الغلام ؟»
- «علي بن الحسين . . »
- «من الحسين؟ » . .
- «ابن علي بن أبي طالب . . »
- «من أمه؟»
- «بنت محمد. . »
- «يا سبحان الله !! هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه ، بئسما خلفتموه في ذريته ، فوالله لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطاً لظننت أنا كنا نعبده من دون ربنا ، وأنتم فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه وقتلتموه سوأة لكم من أمة . . . » .

---

(١) تأريخ ابن الأثير ٣/٣٠٠.
(٢) تهذيب التهذيب ١/١٥٧.

وغضب الطاغية ، وأمر فوجىء[1] في حلقه ، فرفع الحبر عقيرته قائلاً :

« إن شئتم فاقتلوني ، فإني وجدت في التوراة من قتل ذرية نبي فلا يزال ملعوناً أبداً ما بقي فإذا مات اصلاه الله نار جهنم »[2] .

الإمام مع يزيد :

واجتمع الإمام زين العابدين بالطاغية يزيد فعرض عليه أن يطلب منه حاجة ، فقال عليه السلام :

« أريد منك أن تريني وجه أبي ، وأن تعيد على النساء ما أخذ منهن ، ففيها مواريث الآباء والأمهات ، وإذا كنت تريد قتلي ، فأرسل مع العيال من يؤدي بهن إلى المدينة . . » .

وإنما طلب الإمام عليه السلام أن يريه رأس أبيه ، وذلك ليودعه الوداع الأخير ، أو ليواريه مع جسده الشريف ، ولكن الطاغية لم يجبه إلى ذلك فقد أمر أن يطاف به في جميع أنحاء البلاد ، وذلك لإشاعة الذعر والفزع بين الناس ، وحتى يكون عبرة لكل من يحاول الخروج عليه .

وأما طلب الإمام أن يعيد على النساء ما نهب منهن في يوم العاشر من المحرم ، فإنه لم يرد بذلك الحلي والحلل ، وإنما أراد أن يرد عليهن المواريث النفيسة التي وروثوها من جدهم الرسول (ص) كعمامته ودرعه وسيفه ، وغير ذلك مما هو أثمن من المال .

وأطرق الطاغية برأسه إلى الأرض يفكر فيما طلبه الإمام منه ثم رفع رأسه ، وقال له :

« أما وجه أبيك فلن تراه، وأما ما أخذ منكم فيرد إليكم ، وأما النسوة فلا يردهن غيرك ، وقد عفوت عن قتلك . . »[3] .

---

(١) فوجىء : أي ضرب ودق .

(٢) الحدائق الوردية ١/١٣١، الفتوح ٥/٢٤٦ .

(٣) حياة الإمام الحسين ٣/٤١٤ .

السفر إلى يثرب :

وعهد يزيد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول الله (ص) وعقائل الرسالة ، ويردهن إلى يثرب[1] وأمر بإخراجهن ليلاً خوفاً من الفتنة ، وإضطراب الأوضاع[2] وسارت القافلة تطوي البيداء لا تلوي على شيء ، وطالبت العلويات من الوفد المكلف بحراستهن أن يعرج بهن إلى كربلاء ليجددن عهداً بقبر سيد الشهداء عليه السلام ولما انتهى إلى كربلاء هرعت العلويات إلى مرقد الإمام أبي عبد الله عليه السلام بالصراخ والعويل ، وسالت الدموع منهن كل مسيل ، وبقين ثلاثة أيام في كربلاء وهن يندبن الإمام بأشجى ندبة حتى بُحت الأصوات ، وتفتتت القلوب ، وصرحت بعض المصادر أن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قد تشرف بزيارة قبر أبي عبد الله (ع) فالتقى به الإمام زين العابدين (ع) وحدثه عما جرى على أهل البيت (ع) من صنوف الرزايا ، وأنواع الخطوب ، ثم غادروا كربلاء متوجهين إلى يثرب[2] .

وأخذ موكب أهل البيت يجد في السير لا يلوي على شيء حتى إنتهى إلى القرب من يثرب ، وقد جللته الأحزان والآلام ، وقد فاضت عيون العلويات بالدموع على الإمام الحسين ، وهن يذكرن بمزيد من اللوعة والأسى ما جرى عليهن من أسر الذل والهوان .

نعي بشر للإمام :

ولما وصل الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرب من يثرب نزل فضرب فسطاطه ، وأنزل عماته وأخواته ، والتفت إلى بشر بن حذلم فقال له : يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه ؟ فقال له : نعم يا ابن رسول الله ، فأمره الإمام أن يدخل المدينة وينعى لأهلها الإمام

---

(١) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام (ص ١٢٨) .
(٢) تفسير المطالب في امالي أبي طالب ص (٩٣) ، الحدائق الوردية ١/١٣٣ .

الحسين ، وإنطلق بشر إلى المدينة فلما انتهى إلى الجامع النبوي رفع صوته مشفوعاً بالبكاء ، وهو يقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

وهرعت الجماهير نحو الجامع النبوي ، وقد علا صراخهم بالبكاء على الإمام عليه السلام ، وقد احتفت ببشر تنتظر منه المزيد من الأنباء وهو غارق بالبكاء ، فقال لهم :

« هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه . . »[1] .

وهرعت الجماهير إلى استقبال الإمام زين العابدين ، وقد عجوا بالبكاء والعويل ، فكان ذلك ـ كما وصفه المؤرخون ـ كاليوم الذي مات فيه رسول الله (ص)[2] وازدحموا على الإمام وهم يعزونه بمصابه الأليم ، ويشاركونه الأسى واللوعة .

خطاب الإمام زين العابدين :

ورأى الإمام عليه السلام أن يحدث الناس بما جرى عليهم من عظيم الرزايا والنكبات ، ولم يكن باستطاعته أن يقوم خطيباً فقد ألمت به الأمراض ، وأنهكته الآلام فجيء له بكرسي فجلس عليه فقال :

« الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، بادىء الخلق أجمعين ، الذي بعُد فارتفع في السماوات العلى ، وقرب فشهد النجوى ، نحمده على عظائم الأمور ، وفجائع الدهور ، وألم الفجائع ، ومضاضة اللواذع ، وجليل الرزء ، وعظيم المصائب الفاظعة ، الكاظة ، الفادحة ، الجائحة .

---

(١) حياة الإمام الحسين ٤٢٣/٣ .
(٢) اللهوف (ص ١١٦) .

أيها القوم إن الله تعالى ابتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الإسلام عظيمة ، قُتل أبو عبد الله الحسين وعترته ، وسبيت نساؤه وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية .

أيها الناس فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن من أجله أم أية عين منكم تحبس دمعها ، وتضن عن انهمالها ، فلقد بكت السبع الشداد لقتله ، وبكت البحار بأمواجها . والسماوات بأركانها ، والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها ، والحيتان في لجج البحار ، والملائكة المقربون ، وأهل السماوات أجمعون .

أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله ، أم أي فؤاد لا يحن إليه ، أم أي سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم .

أيها الناس أصبحنا مشردين ، مطرودين ، مذودين ، شاسعين عن الأمصار كأننا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، إن هذا إلا اختلاق ، والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، من مصيبة ما أعظمها ، وأفجعها ، وأكظها ، وأفظعها وأمرها ، وأفدحها ، فعنده نحتسب ما أصابنا ، فإنه عزيز ذو انتقام . . » .

وعرض الإمام في خطابه إلى الخطوب السود التي عانتها الأسرة النبوية وما جرى عليها من النكبات والظلم الهائل ، فلم تراع فيهم حق النبي (ص) .

وانبرى إليه صعصعة فألقى إليه معاذيره ، لأنه كان زمناً ، فترحم الإمام عليه السلام على أبيه ، ثم سار الإمام مع عماته وأخواته ، وقد احتفت به الجماهير ، وقد علا منها البكاء والصراخ حتى انتهوا إلى الجامع النبوي فأخذت عقيلة آل أبي طالب بعضادتي باب الجامع ، وجعلت تخاطب جدها الرسول صلى الله عليه وآله قائلة :

« يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين »[1] .

وأقامت السيدات من عقائل الوحي المآتم على سيد الشهداء ، ولبسن السواد ، وأخذن يندبنه بأشجى ما تكون الندبة .

حزن الإمام زين العابدين :

وخلد الإمام زين العابدين عليه السلام إلى البكاء ليلاً ونهاراً حزناً على أبيه وأهل بيته ، يقول الإمام الصادق عليه السلام : إن جدي علي بن الحسين بكى على أبيه عشرين سنة ، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى[2] وعذله بعض مواليه فقال له :

« إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين . . » .

فقال الإمام برفق :

« يا هذا إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون ، إن يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من أولاده ، وعنده إثنا عشر ولداً ، وهو يعلم أنه حي ، فبكى عليه ، حتى ابيضت عيناه من الحزن ، وإني نظرت إلى أبي واخوتي وعمومتي ، وصحبتي ، مقتولين حولي ، فكيف ينقضي حزني ؟ وإني لا أذكر مصرع ابن فاطمة إلا خنقتني العبرة ، وإذا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة[3] .

ويزداد وجيب الإمام ، وتتضاعف الآمه حينما كان ينظر إلى الماء ، فإنه كان يذكره بعطش أبيه وأهل بيته ، ويقول الرواة : انه كان إذا أخذ ماءً ليشرب بكى ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : كيف لا أبكي ، وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش[4] .

(١) مقتل الحسين للقرم ص ٤٧٢ .
(٢) الإمام زين العابدين لأحمد فهمي (ص ٣١) .
(٣) مقتل الحسين للمقرم (ص ٤٧) وقريب منه في حلية الأولياء ١٣٨/٣ .
(٤) بحار الأنوار ١٠٨/٤٦ .

لقد كان دائم البكاء على أبيه ، وقد قيل له : إنك لتبكي دهرك ، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا ، فقال : نفسي قتلتها ، وعليها أبكي[1] .

وقد أشفق عليه جماعة من مواليه وأهل بيته من كثرة بكائه على أبيه فقال له بعضهم :

« أما آن لحزنك أن ينقضي ؟ . . » .

فرد عليه الإمام قائلاً :

« ويحك إن يعقوب النبي كان له إثنا عشر إبناً فغيب الله واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه ، واحدودب ظهره من الغم ، وكان ابنه حياً في الدنيا ، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي ، وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني ؟ . . »[2] .

لقد ذابت نفسه الزكية أسى وحزناً على أبيه وأهل بيته وأصحابه الذين حصدت رؤوسهم سيوف البغي بصورة قاسية لم يعهد لها مثيل في تأريخ الحروب .

وفاؤه لديون أبيه :

وكان الإمام الحسين عليه السلام مديناً لجماعة ما يزيد على سبعين ألف دينار ، وقد اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام اهتماماً بالغاً بوفائها ، حتى امتنع عن الطعام والشراب ، ولما تهيأ له المبلغ بادر إلى تسديدها وتفريغ ذمة أبيه منها[3] .

حنوه على آل عقيل :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يحنو كثيراً على آل عقيل ، ويميل

---

(١) بحار الأنوار ١٠٩/٤٦ .

(٢) بحار الأنوار ١٠٨/٤٦ .

(٣) سر السلسلة العلوية (ص ٣٢) .

لهم أكثر مما يميل إلى أبناء عمومته وأسرته ، وذلك لما لهم من المواقف المشرفة يوم الطف ، فقد انبرى أبناء عقيل وأحفاده المجدون إلى التضحية والشهادة بين يدي الإمام الحسين عليه السلام ، وكان معظمهم في غضارة العمر ، وريعان الصبا ، ولم يبلغوا الحلم ، وقد تسابقوا إلى الشهادة بصورة مذهلة ، ففدوا دين الله بأرواحهم ، ولم يسلم أحد منهم في تلك المعركة .

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يعطف عليهم ، ويقدمهم على البقية الباقية من أسرته ، وقد قيل له في ذلك ، فقال عليه السلام : إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله عليه السلام فأرق لهم[1] وكان من بره بآل عقيل ، وتعاطفه معهم أن المختار بن يوسف الثائر العظيم ، قدم للإمام أموالاً كثيرة ، فبنى بها دور آل عقيل التي هدمتها السلطة الأموية[2].

إقامته في يثرب :

وأقام الإمام عليه السلام في يثرب لم يخرج عنها إلا لحج بيت الله الحرام ويقول الرواة : انه سافر إلى العراق لزيارة قبر جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[2] ومن المؤكد انه زار قبر أبيه الإمام الحسين عليه السلام وبهذا ينتهي بنا الحديث عن رزايا كربلاء ، وما عاناه الإمام عليه السلام من أهوال وخطوب .

---

(١) كامل الزيارات (ص ١٠٧) .
(٢) غاية الاختصار (ص ١٦٠) .

عباداته

وأجمع المسلمون على أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان من أعبد الناس ، وأكثرهم طاعة لله تعالى ، ولم ير الناس مثله في عظيم انابته وعبادته ، وقد بهر بها المتقون والصالحون ، وحسبه أنه وحده في تأريخ الإسلام قد لُقب بزين العابدين وسيد الساجدين .

أما عبادته عليه السلام فلم تكن تقليدية ، وإنما كانت ناشئة عن إيمانه العميق بالله تعالى ، وكمال معرفته به ، فقد عبده لا طمعاً في جنته ، ولا خوفاً من ناره وإنما وجده أهلاً للعبادة فعبده ، شأنه في ذلك شأن جده الإمام أمير المؤمنين وسيد العارفين وإمام المتقين ، الذي عبد الله عبادة الأحرار ، وقد اقتدى به حفيده العظيم زين العابدين (ع) وقد اعرب (ع) عن عظيم اخلاصه في عبادته، فقال : « إني أكره أن أعبدالله، ولا غرض لي إلا ثوابه ، فأكون كالعبد الطامع ، إن طمع عمل ، وإلا لم يعمل ، واكره أن اعبده لخوف عذابه ، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل . . » .

فانبرى إليه بعض الجالسين فقال له :

« فبم تعبده ؟ » .

فأجابه عن خالص إيمانه .

واعبده لما هو أهله بأياديه وأنعامه . . . »[1] .

---

(١) تفسير العسكري (ص١٣٢).

لقد كانت عبادته عن معرفة لا يشوبها شك أو وهم ، كما لم تك وليدة طمع أو خوف ، وإنما كانت وليدة إيمان عميق ، وقد تحدث عليه السلام عن أنواع العبادة بقوله : « إن قوماً عبدوا الله عز وجل رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار . . »[1] هذه أنواع العبادة والطاعة، واثقلها في الميزان ، وأحبها لله هي عبادة الأحرار التي لا تكون إلا شكراً للمنعم العظيم لا طمعاً في ثوابه ، ولا خوفاً من عقابه ، وقد أكد الإمام عليه السلام ذلك في حديث آخر له قال: « عبادة الأحرار لا تكون إلا شكراً لله لا خوفاً ولا رغبة »[2].

لقد امتزج حب الله في قلب الإمام ، وعواطفه فكان من ذاتياته وعناصره ، ويقول الرواة : أنه كان مشغولاً بعبادة الله وطاعته في جميع اوقاته وقد سئلت جارية له عن عبادته فقالت :

« أطنب ، أو أختصر . . . ».

« بل اختصري . . ».

ما أتيته بطعام نهاراً قط ، وما فرشت له فراشاً بليل قط . . . »[3]

لقد قضى الإمام (ع) معظم حياته صائماً نهاره ، قائماً ليله ، مشغولاً تارة في الصلاة، وأخرى في صدقة السر . . . ومن المؤكد انه ليس في تأريخ زهاد المسلمين وعبادهم مثل الإمام علي بن الحسين في عظيم اخلاصه وطاعته لله ، ونعرض لبعض شؤون عباداته .

وضوؤه :

أما الوضوء فهو نور وطهارة من الذنوب ، والمقدمة الأولى للصلاة ، وكان الإمام عليه السلام دوماً على طهارة ، وقد حدث الرواة عن خشوعه لله

---

(١) صفة الصفوة ٢/٥٣ شذرات الذهب ١/١٠٥ الحلية ٣/١٣٤ البداية والنهاية ٩/١٠٥ ودرر الابكار (ورقة ٧٠) .

(٢) الكواكب الدرية ٢/١٣٩.

(٣) الخصال (ص ٤٨٨).

في وضوئه، فقالوا : إنه إذا أراد الوضوء اصفر لونه ، فيقول له أهله :
« ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟ . . » .
فأجابهم عن خوفه ، وخشيته من الله قائلاً :
« اتدرون بين يدي من أقوم؟ . . . »[1].

وبلغ من اهتمامه أنه كان لا يعينه أحد عليه ، وكان بنفسه يستقي الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام ، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم شرع في وضوئه وبعد الفراغ منه يقبل على صلاته[2].

صلاتــه :

أما الصلاة فمعراج المؤمن ، وقربان كل تقي ـ كما في الحديث ـ وكانت الصلاة من أهم الرغبات النفسية للإمام (ع) فقد اتخذها معراجاً ترفعه إلى الله ، وتسمو به إلى الاتصال بخالق الكون وواهب الحياة ، وكانت تأخذه رعدة إذا أراد الشروع في الصلاة فقيل له في ذلك فقال : اتدرون بين يدي من أقوم ، ومن أناجي ؟[3] ونعرض لبعض شؤونه في حال صلاته وتطيبه .

تطيبه للصلاة:

وكان الإمام إذا أراد الصلاة تطيب من قارورة كان قد جعلها في مسجد صلاته[4] فكانت روائح المسك تعبق منه .

لباسه في صلاتــه :

وكان الإمام عليه السلام إذا أراد الصلاة لبس الصوف ، واغلظ الثياب[5] مبالغة منه في اذلال نفسه أمام الخالق العظيم

(١) درر الأبكار ورقة ٧٠ نهاية الأرب ٣٢٦/٢١ سير أعلام النبلاء ٢٣٨/٤ الأتحاف بحب الأشراف (ص ٤٩) أخبار الدول (ص ١٠٩).
(٢) صفة الصفوة ٥٣/٢ .
(٣) وسيلة المآل (ورقة ٢٠٧) سير أعلام النبلاء ٣٨/٤، صفوة الصفوة ٥٢/٢ حلية الأولياء ١٣٢/٣ العقد الفريد ١٠٣/٣ .
(٤) البحار ٥٨/٤٦ .
(٥) البحار ١٠٨/٤٦ .

خشوعه في صلاته :

أما صلاة الإمام عليه السلام فكانت تمثل الانقطاع التام إلى الله تعالى ، والتجرد من عالم الماديات ، فكان لا يحس بشيء من حوله ، بل لا يحس بنفسه ، فقد تعلق قلبه بالله ، ووصفه الرواة في حال صلاته، فقالوا : كان إذا قام إلى الصلاة غشى لونه بلون آخر ، وكانت اعضاؤه ترتعد من خشية الله ، وكان يقف في صلاته موقف العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ، وكان يصلي صلاة مودع يرى أنه لا يصلي بعدها أبداً ، وتحدث الإمام الباقر عن خشوع أبيه في صلاته فقال : كان علي بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حركت الريح منه[1] ونقل أبان بن تغلب إلى الإمام الصادق عليه السلام صلاة جده الإمام زين العابدين (ع) فقال له :

« إني رأيت علي بن الحسين إذا قام في الصلاة غشي لونه لوناً آخر. . . » وبهر الإمام الصادق عليه السلام فقال :

« والله ان علي بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه . . . »[2] أجل والله انه كان على معرفة تامة بعظمة الخالق الحكيم ، فكانت عبادته له عن معرفة وطاعته له عن إيمان .

وكان من مظاهر خشوعه في صلاته انه إذا سجد لا يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً[3] أو كأنه غُمس في الماء من كثرة دموعه وبكائه[4] ونقل الرواة عن أبي حمزة الثمالي أنه رأى الإمام قد صلى فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوه فسأله أبو حمزة عن ذلك فقال له : ويحك اتدري بين يدي من كنت؟ ان العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه[5] .

---

(١) وسائل الشيعة ٤/٦٨٥.
(٢) وسائل الشيعة ٤/٦٨٥.
(٣) تهذيب الأحكام ٢/٢٨٦ البحار ٤٦/٧٩.
(٤) البحار ٤٦/١٠٨.
(٥) علل الشرايع (ص ٨٨) البحار ٤٦/٦١ وسائل الشيعة ٤/٦٨٨.

وبلغ من شدة تعلقه بالله في حال صلاته أن ابناً له سقط في بئر ففزع أهل المدينة فانقذوه ، وكان الإمام قائماً يصلي في محرابه ، ولم يشعر بذلك ، ولما انتهى من صلاته قيل له بذلك فقال : ما شعرت ، إني كنت أناجي رباً عظيماً[١] .

ووقع حريق في بيته ، وكان مشغولاً في صلاته فلم يعن به ، ولما فرغ من صلاته ، قيل له في ذلك فقال : الهتني عنها النار الكبرى[٢] وفسر عبد الكريم القشيري هذه الظاهرة المذهلة التي كانت ملازمة للإمام حال صلاته بأنها من باب غيبة القلب غن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه . . . انه قد يغيب القلب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب[٣].

صلاة الف ركعة :

وأجمع المترجمون للإمام (ع) أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة[٤] وأنه كانت له خمسمائة نخلة فكان يصلي عند كل نخلة ركعتين[٥] ونظراً لكثرة صلاته فقد كانت له ثفنات في مواضع سجوده كثفنات البعير وكان يسقط منها في كل سنة فكان يجمعها في كيس ، ولما توفي دفنت معه[٦].

---

(١) أخبار الدول (ص ١١٠) البحار ٩٩/٤٦.
(٢) صفة الصفوة ٥٢/٢ المنتظم ٦/ورقة ١٤١ نهاية الأرب ٣٢٥/٢١ سير اعلام النبلاء ٢٣٨/٤ .
(٣) الرسالة القشرية ٢١٤/١ .
(٤) تهذيب التهذيب ٣٠٦/٧ نور الأبصار (ص ١٣٦) الأتحاف بحب الأشراف (ص٤٩) تذكرة الحفاظ ٧١/١ شذرات الذهب ١٠٤/١ الفصول المهمة (ص ١٨٨) أخبار الدول (ص ١١٠) تأريخ دمشق ١٥١/٣٦ الصراط السوي (ورقة ١٩٣) إقامة الحجة (ص ١٧١) العبر في خبر من غبر (١١١/١) دائرة المعارف للبستاني ٣٥٥/٩ تأريخ اليعقوبي ٤٥/٣ المنتظم ٦/ورقة ١٤٣ تأريخ الإسلام للذهبي ، الكواكب الدرية ١٣١/٢ البداية والنهاية ١٠٥/٩ .
(٥) البحار ٦١/٤٦ الخصال (ص ٤٨٧).
(٦) الخصال (ص ٤٨٨).

قضاؤه للنوافل :

ولم تفته نافلة من النوافل طيلة حياته ، وكان يقضي ما فاته من صلاة النهار بالليل ، وكان يوصي ابناءه بذلك، ويقول لهم : يا بني ليس هذا عليكم بواجب ولكن أحب لمن عود نفسه منكم عادة من الخير أن يدوم عليها[١].

كثرة سجوده :

إن أقرب ما يكون العبد من ربه هو في حال سجوده ـ كما في الحديث ـ وكان الإمام زين العابدين عليه السلام كثير السجود لله خضوعاً له ، وتذليلاً أمامه ، ويقول الرواة : إنه خرج مرة إلى الصحراء فتبعه مولىً له فوجده ساجداً على حجارة خشنة فأحصى عليه ألف مرة يقول : لا إله إلا الله حقاً حقاً ، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً ، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً[٢]. وكان يسجد سجدة الشكر ، ويقول فيها : مائة مرة « الحمد لله شكراً » وبعدها يقول : « يا ذا المن الذي لا ينقطع أبداً ، ولا يحصيه غيره عدداً ، ويا ذا المعروف الذي لا ينفذ أبداً ، يا كريم ، يا كريم ، ويتضرع بعد ذلك ويذكر حاجته[٣].

كثرة تسبيحه :

وكان دوماً مشغولاً بذكر الله وتسبيحه وحمده ، وكان يسبح الله بهذه الكلمات المشرقة « سبحان من أشرق نوره كل ظلمة ، سبحان من قدر بقدرته كل قدرة ، سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم ، فلا شيء يحجبه ، سبحان الله وبحمده[٤].

---

(١) صفة الصفوة ٢/٥٣.
(٢) وسائل الشيعة ٤/٩٨١.
(٣) وسائل الشيعة ٤/١٠٧٩.
(٤) دعوات قطب الراوندي (ص ٣٤) مخطوط في مكتبة الحكيم .

ملازمته لصلاة الليل :

من النوافل التي كان لا يدعها الإمام (ع) صلاة الليل فكان مواظباً عليها في السفر والحضر[1] إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

دعاؤه بعد صلاة الليل :

وكان عليه السلام إذا فرغ من صلاة الليل دعا بهذا الدعاء الشريف، وهو من غرر ادعية ائمة أهل البيت عليهم السلام وهذا نصه :

« اللهم يا ذا الملك المستأبد بالخلود والسلطان ، الممتنع بغير جنود ولا أعوان ، والعز الباقي على مر الدهور وخوالي الأعوام[2] ومواضي الأزمان والأيام، عز سلطانك عزاً لا حد له بأولية ، ولا منتهى له بآخرية ، واستعلى ملكك علواً ، سقطت الأشياء دون بلوغ أمده ، ولا يبلغ ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين، ضلت فيك الصفات ، وتفسخت فيك النعوت ، وحارت في كبريائك لطائف الأوهام ، كذلك أنت الله في أوليتك، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول ، وأنا العبد الضعيف عملاً ، الجسيم أملاً ، خرجت من يدي أسباب المواصلات إلا ما وصلته رحمتك، وتقطعت عني عصم الآمال إلا ما أنا معتصم به من عفوك ، قل عندي ما أعتد به من طاعتك ، وكثر علي ما أبوء به من معصيتك ، ولن يضيق عليك عفو عن عبدك، وإن أساء فاعف عني . . . ».

واحتوى هذا المقطع من دعائه على تعظيمه وتوحيده، وذكر بعض صفاته الرفيعة من الخلود الذي لا حد لأوله ، ولا لآخره ، ومن السلطان القاهر القوي الذي لا يحتاج في تدعيم ملكه إلى الجنود والأعوان، وقد تفسخت النعوت وعجزت الصفات في ان تحكي أي صفة من صفاته أو أي ذاتية من ذاتياته فتعالى الله علواً كبيراً .

ويمضي الإمام في إظهار التذلل والخضوع والعبودية المطلقة لله تعالى

---

(١) صفة الصفوة ٢/٥٣ كشف الغمة ٢/٢٦٣.

(٢) خوالي الأعوام ، أي الأعوام الماضية .

الإمام عليه السلام من الله الحماية من هذا العدو الماكر الخبيث ، ولنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء :

« اللهم إنك أمرتني فتركت ، ونهيتني فركبت ، وسوّل لي الخطأ خاطر السوء ففرطت ، ولا استشهد على صيامي نهاراً، ولا استجير بتهجدي ليلاً ولا تثنى علي بإحيائها سنة ، حاشا فروضك التي من ضيعها هلك ، ولست أتوسل إليك بفضل نافلة ، مع كثير ما اغفلت من وظايف فروضك ، وتعديت عن مقامات حدودك إلى حرمات انتهكتها ، وكبائر ذنوب اجترحتها[1] كانت عافيتك لي من فضائحها ستراً ، وهذا مقام من استحيا لنفسه منك وسخط عليها ، ورضي عنك فتلقاك بنفس خاشعة ، ورقبة خاضعة ، وظهر مثقل من الخطايا ، واقفاً بين الرغبة اليك ، والرهبة منك ، وأنت أولى من رجاه ، وأحق من خشيه واتقاه، فاعطني يا رب ما رجوت ، وآمني ما حذرت ، وعد علي بعائدة رحمتك ، إنك أكرم المسؤولين . . » ويعرض الإمام راهب أهل البيت (ع) تذلله وخضوعه أمام الله ، ويرى أن ما عمله من الحسنات العظام من إحياء ليله في العبادة، والصيام في النهار وأدائه لجميع النوافل والمستحبات ، وإحيائه لسنن الإسلام، وغير ذلك من ضروب المبرات التي لا تحصى ، إنما هو قليل في جنب الله ، فأي انابة إلى الله مثل هذه الانابة؟ وأي انقطاع إليه مثل هذا الانقطاع؟ حقاً لقد كان هذا الإمام انموذجاً فريداً في دنيا المتقين والصالحين . . . ولنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء :

« اللهم وإذ سترتني بعفوك ، وتغمدتني[2] بفضلك في دار الفناء ، بحضرة الأكفاء ، فاجرني من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهادمن الملائكة المقربين ، والرسل المكرمين ، والشهداء والصالحين، من جار كنت اكاتمه سيئاتي[3] ومن ذي رحم كنت احتشم منه[4] في سريراتي[5] لم اثق

---

(١) اجترحتها : أي اقترفتها.

(٢) تغمدتني : أي شملتني .

(٣) اكاتمه سيئآتي : أي أخفي عليه سيئآتي .

(٤) احتشم منه : أي استحي منه .

(٥) سريراتي : أي الأعمال التي ارتكبها سراً .

وقد تعلقت جميع آماله وأمانيه به تعالى ، فقد اعتصم به ، وانقطع إليه ، ولنستمع إلى لوحة أخرى من هذا الدعاء الجليل :

« اللهم : وقد أشرف على خفايا الأعمال علمك ، وانكشف كل مستور دون خبرك ، ولا تنطوي عنك دقائق الأمور ، ولا تعزب عنك غيبات السرائر ، وقد استحوذ عليَّ عدوك الذي استنظرك[1] لغوايتي واستمهلك إلى يوم الدين لإضلالي فأمهلته ، فأوقعني ، وقد هربت إليك من صغائر ذنوب موبقة ، وكبائر أعمال مردية ، حتى إذا فارقت معصيتك ، واستوجبت بسوء سعيي سخطتك ، فتل[2] عني عذار[3] غدره ، وتلقاني بكلمة كفره[4] وتولى البراءة مني ، وأدبر مولياً فاصحرني[5] لغضبك فريداً ، وأخرجني إلى فناء نقمتك طريداً لا شفيع يشفع لي إليك ، ولا خفير[6] يؤمنني عليك ، ولا حصن يحجبني عنك ولا ملاذ الجأ إليه منك ، فهذا مقام العائذ بك ، ومحل المعترف لك فلا يضيقن عني فضلك ، ولا يقصرن دوني عفوك ، ولا أكن أخيب عبادك التائبين ، ولا اقنط وفودك الآملين ، واغفر لي إنك خير الغافرين . . » .

وتحدث الإمام عليه السلام في هذه الفقرات عن ضعف النفس البشرية أمام الشهوات وعدم استطاعتها لمقاومة الشيطان الرجيم الذي استخدم النزعات الشريرة الكائنة في نفس الإنسان من الطمع والحرص والكبرياء وغيرها ، وقد ملك زمامه واستولى على مشاعره وعواطفه ، فأخذ يسخره في ميادين الآثام والموبقات ، ويبعده عن كل طريق يقربه من الله زلفى ، ويطلب

---

(١) أشار عليه السلام إلى إبليس العدو للإنسان الذي طلب المهلة من الله لغواية الناس حيث قال كما في الآية : ﴿ انظرني إلى يوم يبعثون ﴾ .

(٢) فتل : أي صرف عني .

(٣) العذار : لجام الفرس .

(٤) أشار الإمام (ع) بذلك إلى الآية الكريمة ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان آكفر فلما كفر قال اني بريء منك ﴾ .

(٥) اصحرني : أي اظهرني .

(٦) الخفير : المجير .

بهم رب في الستر علي[1] ووثقت ربك رب في المغفرة لي ، وأنت أولى من وثق به ، واعطى من رغب إليه ، وأرأف من استرحم فارحمني . . . ».

واعرب الإمام عليه السلام في هذه الفقرات عن عظيم ثقته ورجائه بعفو الله والطافه وطلب منه المغفرة والرضوان في دار الجزاء ، وعرض عليه السلام لستر الله المرخى على عصاة عباده ، كما طلب منه أن يجيره من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهاد من الملائكة المقربين ، والرسل المكرمين ، والشهداء والصالحين ، واعطى عليه السلام بذلك درساً إلى عصاة المسلمين في أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحة ، ويعملوا صالحاً ليظفروا برضوان الله ورحمته التي وسعت كل شيء . . . ونعود إلى النظر في لوحة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« اللهم : وأنت حدرتني[2] ماءً مهيناً من صلب متضائق العظام[3] حرج المسالك[4] إلى رحم ضيقة سترتها بالحجب ، تصرفني حالاً عن حال ، حتى انتهيت بي إلى تمام الصورة ، وأثبت فيَّ الجوارح كما نعت في كتابك[5] نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، ثم كسوت العظام لحماً ، ثم انشأتني خلقاً آخر كما شئت ، حتى إذا احتجت إلى رزقك ، ولم استغن عن غياث فضلك ، جعلت لي قوتاً من فضل طعام ، وشراباً اجريته لأمتك[6] التي اسكنتني جوفها ، وأودعتني قرار رحمها ، ولو تكلني يا رب في تلك الحالات إلى حولي ، أو تضطرني إلى قوتي لكان الحول عني معتزلاً[7]

---

(١) أراد عليه السلام انه لم يثق بمن عرفه أنهم ان عرفوا السريرة قاموا بإفشائها ، وفي ذلك درس إلى المسلمين في أن يتصلوا بالله وإلا فإنه منزه عن كل ذنب .

(٢) حدرتني : أي انزلتني .

(٣) متضايق العظام : أراد بها عظام الصلب ، وهي متداخلة .

(٤) حرج المسالك : أي ضيق الطريق .

(٥) أشار (ع) إلى الآية الكريمة : ﴿ لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ، ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ .

(٦) لأمتك : اراد بها والدته .

(٧) معتزلاً : أي بعيداً .

ولكانت القوه مني بعيدة، فغذوتني بفضلك غذاء البر اللطيف ، تفعل ذلك بي تطولاً علي إلى غايتي هذه ، لا اعدم برك ، ولا يبطىء بي حسن صنيعك، ولا تتأكد مع ذلك ثقتي فاتفرغ لما هو احظى لي عندك ، قد ملك الشيطان عناني في سوء الظن وضعف اليقين ، فأنا أشكو سوء مجاورته[1]لي ، وطاعة نفسي له ، واستعصمك من ملكته ، واتضرع إليك في صرف كيده عني وأسألك في أن تسهل إلى رزقي سبيلاً، فلك الحمد على ابتدائك بالنعم الجسام ، والهامك الشكر على الإحسان والإنعام ، فصل على محمد وآله وسهل علي رزقي ، وان تقنعني بتقديرك لي ، وأن ترضيني بحصتي فيما قسمت لي ، وأن تجعل ما ذهب من جسمي وعمري في سبيل طاعتك ، إنك خير الرّازقين . . ».

وحفلت هذه الفقرات بأوثق الأدلة على وجود الخالق العظيم ، وهو خلقه تعالى للإنسان من ماء مهين ، وضع في رحم ضيق ، وأخذه بعد ذلك بالتطور والانتقال من حال إلى حال حتى ينتهي إلى التكامل ، وهو من أعظم مخلوقات الله لما فيه من الأجهزة العجيبة كأجهزة الفكر والبصر والسمع وغيرها مما تدلل على وجود الخالق الحكيم ، وقد كان حديث الإمام عليه السلام مستقى من القرآن الكريم الذي فصل تطور خلق الإنسان ، ومن الجدير بالذكر أن القرآن قد اكتشف كيفية تكوين الجنين على وجه الدقة ، وأفاد الإنسانية بهذه الحقيقة المذهلة ، يقول السيد قطب : « يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين ، لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً بعد تقدم علم الأجنة التشريحي ذلك أن خلايا العظم غير خلايا اللحم وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً ، في الجنين ، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام ، وتمام الهيكل العظمي للجنين ، وهي الحقيقة التي سجلها النص القرآني . . . »[2].

وعلى أي حال فإن الإمام عليه السلام بعد ما ذكر نعمة الله الكبرى

---

(١) مجاورته : الضمير يرجع إلى الشيطان .

(٢) في ظلال القرآن ١٦/١٧.

عليه ، فزع إليه متضرعاً في أن ينجيه من كيد الشيطان وغروره فإنه العدو الأول للإنسان . . . ولنستمع إلى القطعة الأخيرة من هذا الدعاء :

« اللهم إني اعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك ، وتوعدت بها من صدف عن رضاك ، ومن نار نورها ظلمة ، وهينها اليم[١] وبعيدها قريب ، ومن نار يأكل بعضها بعض ،ويصول[٢] بعضها على بعض ، ومن نار تذر العظام رميماً ، وتسقي أهلها حميماً[٣] ومن نار لا تبقي على من تضرع إليها ، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمن خشع لها ، واستسلم إليها ، تلقي سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال ، وشديد الوبال ، وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها[٤] وحياتها الصالقة[٥] بأنيابها ، وشرابها الذي يقطع امعاء وأفئدة سكانها ، وينزع قلوبهم واستهديك لما باعد منها ، وأخر عنها . . .

اللهم صل على محمد وآله ، وأجرني منها بفضل رحمتك ، واقلني عثراتي بحسن اقالتك ، ولا تخذلني يا خير المجيرين ، اللهم إنك تقي الكريهة ، وتعطي الحسنة ، وتفعل ما تريد ، وأنت على كل شيء قدير ، اللهم صل على محمد وآله إذا ذكر الأبرار[٦] وصل على محمد وآله ما اختلف الليل والنهار صلاة لا ينقطع مددها ، ولا يحصى عددها، صلاة تشحن[٧] الهواء وتملأ الأرض والسماء ، صلّى الله عليه حتى يرضى ، وصلى الله عليه وآله بعد الرضا ، صلاة لا حد لها ، ولا منتهى ، يا أرحم الراحمين[٨] واحتوت هذه الفقرات على وصف مفزع ومذهل لنار جهنم التي أعدها الله للفجرة

---

(١) أليم : أي مؤلم.
(٢) يصول : أي يهجم بعضها على بعض .
(٣) الحميم : المعادن المصهورة والذائبة.
(٤) الفاغرة أفواهها : الفاتحة افواهها .
(٥) الصالقة : الضاربة .
(٦) الأبرار: جمع بر وهو الذي يفعل الأفعال الحسنة .
(٧) تشحن الهواء : أي تملأ الهواء .
(٨) الصحيفة السجادية الدعاء الواحد والثلاثون .

والمستبدين والطغاة من عباده من الذين أشاعوا الجور والفساد في الأرض فإنهم يعانون في نار جهنم من صنوف التعذيب ما لا يوصف لهوله وفظاعته أعاذنا الله منها .

وبهذا ينتهي هذا الدعاء الشريف الذي كان يدعو به الإمام بعد صلاة الليل وهو من غرر أدعية أهل البيت عليهم السلام .

ضعفه وذبوله :

وذبل الإمام زين العابدين عليه السلام من كثرة الصلاة ، فقد اجهدته العبادة أي إجهاد ، وقد بلغ به الضعف أن الريح كانت تميله يميناً وشمالاً بمنزلة السنبلة[1] التي تميلها الريح إذ لم تكن عنده قوة يستطيع بها الوقوف ، وروى ابنه عبد الله قال : كان أبي يصلي بالليل فإذا فرغ يزحف إلى فراشه[2] وذلك لأنه لا طاقة له على القيام لشدة التعب والضعف والاعياء .

وأشفق عليه أهله ومحبوه من كثرة ما بان عليه من الضعف والجهد من كثرة صلاته وعبادته ، وخافوا عليه من الموت ، فكلموه في ذلك فأبى أن يجيبهم ، وأصر على ملازمته لنوافله وعبادته حتى يلحق بآبائه ، وفيما يلي بعض من كلموه :

١ ـ بعض أبنائه :

وخاف عليه بعض أبنائه ، فانبرى إليه بلهفة ووجل قائلاً :

« يا أبة كم هذا الدؤوب ـ يعني على الصلاة ـ؟ . . » .

فأجابه الإمام برفق وحنان :

« أتحبب إلى ربي . . »[3] .

---

(١) الإرشاد (ص ٢٧٢) روضة الواعظين ١/٢٣٧ .

(٢) البحار ٤٦/٩٩ .

(٣) البحار ٤٦/٩١ .

لقد تحبب إلى ربه ، وتقرب إليه بجميع الطرق والوسائل ، وليس في دنيا المتقين والصالحين من يضارعه في إنابته وشدة تعلقه بالله .

٢ ـ جابر الأنصاري :

وكان الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الأنصاري قد أشفق على الإمام عليه السلام وطلب منه أن يخفف من عبادته ، ولا يجهد نفسه ، وقد روى حديثه الإمام الباقر عليه السلام قال : لما رأت فاطمة بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة أقبلت إلى جابر بن عبد الله الأنصاري فقالت له :

« يا صاحب رسول الله إن لنا عليكم حقوقاً ، ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكروه الله ، وتدعوه إلى البقيا على نفسه ، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنفه ، ونقبت جبهته وركبتاه وراحتاه مما دأب على نفسه في العبادة . . . » .

وانطلق جابر إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فوجده في محرابه قد أضنته العبادة ، وأجهدته الطاعة ، ولما رآه الإمام استقبله ، وأجلسه إلى جنبه وسأله سؤالاً حفياً عن حاله ، فالتفت إليه جابر قائلاً :

« يا ابن رسول الله أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ، ولمن أحبكم ، وخلق النار لمن أبغضكم ، وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك ؟ » .

فأجابه الإمام برفق ولطف :

« يا صاحب رسول الله ، أما علمت أن جدي رسول الله (ص) قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلم يدع الاجتهاد له ، وتعبد ـ بأبي وأمي ـ حتى انتفخ ساقه ، وورم قدمه وقد قيل له : أتفعل هذا ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال :

« أفلا أكون عبداً شكوراً . . »

ولما نظر جابر إلى الإمام لا يغني معه قول يميل به من الجهد والتعب طفق يقول له :

« يا ابن رسول الله ، البُقيا على نفسك ، فإنك من أسرة بهم يستدفع البلاء وبهم يستكشف الأدواء ، وبهم تستمطر السماء . . . » .

فأجابه الإمام بصوت خافت :

« لا أزال على منهاج أبوي متأسياً بهما حتى ألقاهما . . . » .

وبهر جابر ، وأقبل على من حوله قائلاً :

ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب ، والله لذرية الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب !! إن منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . . »[1] .

أجل والله انه ليس في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين في ورعه وتقواه ، وسائر مثله العليا التي رفعته إلى القمة التي انتهى إليها العظماء من آبائه ، وأعلن جابر أن ذرية الإمام الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب ، لأن فيهم المصلح العظيم قائم آل محمد (ص) الذي بشر به النبي (ص) وإنه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وذلك في أيام حكومته وسلطانه .

٣ ـ عبد الملك :

وممن أشفق على الإمام من كثرة عبادته عبد الملك بن مروان ، وذلك حينما وفد عليه الإمام ليشفعه في جماعة من المسلمين كانت السلطة قد ألقت القبض عليهم فلما رآه عبد الملك استعظم ما رآه عليه من أثر السجود بين عينيه فقال له :

---

(١) المناقب لابن شهرا شوب حياة الإمام الباقر .

« لقد بيَّن عليك الاجتهاد ، ولقد سبق لك من الله الحسنى ، وأنت بضعة من رسول الله (ص) قريب النسب ، وكيد السبب ، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك ، وذوي عصرك ، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ، ولا قبلك إلا من مضى من سلفك . . » .

وأقبل على الإمام يطريه ، ويذكر فضله ومآثره ، فلما انتهى من كلامه ، قال له الإمام :

«كل ما ذكرته من فضل الله سبحانه ، وتأييده وتوفيقه ، فأين شكره على ما أنعم ؟ ولقد كان رسول الله (ص) يقف للصلاة حتى تتورم قدماه ، ويظمأ في الصيام حتى يعصب فوه[1] فقيل له يا رسول الله ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك ، وما تأخر ، فيقول صلى الله عليه وآله : أفلا أكون عبداً شكوراً .

الحمد لله على ما أولى ، وأبلى ، وله الحمد في الآخرة والأولى ، والله لو تقطعت أعضائي ، وسالت مقلتاي على صدري لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ أحد نعمة منها، على جميع حمد الحامدين ، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ، ولا سر ولا علانية ، ولولا أن لأهلي علي حقاً ، ولسائر الناس من خاصهم وعامهم علي حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء ، وبقلبي إلى الله ، ثم لم أردهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين . . » .

وبكى الإمام بكاءً شديداً ، وأثر كلامه ومنظره الذي تعنو له الجباه ، وتذل له الرقاب في نفس الطاغية عبد الملك ، فراح يقول بتأثر وإعجاب :

« شتان بين عبد طلب الآخرة ، وسعى لها سعيها ، وبين من طلب الدنيا من أين جاءته ، ما له في الآخرة من خلاق . . » .

---

(١) عصب فوه : أي جف ريقه

وخضع عبد الملك فشفعه فيمن جاء فيهم ، وأطلق سراحهم[1] .

هؤلاء بعض الذين أشفقوا على الإمام من كثرة صلاته وعبادته فقد طلبوا منه بإلحاح أن يخفف منها ، ويميل من التعب إلى الراحة إلا أن الإمام لم يجبهم إلى ذلك ، فقد وجد في الصلاة راحة نفسية لا يعد لها أي شيء .

صومه :

وقضى الإمام معظم أيام حياته صائماً ، وقد قالت جاريته حينما سئلت عن عبادته : ما قدمت له طعاماً في نهار قط ، وقد أحب الصوم ، وحث عليه فقد قال : « إن الله تعالى وكل ملائكة بالصائمين »[2] وكان عليه السلام لا يفطر إلا في يوم العيدين ، وغيرهما مما كان له عذر ، ونتحدث ـ بإيجاز ـ عن بعض شؤونه في شهر رمضان المبارك الذي هو شهر الله ، وشهر الطاعة .

في شهر رمضان :

وكان له شأن خاص في شهر رمضان المبارك ، فكان يعمل فيه كل ما يقربه إلى الله زلفى ، ويقول الرواة : إنه لم يترك نوعاً من أنواع البر والخير إلا أتى به ، وكان لا يتكلم إلا بالتسبيح والاستغفار والتكبير ، وإذا أفطر قال : اللهم إن شئت أن تفعل فعلت[3] .

دعاؤه عند رؤية هلال رمضان :

وكان عليه السلام يستقبل شهر رمضان بشوق ورغبة لأنه ربيع الأبرار ، وكان يدعو حين رؤيته لهلاله بهذا الدعاء الشريف الذي يمثل روحانية الإسلام ، وهدي أهل البيت عليهم السلام ، وهذا نصه :

« الحمد لله الذي هدانا لحمده ، وجعلنا من أهله ، لنكون لإحسانه من

---

(١) البحار ٤٦/٦٥ .

(٢) دعوات الراوندي (ص ٤) .

(٣) فروع الكافي ٤/٨٨ .

الشاكرين ، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين ، والحمد لله الذي حبانا بدينه ، واختصنا بملته ، وسبَّلنا[1] في سبل[2] إحسانه لنسلكها بمنه إلى رضوانه ، حمداً يتقبله منا ، ويرضى به عنا ، والحمد لله الذي جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان شهر الصيام ، وشهر الإسلام ، وشهر الطهور[3] وشهر التمحيص ، وشهر القيام ، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، فأبان فضيلته على سائر الشهور ، بما جعل له من الحرمات الموفورة ، والفضائل المشهورة ، فحرم فيه ما أحل في غيره إعظاماً ، وحجر فيه المطاعم والمشارب إكراماً ، وجعل له وقتاً بيناً ، لا يجيز جل وعز أن يقدم قبله ، ولا يقبل أن يؤخر عنه ، ثم فضل ليلة واحدة من لياليه على ليالي ألف شهر ، وسماها ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام ، دائم البركة إلى طلوع الفجر على من يشاء من عباده ، بما أحكم من قضائه . . » .

واحتوت هذه الكلمات المشرقة على تعظيم شهر رمضان وتبجيله ، ونعته بأسمى الأوصاف ، التي منها :

١ ـ إنه شهر الإسلام ، فمن صامه فقد دخل في إطار الإسلام ، ومن أفطر فيه عالماً عامداً فهو ليس من الإسلام في شيء .

٢ ـ إنه شهر الطهور : لأن فيه طهارة للنفس من الذنوب ، وتزكية لها من الآثام .

٣ ـ إنه شهر التمحيص : فيه يختبر المسلمون ، ويمحصون ، وبه يظهر المطيع من العاصي .

٤ ـ إنه شهر القيام : إن هذا الشهر ربيع الأبرار والأخيار ، فإنهم يحيون لياليه بالعبادة والطاعة .

---

(١) سبلنا : أي أدخلنا .

(٢) السبل : الطرق .

(٣) شهر الطهور : أراد (ع) أن الصائم يطهر في هذا الشهر المبارك من أدران الذنوب .

٥ ـ ومن مميزات هذا الشهر انه أنزل فيه القرآن العظيم ، فقد أنزل في ليلة القدر التي هي من أجل لياليه ، ففيها«تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر» .

٦ ـ ومن مميزات هذا الشهر الشريف أن الله تعالى جعل له من الحرمات ما ليست لغيره من سائر الشهور فقد حرم فيه تعالى على الصائم في أثناء صومه المطاعم والمشارب إكراماً وتعظيماً لهذا الشهر . . . ولنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء :

« اللهم صلِّ على محمد وآله ، وألهمنا معرفة فضله ، وإجلال حرمته مما حظرت فيه ، وأعنا على صيامه بكف الجوارح عن معاصيك ، واستعمالها فيه بما يرضيك حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا نسرع بأبصارنا إلى لهو ، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور ، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور وحتى لا تعي بطوننا إلا ما أحللت ، ولا تنطق ألسنتنا إلا بما قلت ، ولا نتكلف إلا ما يدني من ثوابك ، ولا نتعاطى إلا الذي يقي من عقابك ، ثم خلص ذلك كله من رئاء المرائين ، وسمعة المستمعين ، لا نشرك فيه أحداً دونك ، ولا نبتغي فيه مراداً سواك . . . » .

تعرض الإمام عليه السلام إلى ما ينبغي أن يتصف به الصائم في هذا الشهر العظيم من كف جوارحه عما حرمه الله ، والتي منها صيانة لسانه من الكذب والغيبة والبهتان ، وصيانة سماعه من اللغو والباطل ، وعدم بسط يده إلى السرقة والاِعتداء على الناس ، وعدم سعيه إلى محظور ومحجوب عنه وذلك كالمشي إلى محل المعاصي ، وعدم أكل الحرام ، كما تعرض عليه السلام إلى أن الصائم ينبغي له أن تكون أعماله الصالحة ومبراته خالصة لوجه الله غير مشوبة برياء أو طلب جاه أو سمعة بين الناس فإن ذلك كله مما يفسد العمل ، ولنصغ بعد هذا إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« اللهم صلِّ على محمد وآله وقفنا[1] على مواقيت الصلوات الخمس

---

(١) وقفنا : أي اجعلنا نقف على مواقيت الصلاة .

بحدودها التي حددت ، وفروضها التي فرضت ، ووظائفها التي وظفت ، وأوقاتها التي وقت ، وأنزلنا فيها منزلة المصيبين لمنازلها ، الحافظين لأركانها ، المؤدين لها في أوقاتها ، على ما سنه عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله في ركوعها وسجودها ، وجميع فواضلها على أتم الطهور وأسبغه وأبين الخشوع وأبلغه ، ووفقنا فيه لأن نصل أرحامنا بالبر والصلة وأن نتعاهد جيراننا بالأفضال والعطية ، وأن نخلص أموالنا من التبعات وأن نطهرها بإخراج الزكوات ، وأن نراجع من هاجرنا ، وأن ننصف من ظلمنا ، وأن نسالم من عادانا ، حاشا من عودي فيك ولك[1] فإنه العدو الذي لا نواليه ، والحزب الذي لا نصافيه ، وأن نتقرب إليك فيه من الأعمال الزاكية بما تطهرنا به من الذنوب ، وتعصمنا فيه مما نستأنف من العيوب ، حتى لا يورد عليك أحد من ملائكتك إلا دون ما نورد من أبواب الطاعة لك ، والقربة إليك . . » .

وعرضت هذه الفقرات إلى أمور بالغة الأهمية ينبغي للصائم مراعاتها ، والقيام بها وهي :

١ ـ الحفاظ على الإتيان بالصلاة ـ التي هي عمود الدين ـ في أوقاتها التي حددها الله ، مشفوعة بما سنه الرسول الأعظم (ص) من السنن والآداب والأذكار في ركوعها وسجودها بل وفي جميع شؤونها ، والإتيان بها على أكمل وجه من الخشوع والخضوع لله تعالى وحده .

٢ ـ البر بالأرحام والصلة لهم فإنها من أفضل الطاعات .

٣ ـ الإحسان إلى الجيران ، وإسداء المعروف لهم .

٤ ـ تطهير الأموال بإخراج الخمس والزكاة المفروضة فيها .

٥ ـ مراجعة من هجرنا من الأصدقاء والاخوان .

٦ ـ إنصاف الظالم وعدم الاعتداء عليه بقول أو فعل فإن ذلك من مكارم الأخلاق .

---

(١) ولك : أي لأجلك .

٧ ـ مسالمة العدو ، وعدم معاداته اللهم إلا أن تكون العداوة لله في الله تعالى ، فإن اللازم مقاطعته ، وعدم مسالمته .

٨ ـ التقرب إلى الله بالأعمال الطيبة ، فإنها يتأكد استحبابها في شهر رمضان المبارك .

ولنستمع بعد هذا إلى الفقرات الأخيرة من هذا الدعاء الشريف :

« اللهم إني أسألك بحق هذا الشهر ، وبحق من تعبد لك فيه من ابتدائه إلى وقت فنائه : من ملك قربته أو نبي أرسلته أو عبد صالح اختصصته ، أن تصلي على محمد وآله ، وأهِّلنا[١] فيه لما وعدت أولياءك من كرامتك ، وأوجب لنا فيه ما أوجبت لأهل المبالغة في طاعتك[٢] واجعلنا من نظم[٣] من إستحق الأعلى برحمتك .

اللهم صلِّ على محمد وآله ، وجنبنا الإلحاد في توحيدك ، والتقصير في تمجيدك والشك في دينك ، والعمى عن سبيلك ، والإغفال لحرمتك ، والانخداع لعدوك الشيطان الرجيم[٤] اللهم صل على محمد وآله ، وإذا كان لك في كل ليلة من ليالي شهرنا هذا رقاب يعتقها عفوك ، أو يهبها صفحك ، فاجعل رقابنا من تلك الرقاب ، واجعلنا لشهرنا من خير أهل وأصحاب .

اللهم صل على محمد وآله ، وامحق ذنوبنا[٥] مع إمحاق هلاله[٦] واسلخ عنا تبعاتنا مع انسلاخ أيامه ، حتى ينقضي عنا ، وقد صفيتنا فيه من الخطيئات ، وأخلصتنا فيه من السيئات ، اللهم صل على محمد وآله ، وإن ملنا فيه فعدلنا ، وإن زغنا فيه فقومنا ، وإن اشتمل علينا عدوك الشيطان فاستنقذنا منه .

---

(١) أهلنا : أي اجعلنا أهلاً .
(٢) أهل المبالغة في الطاعة : هم الذين يكثرون في طاعة الله ، ويبالغون فيها .
(٣) في نظم : أي في عداد .
(٤) الرجيم : هو المطرود .
(٥) امحق ذنوبنا : أي امحها .
(٦) المحاق : هي ثلاثة أواثنتان أو ليلة واحدة في آخر كل شهر لا يظهر فيه القمر ليلاً ولا نهاراً .

اللهم اشحنه بعبادتنا إياك ، وزين أوقاته بطاعتنا لك ، وأعنا في نهاره على صيامه ، وفي ليله على الصلاة والتضرع إليك ، والخشوع لك ، والذلة بين يديك ، حتى لا يشهد نهاره علينا بغفلة ، ولا ليله بتفريط ، اللهم واجعلنا في سائر الشهور والأيام ، كذلك ما عمرتنا ، واجعلنا من عبادك الصالحين «الذين يرثون الفردوس ، هم فيها خالدون» ، «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ، انهم إلى ربهم راجعون» ، ومن «الذين يسارعون في الخيرات ، وهم لها سابقون» ، اللهم صلِّ على محمد وآله في كل وقت وكل آوان ، وعلى كل حال عدد ما صليت على من صليت عليه ، وأضعاف ذلك بالأضعاف التي لا يحصيها غيرك ، إنك فعال لما تريد . . »[1] .

إن أدعية الإمام مدرسة للوعي الديني ، وهي تفيض بروح الإيمان وجوهر الإخلاص لله . . . وقد احتوت هذه الفقرات المشرقة من دعائه على ما يلي :

١ ـ انه توسل إلى الله تعالى بحرمة رمضان ، وبحرمة من تعبد فيه من عباده الصالحين في أن يجعله من أوليائه المقربين ، وفي عداد من استحق المنزلة الرفيعة عنده .

٢ ـ أن يجعل أعماله الصالحة ، ومبراته خالصة لوجهه تعالى غير مشوبة برياء ونحوه مما يفسد العمل .

٣ ـ أن يجنبه الشك والأوهام الفاسدة في أمور الدين .

٤ ـ أن لا يسلك غير الطريق الذي شرعه الله ، وأن لا يغفل عن حرماته تعالى .

٥ ـ أن لا ينحرف في تيار الشيطان الرجيم .

٦ ـ أن يمنَّ عليه فيجعله من جملة عتقائه في هذا الشهر العظيم .

---

(١) الصحيفة السجادية الدعاء الثالث والأربعون .

٧ ـ أن يوفقه الله في هذا الشهر المبارك للعبادة والطاعة ، والتضرع والخشوع والذلة له تعالى .

هذه بعض الأمور المهمة التي احتوت عليها هذه الكلمات من دعائه .

مبراته في رمضان :

كان عليه السلام كثير البر في شهر رمضان ، وهذه بعض مبراته :

أ ـ إطعام الطعام :

وحث الإسلام على بذل الطعام للصائمين ، وندب إليه ، وكان الإمام زين العابدين في كل يوم من أيام شهر رمضان يأمر بذبح شاة وطبخها ، فإذا كان المساء أكب على القدور يشمها ، فإذا نضجت يقول : هاتوا القصاع ، ويأمر بأن يغرف إلى الفقراء والأرامل والأيتام حتى يأتي على آخر القدور ، ولا يبقي شيئاً لإفطاره وكان يفطر على خبز وتمر[1] .

ب ـ تحريره للعبيد :

ومن مبرات الإمام (ع) في شهر رمضان المبارك كثرة عتقه ، وتحرير ارقائه من رق العبودية ، على أنهم كانوا يعيشون في ظلاله محترمين ، وكان يعاملهم كأبنائه وكان يغضي عمن أساء إليه منهم ، ولا يعاقبه ، وكان يعتق جميع ما ملكت يمينه منهم في رمضان ، ونقل الرواة أنه كان لا يعاقب أمة ولا عبداً إذا اقترف أحدهما ذنباً وإنما كان يسجل اليوم الذي أذنبوا فيه ، فإذا كان آخر شهر رمضان جمعهم وأظهر الكتاب الذي سجل فيه ذنوبهم ، ويقول لهم : ارفعوا أصواتكم وقولوا :

« يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت ، كما

---

(١) المحاسن (ص ٣٩٦) البحار ٤٦/٧٢ .

أحصيت علينا ما عملناه ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ، ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها «وتجد كل ما عملت لديه حاضراً» ،كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً ، فاعف واصفح ، كما ترجو من المليك العفو ، وكما تحب أن يعفو المليك عنك ، فاعف عنا تجده عفوّاً ، وبك رحيماً ولك غفوراً ، ولا يظلم ربك أحداً . . . كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها ، فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل ، ويأتي بها يوم القيامة ، وكفى بالله حسيباً وشهيداً ، فاعف ، واصفح يعف عنك المليك ويصفح ، فإنه يقول :

« وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم »[1] .

وكان يلقنهم بتلك الكلمات التي تمثل مدى انقطاعه إلى الله واعتصامه به، وهو واقف يبكي من خشيته تعالى ، وهو يقول :

« ربنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا ، وقد عفونا عمن ظلمنا ـ كما أمرت ـ فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين ، وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا ، وقد أتيناك سؤّالاً ومساكين ، وقد انخنا بفنائك ، وببابك ، نطلب نائلك ومعروفك، وعطاءك فامنن بذلك علينا ، ولا تخيبنا فإنك أولى بذلك منا ، ومن المأمورين .

إلهي : كرمت فاكرمني ، إذا كنت من سؤّالك ، وجدت بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك، يا كريم . . . ».

ثم أقبل عليهم بوجهه الشريف وقد تبلل من دموع عينيه قائلاً لهم بعطف وحنان :

« قد عفوت عنكم ، فهل عفوتم عني ؟ ومما كان مني من سوء ملكة، فإني مليك سوء لئيم ظالم ، مملوك لمليك كريم ، جواد ، عادل ، محسن ، متفضل . . . » .

---

(١) سورة النور آية ٢٢ .

أي نفس ملائكية هذه النفس العظيمة التي تمثلت روحانية الأنبياء ، ومحاسن صفاتهم وأخلاقهم !!

وينبري العبيد قائلين له :

« قد عفونا عنك يا سيدنا . . . » .

فيقول لهم : قولوا :

« اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عنا ، فاعتقه من النار كما اعتق رقابنا من الرق » .

فيقولون ذلك : ويقول بعدهم : اللهم آمين رب العالمين ، اذهبوا فقد عفوت عنكم ، واعتقت رقابكم رجاءً للعفو عني ، وعتق رقبتي ، فإذا كان يوم عيد الفطر أجازهم جائزة سنية تصونهم ، وتغنيهم عما في ايدي الناس[1] .

وليس في دنيا المتقين والصالحين مثل الإمام زين العابدين عليه السلام في تقواه ، وعظيم اخلاصه وطاعته لله فقد مليء قلبه الشريف إيماناً ومعرفة بالله .

وعلى أي حال فإن الإمام (ع) قد عمل في شهر رمضان جميع الوان الخير من البر بالضعفاء ، وإكرام البؤساء ، وإنعاش المحرومين ، وتحرير العبيد ، وغير ذلك مما يقربه إلى الله زلفى .

دعاؤه في السحر :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يناجي ربه ، ويدعوه بتضرع وإخلاص في سحر كل ليلة من ليالي شهر رمضان بالدعاء الجليل الذي عرف بدعاء أبي حمزة الثمالي لأنه هو الذي رواه عنه ، وهو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام لأنه يمثل مدى الانابة والانقطاع إلى الله ، كما أن فيه من المواعظ ما يوجب صرف النفس عن غرورها وشهواتها وبالإضافة إلى ذلك فقد

---

(١) البحار ٤٦/١٠٣- ١٠٥ .

امتاز بجمال الأسلوب وروعة البيان وبلاغة العرض وفيه من التذلل والحشوع والخضوع أمام الله تعالى ، ما لا يوجد في بقية الأدعية ونقتطف بعض القطع المضيئة منه دون أن نذكره بأسره ، وذلك لذيوعه وانتشاره في كتب الأدعية التي هي بمتناول الكثيرين من القراء .

وقبل أن نذكر بعض فقرات هذا الدعاء نود أن نبين أنه قد احتل مكانة مهمة في نفوس الأخيار والصلحاء من المسلمين فقد عكفوا على الدعاء به في سحر كل ليلة من ليالي رمضان، كما قد رأيت بعض المؤمنين قد حفظه ، ويدعو به ، وفيما يلي بعض فقراته :

« الهي : لا تؤدبني بعقوبتك ، ولا تمكر بي في حيلتك ، من أين لي الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك ، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلا بك ، لا الذي احسن استغنى عن عونك ورحمتك ، ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك ، يا رب بك عرفتك ، وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت . . . ».

أرأيتم راهب أهل البيت كيف يناجي ربه ، ويتضرع إليه يحاججه بهذا الأسلوب الذي ينبض بواقع الإيمان والمعرفة . . . ولنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء الشريف :

« يا حبيب من تحبب اليك ، ويا قرة عين من لاذ بك ، وانقطع إليك ، أنت المحسن ، ونحن المسيئون، فتجاوز يا رب عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك ، وأي جهل يا رب لا يسعه جودك ؟ وأي زمان أطول من أناتك؟ وما قدر اعمالنا في جنب نعمك ، وكيف نستكثر أعمالاً نقابل بها كرمك ، بل كيف يضيق على المذنبين ما وسعهم من رحمتك، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ، فوعزتك لو نهرتني ما برحت من بابك ، ولا كففت عن تملقك لما انتهى إلي من المعرفة بجودك وكرمك . . ».

وهكذا يستمر الإمام عليه السلام في تملقه وتضرعه إلى الخالق العظيم طالباً منه المغفرة والرضوان ، واسمعوه كيف يقول :

« اللهم : اني كلما قلت : قد تهيأت ، وتعبّأت ، وقمتُ للصلاة بين يديك ، وناجيتك القيت علي نعاساً إذا أنا صليت ، وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت . . . مالي كلما قلت : قد صلحت سريرتي ، وقرب من مجالس التوابين مجلسي ، عرضت لي بلية أزالت قدمي ، وحالت بيني وبين خدمتك ، سيدي : لعلك عن بابك طردتني وعن خدمتك نحيتني ، أو لعلك رأيتني مستخفاً بحرمتك فاقصيتني ، أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقليتني ، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني ، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني ، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني ، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك ايستني ، أو لعلك رأيتني الف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني ، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني ، أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني ، أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني فإن عفوت يا رب فطالما عفوت عن المذنبين قبلي ، لأن كرمك أي رب يجل عن مكافأة المقصرين . . . » .

وعرض الإمام عليه السلام إلى الأمور التي تحجب الإنسان من الاقبال على الله في حال صلاته ومناجاته ، وهذه بعضها :

١ ـ الاستخفاف بحقوق الله ، وذلك بأن يستهين بها .

٢ ـ الاعراض عن الله ،

٣ ـ عدم اجتناب الكذب الذي هو مجمع الرذائل والموبقات .

٤ ـ عدم شكر النعم التي أنعم الله بها على العبد .

٥ ـ عدم مجالسة العلماء الواقعيين الذين يذكرون الناس الدار الآخرة ويحثونهم على فعل الخيرات .

٦ ـ الغفلة عن ذكر الله ، والغفلة عن ذكر الموت فإنهما يجران الإنسان إلى الشقوة والهلاك .

٧ ـ مجالسة البطالين الذين يقضون أوقاتهم باللهو ، ويضيعون أعمارهم في توافه الأمور، فإن مجالستهم مما توجب الانصراف عن الله .

هذه بعض الأمور التي تحجب التوفيق من الاتصال بالله ، وتصده عن فعل الخير أعاذنا الله منها ، ولنستمع إلى فصل آخر من فصول هذا الدعاء : « الهي وسيدي وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك ، ولئن طالبتني بلؤمي لاطالبنك بكرمك ، ولئن ادخلتني النار لأخبرن أهل النار ، بحبي لك ، الهي وسيدي إن كنت لا تغفر إلا لأوليائك ، وأهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون ، وإن كنت لا تكرم إلا أهل الوفاء بك فبمن يستغيث المسيئون الهي إن ادخلتني النار ففي ذلك سرور عدوك - يعني الشيطان الرجيم - وإن ادخلتني الجنة ففي ذلك سرور نبيك ، وأنا والله أعلم أن سرور نبيك أحب إليك من سرور عدوك . . . »[1].

لقد استعطف سيد المتقين وإمام العارفين عليه السلام الخالق العظيم الذي وسعت رحمته كل شيء طالباً منه المغفرة والرضوان للمذنبين والمقصرين من عباده ، فإن فيضه وجوده لا يقتصر على المؤمنين والمطيعين ، وإنما هو شامل لجميع عباده . . . وبهذه اللقطات اليسيرة ينتهي بنا الحديث عن دعاء الإمام في سحر كل ليلة من ليالي رمضان المبارك .

دعاؤه في وداع رمضان :

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يتأثر إذا انطوت أيام رمضان لأنه ربيع الأبرار ، وكان يودعه بهذا الدعاء الجليل :

« اللهم يا من لا يرغب في الجزاء ، ويا من لا يندم على العطاء ، ويا من لا يكافىء عبده على السواء ، منتك ابتداء ، وعفوك تفضل ، وعقوبتك عدل ، وقضاؤك خيرة إن اعطيت لم تشب عطاءك بمن ، وإن منعت لم يكن منعك تعدياً ، تشكر من شكرك ، وأنت الهمته شكرك ، وتكافىء من حمدك ، وأنت علمته حمدك ، تستر على من لو شئت فضحته ، وتجود على من لو شئت منعته ، وكلاهما أهل منك للفضيحة والمنع غير أنك بنيت فعالك على

---

(١) المصباح للطوسي ، المصباح للكفعمي.

التفضل ، وأجريت قدرتك على التجاوز ، وتلقيت من عصاك بالحلم ، وامهلت من قصد لنفسه بالظلم تستنظرهم باناتك إلى الانابة[1] ، وتترك معاجلتهم إلى التوبة ، لكيلا يهلك عليك هالكهم ، ولا يشقى بنعمتك شقيهم إلا عن طول الإعذار إليه ، وبعد ترادف الحجة عليه ، كرماً من عفوك يا كريم ، وعائدة من عطفك يا حليم . . . » .

ولا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر في هذه الفقرات المضيئة من كلام الإمام عليه السلام فقد احتوت على ما يلي :

١ ـ كرم الله :

أما كرم الله تعالى وجوده على العباد ـ حسبما أدلى به الإمام ـ فقد تميز بما يلي .

(أ) إن نعمة الله تعالى على العباد لا يرجو منها جزاءاً لانه تعالى مستغن عن عباده وهم الفقراء إليه .

(ب) إنه تعالى إذا أنعم على عبد بنعمة مهما كبرت ، فإنه لا يندم على عطائه ، كما يندم المخلوقون في عطائهم إذا لم تكن هناك عائدة أو منفعة ترجع إليهم .

(ج) إن نعم الله على عباده غير مشوبة بالمن ، فإنه تعالى يعطي تفضلاً

(د) إنه تعالى هو الذي يبتديء بالإحسان والكرم على عباده .

٢ ـ عفو الله وعقابه :

أما عفو الله عن المذنبين والمسيئين فإنما هو تفضل ورحمة منه ، وأما عقابه لهم فإنما هو عدل لأنه لا يعاقب إلا بقدر ما يستحق المذنب من العقاب .

---

(١) الأناة : الحلم .

٣ ـ قضاء الله :

أما قضاء الله وصدور الأفعال منه فإنه باختياره ، وهو غير مجبور عليها كما يقول بذلك بعض الفلاسفة .

٤ ـ شكره للشاكرين :

إن الله تعالى يشكر من شكره ، وذلك بزيادة الطافه ونعمه عليه ، وهذا هو المراد من شكر الله لعبده ، كما أنه تعالى يكافىء من حمده ، ويزيد عليه الطافه .

٥ ـ ستره على العبد :

ومن الطاف الله على عبده ستره عليه في حال ارتكابه للمعاصي ، ولو شاء تعالى لفضحه، واسقطه من عيون الناس ، كما أن الطافه تعالى على المذنب ، أنه يجود عليه ، ويرزقه ، ولو شاء لمنعه رزقه ، وأماته جوعاً ، ولكنه تعالى قد جرت مشيئته وقدرته على التجاوز عن المذنبين ، رجاء أن يرجع إليهم حلمهم ويتوبوا إلى طريق الحق والرشاد ، ولا يشقى منهم إلا من أصر على العصيان ونبذ الحق . . . هذه بعض المحتويات في كلام الإمام عليه السلام ، ولنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء الشريف :

« أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك ، وسميته التوبة ، وجعلت على ذلك الباب دليله من وحيك لئلا يضلوا عنه ، فقلت : تبارك اسمك « توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير »[1] فما عذر من أغفل دخول ذلك المنزل بعد فتح الباب وإقامة الدليل ، وأنت الذي زدت في السوم[2] على نفسك لعبادك ، تريد ربحهم في متاجرتهم لك ، وفوزهم بالوفادة عليك ، والزيادة منك ، فقلت

---

(١) سورة التحريم: آية ٨.

(٢) السوم : المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة .

تبارك اسمك وتعاليت : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها »[1] وقلت : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء »[2] وقلت : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له »[3] أضعافاً كثيرة وما أنزلت من نظائرهن في القرآن من تضاعيف الحسنات ، وأنت الذي دللتهم من غيبك وترغيبك ، الذي فيه حظهم على ما سترته عنهم ، لم تدركه أبصارهم ، ولم تعه اسماعهم ، ولم تلحقه أوهامهم ، فقلت: « اذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »[4] وقلت : « لئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم ان عذابي لشديد »[5] وقلت : « ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين »[6] فسميت دعاءك عبادة وتركه استكباراً، وتوعدت على تركه دخول جهنم داخرين[7] فذكروك بمنك ، وشكروك بفضلك ودعوك بأمرك ، وتصدقوا لك طلباً لمزيدك، وفيها كانت نجاتهم من غضبك، وفوزهم برضاك ، ولو دل مخلوق مخلوقاً من نفسه على مثل الذي دللت عليه عبادك منك كان موصوفاً بالإحسان ، ومنعوتاً بالامتنان، ومحموداً بكل لسان ، فلك الحمد ما وُجد في حمدك مذهب ، وما بقي لفظ تحمد به ، ومعنى ينصرف إليه ، يا من تحمد إلى عباده بالإحسان والفضل ، وغمرهم بالمن[8] والطول[9] ما افشى فينا نعمتك ، واسبغ علينا منتك ، واخصنا ببرك ، هديتنا لدينك الذي اصطفيت ، وملتك التي ارتضيت ، وسبيلك الذي سهلت وبصرتنا الزلفة لديك ، والوصول إلى كرامتك ».

(١) سورة الأنعام : آية ١٦٠ .
(٢) سورة البقرة : آية ٢٦١ .
(٣) سورة الحديد : آية ١١ .
(٤) سورة البقرة : آية ١٥٢ .
(٥) سورة إبراهيم آية ٧ .
(٦) سورة غافر : آية ٦٠ .
(٧) داخرين : أي أذلاء محقرين .
(٨) المن : النعمة .
(٩) الطول : الأحسان .

وتحدث الإمام عليه السلام في هذه القطعة عن عظيم لطف الله وفضله على العصاة من عباده فقد فتح لهم باب التوبة والمغفرة لينقذهم من الهلاك ، والشقاء في دار الآخرة ، والتوبة ماحية للذنوب ومنجية للإنسان من غمرات الأهوال ، ويشترط فيها الندم على ما اقترف الإنسان من ذنب ، وعدم العودة إليه .

وتحدث الإمام عليه السلام عن لطف آخر من الطاف الله على عباده ، وذلك بأن حثهم على الإحسان إلى الناس وفعل الخير ، وعلى الصدقة والبر بالفقراء والضعفاء وضمن لهم عوض ذلك الثمن الجزيل في دار البقاء والخلود كل ذلك لنجاتهم ، وسعادتهم، فما أسبغ نعمته ، واعظم فضله على العباد

وعرض عليه السلام في كلامه إلى شكر الله على نعمه وأنه مما يوجب المزيد ، كما تعرض عليه السلام إلى الدعاء إلى الله والتضرع اليه ، فقد جعل ذلك عبادة وتركه استكباراً حسب ما أعلن القرآن الكريم ، ولنستمع بعد هذا الى قطعة أخرى من هذا الدعاء :

« اللهم وأنت جعلت من صفايا تلك الوظائف ، وخصائص تلك الفروض شهر رمضان الذي اختصصته من سائر الشهور، وتخيرته من جميع الأزمنة والدهور ، وآثرته على كل أوقات السنة بما أنزلت فيه من القرآن والنور ، وضاعفت فيه من الإيمان[1] وفرضت فيه من الصيام ، ورغبت فيه من القيام[2] واجللت فيه من ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، ثم آثرتنا به على سائر الأمم ، واصطفيتنا بفضله دون أهل الملل فصمنا بأمرك نهاره ، وقمنا بعونك ليله ، متعرضين بصيامه وقيامه لما عرضتنا له من رحمتك ، وتسببنا إليه من مثوبتك ، وأنت المليء بما رغب فيه إليك ، الجواد بما سئلت من فضلك ، القريب إلى من حاول قربك ، وقد أقام فينا هذا الشهر مقام حمد ، وصحبنا صحبة مبرور واربحنا أفضل أرباح العالمين ، ثم فارقنا عند

---

(١) وضاعفت فيه من الإيمان : أي جعلت ثواب الإيمان ، وثواب الأعمال الصالحة فيه مضاعفاً .
(٢) ورغبت فيه من القيام : أي ندبت إلى إحياء لياليه بالعبادة.

تمام وقته ، وانقطاع مدته، ووفاء عدده[1] فنحن مودعوه وداع من عزّ فراقه علينا وغمنا ، وأوحشنا انصرافه عنا ، ولزمنا له الذمام المحفوظ ، والحرمة المرعية، والحق المقضي . . .».

وأشاد الإمام عليه السلام بهذه الكلمات بفضل شهر رمضان المبارك الذي ميزه الله على سائر الشهور ، واختصه بالمزيد من الفضل ، ففرض فيه الصيام ، وندب فيه إلى إحياء لياليه بالعبادة والطاعة ، وجعل ثواب الأعمال الصالحة فيه مضاعفاً، كما خصه بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وقد آثر الله به المسلمين وحباهم به دون غيرهم من سائر الأمم لينالوا الدرجات العالية ، والمنزلة الكريمة عنده . . . وتعرض الإمام (ع) إلى حزنه على مفارقة هذا الشهر العظيم الذي كان يكتسب في كل ثانية منه الحسنات والأعمال التي تقربه إلى الله زلفى ، ولنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء المبارك :

« فنحن قائلون : السلام عليك يا شهر الله الأكبر ، ويا عيد اوليائه السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات ، ويا خير شهر في الأيام والساعات ، السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال ، ونشرت فيه الأعمال ، السلام عليك من قرين جل قدره موجوداً ، وافجع فقده مفقوداً ، ومرجواً آلم فراقه ، السلام عليك من أليف انس مقبلاً فسرّ ، وأوحش منقضياً فمضّ، السلام عليك من مجاور رقت فيه القلوب ، وقلت فيه الذنوب ، السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان ، وصاحب سهّل سبل الاحسان ، السلام عليك ما أكثر عتقاء الله فيك ، وما أسعد من رعى حرمتك بك ، السلام عليك ما كان أمحاك للذنوب ، واسترك لانواع العيوب ، السلام عليك ما كان اطولك على المجرمين واهيبك في صدور المؤمنين ، السلام عليك من شهر لا تنافسه الأيام ، السلام عليك من شهر هو من كل أمر سلام ، السلام عليك غير كريه المصاحبة ، ولا ذميم الملابسة، السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات وغسلت عنا دنس الخطيئات ، السلام عليك غير مودع برما ولا متروك صيامه

---

(١) ووفاء عدده : أي تمام عدده .

سأماً ، السلام عليك من مطلوب قبل وقته ، ومحزون عليه قبل فوته ، السلام عليك كم من سوء صرف بك عنا ، وكم من خير أفيض بك علينا ، السلام عليك وعلى ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، السلام عليك ما كان احرصنا بالأمس ، وأشد شوقنا غداً إليك ، السلام عليك وعلى فضلك الذي حرمناه وعلى ماض من بركاتك سلبناه . . . » .

لقد ودع الإمام عليه السلام شهر رمضان المبارك بهذه التحيات الحارة العاطرة مشفوعة بالمرارة والأسى على فراقه لأنه كان ميداناً لمبراته وأعماله الصالحة التي تقربه إلى الله تعالى ، وقد عرض عليه السلام إلى خصائص هذا الشهر العظيم ، وبيان امتيازاته على بقية الشهور ، ولنستمع إلى لوحة اخرى من هذا الدعاء الجليل :

« اللهم إنا أهل هذا الشهر الذي شرفتنا به ، ووفقتنا بمنك له ، حين جهل الأشقياء وقته ، وحرموا لشقائهم فضله ، أنت ولي ما آثرتنا به من معرفته ، وهديتنا له من سنته ، وقد تولينا بتوفيقك صيامه وقيامه على تقصير ، وأدينا فيه قليلاً من كثير .

اللهم فلك الحمد إقراراً بالإساءة ، واعترافاً بالإضاعة[1] ولك من قلوبنا عقد الندم ، ومن ألسنتنا صدق الاعتذار ، فاجرنا على ما أصابنا فيه من التفريط أجراً نستدرك به الفضل المرغوب فيه ، ونعتاض به من أنواع الذخر[2] المحروص عليه وأوجب لنا عذرك على ما قصرنا فيه من حقك ، وأبلغ باعمارنا ما بين أيدينا من شهر رمضان المقبل ، فإذا بلغتناه فاعنا على تناول ما أنت اهله من العبادة ، وأدنا[3] إلى القيام بما يستحقه من الطاعة ، وأجر لنا من صالح العمل ما يكون دركاً لحقك في الشهرين[4] من شهور الدهر .

اللهم وما الممنا به في شهرنا هذا من لمم[5] أو اثم ، أو واقعنا فيه من

---

(١) اراد عليه السلام أنا اضعنا هذا الشهر ولم نقم بما يلزم من رعايته .
(٢) أنواع الذخر : أي الثواب الذي اذخره الله لعباده المؤمنين .
(٣) أدنا إلى القيام : أي اوصلنا إلى القيام بطاعتك .
(٤) الشهرين : هما رمضان الماضي والآتي .
(٥) اللمم : صغار الذنوب .

ذنب واكتسبنا فيه من خطيئة على تعمُّد منا ، أو على نسيان ظلمنا فيه أنفسنا ، أو انتهكنا به حرمة من غيرنا ، فصل على محمد وآله ، واسترنا بسترك ، واعف عنا بعفوك ولا تنصبنا لأعين الشامتين ، ولا تبسط علينا فيه ألسن الطاغين ، واستملنا بما يكون حطة[1] وكفارة لما انكرت منا فيه برأفتك التي لا تنفد ، وفضلك الذي لا ينقص، اللهم صل على محمد وآله واجبر مصيبتنا بشهرنا وبارك لنا في يوم عيدنا وفطرنا ، واجعله من خير يوم مرّ علينا، أجلبه لعفو ، وامحاه لذنب ، واغفر لنا ما خفي من ذنوبنا وما علن . . » .

أنظرتم إلى هذا الخضوع والتذلل أمام الخالق العظيم ، وطلب العفو والمغفرة منه ، والاعتراف أمامه بالتقصير في أداء ما ينبغي من عبادته وطاعته في شهر رمضان المبارك ، هذا وهو زين العابدين وداعية الله الأكبر !!! حقاً لقد كان هذا الإمام العظيم انموذجاً فريداً في عالم المتقين والصالحين . . .

ولنستمع إلى الفصل الأخير من هذا الدعاء :

« اللهم اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر من خطايانا ، وأخرجنا بخروجه من سيئاتنا واجعلنا من أسعد أهله به ، واجزلهم قسماً فيه ، وأوفرهم حظاً منه ، اللهم ومن رعى هذا الشهر حق رعايته ، وحفظ حرمته حق حفظها ، وقام بحدوده حق قيامها واتقى ذنوبه حق تقاتها ، أو تقرب إليك بقربة أوجبت رضاك له، وعطفت رحمتك عليه ، فهب لنا مثله من وجدك ، واعطنا اضعافه ، فإن فضلك لا يغيض[2] وان خزائنك لا تنقص بل تفيض ، وإن معادن إحسانك لا تفنى، وإن عطاءك للعطاء المهنّا.

اللهم صل على محمد وآله، واكتب لنا مثل أجور من صامه أو تعبد لك فيه إلى يوم، القيامة اللهم انا نتوب إليك في يوم فطرنا الذي جعلته للمؤمنين عيداً وسروراً ، ولأهل ملتك مجمعاً ومحتشداً من كل ذنب اذنباه أو سوء اسلفناه ،أو خاطر شر اضمرناه توبة من لا ينطوي على رجوع إلى ذنب ، ولا يعود بعدها إلى خطيئة توبة نصوحا[3] خلصت لك من الشك والارتياب ،

---

(١) حطة : أي سبباً لحط ذنوبنا .

(٢) لا يغيض : مأخوذ من غاض الماء إذا تسرب في باطن الأرض .

(٣) نصوحاً : أي خالصة لا يشوبها مما يفسدها .

فتقبلها منا ، وارض عنا وثبتنا عليها .

اللهم ارزقنا خوف عقاب الوعيد ، وشوق ثواب الموعود حتى نجد لذة ما ندعوك به ، وكآبة ما نستجيرك منه ، واجعلنا عندك من التوابين الذين أوجبت لهم محبتك وقبلت منهم مراجعة طاعتك يا أعدل العادلين اللهم تجاوز عن آبائنا وأمهاتنا وأهل ديننا جميعاً من سلف منهم ، ومن غبر إلى يوم القيامة ، اللهم صل على محمد نبينا وآله ، كما صليت على ملائكتك المقربين ، وصل عليه وآله كما صليت على انبيائك المرسلين ، وصل عليه وآله كما صليت على عبادك الصالحين ، وأفضل من ذلك يا رب العالمين ، صلاة تبلغنا بركتها ، وينالنا نفعها ، ويستجاب لها دعاؤنا ، إنك اكرم من رغب إليه ، وأكفى من توكل عليه ، واعطى من سئل من فضله ، وأنت على كل شيء قدير . . . »[1] .

إن هذا الدعاء الشريف بل وسائر ادعية الإمام عليه السلام مما تهتز لها أعماق النفوس ، وتضطرب منها دخائل القلوب ، وتبعث للتقوى والإيمان كما تبعث على الندم والحسرات على ما فرط الإنسان في جنب الله .

في يوم عيد الفطر :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يستقبل يوم عيد الفطر بالدعاء إلى الله تعالى طالباً منه أن يتقبل صومه وسائر عباداته ومبراته في شهر رمضان ، وأن يمنحه العفو والرضوان ، وكان في الصباح الباكر يعطي الفقراء زكاة الفطرة، عن نفسه ، وعمن يعول به ، كما كان يصلي صلاة العيد ، وبعد الفراغ منها يستقبل القبلة ، ويدعو بهذا الدعاء الجليل :

« يا من يرحم من لا يرحمه العباد ، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد[2] ويا من لا يحتقر أهل الحاجة إليه ، ويا من لا يخيب الملحين عليه ، ويا من

---

(١) الصحيفة السجادية الدعاء الرابع والأربعون .

(٢) من لا تقبله البلاد : هو من طاردته الحكومة أو الأعداء فلايتمكن من سكن البلاد خوفاً من البطش به ولكن الله يسعه بفضله ومنه .

لا يجبه بالرد أهل الدالة عليه ، يا من يجتبي[1] صغير ما يتحف به ، ويشكر يسير ما يعمل له ، ويا من يشكر على القليل ويجازي بالجليل ، ويا من يدنو إلى من دنا منه ، ويا من يدعو إلى نفسه من أدبر عنه ، ويا من لا يغير النعمة ولا يبادر بالنقمة ، ويا من يثمر الحسنة حتى ينميها ، ويتجاوز عن السيئة حتى يعفيها[2] انصرفت الآمال دون مدى كرمك[3] بالحاجات وامتلأت بفيض جودك أوعية الطلبات ، وتفسخت دون بلوغ نعتك الصفات فلك العلو الأعلى فوق كل عال ، والجلال الأمجد فوق كل جلال، كل جليل عندك صغير ، وكل شريف في جنب شرفك حقير ، خاب الوافدون على غيرك وخسر المتعرضون إلا لك ، وضاع الملمون إلا بك ، واجدب المنتجعون[4] إلا من انتجع فضلك ، بابك مفتوح للراغبين ، وجودك مباح للسائلين ، واغاثتك قريبة من المستغيثين ، لا يخيب منك الآملون ، ولا ييأس من عطائك المتعرضون ولا يشقى بنقمتك المستغفرون ، رزقك مبسوط لمن عصاك ، وحلمك معترض لمن ناواك ، عادتك الاحسان الى المسيئين ، وسنتك الابقاء على المعتدين حتى لقد غرتهم أناتك عن الرجوع ، وصدهم امهالك عن النزوع ، وإنما تأنيت بهم ليفيئوا إلى أمرك ، وأمهلتهم ثقة بدوام ملكك ، فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها ، ومن كان من أهل الشقاوة خذلته لها .

وعرض الإمام الأعظم عليه السلام في هذه اللوحة إلى الطاف الله تعالى ، وفضله الشامل على العباد فهو العطوف والرحيم على من انقطع عن العباد ، ولا يجد راحماً سواه كما أن رحمته تعالى شملت من طاردته الحكومات فهام على وجهه من الخوف ، ومن الطاف الله تعالى أنه لا يحتقر المحتاجين إليه كما يحتقرهم العباد ، ومن رحمته تعالى أنه لا يخيب آمال

---

(١) يجتبى : أي يختار .
(٢) يعفيها : أي يمحوها .
(٣) مدى كرمك : أي آخر كرمك .
(٤)المنتجعون : هم الذين يطلبون الماء والكلاء .

الملحين عليه بالمسألة والدعاء ، ومن عظيم فضله تعالى وسعة رحمته انه يقبل القليل من العمل الصالح ، ويجازي عليه بالكثير ، وقد تحبب الى عباده فقد دنا إلى من دنا منه ، ودعا من أدبر عنه ليمنحهم المنزلة الرفيعة في دار الآخرة ، وينقذهم من الهلاك ، ومن الطاف الله على عباده أنه لا يغير نعمة أنعم بها عليهم إلا أن يغيروا ما بانفسهم ، كما أنه تعالى ينمي الحسنة ويربيها لصاحبها في دار الآخرة . . . إن كرم الله وجوده لا يحد ، فقد عجزت الأوصاف والنعوت أن تلم به تعالى ، فهو فوق كل عال ، وفوق كل جلال ، وفوق كل شريف .

ونعى الإمام عليه السلام في دعائه على الذين يلجأون إلى غير الله ، فقد فوتوا عليهم الخير وضاعت آمالهم ، وخسرت صفقتهم ، كما قد ربح من التجأ إليه تعالى ، وفاز فوزاً عظيماً وتعرض الإمام عليه السلام إلى حلم الله تعالى وانابته على المعتدين فلم يعاجلهم بالعقوبة لعلهم يفيئوا إلى أمره تعالى ، ويرجعوا إلى حظيرة الحق . . . هذه بعض الأمور التي حفلت بها هذه القطعة من دعاء الإمام (ع)، ولنستمع إلى الفصل الأخير منه :

« كلهم صائرون إلى حكمك ، وأمورهم آيلة إلى أمرك ، لم يهن على طول مدتهم سلطانك ولم يدحض لترك معاجلتهم برهانك ، حجتك قائمة لا تدحض ، وسلطانك ثابت لا يزول، فالويل الدائم لمن جنح[1] عنك ، والخيبة الخاذلة لمن خاب منك ، والشقاء الأشقى لمن اغتر بك[2] ما أكثر تصرفه[3] في عذابك ، وما أطول تردده في عقابك ، وما ابعد غايته من الفرج ، وما اقنطه من سهولة المخرج !! عدلاً من قضائك لا تجور فيه ، وانصافاً من حكمك لا تحيف[4] عليه، فقد ظاهرت الحجج ، وأبليت الأعذار ، وقد تقدمت بالوعيد ، وتلطفت في الترغيب ، وضربت الأمثال،

---

(١) جنح : مال وانصرف .
(٢) اغتر بك : أي انخدع بامهالك له .
(٣) تصرفه : أي تقلبه .
(٤) لا تحيف: أي لا تجور .

وأطلت الامهال ، وأخرت وأنت مستطيع للمعالجة ، وتأنيت وأنت مليء[1] بالمبادرة .

لم تكن انانك عجزاً ، ولا امهالك وهنا ، ولا امساكك غفلة ، ولا مداراة ، بل لتكون حتجتك أبلغ ، وكرمك أكمل ، واحسانك أوفى ، ونعمتك اتم ، كل ذلك كان ولم تزل ، وهو كائن ولا تزال ، حجتك أجل من أن توصف بكلها ، ومجدك أرفع من أن تحد بكنهه ، ونعمتك أكثر من أن تحصى بأسرها ، وإحسانك أكثر من أن تشكر على أقله ، وقد قصر بي السكوت عن تحميدك وفههني[2] الامساك عن تمجيدك ، وقصاراي الاقرار بالحسور[3] لا رغبة - يا إلهي - بل عجزاً منها أنا ذا أؤمك[4] بالوفادة ، واسألك حسن الرفادة فصل على محمد وآله ، واسمع نجواي ، واستجب دعائي ، ولا تختم يومي بخيبتي ، ولا تجبهني بالرد في مسألتي ، واكرم من عندك منصرفي ، وإليك منقلبي ، إنك غير ضائق بما تريد ، ولا عاجز عما تسأل ، وأنت على كل شيء قدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »[5] .

عرض الإمام عليه السلام في هذه الكلمات إلى أن جميع الخلق مؤمنهم وفاسقهم ، وموحدهم وكافرهم إنما هم في قبضة الله تعالى ، خاضعون لحكمه صائرون إلى أمره ، وأما تعند العصاة ، واستمرارهم في البغي والتمرد والعصيان فإنهم لا يوهنون بذلك سلطان الله والويل لهم من عقابه الدائم وعذابه الخالد ، وإنما امهلهم تعالى في دار الدنيا ولم يعجل عقوبتهم وذلك شفقة منه ولطفاً بهم إذ لعلهم يرجعون إلى حظيرة الحق ، ويتوبون إلى الله ، وبذلك يكون كرمه تعالى أوفى ، ونعمته على عباده اكمل .

---

(١) مليء : أي قادر .
(٢) فههني : أي اعجزني .
(٣) الحسور : عدم القدرة .
(٤) أؤمك : أي اقصدك .
(٥) الصحيفة السجادية الدعاء الخامس والأربعون .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن صوم الإمام عليه السلام في رمضان، وقد كان حافلاً بجميع الوان العبادات والطاعات والمبرات .

حجه :

أما الحج إلى بيت الله الحرام فكان الإمام عليه السلام ملازماً له لأنه يجد في مواقفه الكريمة انتعاشاً لنفسه التي أذابتها كوارث كربلاء ، وكان (ع) بحث على الحج والعمرة وذلك لما يترتب عليهما من الفوائد فقد قال : « حجوا واعتمروا تصح اجسادكم ، وتتسع ارزاقكم ، ويصلح إيمانكم وتكفوا مؤونة الناس ، ومؤونة عيالكم[1] وقال عليه السلام الحاج مغفور له ، وموجوب له الجنة ، ومستأنف به العمل ، ومحفوظ في أهله وماله[2] وقال عليه السلام : « الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة[3] كما كان يدعو إلى تكريم الحجاج إذا قدموا من بيت الله الحرام وتبجيلهم ، فقد قال : استبشروا بالحجاج إذا قدموا وصافحوهم ، وعظموهم تشاركوهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب[4] ونعرض ـ بإيجاز ـ لبعض شؤونه في حجه .

حجه ماشياً :

وحج الإمام عليه السلام غير مرة ماشياً على قدميه كما حج أبوه ، وعمه الحسن عليهما السلام وقد استغرق الوقت في إحدى سفراته إلى البيت عشرين يوماً[5] .

---

(١) وسائل الشيعة ٨/٥ .

(٢) من لا يحضره الفقيه (ص ١٥٦) وسائل الشيعة ٨/٥ .

(٣) من لا يحضره الفقيه (ص ١٥٩) .

(٤) من لا يحضره الفقيه (ص ١٥٥) .

(٥) البحار ، وجاء في العقد الفريد ١٠٣/٣ أنه حج خمساً وعشرين حجةً راجلاً .

حجه راكباً :

وحج عليه السلام على ناقته عشرين حجة ، وكان يرفق بها كثيراً ، ويقول المؤرخون : أنه ما قرعها بسوط[1] وقال إبراهيم بن علي : حججت مع علي بن الحسين فتلكأت ناقته فأشار إليها بالقضيب ، ثم رد يده ، وقال : آه من القصاص ، وتلكأت عليه مرة أخرى بين جبال رضوى ، فأراها القضيب ، وقال : لتنطلقن أو لأفعلن، ثم ركبها فانطلقت[2] لقد سمت نفسه إلى هذا المستوى من الرحمة والرأفة والرفق بالحيوان فلم يقرع ناقته بسوط ولم يفزعها ، ويرى أن الاعتداء على الحيوان يتبعه قصاص ومسؤولية في دار الآخرة .

مرافقة القراء له :

كان الإمام عليه السلام إذا أراد السفر إلى بيت الله الحرام احتف به القراء والعلماء لأنهم كانوا يكتسبون منه العلوم ، والمعارف ، والحكم والآداب ، يقول سعيد بن المسيب أن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج علي بن الحسين ، فخرج وخرجنا معه ألف راكب[3] وكانوا يتعلمون منه مسائل الحج ، وأحكام الدين ، وسائر شؤون الشريعة الإسلامية ، إذ لم يكن في عصره - بإجماع المؤرخين والرواة - من هو أعلم منه بأحكام الكتاب والسنة .

زاده إلى الحج :

وكان الإمام عليه السلام يستعد أحسن استعداد وأكمله في سفره إلى الحج أو العمرة فكان يتزود من أطيب الزاد وأثمره من اللوز والسكر، والسويق

---

(١) حلية الأولياء ٣/١٣٣ .

(٢) الفصول المهمة (ص ١٨٩).

(٣) حياة الإمام محمد الباقر ١/١٣٨ .

المحمض ، والمحلى[1] وقد صنعت له في إحدى سفراته أخته السيدة الزكية سكينة زاداً نفيساً انفقت عليه ألف درهم إلا أنه لما كان بظهر الحرة أمر بتوزيعه على الفقراء والمساكين فوزع عليهم[2].

اضطرابه عند الأحرام :

وإذا انتهى الإمام إلى احدى المواقيت التي يحرم منها كمسجد الشجرة الذي هو ميقات المدنيين ومن يجتاز عليه، فيأخذ بعمل سنن الاحرام من الغسل وغيره ، وإذا اراد التلبية عند عقد الإحرام اصفر لونه، واضطرب ، ولم يستطع أن يلبي فقيل له :

« ما لك لا تلبي ؟».

فيقول : وقد أخذته الرعدة والفزع من الله :

« أخشى أن أقول : لبيك فيُقال لي : لا لبيك . . ».

وإذا لبى غشي ،عليه من كثرة خوفه من الله ، ويسقط من راحلته ، ولا يزال تعتريه هذه الحالة حتى يقضي حجه[3] ، وروى مالك أن زين العابدين لما أراد أن يقول : لبيك أغمي عليه حتى سقط من ناقته فهشم[4] لقد عرف الله معرفة كاملة ، فهام بحبه ، وفزع من عقابه ، واتجه نحوه بمشاعره وعواطفه شأنه في ذلك شأن آبائه الذين هم سادة المتقين والمنيبين إلى الله .

دعاؤه عند الحجر :

وإذا انتهى في طوافه عند الحجر رفع رأسه إلى السماء قائلاً : « اللهم ادخلني الجنة برحمتك ـ وهو ينظر إلى الميزاب ـ وأجرني برحمتك من النار ،

---

(١) البحار ٤٦/٧١.

(٢) صفة الصفوة ٢/٥٤.

(٣) نهاية الأرب ٢١/٣٢٦ خلاصة تهذيب الكمال (ص ١٣١) تهذيب التهذيب ٧/٣٠٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٦ .

وعافني من السقم وأوسع علي من الرزق الحلال ، وأدرأ عني شر فسقة الجن والإنس وشر فسقة العرب والعجم »[1].

صلاته تحت الميزاب :

وكان الإمام عليه السلام إذا أدى مناسكه في البيت الحرام من الطواف والسعي أقبل على الصلاة تحت ميزاب الرحمة ، وقد رآه طاووس اليماني في ذلك المكان المقدس قائماً وهو يدعو الله ويبكي من خشية الله، فلما فرغ من صلاته انبرى إليه طاووس قائلاً :

« رأيتك على حالة من الخشوع ، ولك ثلاثة أمور : أرجو أن تؤمنك من الخوف أحدها أنك ابن رسول الله (ص) الثاني : شفاعة جدك ، الثالث : رحمة الله . . . » .

وأجابه الإمام بلطف قائلاً :

« يا طاووس أما انى ابن رسول الله (ص) فلا يؤمنني وقد سمعت الله تعالى يقول : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ﴾[2] وأما شفاعة جدي فلا تؤمنني لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[3] وأما رحمة الله فالله يقول : ان رحمة الله قريب من المحسنين ، ولا أعلم أني محسن »[4].

أرأيتم هذا التواضع، ونكران الذات أمام الله تعالى ، حقاً لقد كان هذا الإمام نسخة لا ثاني لها في بني الإنسان عدا آبائه العظام

مع هشام بن عبد الملك :

حج هشام بن عبد الملك بيت الله الحرام ، وقد صحبته الشرطة ،

---

(١) فروع الكافي ٤/٤٠٧ .
(٢) سورة المؤمنون : آية ١٠١ .
(٣) سورة الأنبياء : آية ٢٨ .
(٤) البحار ٤٦/١٠١ .

واحتفت به المرتزقة والوجوه والأعيان من أهل الشام ، وقد جهد على استلام الحجر فلم يستطع لازدحام الحجاج ، وتدافعهم على تقبيل الحجر ، ولم يعن أحد بهشام ولم يفسحوا له ، فقد انعدمت الفوارق ، في ذلك البيت العظيم ، وقد نصب له منبر فجلس عليه ، وجعل ينظر إلى عملية الطواف ، وأقبل الإمام زين العابدين عليه السلام ليؤدي طوافه ، وبصر به بعض من يعرفه من الحجاج فنادى بأعلى صوته :

« هذا بقية الله في أرضه . . »

« هذا بقية النبوة . . . »

« هذا إمام المتقين ، وسيد العابدين . . . ».

وغمرت الحجاج هيبة الإمام التي تعنو لها الوجوه والجباه ، وهي تحكي هيبة جده رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتعالت الأصوات من جميع جنبات المسجد بالتهليل والتكبير، وانفرج الناس له سماطين فكان السعيد من يقبل يده ، ويلمس إحرامه ، وضج البيت بالتكبير وذهل أهل الشام ، وبهروا من هذا المنظر الرهيب ، فإنهم لا يرون أحداً جديراً بالتكريم والتعظيم، غير الأسرة الأموية ، فهي وارثة النبي (ص) والقريبة إليه حسب ما أكده الاعلام الأموي وبادر الشاميون إلى هشام قائلين :

« من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة ؟ . . »

وتميز هشام من الغيظ ، وانتفخت أوداجه، وبرزت عينه الحولاء[1] فصاح بهم .

« لا أعرفه . . ».

---

(١) ذكر الجاحظ في رسائله (ص٨٩) أن هشام بن عبد الملك كان يقال له : الأحول السراق ، وقد أنشده أبو النجم العجلي أرجوزته التي يقول فيها :

« الحمد لله الوهوب المجزل »

فأخذ يصفق بيديه استحساناً لها حتى صار إلى ذكر الشمس قال : « والشمس في الأرض كعين الأحول » فأمر بوجء عنقه وإخراجه، وعلق الجاحظ على ذلك بقوله وهذا ضعف شديد، وجهل عظيم .

وإنما أنكر معرفته للإمام مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ويزهدوا في بني أمية، وكان الفرزدق شاعر العرب الكبير حاضراً، فاستيقظ ضميره، واستوعب الحق فكره ، وقد أخذته الرعدة ، فاندفع بحماس قائلاً لأهل الشام :

« أنا أعرفه . . . ».

« من هو يا أبا فراس ؟ . . »

وذعر هشام، وفقد صوابه مخافة أن يعرفه الفرزدق إلى أهل الشام ، فصاح به :

« أنا لا أعرفه . . . ».

وعلا صوت الفرزدق بالإنكار عليه قائلاً :

« بلى تعرفه . . ».

والتفت الفرزدق صوب أهل الشام قائلاً :

« يا أهل الشام من أراد أن يعرف هذا الرجل فليأت . . . ».

وخف الشاميون وغيرهم نحو شاعر العرب الأكبر ، وقد استحالوا إلى أذن صاغية ، وانبرى الفرزدق، وكله حماس لنصرة الحق ، فارتجل هذه القصيدة العصماء التي مثلت صدق القول ، وجمال الأسلوب فقال :

هذا سليل حسين وابن فاطمة ... بنت الرسول الذي انجابت به الظلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها: ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يرقى إلى ذروة العز الذي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم
بكفه خيزران ريحها عبق ... من كف اروع في عرنينه شمم
من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل امته دانت له الأمم
ينشق نور الهدى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصرها والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدماً وفضله ... جرى بذاك له في لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته ... رحب الفناء أريب حين يعتزم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هُم
لا يستطيع جواد بُعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة ازمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطاً من اكفهم ... سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبهم ... ويسترد به الاحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل امر ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذل ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى هضم
أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأولية هذا أوْله نعم
من يشكر الله يشكر أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم[1]

وتميزت هذه القصيدة العصماء على بقية الشعر العربي بالخلود على امتداد التاريخ لأنها كانت ثورة على الباطل، ونصرة للحق ، فقد جاءت في وقت كمت فيه الأفواه وأخرست الألسن عن ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام ،فمن ذكر لهم مأثرة أو فضيلة سيق إلى الاعدام من قبل السلطة الأموية العاتية التي سخرت جميع أجهزتها لمحو أهل البيت من خارطة الوجود .

(١) نهاية الأرب ٢١/٣٢٧ - ٣٣١، وقد ذكرت هذه القصيدة كلاً وبعضاً في كثير من مصادر الأدب والتاريخ والتراجم نشير إلى بعضها ، وهي : زهر الآداب ١/١٠٣ سرح العيون لابن نباته (ص ٣٩٠) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٩٣) الاتحاف بحب الأشراف (ص٥١) أخبار الدول للقرماني (ص١١٠) تأريخ دمشق ٣٦/١٦١ روضة الواعظين ١/٢٣٩، دائرة المعارف للبستاني ٩/٣٥٦ أنوار الربيع ٤/٣٥.مع اختلاف في ترتيب الابيات.

لقد اشاد الفرزدق في قصيدته بالإمام العظيم أمام أهل الشام وغيرهم من سائر الحجاج مما يعتبر ضربة موجعة للسياسة الأموية ، وعلق البستاني على هذه القصيدة بقوله : وقالوا : كفى بالفرزدق أن يكون قال هذه القصيدة حتى يدخل الجنة[1].

ومضافاً لما فيها من روعة الصدق ، ونصرة الحق انسجام أبياتها بهذا اللون من الجمال ، يقول السيد علي المدني : وأما انسجامها فغاية لا تدرك ، وعقيلة لا تملك ، وقد جنبها حواشي الكلام ، وجاء فيها ببديع الانسجام ، ومن رأى شعر الفرزدق، ورأى هذه القصيدة ملك نفسه العجب ، فإنه لا مناسبة بينها وبين سائر قوله : سبباً ومدحاً وهجاءاً على أنه نظمها بديهة وارتجالاً ، ولا شك أن الله سبحانه أيده في مقالها ، وسدده حال ارتجالها[2].

تشكيك أبي الفرج :

وشكك أبو الفرج في نسبة هذه القصيدة إلى الفرزدق لأن منهاجه في الشعر غير ذلك إذ كان يستوعر في اسلوبه والفاظه وخياله[3] وعلق على ذلك الشيخ محمد أبو زهرة بقوله :

« وانا لا نرى ذلك الشك سائغاً أو يتفق مع المنهاج السليم في دراسة الروايات للأسباب الآتية :

أولها : تضافر الروايات كلها على نسبتها للفرزدق ، وعدم محاولة الأصفهاني الطعن في الرواية بتكذيب رواتها .

ثانياً ـ أنه لم يعيّن بالدليل الشاعر الذي ينسب إليه من بين شعراء آل البيت ، ولا يصح أن يلغى نسب قصيدة لأبيها وقائلها ، ويتركها مجهولة النسب أو ينسبها بغير حجة .

ثالثها ـ أن الشاعر الذي يستوعر قد يرق احياناً على

(١) دائرة المعارف للبستاني ٩/٣٥٦.
(٢) أنوار الربيع ٤/٣٥.
(٣) الأغاني .

حسب المقام الذي يقول فيه ، فإذا كان الشاعر حسب المقام الذي يقول فيه ، فإذا كان الشاعر يصف البادية بآكامها ، وما فيها فإنه يستوعر بطبيعته ، وطبيعة الموضوع الذي يتصدى لوصفه ، وإذا كان الموضوع الذي يتكلم فيه وصفاً لأخلاق وشيم فإنه بلا ريب سيلين إلا ما كان شاعراً مجيداً يتخير ما يناسب كل مقام من مقال .

وإن امرأ القيس الجاهلي رق شعره في آخر حياته عندما نزلت به النوازل ، ولسنا بمقام الرواية للأدب حتى ننقل لك وصفه لمرضه ، وما نزل به ، وكذلك الأعشى ، وكعب بن زهير عندما مدحا النبي (ص) رق شعرهما رقة تتفق مع شيم النبي ومكارمه، فليست رقة الفرزدق في هذه القصيدة بغريبة تستدعي الانكار والشك .

ويجب هنا أن نقرر أن الفرزدق كان يميل ميلاً شديداً إلى آل البيت وإن لم يكثر من الشعر فيهم اتقاءً لأذى الأمويين[1].

لقد كان الفرزدق علوي الميول والاتجاه ، وقد اندفع إلى مدح الإمام عليه السلام بوحي من عقيدته ، يقول الشريف المرتضى : كان الفرزدق شيعياً مائلاً لبني هاشم ، ونزع في آخر عمره عما كان عليه من الفسق والقذف ، وراجع طريقة الدين على أنه لم يكن في خلال ذلك سلخاً من الدين ، ولا مهملاً أمره[2] وعلى أي حال فإن نسبة هذه القصيدة العصماء إلى الفرزدق من الأمور التي لا تقبل التشكيك ، فقد تواتر النقل بنسبتها إليه .

اعتقال الفرزدق :

وثار هشام بن عبدالملك، وخرج من اهابه حينما سمع بهذه القصيدة، وود أن الأرض قد ساخت به، فقد دللت على واقع الإمام العظيم ، وعرفته لأهل الشام الذين جهلوه وجهلوا آباءه ، فقد أشاد الفرزدق بمنزلة الإمام ، وجعل الولاء له جزءاً لا يتجزأ من الإسلام ، وانه أفضل إنسان تضمه سماء الدنيا في ذلك العصر .

---

(١) الإمام زيد (ص ٢٨- ٢٩).

(٢) سرح العيون (ص٣٩٠).

وأمر هشام باعتقال الفرزدق فاعتقل ، وأودع في سجون عسفان وهو منزل يقع ما بين مكة والمدينة، وبلغ ذلك الإمام زين العابدين عليه السلام فبعث إليه بإثني عشر ألف درهم فردها الفرزدق، واعتذر من قبولها ، وقال : إنما قلت فيكم غضباً لله ورسوله ، فردها الإمام عليه فقبلها ، وجعل الفرزدق يهجو هشاماً ، ومما هجاه به :

ايحسبني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوي منيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعين له حولاء باد عيوبها[1]

مناجاته في البيت الحرام :

وأثرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام مناجاة كثيرة في بيت الله الحرام كان يناجي بها ربه في غلس الليل البهيم ، ومن بينها ما يلي :

١ ـ روى محمد بن أبي حمزة قال : رأيت علي بن الحسين (ع)، في فناء الكعبة، وهو يصلي ، فأطال القيام حتى جعل مرة يتوكأ على رجله اليمنى ، ومرة على رجله اليسرى ثم سمعته بصوت عال كأنه باك ، وهو يناجي ربه قائلاً .

« يا سيدي تعذبني وحبك في قلبي ؟!! أما وعزتك لتجمعن بيني وبين قوم طالما عاديتهم فيك . . . »[2].

وفي هذه المناجاة القصيرة أعرب الإمام عليه السلام عن مدى انقطاعه وتضرعه الى الله طالباً منه أن يمنحه العفو والرضوان .

٢ ـ روى الأصمعي قال : كنت أطوف حول الكعبة فإذا شاب متعلق باستار الكعبة وهو يقول بنبرات حزينة تأخذ بمجامع القلوب :

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٣٣١.
(٢) الكافي ٢/٥٧٩.

« نـامت العيون ، وعلت النجـوم ، وأنت الملك الحي القيـوم ، غلقت الملوك ابوابها وأقامت عليها حراسها ، وبابك مفتـوح للسائلين ، جئتـك لتنظر إلي برحمتك يا أرحم الراحمين . . . . ».

ثم أنشأ يقول :

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يـا كاشف الضـر والبلوى مـع السقم
قـد نـام وفـدك حـول البيت قـاطبـة ... وأنـت وحـدك يـا قيـوم لـم تـنـم
ادعـوك رب دعـاءً قـد أمـرت بـه ... فـارحم بكـائي بحق البيت والحـرم
إن كـان عفوك لا يـرجـوه ذو سـرف ... فمن يجـود على العـاصين بـالنعم

قـال الأصمعي : فاقتفيت أثـره فإذا هـو زين العابـدين[1] فـوقعت عليـه وقلت له : أنت علي بن الحسين أبوك شهيد كربلاء، وجدك علي المرتضى ، وأمـك فاطمـة الزهـراء ، وجدتـك خديجـة الكبـرى ، وجـدك الأعلى محمد المصطفى وأنت تقول : مثل هذا القول ؟ . . . » .

فأجابه الإمام برفق ولطف :

« ألم تقرأ قوله تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصـور فلا أنسـاب بينهم يومئـذٍ ولا يتسـاءلون ﴾[2] ألم تسمـع قول جـدي : « خلقت الجنة للمـطيـع وإن كان حبشياً ، وخلقت النار للعاصي وإن كان قرشياً . . . »[3] .

لقـد تعلق هذا الإمـام العظيم بـالله تعالى ، وانقـطع اليه ، وقـد أطاعـه وعبده عن معرفة وإيمان وإخلاص .

٣ ـ روى طـاووس اليماني قـال : مررت بـالحجـر فـإذا بشخص راكـع وساجد تأملته فإذا هو علي بن الحسين ، فقلت : في نفسي رجـل صالـح من

---

(١) البحار ٤٦/ ٨٠ كشف الضمة ٤/ ١٥٠ـ ١٥١ .

(٢) سورة المؤمنون : آية ١٠١ .

(٣) روضـات الجنات ٥/ ١٦١ وعلق عليـه بقولـه : هذا تمـام الحديث وهـو غريب لمنـافاتـه طبقة الأصمعي المذكور المشهور التي كانت ولادتـه بعد وفـاة السجاد بكثيـر إلا أن يكون الأصمعي رجلاً آخر من قدماء قبيلته المنسوبين إلى جده الأعلى اصمع ».

أهل بيت النبوة ، والله لأغتنمن دعاءه فجعلت أرقبه حتى فرغ من صلاته، فرفع بطن كفيه ، وجعل يخاطب الله قائلاً :

« إلهي : سيدي ، سيدي ، هاتان يداي قد مددتهما إليك بالذنوب مملؤتين وعيناي بالرجاء ممدودتين ، وحق من دعاك بالندم تذللاً أن تجيبه بالكرم تفضلاً .

سيدي : من أهل الشقاء خلقتني فأطيل بكائي ؟ أم من أهل السعادة خلقتني فأبشر رجائي ؟

سيدي : ألضرب المقامع خلقت اعضائي؟ أم لشرب الحميم خلقت امعائي ؟

سيدي : لو أن عبداً استطاع الهرب من مولاه لكنت أول الهاربين من مولاه لكني أعلم أني لا أفوتك .

سيدي : لو أن عذابي مما يزيد في ملكك سألتك الصبر عليه ، غير أني اعلم أنه لا يزيد في ملكك طاعة المطيعين ، ولا ينقص منه معصية العاصين .

سيدي : ها أنا وما خطري ؟ هب لي بفضلك ، وجللني بسترك ، واعف عن توبيخي بكرم وجهك .

إلهي : وسيدي ، ارحمني مصروعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي ، وارحمني مصروعاً على المغتسل يغسلني صالح جيرتي ، وارحمني محمولاً قد تناول الأقرباء اطراف جنازتي ، وارحم في ذلك البيت المظلم وحشتي وغربتي . . . » ولما سمع طاووس هذه المناجاة الحزينة التي تفزع منها النفوس ، وتضطرب منها القلوب لم يملك نفسه ان بكى فالتفت إليه الإمام قائلاً :

« يا يماني ما يبكيك ؟ أو ليس هذا مقام المذنبين ؟ . . » .

وانبرى طاووس بخضوع وإكبار للإمام قائلاً :

« حق على الله أن لا يردك . . »[1] .

---

(١) روضه الواعظين ١ / ٢٣٧ .

لقد سمت روح الإمام عليه السلام إلى الملأ الأعلى ، وتعلقت به ، وانقطعت إليه ،

٤ ـ ونقل الرواة عن الحسن البصري أنه رأى الإمام في الكعبة ، وهو يتضرع إلى الله ، ويدعوه منيباً ، فدنا منه فسمعه ينشد هذه الأبيات الرقيقة :

الا أيها المأمول في كل حاجة ... شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي ... فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
وإن إليك القصد في كل مطلب ... وأنت غياث الطالبين وغايتي
أتيت بأفعالٍ قباح ردية ... فما في الورى خلق جنى كجنايتي
فزادي قليل لا أراه مبلغي ... اللزاد ابكي ام لبعد مسافتي
اتجمعني والظالمين مواقف ... فأين طوافي ثم أين زيارتي
اتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي ثم أين مخافتي
فيا سيدي فامنن علي بتوبة ... فانك رب عالم بمقالتي

وأثر ذلك تأثيراً بالغاً في نفس الحسن البصري ، فاندفع يقبل رجلي الإمام وهو يقول له :

« يا سلالة النبوة ، ما هذه المناجاة والبكاء وأنت من أهل بيت النبوة ؟ قال الله : ﴿ ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً ﴾

فانبرى الإمام يبين له واقع الإسلام الذي تبنى الأعمال الصالحة ولا يقيم وزناً للأنساب قائلاً :

« دع هذا خلقت الجنة لمن اطاع الله ، ولو كان عبداً حبشياً ، وخلقت النار لمن عصاه ولو كان حراً قرشياً ، وقال صلى الله عليه وآله : ايتوني باعمالكم لا بأنسابكم . . . »[1] .

واستبعد بعض المؤلفين صحة هذه الرواية، وذلك لاشتمالها على تلك الأبيات ، وهي ركيكة بالإضافة إلى تقبيل الحسن البصري لرجلي

---

١) روضات الجنات ٣/ ٢٩ .

الإمام ، وهو لا يليق بمكانة البصري ، ولا يرضى بذلك الإمام[1] وهذه المناقشة واهية ، وذلك لما يلي :

أولاً : إن الإمام عليه السلام أنشد هذه الأبيات ، ولا يعلم أنها من نظمه .

ثانياً : انا لا نعرف الوجه في ركاكة هذه الأبيات ، وضعفها، فإنها من الرقة والجودة بمكان .

ثالثاً : أن تقبيل الحسن البصري ليس اهانة له ، وإنما هو شرف وفخر له فإن الإمام بقية الله في أرضه ، وسيد العترة الطاهرة في عصره ، وفلذة من كبد رسول الله (ص) ، والبصري أعرف بمكانته من هذا المؤلف .

٥ ـ ومن مناجاته لله في البيت الحرام ما رواه طاووس الفقيه قال : رأيت علي بن الحسين يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبد ، فإذا لم ير أحداً رمق السماء بطرفه وقال :

« إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك ، وأبوابك مفتحات للسائلين ، جئتك لتغفر لي وترحمني ، وتريني وجه جدي محمد (ص)، في عرصات القيامة » .

ثم بكى وخاطب الله تعالى قائلاً :

« أما وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك ، ولا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولكن سولت لي نفسي ، واعانني على ذلك سترك المرخى به علي ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني ، وبحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني ، فواسوأ تاه غداً من الوقوف بين يديك ، إذا قيل للمخفين جوزوا ، وللمثقلين حطوا ، أمع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين احط ؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب ، أما آن لي ان استحي من ربي . . . » .

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع ١/١٦١ .

وانفجر بالبكاء وأنشأ يقول :

اتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين محبتي
اتيت بأعمال قباح رديـة وما في الورى خلق جنى كجنايتي

سبحانك تعصى كأنك لا ترى ، وتحلم كأنك لم تعص ، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم ، وأنت يا سيدي الغني عنهم . . . » ثم خر إلى الأرض ساجداً فدنوت منه ، ورفعت رأسه ووضعته في حجري فوقعت قطرات من دموعي على خده الشريف فاستوى جالساً ، وقال بصوت خافت :

« من هذا الذي اشغلني عن ذكر ربي؟ . . »

فأجابه طاووس بخضوع وإجلال :

« أنا طاووس، يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا؟ ونحن عاصون جانون ، أبوك الحسين بن علي ، وأمك فاطمة الزهراء ، وجدك رسول الله . . . » .

ولم يحفل الإمام بالنسب الوضاح الذي حظي به، فانبرى قائلاً :

هيهات ، هيهات ، يا طاووس دع عنك حديث أبي وأمي وجدي ، خلق الله الجنة لمن أطاعه ، وأحسن ، ولو كان عبداً حبشياً ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً ، أما سمعت قوله تعالى : ﴿ فإذا نفح في الصور فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون ﴾[1] ، والله لا ينفعك غداً إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح . .

٦ ـ ومن مناجاته عليه السلام في بيت الله الحرام ما رواه طاووس قال : دخلت الحجر ـ يعني حجر اسماعيل ـ في الليل فإذا علي بن الحسين قد دخل فقام يصلي ما شاء الله ، ثم سجد سجدة فأطالها، فقلت : رجل صالح من بيت النبوة لأصغين إليه فسمعته يقول :

---

(١) كشف القمة ٤/١٥١ البحار ٤٦/٨١، مجالس ثعلب ٢/٤٦٢ .

« عبدك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك » . . . وحفظ طاووس هذه المناجاة القصيرة التي عبرت عن نكران الذات ، والاعتراف بالعبودية المطلقة لله ، فكان يدعو بها عند الحاجة ، وان الله يكشف ما المَّ به كما حدث بذلك[1] .

هذه بعض مناجاة الإمام في بيت الله الحرام ، وهي تكشف عن عظيم انابته واتصاله بالله ، وله مناجاة أخرى سوف نعرض لها عند البحث عن أدعيته ومناجاته .

مع رجل يطوف بالكعبة :

وسمع الإمام عليه السلام رجلاً في أثناء طوافه بالكعبة ، وهو يسأل الله الصبر فالتفت الإمام إليه قائلاً :

« سألت البلاء ، ولكن قل : « اللهم اني اسألك العافية ، والشكر على العافية »[2] لقد ارشده الإمام إلى الدعاء الذي ينبغي أن يدعو به ، وهو طلب العافية والشكر عليها ، وحذره من الدعاء بطلب الصبر لأنه إنما يكون فيما إذا نزل به بلاء أو فاقة .

انكاره على سائلين في عرفة :

ونظر الإمام عليه السلام إلى قوم يسألون الناس ، ويطلبون رفدهم في يوم عرفة فأنكر عليهم ذلك وقال :

« ويحكم أغير الله تسألون في مثل هذا اليوم !! إنه ليرجى في هذا اليوم لما في بطون الحبالى أن يكون سعيداً . . »[3] .

تحريره للعبيد في عرفات :

كان عليه السلام يشتري السودان، وما به إليهم من حاجة فيأتي بهم إلى

---

(١) نور الأبصار (ص ١٢٧) نهج البلاغة ٦/١٩٢ .
(٢) دعوات قطب الراوندي (ص ٤٣) مخطوط .
(٣) البحار ٤٦/١٠٥ .

عرفات فيسد بهم الفرج والخلال فإذا افاض من عرفات أمر بعتق رقابهم ، وجوائز لهم من المال[1].

دعاؤه في عرفات :

وكان الإمام في عرفات يقوم بالصلاة ، والدعاء ، وتلاوة القرآن الكريم ، وكان يدعو بهذا الدعاء الشريف ، وهو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام ، فقد حفل بأمور بالغة الأهمية ، وفيما يلي نصه :

« الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، رب الأرباب ، وإله كل مألوه ، وخالق كل مخلوق ، ووارث كل شيء ، ليس كمثله شيء ، ولا يعزب[2] عنه علم شيء ، وهو محيط ، وهو على كل شيء رقيب .

أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد المتوحد، الفرد المتفرد ، وأنت الله لا إله إلا أنت الكريم المتكرم ، وأنت الله لا إله إلا أنت ، العلي المتعال ، الشديد المحال[3] وأنت الله لا إله إلا أنت ، الرحمن الرحيم ، العليم الحكيم ، وأنت الله لا إله إلا أنت ، السميع البصير ، القديم الخبير ، وأنت الله لا إله إلا أنت ، الكريم الأكرم ، الدائم الأدوم ، وأنت الله لا إله إلا أنت الداني في علوه ، والعالي في دنوه ، وأنت الله لا إله إلا أنت ذو البهاء والمجد ، والكبرياء والحمد ، وأنت الله لا إله إلا أنت الذي انشأت الأشياء من غير سنخ[4] وصورت ما صورت من غير مثال ، وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء[5] أنت الذي قدرت كل شيء تقديراً ، ويسرت كل شيء تيسيراً ، ودبرت ما دونك تدبيراً ، وأنت الذي لم يعنك على خلقك شريك ، ولم

---

(١) البحار ٤٦/٦٢ .

(٢) لا يعزب : أي لا يغيب .

(٣) الشديد المحال : أي القوي الحول .

(٤) من غير سنخ ، أي من غير أصل .

(٥) بلا احتذاء : أي بلا اقتداء .

يؤازرك في أمرك وزير، ولم يكن لك مشاهد ولا نظير ، أنت الذي اردت فكان حتماً ما اردت ، وقضيت فكان عدلاً ما قضيت ، وحكمت فكان نصفاً ما حكمت ، أنت الذي لا يحويك مكان ، ولم يقم لسلطانك سلطان ، ولم يعيك برهان ، ولا بيان. . . ».

وحفلت هذه الكلمات المشرقة بتعظيم الله ، وتمجيده والثناء عليه ، وبيان معظم صفاته تعالى الإيجابية ، والتي منها أنه تعالى انشأ الأشياء ، وأوجدها ، وابتدعها بقدرته ، وإرادته التي احكمت كل شيء صنعا ، فجميع ما في الكون مما يُرى، ومما لا يرى قد أحكمه تعالى ، وقدره تقديراً ، ودبره تدبيراً بحكمة بالغة ، وباسرار عجيبة تذهل الأفكار، وتحير الألباب ، وكيف يستطيع الانسان الممكن ، والمحدود في علمه ، وقدرته وإرادته أن يصل إلى معرفة الخالق العظيم ، الذي هو فوق التصور ، وفوق الادراك، وهذا ما يؤكده الإمام عليه السلام في المقطع التالي من هذا الدعاء الشريف :

« أنت الذي احصيت كل شيء عدداً ، وجعلت لكل شيء أمداً ، وقدرت كل شيء تقديراً أنت الذي قصرت الأوهام عن ذاتيتك ، وعجزت الأفهام عن كيفيتك ، ولم تدرك الأبصار موضع اينيتك[1] أنت الذي لا تحد فتكون محدوداً ، ولم تمثل[2] فتكون موجوداً ، ولم تلد فتكون مولوداً، أنت الذي لا ضد معك فيعاندك[3] ولا عدل[4] لك فيكاثرك ، ولا ندلك فيعارضك، أنت الذي ابتدأ واخترع ، واستحدث ، وابتدع ، وأحسن صنع ما صنع ، سبحانك ما أجل شأنك ، واسنى[5] في الأماكن مكانك ، واصدع بالحق فرقانك[6]».

---

(١) اينيتك : أي محلك ، واين أنت .
(٢) ولم تمثل : أي ليس لك مثل .
(٣) فيعاندك : أي يضادك .
(٤) ولا عدل : أي معادل ومماثل .
(٥) اسنى : أي ارفع .
(٦) فرقانك : أي القرآن الكريم .

وعرض إمام الموحدين في هذه الفقرات إلى علم الله تعالى الذي لا يحد ، والذي كان فيه أنه أحصى جميع ما في الكون عداً ،ولم يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ،فقد أحاط بكل شيء علماً ، كما عرض الإمام عليه السلام إلى عجز الأفهام عن الوصول إلى إدراك حقيقته تعالى ، واستحالة ذلك عليها إذ كيف يدرك الممكن حقيقة واجب الوجود الذي ليس له نوع ولا جنس ولا فصل حتى يتوصل إلى معرفته بها ، وكيف يستطيع هذا الإنسان العاجز عن إدراك حقيقة ذاته ونفسه وما فيه من أجهزة مذهلة وعجيبة حتى يعرف حقيقة الخالق العظيم الذي خلق الزمان والمكان ، وخلق الكواكب والمجرات التي لا يحصي ما فيها من الكواكب الا الله .

وقد المت هذه الفقرات ببحوث فلسفية مهمة كنفي الحد ، والماثل والضد وغيرها عنه تعالى وقد عرضت لها بالتفصيل الكتب الفلسفية والكلامية . . . ولنستمع إلى فقرات اخرى من هذا الدعاء الشريف :

« سبحانك من لطيف ما الطفك[1]، ورؤوف ما أرأفك[2]، وحكيم ما أعرفك[3] سبحانك من مليك ما امنعك ، وجواد ما أوسعك[4] ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد ، سبحانك بسطت بالخيرات يدك ، وعُرفت الهداية من عندك ، فمن التمسك [5] لدين أو دنيا وجدك ، سبحانك خضع لك من جرى في علمك[6] وخشع لعظمتك ما دون عرشك ، وانقاد للتسليم لك كل خلقك ، سبحانك لا تحس[7] ولا تجس[8] ولا تمس[9] ولا تكاد[10] ولا

---

(١) ما الطفك : أي ما اكثر الطافك وفضلك على خلقك .
(٢) ما ارأفك : أي ما أكثر رحمتك على عبادك .
(٣) وحكيم ما اعرفك : أي ما أكثر علمك بمواضع الأشياء .
(٤) وجواد ما أوسعك : أي ما أوسع عطاءك وجودك .
(٥) فمن التمسك : أي من طلبك .
(٦) خضع لك من جرى في علمك : أي جميع المخلوقات خاضعة ومنقادة لله .
(٧) لا تحس : أي لا تدرك بالحواس .
(٨) لا تجس : أي لا يعلم اخبارك احد .
(٩) لا تمس : لأنه تعالى ليس بجسم حتى يمس .
(١٠) لا تكاد : أي لا يصل إليه احد بكيد أو مكر .

تماط[1] ولا تنازع ، ولا تجارى ولا تمارى[2] ولا تخادع ، ولا تماكر [3] سبحانك سبيلك جدد[4] وأمرك رشد ، وأنت حي صمد[5] سبحانك قولك حكم ، وقضاؤك حتم وإرادتك عزم ، سبحانك لا راد لمشيئتك، ولا مبدل لكلماتك، سبحانك باهر الآيات، فاطر السموات[6] بارىء النسمات . . . »

وحفلت هذه اللوحة بأروع ما يسبح به الأولياء والمتقون ، وبأزكى ما يمجدون به ربهم ، فما اعظم الله وأجله وأعلاه عند الإمام عليه السلام فهو تعالى اللطيف الرؤوف بعباده، والملك المقتدر، فمن التجأ إليه فقد التجأ إلى حصن وثيق ، وكهف حريز وعرض الإمام عليه السلام إلى عظمة الله تعالى فقد خضع له كل ما في الكون ، وخشع له جميع من في الوجود ، وانقاد له بالتسليم جميع خلقه ، كما أن من عظمته تعالى تنزيهه عن الجسم حتى لا يدرك بالحواس الخمس ، وإنما هو نور السموات والأرض ، ومن عظمته انه ليس بمقدور أي أحد أن يكيده أو يمكر به أو يجادله أو ينازعه، وإنما الجميع تحت قبضته وسلطانه وأمره فقوله حكم ، وقضاؤه حتم ، وإرادته عزم ، ولنصغ بعد هذا الى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« لك الحمد حمداً يدوم بدوامك ، ولك الحمد حمداً خالداً بنعمتك ، ولك الحمد حمداً يوازي صنعك[7] ولك الحمد حمداً يزيد على رضاك، ولك الحمد حمداً مع حمد كل حامد ، وشكراً يقصر عنه شكر كل شاكر ، حمداً لا ينبغي إلا لك ، ولا يتقرب به إلا اليك حمداً يستدام به الأول ، ويستدعى به دوام الآخر ، حمداً يتضاعف على كرور الأزمنة ، ويتزايد اضعافاً مترادفة ، حمداً يعجز عن احصائه الحفظة[8] ويزيد على ما احصته في كتابك

(١) لا تماط : أي لا تزال .
(٢) لا تمارى : أي لا يجادله أحد .
(٣) لا تماكر : أي لا احد يقدر على مماكرة الله تعالى .
(٤) جدد : أي واضح .
(٥) الصمد : السيد الشريف .
(٦) فاطر السموات : أي خالق السموات .
(٧) يوازي صنعك : أي يعادل صنعك في الكثرة .
(٨) الحفظة : وهم الملائكة الكرام الذين يحفظون اعمال العباد .

الكتبة[1] حمداً يوازن عرشك المجيد ، ويعادل كرسيك الرفيع ، حمداً يكمل لديك ثوابه ، ويستغرق كل جزاء جزاؤه ، حمداً ظاهره وفق لباطنه ، وباطنه وفق لصدق النية ، حمداً لم يحمدك خلق مثله ، ولا يعرف أحد سواك فضله ، حمداً يعان من اجتهد في تعديده، ويؤكد من اغرق نزعا في توفيته[2] حمداً يجمع ما خلقت من الحمد ، وينتظم ما أنت خالقه من بعد ، حمداً لا حمد أقرب إلى قولك منه ، ولا أحمد ممن يحمدك به حمداً يوجب بكرمك المزيد بوفوره ، وتصله بمزيد بعد مزيد طولاً[3] منك ، حمداً يجب لكرم وجهك ، ويقابل عز جلالك . . . » .

ولم تبق كلمة في قاموس الحمد والثناء إلا قدمها الإمام لمحبوبه الأكبر الخالق العظيم ، لقد قدم له الحمد اللاّ متناهي على عظيم نعمه ، وألطافه عليه ، ولنستمع بعد هذا الى لوحة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« رب صل على محمد وآل محمد ، المنتجب[4] المصطفى[5] المكرم ، المقرب افضل صلواتك ، وبارك عليه اتم بركاتك ، وترحم عليه امتع رحماتك ، رب صل على محمد وآله ، صلاة زاكية لا تكون صلاة أزكى منها ، وصل عليه صلاة نامية لا تكون صلاة أنمى منها ، وصل عليه صلاة راضية[6] لا تكون صلاة فوقها رب صل على محمد وآله صلاة ترضيه ، وتزيد على رضاه ، وصل عليه صلاة ترضيك ، وتزيد على رضاك له ، وصل عليه صلاة لا ترضى له إلا بها ولا ترى غيره لها أهلاً .

رب صل على محمد وآله صلاة تجاوز رضوانك[7] ويتصل اتصالها

---

(١) الكتبة : وهم الملائكة العظام الذين يكتبون اعمال الناس .
(٢) من أغرق نزعاً في توفيته : الاغراق الاكثار ، والتوفية : الوفاء .
(٣) طولاً : أي إحساناً .
(٤) المنتخب : المختار .
(٥) المصطفى : المختار .
(٦) راضية : أي مرضية .
(٧) تجاوز رضواتك : أي تجاوز القدر الذي ترضى به .

ببقائك ، ولا ينفد كما لا تنفد كلماتك ، رب صل على محمد وآله صلاة تنتظم[1] صلوات ملائكتك وأنبيائك ورسلك وأهل طاعتك وتشتمل على صلوات عبادك من جنك وانسك وأهل اجابتك ، وتجتمع على صلاة على كل من ذرأت[2] وبرأت [3] من اصناف خلقك ، رب صل عليه وآله صلاة تحيط بكل صلاة سالفة ومستأنفة ، وصل عليه وآله صلاة مرضية لك ولمن دونك ، وتنشىء مع ذلك صلاة تضاعف معها تلك الصلوات، وتزيدها على كرور الأيام زيادة في تضاعيف لا يعدها غيرك . . . » .

وأشاد الإمام عليه السلام بهذه الكلمات بجده الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وطلب من الله تعالى أن يترحم ويصلي عليه صلاة زاكية نامية مرضية تبقى على كرور الليالي والأيام ، وتتصل ببقاء الله الذي لا نهاية له ، ولا تنفد كما لا تنفد كلمات الله ، ولنستمع بعد هذا الى قطعة اخرى من هذا الدعاء :

« رب صل على أطايب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك ، وجعلتهم خزائن علمك ، وحفظة دينك ، وخلفاءك في أرضك ، وحججك على عبادك ، وطهرتهم من الرجس[4] والدنس تطهيراً بإرادتك ، وجعلتهم الوسيلة اليك ، والمسلك إلى جنتك، رب صلّ على محمد وآله صلاة تجزل لهم بها من نحلك[5] وكرامتك، وتكمل لهم الأشياء من عطاياك ونوافلك[6] وتوفر عليهم الحظ من عوائدك وفوائدك، رب صل عليه ، وعليهم صلاة لا أمد في أولها ، ولا غاية لأمدها[7] ولا نهاية لآخرها ، رب صل عليهم زنة عرشك وما دونه، وملء سمواتك وما فوقهن، وعدد اراضيك وما تحتهن ، وما بينهن صلاة تقربهم منك زلفى ، وتكون لك ولهم رضى ، ومتصلة بنظائرهن أبداً . . . » .

---

(١) تنظم صلاة ملائكتك : أي تكون مع صلاة الملائكة .
(٢) ذرأت : أي خلقت .
(٣) برأت : أي أنشأت .
(٤) الرجس : المعاصي .
(٥) نحلك : جمع نحلة وهي العطية .
(٦) نوافلك : جمع نافلة ، وهي العطية الفاضلة .
(٧) ولا غاية لأمدها : أي لا نهاية لمدتها .

واعرب الإمام عليه السلام في هذه الكلمات عن سمو منزلة أهل البيت عليهم السلام وما منحهم الله من الفضائل، والتي منها :

(أ) أن الله تعالى اختارهم لنشر دينه ، وأداء رسالته إلى عباده .

(ب) أن الله جعلهم خزنة لعلمه ، ومراكز لحكمته .

(ج) أنهم حفظة دين الله من الزيادة والنقصان .

(د) أنهم خلفاء الله في أرضه ، وحججه على عباده .

(هـ) أن الله طهرهم من الرجس والدنس، كما نطقت بذلك الآية الكريمة ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ .

(و) أن الله تعالى جعلهم الوسيلة اليه ، والمسلك إلى جنته، فمن أتاهم فقد نجا ، ومن تخلف عنهم فقد غرق وهوى .

هذه بعض فضائلهم ومآثرهم التي تحدث عنها الإمام عليه السلام ، وطلب من الله أن يفيض صلواته ومغفرته عليهم وأن يجزل لهم المزيد من رحماته ، ولنصغ إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء :

« اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علماً لعبادك ومناراً[1] في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، والذريعة إلى رضوانك ، وافترضت طاعته ، وحذرت معصيته ، وأمرت بامتثال أوامره ، والانتهاء عند نهيه ، والا يتقدمه متقدم ، ولا يتأخر عنه متأخر ، فهو عصمة اللائذين ، وكهف المؤمنين ، وعروة المستمسكين، وبهاء العالمين .

اللهم فأوزع لوليك شكر ما انعمت به عليه ، وأوزعنا مثله فيه ، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً ، وافتح له فتحاً يسيراً ، واعنه بركنك الأعز ، واشدد ازره ، وقو عضده ، وراعه بعينك ، واحمه بحفظك ، وانصره بملائكتك ، وأمده بجندك الأغلب ، وأقم به كتابك وحدودك ، وشرائعك ، وسنن رسولك صلواتك اللهم عليه وآله ، وأحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك ، واجل به اصداء الجور عن طريقتك ، وابن به الضراء من سبيلك وأذل به الناكبين

(١) المنار : الموضع الذي يجعل عليه النور ليلاً ليراه المار فيعرف به الطريق.

عن صراطك ، وامحق به بغاة قصدك عوجاً ، وألن جانبه لأوليائك وابسط يده على اعدائك ، وهب لنا رأفته ورحمته ، وتعطفه وتحننه ، واجعلنا له سامعين ، مطيعين، وفي رضاه ساعين ، وإلى نصرته ، والمدافعة عنه مكنفين ، وإليك ، وإلى رسولك صلواتك اللهم عليه وآله متقربين . . . » .

وتحدث عليه السلام عن سمو منزلة الإمام القائم وأهميته البالغة في دنيا الإسلام، فهو الحافظ لدين الله ، والهادي إلى سبيل الحق والرشاد ، والذريعة إلى رضوان الله والواجب يدعو إلى لزوم طاعته ، وحرمة مخالفته لأنه عصمة اللائذين ، وكهف المؤمنين ، وعروة المستمسكين ، وبهاء العالمين، وقد دعا له بالنصر والفتح المبين ليقيم سنة الإسلام ، ويحيي ما أماته الظالمون من معالم الشريعة وأحكام الدين ، ولنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء العظيم :

« اللهم وصل على أوليائهم ، المعترفين بمقامهم ، المتبعين منهجهم ، المقتفين آثارهم المستمسكين بعروتهم ، المتمسكين بولايتهم ، المؤتمين بإمامتهم ، المسلمين لأمرهم ، المجتهدين في طاعتهم ، المنتظرين أيامهم ، المادين اليهم اعينهم ، الصلوات المباركات الزاكيات الناميات ، الغاديات، الرائحات ، وسلم عليهم وعلى أرواحهم، واجمع على التقوى أمرهم ، وأصلح لهم شؤونهم ، وتب عليهم إنك أنت التواب الرحيم ، وخير الغافرين ، واجعلنا معهم في دار السلام يا أرحم الراحمين . . . » .

وطلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يصلي ويترحم على شيعة أهل البيت عليهم السلام الذي يمثلون الوعي الفكري في الإسلام ، ويتبعون منهج الأئمة الطاهرين ، ويقتفون آثارهم ، ويتمسكون بولايتهم ، ويأتمون بامامتهم ويجتهدون في طاعتهم ، وينتظرون أيامهم ، وهؤلاء هم الملتزمون بحرفية الإسلام وشايعوا النبي (ص) في أقواله وأفعاله ، والتي منها اتباع ائمة أهل البيت (ع) والتمسك بهم ، والأخذ بما أثر عنهم في عالم التشريع ، وقد دعا لهم الإمام (ع) بأن يجمع الله أمرهم على التقوى ، ويصلح شؤونهم ،

ويتوب عليهم ، ويجعله معهم في دار الحق والسلام ، ولنستمع الى لوحة اخرى من هذا الدعاء :

« اللهم وهذا يوم عرفة ، يوم شرفته وكرمته ، وعظمته ، نشرت فيه رحمتك ، ومننت فيه بعفوك ، واجزلت فيه عطيتك ، وتفضلت فيه على عبادك ، اللهم وأنا عبدك الذي انعمت عليه قبل خلقك له ، وبعد خلقك إياه ، فجعلته ممن هديته لدينك ، ووفقته لحقك ، وعصمته بحبلك ، وأدخلته في حزبك ، وأرشدته لموالاة أوليائك ، ومعاداة اعدائك ، ثم أمرته فلم يأتمر ،وزجرته فلم ينزجر ، ونهيته عن معصيتك فخالف أمرك إلى نهيك لا معاندة لك ، ولا استكباراً عليك بل دعاه هواه إلى ما زيلته[١] وإلى ما حذرته، وأعانه على ذلك عدوك وعدوه[٢] فأقدم عليه[٣] عارفاً بوعيدك ، راجياً لعفوك ، واثقاً بتجاوزك ، وكان أحق عبادك مع ما مننت عليه ألا يفعل ، وها أنا ذا بين يديك صاغراً ، ذليلاً خاضعاً خاشعاً ، خائفاً ، معترفاً بعظيم من الذنوب تحملته، وجليل من الخطايا اجترمته[٤] مستجيراً بصفحك ، لائذاً برحمتك ، موقناً أنه لا يجيرني منك مجير ، ولا يمنعني منك مانع ، فعد علي بما تعود به على من اقترف من تعمدك ، وجد علي بما تجود به على من القى بيده إليك من عفوك ، وامنن علي بما لا يتعاظمك ان تمنَّ به على من أملك من غفرانك[٥] واجعل لي في هذا اليوم نصيباً أنال به حظاً من رضوانك ، ولا تردني صفراً[٦] مما ينقلب به المتعبدون لك من عبادك ، واني وإن لم اقدم ما قدموه من الصالحات ، فقد قدمت توحيدك ونفي الأضداد والأنداد والأشباه عنك ، واتيتك من الأبواب التي أمرت أن تؤتى منها[٧] وتقربت إليك بما لا

---

(١) زيلته : ابعدته .

(٢) العدو : المراد به إبليس الذي هو عدو الله وعدو الإنسان .

(٣) الضمير برجع الى المنهي عنه والمعصية .

(٤) اجترمته : أي اقترفته .

(٥) غفرانك : أي من مغفرتك ، وليست هي عظيمة عندالله .

(٦) صفراً : أي خالياً .

(٧) الأبواب التي أمر تعالى أن يؤتى هي أبواب الأئمة الطاهرين .

يقرب أحد منك إلا بالتقرب به[1] ثم اتبعت ذلك بالأنابة اليك ، والتذلل والاستكانة[2] لك وحسن الظن بك ، والثقة بما عندك ، وشفعته برجائك الذي قل ما يخيب عليه راجيك ، وسألتك مسألة الحقير الذليل ، البائس الفقير ، الخائف المستجير ، ومع ذلك خيفة وتضرعاً وتعوذاً[3] وتلوذاً ، لا مستطيلاً بتكبر المتكبرين ، ولا متعالياً بدالة المطيعين ، ولا مستطيلاً بشفاعة الشافعين ، وأنا بعد أقل الأقلين ، وأذل الأذلين ، ومثل الذرة أو دونها . . . » .

واعرب الإمام عليه السلام في هذا المقطع من دعائه عن تعظيمه وتقديسه ليوم عرفة الذي هو من أجل أيام الله ، فقد نشر فيه تعالى رحمته ، وتفضل على حجاج بيته الحرام بالعفو والغفران، كما ابدى عليه السلام تذلله وعبوديته المطلقة لله معترفاً بتقصيره، واثقاً بلطفه ، راجياً منه العفو ، مقدماً له الاعتراف بتوحيده ونفي الأضداد، والأنداد عنه ، سالكاً من الأبواب التي أمر تعالى أن يؤتى منها وهي أبواب الأئمة الطاهرين ، وفي هذا درس للمقصرين ، والمبتعدين عن الله تعالى أن ينهجوا هذا المنهج لينقذوا انفسهم ، من عذاب الله في الدار الآخرة ، ولنعد إلى الاستماع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« فيا من لم يعاجل المسيئين ، ولا ينده[4] المترفين ، ويا من يمن باقالة العاثرين ، ويتفضل بانظار الخاطئين ، أنا الذي اقدم عليك مجترئاً ، أنا الذي عصاك متعمداً ، أنا الذي استخفى من عبادك وبارزك، أنا الذي هاب عبادك، وامنك، أنا الذي لم يرهب سطوتك، ولم يخف بأسك، أنا الجاني على نفسه، أنا المرتهن ببليته، أنا القليل الحياء أنا الطويل العنآء، بحق من انتجبت من خلقك ، وبمن اصطفيته لنفسك ، بحق من اخترت من بريتك ، ومن اجتبيت لشأنك[5] بحق من وصلت طاعته بطاعتك ، ومن

---

(١) المراد أن الله تعالى لا يقبل التقرب إليه إلا من طريق الأئمة عليهم السلام .
(٢) الاستكانة : التضرع .
(٣) التعوذ : الاستجارة .
(٤) ينده : أي يمنع .
(٥) لشأنك : أي لدينك .

جعلت معصيته كمعصيتك ، بحق من قرنت موالاته بموالاتك، ومن نطت[1] معاداته بمعاداتك ، تغمدني في يومي هذا بما تتغمد به من جاء إليك متنصلاً[2] وعاذ باستغفارك تائباً ، وتولني بما تتولى به أهل طاعتك ، والزلفى لديك ، والمكانة منك وتوحدني بما تتوحد به من وفى بعهدك ، واتعب نفسه في ذاتك ، وأجهدها في مرضاتك، ولا تؤاخذني بتفريطي في جنبك وتعدي طوري في حدودك، ومجاوزة احكامك، ولا تستدرجني باملائك لي استدراج من منعني خير ما عنده ، ولم يشركك في حلول نعمته بي ، ونبهني من رقدة الغافلين ، وسنة المسرفين ، ونعسة المخذولين[3] وخذ بقلبي إلى ما استعملت به القانتين[4] واستبعدت به المتعبدين ، واستنقذت به المتهاونين ، واعذني مما يباعدني عنك ويحول بيني وبين حظي منك ، ويصدني عما أحاول لديك ، وسهل لي مسلك الخيرات إليك ، والمسابقة إليها من حيث أمرت، والمشاحة فيها على ما أردت ، ولا تمحقني فيمن تمحق من المستخفين بما أوعدت، ولا تهلكني مع من تهلك من المتعرضين لمقتك ، ولا تتبرني[5] فيمن تتبر من المنحرفين عن سبيلك ، ونجني من غمرات الفتنة[6] وخلصني من لهوات البلوى واجرني من أخذ الاملاء[7].

وتحدث الإمام عليه السلام في هذه الفقرات عن ألطاف الله تعالى على عباده ، والتي منها انه لا يعجل بالعقوبة والانتقام من المسيئين والعصاة ، وإنما يمهلهم لعلهم يثوبون ، ويرجعون إلى طريق الحق والصواب ، كما

---

(١) نطت : أي علقت .

(٢) متنصلا: أي متبرئاً.

(٣) المخذولون : وهم الذين تركهم الله تعالى وشأنهم ليفعلوا مايشأون ليحاسبهم على ما اقترفوا في الدار الآخرة .

(٤) القانتين : وهم الخاضعون لأوامره تعالى .

(٥) تتبرني : أي تهلكني .

(٦) غمرات الفتنة : وهي شدة الفتن التي تحيط بالإنسان .

(٧) أخذ الاملاء : وهي كتابة المعاصي والموبقات التي يقترفها الإنسان والتي يحاسب عليها بعد انتهاء أجله .

أعرب عليه السلام عن تذلله وتصاغره ونكران ذاته أمام الخالق العظيم طالباً منه ، ومتوسلاً إليه أن يمنحه العفو والرضوان ، وينبهه من رقدة الغافلين ، وسنة المسرفين ويسلك به مسلك الأخيار والصالحين ، ولنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« وحل بيني وبين عدو يضلني ، وهوى يوبقني[1] ومنقصة ترهقني ، ولا تعرض عني اعراض من لا ترضى عنه، بعد غضبك ، ولا تؤيسني من الأمل فيك ، فيغلب علي القنوط من رحمتك ، ولا تمنحني بما لا طاقة لي به فتبهظني مما تحملنيه من فضل محبتك ، ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه ، ولا حاجة بك إليه ، ولا إنابة له ، ولا ترم بي رمي من سقط من عين رعايتك ، ومن اشتمل عليه الخزي من عندك ، بل خذ بيدي من سقطة المترددين ، ووهلة المتعسفين ، وزلة المغرورين ، وورطة الهالكين ، وعافني مما ابتليت به طبقات عبيدك ، وإمائك ، وبلغني مبالغ من عنيت به ، وأنعمت عليه ، ورضيت عنه فأعشته حميداً ، وتوفيته سعيداً ، وطوقني طوق الإقلاع عما يحبط الحسنات ، ويذهب بالبركات ، وأشعر قلبي الازدجاد عن قبائح السيئات ، وفواضح الحوبات[2] ولا تشغلني بما لا أدركه إلا بك عما لا يرضيك عني غيره ، وانزع من قلبي حب دنيا دنية تنهى عما عندك ، وتصد عن ابتغاء الوسيلة إليك ، وتذهل عن التقرب منك ، وزين لي التفرد بمناجاتك بالليل والنهار ، وهب لي عصمة تدنيني من خشيتك ، وتقطعني عن ركوب محارمك ، وتفكني من أسر العظائم[3] وهب لي التطهر من دنس العصيان ، واذهب عني درن[4] الخطايا ، وسربلني بسربال عافيتك[5] وردني رداء معافاتك ، وجللني سوابغ نعمائك ، وظاهر[6] لدي فضلك وطولك[7]

---

(١) يوبقني : أي يهلكني .

(٢) الحوبات : جمع حوبة وهي المعصية .

(٣) العظائم : وهي الذنوب التي يكون الإنسان أسيراً أمامها عند الله .

(٤) الدرن : القذارة ، فان الخطايا التي يقترفها الإنسان توجب قذارة النفس .

(٥) السربال : القميص ، وقد شبه به العافية فإنها تحيط ببدن الإنسان كله كالقميص .

(٦) وظاهر : أي تابع علي .

(٧) الطول : النعمة .

وايدني بتوفيقك وتسديدك ، وأعني على صالح النية ، ومرضي القول ، ومستحسن العمل ، ولا تكلني إلى حولي وقوتي دون حولك وقوتك ، ولا تخزني يوم تبعثني للقائك ، ولا تفضحني بين يدي أوليائك ، ولا تنسني ذكرك ، ولا تذهب عني شكرك ، بل الزمنيه في أحوال السهو عند غفلات الجاهلين لالآئك[1] وأوزعني أن أثني بما أوليتنيه وأعترف بما أسديته إلي ، واجعل رغبتي إليك فوق رغبة الراغبين ، وحمدي إياك فوق حمد الحامدين ، ولا تخذلني عند فاقتي إليك ، ولا تهلكني بما أسديته إليك . . . » .

أرأيتم هذا الإتجاه إلى الله تعالى ، والإخلاص في طاعته ؟ أرأيتم كيف يسأل الإمام عليه السلام ربه بتذلل وخضوع وتملق ، فقد سأل منه أن يكفيه شر الشيطان الرجيم العدو الأول للإنسان ، وطلب منه أن يصرفه عن كل هوى يميل به إلى غير الحق ، وأن يشمله برعايته وعنايته ، وأن يأخذ بيده من سقطة المتردين ، ووهلة المتعسفين وزلة المغرورين ، وأن يجعل له الصوارف النفسية عن كل ذنب وخطيئة وعن حب الدنيا التي هي رأس كل خطيئة ، وأن يزين له طاعته وعبادته حتى يحظى بطاعته وعبادته ، والتقرب إليه . . . هذه بعض المطالب التي سألها الإمام من ربه ، ولنستمع إلى مقطع آخر من هذا الدعاء الشريف :

« ولا تجبهني بما جبهت به المعاندين لك ، فإني لك مسلم ، أعلم أن الحجة لك وانك أولى بالفضل ، وأعود بالإحسان ، وأهل التقوى[2] وأهل المغفرة ، وانك بأن تعفو أولى منك بأن تعاقب ، وانك بأن تستر أقرب منك إلى أن تشهر ، فأحيني حياة طيبة تنتظم بما أريد ، وتبلغ ما أحب من حيث لا آتي ما تكره ، ولا أرتكب ما نهيت عنه ، وأمتني ميتة من يسعى نوره بين يديه ، وعن يمينه ، وذللني بين يديك ، وأعزني عند خلقك ، وضعني إذا خلوت بك[3] ، وارفعني بين عبادك ، وأغنني عمن هو غني عني ، وزدني

---

(١) الالاء : جمع مفرده إلي ، وهي النعم .

(٢) أهل التقوى : يعني أنت أهل لأن يتقى ويخاف منك .

(٣) وضعني إذا خلوت بك : أي اجعلني وضيعاً ذليلاً إذا خلوت بين يديك .

إليك فاقة[١] وفقراً ، وأعذني من شماتة الأعداء ومن حلول البلاء ، ومن الذل والعناء ، تغمدني فيما اطلعت عليه مني بما يتغمد بـه القادر على البـطش لولا حلمه ، والآخذ على الجريرة لولا أناتـه ، وإذا أردت بقوم فتنـة أو سوءً فنجني منها لواذاً بـك[٢] وإذا لم تقمني مقام فضيحـة في دنياك ، فـلا تقمني مثله في آخرتك ، واشفع لي أوائل مننك بأواخـرها[٣] وقـديم فوائـدك بحوادثهـا ، ولا تمدد لي مداً يقسو معه قلبي[٤] ولا تقـرعني قارعـة[٥] يذهب لهـا بهائي ، ولا تسمني خسيسة يصغر لها قدري ولا نقيصة يجهل من أجلها مكاني ولا تـرعني روعة أبلس[٦] بها ولا خيفة أوجس دونها .

اجعـل هيبتي في وعيدك ، وحـذري[٧] من إعـذارك وإنـذارك ، ورهبتي عند تلاوة آياتك ، واعمر ليلي بإيقـاظي فيه لعبـادتك وتفـردي بالتهجـد لك ، وتجردي بسكوني إليك ، وإنزال حوائجي بك ، ومنازلتي إياك في فكاك رقبتي من نـارك ، وإجـارتي ممـا فيـه أهلهـا من عـذابـك ، ولا تـذرني في طغيـاني عـامها[٨] ولا في غمـرتي ساهيـاً حتى حين[٩] ولا تجعلني عظة لمن اتعظ ، ولا نكالاً لمن اعتبر ، ولا فتنـة لمن نظر ، ولا تمكـر بي فيمن تمكر بـه ، ولا تستبدل بي غيري ، ولا تغير لي اسماً[١٠] ولا تبدل لي جسماً[١١] ولا تتخـذني هـزواً لخلقك ولا سخـرياً لـك[١٢] ولا تبعـاً إلا لمـرضـاتـك ، ولا ممتهنـاً إلا بالانتقام لك . . » .

---

(١) الفاقة : شدة الفقر والحاجة .
(٢) لواذاً بك : أي ملتجئاً إليك .
(٣) واشفع لي آوائل مننك بآواخرها : أي اجعل نعمك متصلة بعضها ببعض علي .
(٤) ولا تمد لي مداً يقسو معه قلبي : أي لا تمدني بالنعم التي تؤدي إلى قساوة القلب .
(٥) القارعة : هي المصيبة الشديدة .
(٦) أبلس : أي أيأس .
(٧) حذري : أي خوفي .
(٨) العمه : أشد العمى .
(٩) حتى حين : أي حتى حلول المنية .
(١٠) ولا تغير لي اسماً : أي لا تمح اسمي من ديوان السعداء .
(١١) ولا تبدل لي جسماً : أي لاتحل علي عقوبتك حتى يتغير جسمي ويكون كريهاً .
(١٢) ولا سخرياً لك : أي لا تعاملني معاملة من تسخر به .

وعرض الإمام عليه السلام مهامه ومطالبه أمام الخالق العظيم طالباً منه إنجازها، وأن لا يحبهه بردها، فقد سأله أن يحييه حياة طيبة كريمة، يتحقق فيها ما يأمله ويريده وأن لا يرتكب معصية أو يقترف إثماً، وأن يميته ميتة الصالحين الذين يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم، كما سأله انه إذا وقف في مناجاته وعبادته أن يكون ذليلاً، لا يجد لنفسه أمامه أي كيان، وطلب منه أن يعزه عند خلقه، ويرفع شأنه بين عباده، وأن يغنيه عنهم، وأن يعيذه من شماتة الاعداء التي هي من أعظم النكبات على الإنسان، وأن ينجيه من حلول البلاء والذل والعناء، وأن لا ينزل به فتنة أو سوءاً أو عذاباً إذا أراد أن يصبه على العصاة من عباده، إلى غير ذلك من مهام الأمور التي طلبها الإمام من الله تعالى، ولنستمع إلى الفصل الأخير من هذا الدعاء الجليل :

« وأوجدني برد عفوك، وحلاوة رحمتك، وروحك[1] وريحانك، وجنة نعيمك، وأذقني طعم الفراغ[2] لما تحب بسعة من سعتك، والاجتهاد فيما يزلف لديك وعندك، وأتحفني بتحفة من تحفاتك، واجعل تجارتي[3] رابحة وكرتي غير خاسرة، واخفني مقامك، وشوقني لقاءك، وتب علي توبة نصوحا لا تبقي معها ذنوباً صغيرة، ولا كبيرة، ولا تذر[4] معها علانية ولا سريرة وانزع الغل[5] من صدري للمؤمنين، واعطف بقلبي على الخاشعين، وكن لي كما تكون للصالحين، وحلني حلية المتقين، واجعل لي لسان صدق في الغابرين[6] وذكراً نامياً في الآخرين، وواف بي عرصة[7] الأولين، وتمم سبوغ نعمتك علي، وظاهر كراماتها لدي، املأ من فوائدك يدي، وسق كرائم مواهبك إلي، وجاور بي الأطيبين من أوليائك في الجنان التي زينتها

---

(١) روحك : الروح الهواء الطيب .

(٢) طعم الفراغ : أي أكون فارغاً لأعمل ما تحبه وتريده .

(٣) تجارتي : المراد بها التجارة لدار الآخرة التي لا تبور .

(٤) لا تذر : أي لا تبق .

(٥) الغل : الحقد

(٦) الغابرين : أي الباقين من بعدي .

(٧) عرصة الأولين : أي ساحتهم وهو كناية عن الالتحاق بهم .

لأصفيائك ، وجللني شرائف نحلك[1] في المقامات المعدة لأحبائك ، واجعل لي عندك مقيلاً آوي إليه مطمئناً ، ومثابة أتبوأها[2] وأقر عيناً ولا تقايسني[3] بعظيمات الجرائر[4] ولا تهلكني يوم تبلى[5] السرائر وأزل عني كل شك وشبهة ، واجعل لي في الحق طريقاً من كل رحمة ، واجزل لي قسم المواهب[6] من نوالك[7] ووفر علي حظوظ الإحسان من أفضالك ، واجعل قلبي واثقاً بما عندك ، وهمي مستفرغاً[8] لما هو لك ، واستعملني بما تستعمل به خالصتك ، واشرب قلبي عند ذهول العقول طاعتك[9] واجمع لي الغنى والعفاف ، والدعة[10] والمعافاة ، والصحة والسعة ، والطمأنينة ، والعافية ، ولا تحبط حسناتي بما يشوبها من معصيتك ، ولا خلواتي بما يعرض لي من نزغات فتنتك ، وصن وجهي عن الطلب إلى أحد من العالمين ، وذبني[11] عن التماس ما عند الفاسقين ، ولا تجعلني للظالمين ظهيراً ، ولا لهم على محو كتابك يداً ونصيراً ، وحطني[12] من حيث لا أعلم حياطة تقيني بها ، وافتح لي أبواب توبتك ، ورحمتك ورأفتك ، ورزقك الواسع ، إني إليك من الراغبين ، وأتمم إلي أنعامك ، إنك خير المنعمين ، واجعل باقي عمري في الحج والعمرة ابتغاء وجهك يا رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، والسلام عليه وعليهم أبد الآبدين . . »[13] .

---

(١) نحلك : أي عطاياك .

(٢) أتبوأها : أي أتخذها محلاً ومقراً .

(٣) لا تقايسني : أي لا تؤاخذني .

(٤) الجرائر : هي الجرائم .

(٥) تبلى السرائر : أي تظهر في السرائر ، وهي ما أسره الإنسان من الحسنات والسيئات .

(٦) قسم المواهب : أي الهبات التي تقسمها من عطائك .

(٧) نوالك : أي هباتك .

(٨) وهمي مستفرغاً : أي فارغاً .

(٩) عند ذهول العقول : أي عند غفلتها .

(١٠) الدعة : السعة في العيش .

(١١) ذنبي : من الذب بمعنى الدفع .

(١٢) حطني : من حاطه إذا حفظه .

(١٣) الصحيفة السجادية الدعاء السادس والأربعون .

وبهذا ينتهي هذا الدعاء الشريف الذي هو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وقد حفل بأسمى دروس الحكمة والعرفان والإنابة إلى الله بالإضافة إلى أنه في منتهى الروعة من حيث البلاغة والفصاحة وجمال الأسلوب .

يوم عيد الأضحى :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يستقبل يوم عيد الأضحى بالابتهال إلى الله والتضرع إليه طالباً منه أن يتفضل عليه بقبول مناسكه ، وسائر طاعاته وعباداته ، وأن يمنحه المغفرة والرضوان ، وكان يدعو الله تعالى بهذا الدعاء الجليل وهذا نصه :

« اللهم هذا يوم مبارك ميمون ، والمسلمون فيه مجتمعون في أقطار أرضك ، يشهد السائل منهم والطالب والراغب والراهب[1] وأنت الناظر في حوائجهم ، فأسألك بجودك وكرمك ، وهوان ما سألتك عليك أن تصلي على محمد وآله ، وأسألك اللهم ربنا بأن لك الملك ، ولك الحمد ، لا اله إلا أنت الحليم الكريم ، الحنان ، المنان ، ذو الجلال والإكرام ، بديع السموات والأرض ، مهما قسمت بين عبادك المؤمنين ، من خير أو عافية أو بركة أو هدى أو عمل بطاعتك أو خير تمن به عليهم تهديهم به إليك ، أو ترفع لهم عندك درجة أو تعطيهم به خيراً من خير الدنيا والآخرة ، أن توفر حظي ونصيبي منه .

أسألك اللهم بأن لك الملك والحمد ، لا إله إلا أنت أن تصلي على محمد وآل محمد عبدك ورسولك ، وحبيبك وصفوتك وخيرتك من خلقك ، وعلى آل محمد الأبرار الطاهرين الأخيار صلاة لا يقوى على إحصائها إلا أنت ، وأن تشركنا في صالح من دعاك في هذا اليوم من عبادك المؤمنين يا رب العالمين ، وأن تغفر لنا ولهم إنك على كل شيء قدير ، اللهم إليك

---

(١) الراهب : الخائف .

تعمدت بحاجتي ، وبك أنزلت اليوم فقري وفاقتي ومسكنتي[1] وإني بمغفرتك ورحمتك أوثق مني بعملي ، ولمغفرتك ورحمتك أوسع من ذنوبي ، فصل على محمد وآل محمد ، وتول قضاء كل حاجة هي لي بقدرتك عليها ، وتيسير ذلك عليك ، وبفقري إليك ، وغناك عني فإني لم أصب خيراً قط إلا منك ، ولم يصرف عني سوءاً قط أحد غيرك ولا أرجو لأمر آخرتي ودنياي سواك .

اللهم من تهيأ وتعبأ ، وأعدَّ وإستعدَّ لوفادة إلى مخلوق رجاء رفده ونوافله وطلب نيله وجائزته ، فإليك يا مولاي كانت اليوم تهيئتي وتعبئتي وإعدادي واستعدادي رجاء عفوك ورفدك وطلب نيلك وجائزتك ، اللهم فصلِّ على محمد وآل محمد ، ولا تخيب اليوم ذلك من رجائي ، يا من لا يحفيه[2] سائل ، ولا ينقصه نائل[3] فإني لم آتك ثقة مني بعمل صالح قدمته ، ولا شفاعة مخلوق رجوته إلا شفاعة محمد وأهل بيته عليه وعليهم سلامك ، أتيتك مقراً بالجرم والإساءة إلى نفسي أتيتك أرجو عظيم عفوك الذي عفوت به عن الخاطئين ، ثم لا يمنعك طول عكوفهم على عظيم الجرم إن عدت عليهم بالرحمة والمغفرة ، فيا من رحمته واسعة وعفوه عظيم ، يا عظيم ، يا عظيم ، يا كريم ، يا كريم ، صلِّ على محمد وآل محمد ، وعد علي برحمتك ، وتعطف علي بفضلك ، وتوسع علي بمغفرتك . . » .

وأشاد الإمام عليه السلام في مطلع دعائه بعيد الأضحى ، وما له من الأهمية البالغة عند المسلمين ، فهم في أقطار الأرض سواء من حضر موسم الحج أو لم يحضر قد رفعوا إلىٰ الله تعالى حوائجهم ومهامهم طالبين منه قضاءها ، وقد سأل الإمام من الله أن يكتب له ما قسمه لعباده في هذا اليوم المبارك من خير أو عافية أو هداية ، وأخذ الإمام بعد ذلك بالتضرع والتذلل أمام الله الذي بيده العطاء والحرمان أن يتفضل عليه بالمغفرة والرحمة

---

(١) المسكنة : شدة الفقر .

(٢) يا من لا يحفيه : أي لا يبلغ آخر ما عنده .

(٣) نائل : أي عطاء .

والرضوان ، ولنستمع بعد هذا إلى مقطع آخر من هذا الدعاء :

« اللهم إن هذا المقام[1] لخلفائك وأصفيائك ، ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد انتزوها ، وأنت المقدر لذلك ، لا يغالب أمرك ، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك ، كيف شئت ، وأنى شئت ، ولما أنت أعلم به غير متهم[2] على خلقك ، ولا لإرادتك ، حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين ، مقهورين ، مبتزين ، يرون حكمك مبدلاً ، وكتابك منبوذاً ، وفرائضك محرفة عن جهات أشراعك ، وسنن نبيك متروكة ، اللهم العن أعداءهم من الأولين والآخرين ومن رضي بفعالهم وأشياعهم ، وأتباعهم ، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد إنك حميد مجيد كصلواتك وبركاتك وتحياتك على أصفيائك إبراهيم وآل إبراهيم وعجل الفرج والروح والنصرة والتمكين والتأييد لهم . . . » .

وخاض الإمام عليه السلام في هذا المقطع من دعائه الشؤون السياسية الحساسة في عصره ، فقد أدلى بما يلي :

١ ـ أن مقام صلاة العيد ، وغيرها من الشؤون العامة إنما هي لأئمة الهدى الذين هم خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وأوصياؤه وهم الذين يسيرون بين الناس بسياسة قوامها العدل الخالص ، والحق المحض .

٢ ـ أن المراكز الحساسة في الدولة قد ابتزها أئمة الجور والضلال من ملوك الأمويين الذين لم يألوا جهداً في محاربة الوعي الإسلامي وإقصاء العقيدة الإسلامية عن واقع الحياة .

٣ ـ أن أئمة الهدى والحق قد عادوا في ضلال الحكم الأموي الأسود مقهورين ، مغلوبين ، قد ابتزت حقوقهم .

٤ ـ أن السياسة الأموية قد عمدت إلى تبديل أحكام الله ، ونبذ

---

(١) إن هذا المقام : أي مقام صلاة العيد .

(٢) غير متهم : أي لا تتهم بانك قد عملت على خلاف الحكمة .

الكتاب ، وتحريف الفرائض ، وترك سنة الرسول (ص) . . .

ولنعد بعد هذا إلى لوحة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« اللهم واجعلني من أهل التوحيد والإيمان بك ، والتصديق برسولك ، والأئمة الذين حتمت طاعتهم ، ممن يجري ذلك[1] به وعلى يديه آمين رب العالمين ، اللهم ليس يرد غضبك إلا حلمك ، ولا يرد سخطك إلا عفوك ، ولا يجير من عقابك إلا رحمتك ، ولا ينجني منك إلا التضرع إليك ، وبين يديك ، فصلِّ على محمد وآل محمد ، وهب لنا يا آلهي من لدنك فرجاً بالقدرة التي تحيي بها أموات العباد ، وبها تنشر ميت البلاد ، ولا تهلكني يا آلهي غماً حتى تستجيب لي ، وتعرفني الإجابة في دعائي ، وأذقني طعم العافية إلى منتهى أجلي ، ولا تشمت بي عدوي ، ولا تمكنه من عنقي ، ولا تسلطه علي .

آلهي إن رفعتني فمن ذا الذي يضعني ؟ وإن وضعتني فمن ذا الذي يرفعني ، وإن أكرمتني فمن ذا الذي يهينني ؟ وإن أهنتني فمن ذا الذي يكرمني ؟ وإن عذبتني فمن ذا الذي يرحمني ؟ وإن أهلكتني فمن ذا الذي يعرض لك[2] في عبدك أو يسألك عن أمره ؟ ، وقد علمت أنه ليس في حكمك ظلم ، ولا في نقمتك عجلة ، وإنما يعجل من يخاف الفوت ، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، وقد تعاليت يا آلهي عن ذلك علواً كبيراً .

اللهم صل على محمد وآل محمد ، ولا تجعلني للبلاء غرضاً ، ولا لنقمتك نصباً ومهلني[3] ونفسني[4] وأقلني عثرتي ، ولا تبتلني ببلاء على اثر بلاء[5] فقد ترى ضعفي وقلة حيلتي ، وتضرعي إليك ، أعوذ بك اللهم اليوم من غضبك ، فصلِّ على محمد وآله ، وأعذني ، وأستجير بك من سخطك ،

---

(١) ذلك : المشار إليه النصر .

(٢) يعرض لك : أي يعترض عليك .

(٣) ومهلني : أي أعطني المهلة .

(٤) ونفسني : أي أزل همي وكربتي .

(٥) ولا تبتلني ببلاء أثر بلاء : فإن تتابع البلاء مما يوجب انهيار الإنسان وشقاءه .

فصلِّ على محمد وآله ، وأجرني ، وأسألك أمناً من عذابك ، فصلِّ على محمد وآله وآمني ، وأستهديك ، فصل على محمد وآله ، واهدني ، وأستنصرك فصلِّ على محمد وآله ، وانصرني ، واسترحمك ، فصلِّ على محمد وآله ، وارحمني ، وأسترزقك وأستعينك فصلِّ على محمد وآله وأعني ، وأستغفرك لما سلف من ذنوبي فصلِّ على محمد وآله واغفر لي ، وأستعصمك ، فصلِّ على محمد وآله ، واعصمني فإني لن أعود لشيء كرهته مني إن شئت ذلك ، يا رب ، يا رب ، يا حنان ، يا منان ، يا ذا الجلال والإكرام ، صلِّ على محمد وآله واستجب لي جميع ما سألتك ، وطلبت إليك ، ورغبت فيه إليك ، وأرده[1] وقدره ، واقضه ، وأمضه ، وخر لي فيما تقضي منه ، وبارك لي في ذلك وتفضل علي به ، وأسعدني بما تعطيني منه ، وزدني من فضلك ، وسعة ما عندك ، فإنك واسع كريم ، وصل ذلك بخير الآخرة ، ونعيمها يا أرحم الراحمين . . » .

وكان يدعو بعد هذا الدعاء الجليل بما أهمه ، ثم يصلي على النبي العظيم (ص) ألف مرة[2] وانتهى بذلك هذا الدعاء الشريف الحافل بالخضوع والتذلل أمام الخالق العظيم ، والطلب منه بخير الدنيا والآخرة ، فقد سأل منه الإيمان به ، والتصديق برسوله وبالأئمة العظام أوصياء النبي (ص) وخلفائه على أمته ، ومما لا شبهة فيه أن الإمام عليه السلام كان في أعلى مراتب الإيمان بالله ، والتصديق برسوله (ص) ومعرفة أوصيائه فهو أحدهم ، وإنما كان يدعو بذلك لإرشاد الأمة لاتباع المنهج السليم في حياتها العقائدية .

---

(١) وارده : أي أعطني طلبي ورغبتي .

(٢) الصحيفة السجادية : الدعاء السابع والأربعون .

من علوم الامام

أما علوم الإمام عليه السلام فقد كانت امتداداً ذاتياً لعلوم آبائه الذين ورثوا علوم النبي (ص) وفجروا ينابيع العلم والحكمة فى الأرض ، وأناروا الدنيا بعلومهم ومعارفهم وقد ورثها الإمام زين العابدين عليه السلام ، فكان - فيما أجمع عليه المؤرخون - من أوسع الناس علماً ، ومن أكثرهم دراية لا في علم خاص ، وإنما في جميع العلوم والفنون ، ومما يدلل على ذلك أن العلماء والرواة قد رووا عنه من العلوم ما لا يحصى[1] ونعرض بايجاز - لبعض علومه ومعارفه التي كان يلقيها في محاضراته على الفقهاء والعلماء .

الحديث :

أما الحديث الشريف فله الأهمية البالغة في العلوم الاسلامية ، فقد بُني معظم الفقه الإسلامي عليه ، فإنه يعرض بصورة موضوعية وشاملة لتفصيل الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم ، فيذكر أنواعها من الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والاباحة كما يذكر أجزاءها وشرائطها وموانعها ، وسائر ما يعتبر فيها ، ويعرض لعمومات الكتاب ومطلقاته فيخصصها ويقيدها ، وبالإضافة إلى ذلك يتناول آداب السلوك ، وقواعد الأخلاق ، ويعطي البرامج الوافية لسعادة الانسان وبناء شخصيته .

(١) خلا صة تهذيب الكمال (ص ٢٣) .

وعلى أي حال فقد كان الامام زين العابدين عليه السلام من أعظم الرواة وأهمهم في الإسلام ، وكانت لرواياته أهمية خاصة عند علماء الحديث خصوصاً ما يرويه الزهري عنه ، فقد قال أبو بكر بن أبي شيبة : أصح الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي[1] وقد روى (ع) مجموعة كبيرة من الأحاديث عن جديه الرسول الأعظم (ص) والإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعن أبيه الإمام الحسين (ع) وغيرهم ونعرض لبعضها .

رواياته عن النبي :

روى الإمام زين العابدين عليه السلام كوكبة مشرقة من الأحاديث بسنده عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه بعضها .

١ - روى عليه السلام بسنده عن رسول الله (ص) أنه قال : « انتظار الفرج عبادة ، وأن من رضي بالقليل من الرزق رضي الله منه القليل من العمل »[2] . وفي هذا الحديث الشريف دعوة حكيمة للانسان المسلم لعدم القنوط واليأس من رحمة الله ، وإنما عليه الصبر وانتظار الفرج ، فأن الأمور جميعها بيد الله تعالى فهو وحدة الذي يتصرف في شؤون عباده ، كما فيه دعوة إلى عدم ارهاق الانسان نفسه في تحصيل المادة والتهالك عليها ، فإن الرزق قد قسمه الله تعالى بين عباده .

٢ - روى الإمام عليه السلام أن رسول الله (ص) قال : « والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم . . »[3] لقد دعا النبي (ص) الانسان المسلم إلى التحلي بالعلم والحلم ، وهما من الصفات الأصيلة التي تزدهر بهما شخصية الانسان وتتطور بهما حياته وسلوكه .

٣ - روى الإمام عليه السلام عن أبيه الإمام الحسين عليه السلام أن رسول الله (ص) قال : « رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل التحبب إلى

---

(١) المصدر السابق .
(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٨٨) .
(٣) الخصال (ص ٥) .

الناس . . »[1] إن التودد إلى الناس ، وكسب عواطفهم من أظهر المميزات لشخصية الانسان كما هو دليل على تمام عقله ، ووفور كماله وفضله ، وهو من أعظم مكاسبه في حياته .

٤ ـ روى الإمام عليه السلام أن رسول الله (ص) قال : « الإيمان قول وعمل »[2] . إن الإيمان في جميع صوره وألوانه ليس ظاهرة لفظية يقتصر فيه على عالم اللفظ الذي يتلاشى في الفضاء ، وإنما هو عمل وجهاد يحكى عما استقر في دخائل النفس من الإيمان العميق .

٥ـ روى عليه السلام أن النبي (ص) قال : « الإيمان اقرار باللسان ، ومعرفة بالقلب ، وعمل بالاركان »[3] .

إن الايمان يتقوم بثلاثة أمور :

الأول : الاقرار باللسان الذي هو مترجم لما انطبع في أعماق النفس .

الثاني : أن يعرف القلب الشيء الذي آمن به معرفة تفصيلية ، فإذا لم تكن هناك معرفة ، فإن الإيمان به ينتفي موضوعياً .

الثالث : أن يصحب ذلك العمل بالاركان .

٦ ـ روى الزهري عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أن النبي (ص) قال : « لا يتوارث أهل ملتين ، ولا يرث مسلم كافراً ، ولا كافر مسلماً . . » وقرأ (ع) ، « الذين كفروا بعضهم أولياء بعض »[4] لقد اتفق فقهاء المسلمين على أن الكفر حاجب للإرث .

٧ ـ روى الإمام عليه السلام عن أبيه عن جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله

---

(١) الحلية ٢٠٣/٣ الخصال (ص ١٧) .
(٢) الخصال (ص ٥٣) .
(٣) تاريخ بغداد ١ك/٢٥٥ الخصال (ص ١٦٥) .
(٤) الجامع المختصر لابن الساعي ٨٧/٩ .

من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وعن حبنا أهل البيت . . »[1] .

وحفل الحديث النبوي الشريف بالأمور التالية وهي :

١ ـ إن الانسان في يوم حشره ، ونشره يسأل أمام الله تعالى عن أيام حياته هل أفناها في طاعة الله ، ورضوانه ، حتى يثاب على ذلك ، أم أنه انفقها في معصية الله لينال جزاءه العادل .

٢ ـ أن الله يسأل الانسان عن شبابه الذي هو زهرة حياته ، هل انطوت أيامه في المعاصي ليعاقب عليها ، أم في الطاعة ليثاب عليها .

٣ ـ إن الله يسأل الانسان عن أمواله هل اكتسبها من الطرق المشروعة ، وهل انفقها في ما يرضي الله ليؤجر عليها ، أم أنه اكتسبها من الطرق غير المشروعة كالربا وأكل المال بالباطل ، وهل أنفقها في معاصي الله ليعاقب عليها .

٤ ـ إن الله يسأل يوم القيامة الناس عن حب أهل البيت عليهم السلام الذين هم سفن النجاة ، وأمن العباد ، فمن أحبهم فإن طريقه حتماً إلى الجنة ، ومن أبغضهم فإن طريقه إلى النار حتماً ، كما تضافرت النصوص على ذلك .

٨ ـ روى عليه السلام عن أبيه عن جده رسول الله (ص) أنه قال : « إن أحب الأعمال إلى الله تعالى إدخال السرور على المؤمن »[2] .

إن الاسلام بكل اعتزاز قد حرص كل الحرص على وحدة المسلمين وتضامنهم ووحدة كلمتهم ومن أهم برامجه في ذلك حثه للمؤمنين على ادخال السرور بعضهم على بعض فإن ذلك مما يوجب شيوع المودة والألفة بينهم .

٩ ـ قال عليه السلام : قال رسول الله (ص) « ما يوضع في ميزان امريء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق . . »[3] .

---

(١) الخصال (ص ٢٣١) .

(٢) مصادقة الأخوان للصدوق مخطوط في مكتبة السيد الحكيم .

(٣) اصول الكافي ٢ / ٩٩ .

إن التحلي بمكارم الأخلاق من أثمن ما يمكله الانسان في حياته ، ومن أفضل الأعمال التي يدخرها لآخرته ، وقد تبنى الإسلام الدعوة إلى الأخلاق .

١٠ ـ قال عليه السلام كان رسول الله (ص) يقول في آخر خطبته : « طوبى لمن طاب خلقه ، وطهرت سجيته ، وصلحت سريرته ، وحسنت علانيته ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، وانصف الناس من نفسه . . »[١] .

ودعا النبي (ص) الانسان المسلم ألى الاتصاف بمحاسن الصفات ، والالتزام بما يلي :

١ ـ حسن الأخلاق .

٢ ـ طهارة الضمير وصلاحه .

٣ ـ التحلي بالفضائل والآداب .

٤ ـ انفاق الفاضل من الأموال في سبيل الله كاعالة الفقراء والضعفاء .

٥ ـ امساك الفضل من القول ، وعدم الخوض في توافه الأمور .

٦ ـ انصاف الناس ، وذلك بالتزام الحق ، ولو على النفس .

١١ ـ قال عليه السلام : قال رسول الله (ص) : « من سره أن يمدَّ الله في عمره ، وأن يبسط له في رزقه فليصل رحمه ، فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق ، تقول : يا رب صل من وصلني ، واقطع من قطعني ، فإن الرجل ليرى بسبيل خير إذا أتته الرحم فتهوي به إلى أسفل قعر في النار . . »[٢] .

أن صلة الرحم مما يوجب تضامن الأسرة التي هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع الانساني ، ومن الطبيعي أن الأسرة إذا سادت فيها المودة والمحبة ، فإن ذلك مما يوجب صلاح المجتمع ووحدته ، وهذا ما يحرص عليه الاسلام في دعوته الخالدة إلى الوحدة والتضامن .

---

(١) أصول الكافي ٢/١٥٦ .

(٢) أصول الكافي ٢/١٥٦ .

١٢ ـ قال عليه السلام : قال رسول الله (ص) : « من أحب السبل إلى الله عز وجل جرعتان : جرعة غيظ تردها بحلم ، وجرعة مصيبة تردها بصبر . . »[١] لقد دعا الرسول الأعظم (ص) إلى بناء شخصية المسلم على دعامتين : الحلمُ والصبر وهما من أبرز الصفات الانسانية ، فمن تحلى بهما فقد بلغ القمة في توازن شخصيته وكمالها .

١٣ ـ روى عليه السلام بسنده عن آبائه أن رسول الله (ص) قال : « ان الله عز وجل خلق العقل من نور مخزون مكنون ، في سابق علمه الذي لم يطلع عليه نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، فجعل العلم نفسه ، والفهم روحه ، والزهد رأسه ، والحياء عينه ، والحكمة لسانه ، والرأفة همه ، والرحمة قلبه ، ثم حشاه وقواه بعشرة أشياء باليقين ، والايمان ، والصدق ، والسكينة ، والإخلاص ، والرفق ، والعطية ، والقنوع ، والتسليم ، والشكر ، ثم قال له عز وجل : ادبر فأدبر ، ثم قال له : أقبل فاقبل ، ثم قال له : تكلم ، فقال الحمد لله الذي ليس له سند ولا ند ، ولا شبيه ولاكفو ، ولا عديل ، ولا مثيل ، الذي كل شيء لعظمته خاضع ذليل ، فقال الله تبارك ، وتعالى : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك ، ولا أطوع لي منك ، ولا أرفع منك ، ولا أشرف منك ، ولا أعز منك ، بك أواخذ ، وبك أعطي ، وبك أوحد ، وبك أعبد ، وبك ادعى ، وبك أرتجى ، وبك أبتغى ، وبك أخاف ، وبك أحذر ، وبك الثواب وبك العقاب . . »[٢] .

وحفل هذا الحديث الشريف بتمجيد العقل ، وتعظيمه ، وبيان أهميته ، وما منحه الله من الخصائص ، فهو أفضل الموجودات التي خلقها الله ، وقد منحه الله للانسان وميزه على بقية المخلوقات والكائنات ، وهو شرط في صحة التكليف في الإسلام فالفاقد له يكون كالحيوان الأعجم لا يصح أن يتوجه له التكليف .

---

(١) أصول الكافي ٢ / ٩٩ وسائل الشيعة ٥ / ٥٢٣ .
(٢) الخصال (ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧) .

١٤ ـ روى عليه السلام بسنده عن آبائه أن المسلمين قالوا لرسول الله (ص) : لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدونا ، فقال رسول الله (ص) : ما كنت لألقى الله عز وجل ببدعة ،لم يحدث إلي فيها شيء ، وما أنا من المتكلفين ، فانزل الله تبارك وتعالى يا محمد « ولو شاء ربك لامن من في الأرض كلهم جميعاً » على سبيل الالجاء والاضطرار في الدنيا ، كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة ، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً ، لكني أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين ليستحقوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنة الخلد ، « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » وأما قوله عز وجل : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله » فليس ذلك على سبيل تحريم الايمان عليها ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله ، واذنه أمره إياها بالإيمان ،ما كانت مكلفة متعبدة ،والجاؤه إياها إلى الايمان عند زوال التكليف والتعبد عنها»[١] لقد فند الرسول الأعظم (ص) شبهة الجبر، ونسف جميع أوهامها ، فقد خلق الله تعالى الناس أحراراً بإرادتهم واختيارهم ، وأرشدهم إلى أعمال الخير ، ونهاهم عن الإثم والشر ، فهم بإرادتهم يعملون ما يشاؤون ، ويختارون ما يريدون ، وليسوا مجبرين على أي عمل من الأعمال ، ويقول الرواة : إن الإمام الرضا عيه السلام تلا هذا الحديث الشريف على المأمون العباسي فأعجب به ، وراح يقول له : فرجت عني يا أبا الحسن فرج الله عنك[٢] .

١٥ ـ قال عليه السلام : حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين ، قال : حدثني أبي علي بن أبي طالب (ع) قال : سمعت النبي (ص) يقول : قال الله عز وجل له : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ، فمن جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله باخلاص دخل في حصني ، ومن دخل في حصني أمن من عذابي »[٣] .

---

(١) التوحيد (ص ٣٤٢) .
(٢) التوحيد (ص ٣٤٢) .
(٣) التوحيد (ص ٢٥) .

إن من أخلص في توحيده لله ، وأقر بذلك عن وعي وإيمان ، فقد اعتصم بالله ودخل حصناً آمناً من حصونه ، وبذلك يكون قد نجا من عذاب الله وعقابه .

١٦ ـ قال عليه السلام : قال رسول الله (ص) كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه ، من نفسه ، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه . . »[١] .

إن من نقصان الانسان أن يفتش عن عيوب الناس ، ويعرض عن عيوب نفسه ، وإن الأولى به أن يهذب نفسه ، ويصلح نقصه ، ولا يلتفت إلى عورات الناس ، كما أن من نقصان الانسان أن يؤذي جليسه بما لا يعنيه ، فإنه يشتري بذلك عدواً له ، وهو في غنى عن ذلك .

١٧ ـ قال عليه السلام : قال رسول الله (ص) : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[٢] إن هذه الظاهرة من أبرز صفات الانسان المسلم ، فإن عدم دخوله في ما لا يعنيه ، وبما لا يتعلق به ، دليل على نضوجه ووفور عقله ، أما دخوله في ما لا يعنيه فإنه يدل على ضحالة فكره ويسبب له الاتعاب والارهاق ، ويلقيه في شر عظيم .

١٨ ـ قال عليه السلام : قال رسول الله (ص) : « في الجنة ثلاث درجات : وفي الآخرة ثلاث درجات : فأعلى درجات الجنة لمن أحبنا بقلبه ، ونصرنا بلسانه ويده ، والدرجة الثانية لمن أحبنا بقلبه ، ونصرنا بلسانه ، والدرجة الثالثة لمن أحبنا بقلبه ، وفي أسفل الدرك من النار من أبغضنا بقلبه ، وأعان بلسانه ، وفي الدرك الثالث من النار من أبغضنا بقلبه . . »[٣] .

إن محبة أهل البيت عليهم السلام منجاة من الهلكة ، ومدعاة إلى الفوز باسمى الدرجات في الفردوس الأعلى ، كما أن بغضهم من أسباب الهلكة

---

(١) أصول الكافي ٢/ ٤٦ .

(٢) الذرية الطاهرة ورقة (٢٧) مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين . المعرفة والتاريخ ١/ ٣٦٠ .

(٣) المحاسن للبرقي ١/ ١٥٣ .

والتردي في أسفل درك من النار .

١٩ ـ قال عليه السلام : قال رسول الله (ص) : « حبي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن اهوالهن عظيمة : عند الوفاة ، وفي القبر ، وعند النشور ، وعند الكتاب ، وعند الحساب ، وعند الميزان ، وعند الصراط . . »[١] .

وهذه المواطن من أحرج المواقف وأشدها على الانسان ، ولا يجتازها إلا بمحبة النبي (ص) والمودة لأهل بيته الأطهار .

٢٠ ـ قال (ع) قال رسول الله (ص) : « ستة لعنهم الله ، وكل نبي مجاب ، الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والتارك لسنتي ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والمتسلط بالجبروت ليذل من أعزه الله ، ويعز من أذله الله ، والمستأثر بفيء المسلمين ، المستحل له . . . »[٢] .

إن هؤلاء الأصناف الذين لعنهم الله ، ولعنهم كل نبي ، هم المنحرفون عن الحق والنابذون لكل ما سنه الله ، وهم الشبكة التخريبية في الإسلام من ملوك الأمويين الذين ناصبوا العداء للعترة الطاهرة ، وأشاعوا الفساد والجور في الأرض .

٢١ ـ روى عليه السلام بسنده عن جده رسول الله (ص) أنه قال : « قال الله عز وجل : علي بن أبي طالب حجتي على خلقي ، ونوري في بلادي ، وأميني على علمي . . »[٣] .

لقد أعرب هذا الحديث الشريف عن أهمية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسمو مكانته عند الله فهو حجة الله الكبرى على العباد ، ونوره المشرق في البلاد ، وأمينه على علمه .

---

(١) الخصال (ص ٣٣٠) .

(٢) الخصال (ص ٣٠٨) .

(٣) المسلسلات مخطوط في مكتبة السيد الحكيم .

٢٢ ـ قال عليه السلام : أخبرني أبي الحسين ، قال : أخبرني الحسن بن علي ، قال : أخبرني أبي علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله (ص) : خلقت أنا وعلي من نور واحد[١] .

لقد خلق الله تعالى النبي والوصي من نور واحد ، فأضاء بهما العقول ، وأوضح بهما القصد ، وأرشد بهما الضال .

٢٣ ـ روى عليه السلام أن رسول الله (ص) قال : « يا علي أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنك ولي المؤمنين بما جعله الله ، وجعلته لك ، فمن أقر بذلك ، وكان يعتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له . . »[٢] .

وتضافرت الأخبار بمضمون هذا الحديث ، وإن الانسان بعد ما يفارق هذه الحياة يسأل عن هذه الأمور الثلاث ، وهي البداية الأولى ، التي يسأل عنها ، ويحاسب عليها .

٢٤ ـ روى عليه السلام بسنده عن أبيه عن جده أن رسول الله (ص) قال : « هبط علي جبرئيل فقال : إن الله يقرئك السلام ، ويقول : حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك . . »[٣] .

قال السيوطي في تفسير الحديث : « أما الصلب اذي نزل منه رسول الله (ص) فعبد الله ، وأما البطن فآمنة ، وأما الحجر فعمه أبو طالب ، وفاطمة بنت أسد »[٤] .

٢٥ ـ قال عليه السلام : « دخل رسول الله (ص) على نفر من أهله ، فقال : ألا أحدثكم بما يكون خيراً من الدنيا ، والآخرة لكم ، وإذا كربتم أو غممتم دعوتم الله عز وجل ففرج عنكم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال :

---

(١) الخصال (ص ٣١) .
(٢) الإمام زين العابدين (ص ٢٨٣) للسيد المقدم .
(٣) التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة (ص ٣٢) .
(٤) التعظيم والمنة (ص ٣٢) .

قولوا : الله ، الله ، الله ، ربنا لا نشرك به شيئاً ، ثم ادعوا ما بدا لكم . . »[1] .

٢٦ ـ قال عليه السلام : أتى رجل إلى رسول الله (ص) فقال له : ما بقي من الشر شيء إلا عملته ، فهل من توبة ؟ فقال (ص) : هل بقي من والديك أحد ؟ قال : نعم . قال (ص) : فبره ، فلعله أن يغفر لك ، فولى الرجل ، فقال (ص) : لو كانت أمه[2] ودل هذا الحديث الشريف على أن البر بالوالدين ، والاحسان لهما من موجبات الرحمة ، وغفران الذنب ، خصوصاً البر بالأم .

٢٧ ـ روى عليه السلام عن أبيه الإمام الحسين عليه السلام أن رسول الله (ص) قال للإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « الجنة تشتاق إليك ، وإلى عمار ، وإلى سلمان ، وأبي ذر ، والمقداد . . . »[3] .

إن الجنة ، لتشتاق إلى هؤلاء الجماعة الذين هم من عناصر الإيمان ، ومن طلائع المجاهدين في الإسلام ، فقد ابلوا في الله بلاءً حسناً ، وأقاموا دين الله بجهودهم وجهادهم ، فحقاً إن الجنة لتشتاق إليهم .

٢٨ ـ قال عليه السلام : حدثني أبي أن جده رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « اعبد الناس من أقام الفرائض ، وأسخى الناس من أدى الزكاة ، وأزهد الناس من اجتنب المحارم ، واتقى الناس من قال بالحق في ما له وعليه ، وأعدل الناس من رضى للناس بما برضى لنفسه ، وكره لهم ما كره لنفسه ، وأكيس الناس من كان أشد ذكراً للموت ، واغبط الناس من كان تحت التراب قد أمن العقاب ، ويرجو الثواب ، واعقل الناس من يتعظ بتغير الدنيا من حال ألى حال ، وأعظم الناس في الدنيا خطراً من لم يجعل للدنيا خطراً ، واعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه ، واشجع الناس من غلب هواه ،

---

(١) دعوات القطب الراوندي (ص ٢٠) مخطوط .
(٢) دعوات القطب الراوندي (ص ٤٧) .
(٣) الخصال (ص ٢٧٥) .

وأكثر الناس قيمة أكثرهم علماً ، وأقل الناس لذة الحسود ، وأقل الناس راحة البخيل ، وأبخل الناس من بخل بما افترض الله عليه ، وأولى الناس بالحق اعلمهم ، وأقل الناس حرمة الفاسق ، وأقل الناس وفاءً الملوك ، وأقل الناس صديقاً الملوك ، وأفقر الناس الطماع ، وأغنى الناس من لم يكن للحرص أسيراً ، وأفضل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً ، وأكثر الناس[1] أتقاهم ، وأعظم الناس حذراً من ترك ما لا يعنيه ، وأورع الناس من ترك المراء ، وإن كان محقاً ، وأقل الناس مروة من كان كاذباً ، وأشقى الناس الملوك ، وأمقت الناس المتكبر ، وأشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب ، واحلم الناس من فرَّ من جهال الناس ، وأسعد الناس من حالف كرام الناس ، وأعقل اناس أشدهم مداراة للناس وأولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة ، وأعتى الناس من قتل غير قاتله أو ضرب غير ضاربه ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأحق الناس بالذنب السفيه ، المغتاب ، وأذل الناس من أهان الناس ، وأحزم الناس اكظمهم للغيظ ، وأصلح الناس أصلحهم للناس ، وخير الناس من انتفع به الناس . . »[2] لقد ألقى هذا الحديث الشريف الأضواء على طبائع الناس واتجاهاتهم ، وميولهم ، ووضع المناهج الحية للاصلاح الشامل لكثير من القضايا النفسية والتربوية . . . حقاً لقد كان هذا الحديث من مناجم الأحاديث النبوية التي ضمت كنوز العلم والحكمة والعرفان .

٢٩ ـ روى عليه السلام عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « ما زلت أنا ومن كان قبلي من النبيين مبتلين بمن يؤذينا ، ولو كان المؤمن على رأس جبل لقيض الله عز وجل من يؤذيه ليؤجره على ذلك . . »[3] .

لقد تعرض الرسول الأعظم (ص) وسائر النبيين من قبله إلى الاضطهاد والاعتداء من قبل القوى الباغية التي تناهض الاصلاح الاجتماعي ، وتناجز دعاته ، وجرت على ذلك سنة الحياة من محاربة قوى الشر لقوى الخير ، بل لو

---

(١) اسقطت هذه الكلمة من الأصل ، ولعلها وأكثر الناس عقلاً اتقاهم .
(٢) الغايات لأبن بابويه القمي مخطوط في مكتبة السيد الحكيم .
(٣) وسائل الشيعة ٥/٤٨٦ .

كان هناك مؤمن مقيم على رأس جبل منعزل عن الناس لانبرى إليه شرير ، فيؤذيه ويزعجه ، ليثيبه الله على ذلك .

٣٠ ـ روى عليه السلام عن أبيه أن رسول الله (ص) قال : « علي بن أبي طالب خليفة الله ، وخليفتي ، وحجة الله وحجتي ، وصفي الله ، وصفيي ، وحبيب الله وحبيبي ، وخليل الله وخليلي ، وسيف الله وسيفي ، وهو أخي وصاحبي ، ووزيري ، محبه محبي ، ومبغضه مبغضي ، ووليه وليي ، وعدوه عدوي ، وزوجته ابنتي ، وولده ولده ، وحربه حربي ، وقوله قولي ، وأمره أمري ، وهو سيد الوصيين ، وخير أمتي . . »[1] لقد أشاد النبي صلى الله عليه وآله في كثير من المواقف في حق أخيه ووصيه رائد الحق والعدالة الاجتماعية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن الطبيعي أن ذلك إنما هو للتدليل على خلافته من بعده ، وأنه هو القائد العام للمسيرة الاسلامية بعد وفاته (ص) .

٣١ ـ روى عليه السلام بسنده عن آبائه أن رسول الله (ص) قال لاصحابه : « أن الله قد فرض عليكم طاعتي ، ونهاكم عن معصيتي ، وفرض عليكم طاعة علي بعدي ، ونهاكم عن معصيته ، وهو وصيي ، ووارثي ، وهو مني ، وأنا منه ، حبه إيمان ، وبغضه كفر . . . »[2] .

إن الرسول صلى الله عليه وآله لم يفرض طاعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على أصحابه وإنما الله فرضها على جميع المسلمين ، كما يدلل على ذلك حديث الغدير الذي أجمع المسلمون على روايته ، وليس هناك أدنى شك في أن مبعث ذلك هي مواهب الإمام وعبقرياته ، وعظيم اتصاله بالله تعالى ، إذ ليس في المسلمين من يدانيه ويضارعه في فضائله ومآثره قال الجاحظ : لا يعلم رجل في الأرض متى ذكر السبق في الإسلام والتقدم فيه ، ومتى ذكرت النجدة والذب عن الإسلام ، ومتى ذكر الفقه في الدين ، ومتى ذكر الزهد في

---

(١) روضات الجنات ٦/١٨٣ ـ ١٨٤ نقلاً عن كتاب مناقب الإمام أمير المؤمنين لابن شاذان القمي .

(٢) ينابيع المودة الباب ٤١ .

الأموال التي تتناحر الناس عليها وحتى ذكر الأعطاء في الماعون ، كان مذكوراً في هذه الخصال كلها ، إلا علي رضي الله عنه[1] .

٣٢ ـ روى عليه السلام بسنده عن أبيه عن جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي (ص) قال : يصلي المريض قائماً ، فإن لم يستطع صلى قاعداً ، فإن لم يستطع أن يسجد أومأ ، وجعل سجوده أخفض من ركوعه ، فإن لم يستطع أن يصلي قاعداً صلى على جنبه الأيمن مستقبلاً القبلة ، فإن لم يستطع صلى مستلقياً رجليه مما يلي القبلة . . »[2] .

وكان هذا الحديث الشريف ، وغيره مما أثر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذا الموضوع مما استند إليه الفقهاء في فتياهم بعدم وجوب القيام في الصلاة على المريض الذي يجد حرجاً في الصلاة قائماً ، وإنما عليه أن يصلي جالساً لأن الاسلام لم يشرع أي حكم حرجي .

٣٣ ـ روى عليه السلام عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إن المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله فيعطيه الله من الأجر ما يعطي الصائم القائم ، إن الله يحب الشاكرين . »[3] .

هذه بعض الأحاديث التي رواها الإمام زين العابدين عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد روي بعضها مسندة عن أبيه عن جده الإمام أمير المؤمنين عن النبي (ص) وأخرى غير مسندة وهي على كلا الوجهين تتصف بأعلى مراتب الصحة ، إن صح السند إليه .

رواياته عن أمير المؤمنين :

وروى الإمام زين العابدين عليه السلام طائفة مشرقة من حكم الإمام أمير المؤمنين (ع) قد عالج فيها الكثير من القضايا الاجتماعية ، كما روى طائفة من خطبه ومواعظه ، وفي ما يلي بعضها :

---

(١) ثمار القلوب للثعالبي ـ (ص ٦٧) .
(٢) ميزان الاعتدال ١/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥ .
(٣) ربيع الأبرار ٤/ ٣٢٨ .

١ ـ قال عليه السلام : « للمسرف ثلاث علامات : يأكل ما ليس له ، ويلبس ما ليس له ويشتري ما ليس له . . »[١] .

إن المسرف مصاب بانحراف في سلوكه الاقتصادي ، وقد حدد الإمام الحكيم مظاهر الشذوذ في تصرفاته بأنه يأكل ويلبس ويشتري كل ذلك مع ما لا يتناسب وشأنه ولا يتفق مع دخله وارده .

٢ ـ قال عليه السلام : حدثني أبي الحسين (ع) قال : سمعت أبي علياً يقول : الأعمال على ثلاثة أحوال : فرائض ، وفضائل ، ومعاصٍ ، فأما الفرائض فبأمر الله ، وبرضى الله ، وبقضاء الله ، وتقديره ، ومشيئته ، وعلمه عز وجلّ ، وأما المعاصي فليست بأمر الله ، ولكن بقضاء الله ، وتقدير الله وبمشيئته وعلمه ، ثم يعاقب عليها »[٢] .

وألقى الإمام الأضواء على أفعال الانسان ، وارتباطها بالقضاء والقدر ، فكل ما يصدر من الانسان من عمل يعلم به الله الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولكن لا شيء من أعمال الخير أو الشر قد أجبر عليه العباد ، وإنما فوَّض ذلك لارادتهم واختيارهم ، وقد دلل على ذلك علماء الإمامية في كتبهم الكلامية .

٣ ـ روى عليه السلام عن أبيه أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال : « إن الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة : أخفى رضاه في طاعته ، فلا تستصغرن شيئاً من طاعته ، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم ، وأخفى سخطه في معصيته ، فلا تستصغرن شيئاً من معصيته فربما وافق سخطه وأنت لا تعلم ، وأخفى إجابته في دعوته ، فلا تستصغرن شيئاً من دعائه ، فربما وافق اجابته وأنت لا تعلم ، وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عبيد الله فربما يكون وليه وانت لا تعلم . . »[٣] .

---

(١) الخصال (ص ٩٤) .
(٢) الخصال (ص ١٥٦) .
(٣) الخصال (ص ١٩١) .

لقد دعا الإمام عليه السلام إلى عدم استصغار هذه الأمور لأن في احتقارها بعض المفاسد التي ألمح ، عليه السلام ، لها .

٤ ـ قال (ع) : كان أمير المؤمنين (ع) يقول : « إنما الدهر ثلاثة أيام أنت في ما بينهن : مضى أمس بما فيه فلا يرجع أبداً ، فإن كنت عملت فيه خيراً لم تحزن لذهابه ، وفرحت بما استقبلته منه ، وإن كنت قد فرطت فيه فحسرتك شديدة لذهابه ، وتفريطك فيه وأنت في يومك الذي أصبحت فيه من غد في غرة ، ولا تدري لعلك لا تبلغه ، وأن بلغته لعل حظك فيه في التفريط مثل حظك في الأمس الماضي عنك ، فيوم من الثلاثة قد مضى أنت فيه مفرط ، ويوم تنتظره لست منه على يقين من ترك التفريط ، وإنما هو يومك الذي أصبحت فيه ، وقد ينبغي لك إن عقلت وفكرت في ما فرطت في الأمس الماضي مما فاتك فيه من حسنات ألا تكون اكتسبتها ، ومن سيئات ألا تكون ابتعدت عنها ، وأنت مع هذا مع استقبال غدٍ على غير ثقة من أن تبلغه وعلى غير يقين من اكتساب حسنة أو مرتدع عن سيئة محبطة ، فأنت في يومك الذي تستقبل على مثل يومك الذي استدبرت فاعمل عمل رجل ليس يأمل من الأيام الا يومه الذي أصبح فيه ، وليلته ، فاعمل أودع ، والله المعين على ذلك . . »[1] ودعا سيد العارفين وإمام المتقين إلى اغتنام الوقت ، باكتساب الحسنات ، واجتناب السيئات ، فإن أيام الانسان سرعان ما تنطوي ، ويقدم على ربه فيجازيه على ما عمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

٥ ـ قال عليه السلام : كان أمير المؤمنين يقول : « اللهم منَّ علي بالتوكل عليك ، والتفويض إليك ، والرضا بقدرك ، والتسليم لأمرك ، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت يا رب العالمين . . »[2] وفي هذه الكلمات الدعوة إلى التوكل على الله تعالى ، وتفويض الأمور إليه ، والرضا بقدره والتسليم لأمره ، فهو تعالى وحده بيده زمام أمور جميع

(١) اصول الكافي ٢/٤٥٣ .

(٢) اصول الكافي ٢/٥٨٠ ناسخ التواريخ ١/١٤٢ .

العبادة ، وليس لغيره أي سلطان أو قدرة على التصرف في شؤونهم .

ـ قال عليه السلام : كان أمير المؤمنين عليه السلام يعبيء أصحابه للحرب إذ أتاه شيخ عليه هيئة السفر فسلم عليه ، وقال له : إني أتيتك من ناحية الشام ، وأنا شيخ كبير ، وقد سمعت فيك من الفضل ما لا احصيه ، وإني أظنك ستغتال ، فعلمني مما علمك الله تعالى ، فقال له أمير المؤمنين :

« نعم يا شيخ من اعتدل يوماه فهو مغبون ، ومن كثرت همُّه في الدنيا كثرت حسرته عند فراقها ، ومن كان غده شراً من يومه فمحروم ، ومن لم يبال بما يرى في آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك ، ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى ، ومن كان في نقص فالموت خير له . . يا شيخ إن الدنيا حقيرة ولها أهل ، وإن الآخرة لها أهل ، طلقت أنفسهم عن مناصرة أهل الدنيا ، لا يتنافسون في الدنيا ، ولا يفرحون بغضارتها ، ولا يحزنون لبؤسها ، يا شيخ من خاف البيات قل نومه، وما أسرع الليالي والأيام في عمر العبد ، فأخزن كلامك ، وعد أيامك ، ولا تقل إلا بخير ، يا شيخ إرض للناس ما ترضى لنفسك ، وآتِ إلى الناس ما تحب أن يؤتى إليك . . » .

وبعد هذه النصائح والمواعظ المشرقة التي وجهها ألى الشيخ التفت إلى أصحابه فقال لهم :

« أيها الناس أما ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى ، فبين صريع مبتلى ، وبين عائد ومعود ، وآخر بنفسه يجود ، وآخر لا يرجى ، وآخر مسجى ، وطالب للدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وعلى أثر الماضي يصير الباقي . . » .

لقد تحدث الامام الحكيم عن الحياة العامة التي يعيشها الناس على امتداد التاريخ فتحدث عن شؤونهم وأحوالهم ، ومجريات أحداثهم بما لا يختلف ولا يتغير حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وانبرى إلى الامام صاحبه وتلميذه زيد بن صوحان العبدي ، وهو من خيار أصحابه ، وأكثرهم وعياً واستيعاباً لعلومه فرفع له المسائل التالية « يا أمير

المؤمنين أي سلطان أغلب وأقوى ؟ . . » .

فأجابه الامام عليه السلام : « الهوى . . » .

زيد : أي ذل أذل ؟

الإمام : الحرص على الدنيا .

زيد : أي فقر أشد ؟

الإمام الكفر بعد الإيمان .

زيد : أي دعوة أضل ؟

الإمام : الداعي بما لا يكون .

زيد : أي عمل أفضل ؟

الإمام : التقوى

زيد : أي عمل أنجح ؟

الإمام : طلب ما عند الله .

زيد : أي صاحب أشر ؟

الإمام : المزين لك معصية الله .

زيد : أي الخلق أشقى ؟

الإمام : من باع دينه بدنيا غيره .

زيد : أي الخلق أقوى ؟

الإمام : الحليم .

زيد : أي الخلق أشح ؟

الإمام : من أخذ من غير حلِّه ، فجعله في غير حقه .

زيد : أي الناس أكيس ؟

الإمام : من أبصر رشده من غيه .

زيد : من أحلم الناس ؟

الإمام : الذي لا يغضب .

زيد : أي الناس أثبت رأياً ؟

الإمام : من لم يغيره الناس من نفسه ، ولم تغيره الدنيا بشقوتها .

زيد : أي الناس أحمق ؟

الإمام : المغتر بالدنيا ، وهو يـرى ما فيها من تقلب أحوالها .

زيد : أي الناس أشد حسرة ؟

الإمام : الذي حرم الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

زيد : أي الخلق أعمى ؟

الإمام : الذي عمل لغير الله تعالى ، ويطلب بعمله الثواب من عند الله .

زيد : أي القنوع أفضل ؟

الإمام : القانع بما أعطاه .

زيد : أي المصائب أشد ؟

الإمام : المصيبة بالدين .

زيد : أي الأعمال أحب إلى الله ؟

الإمام : انتظار الفرج .

زيد : أي الناس خير عند الله ؟

الإمام : أخوفهم له ، واعملهم بالتقوى ، وأزهدهم في الدنيا .

زيد : أي الكلام أفضل عند الله ؟

الإمام : كثرة ذكره ، والتضرع ، ودعاؤه .

زيد : أي القول أصدق ؟

الإمام : شهادة أن لا إله إلا الله .

زيد : أي الأعمال أعظم عند الله ؟

الإمام : التسليم والورع .

زيد : أي الناس أكرم ؟

الإمام : من صدق في المواطن .

وانتهت أسئلة زيد ، وقد أجاب الإمام عنها جواب العالم الخبير المحيط بواقع الأمور ، ثم أن الإمام عليه السلام التفت إلى الشيخ فقال له :

« إن الله عز وجل خلق خلقاً ، وضيق الدنيا عليهم نظراً لهم ، فزهدهم فيها ، وفي حطامها ، فرغبوا في دار السلام الذي دعاهم اليه ، وصبروا على ضيق المعيشة ، وصبروا على المكروه ، واشتاقوا إلى ما عند الله من الكرامة وبذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله ، وكانت خاتمة أعمالهم الشهادة ولقوا الله وهو عنهم راض ، وعلموا أن الموت سبيل لمن مضى وبقي ، فتزودوا لآخرتهم غير الذهب والفضة ، ولبسوا الخشن ، وصبروا على أدنى القوت ، وقدموا الفضل ، وأحبوا في الله ، وابغضوا في الله عز وجل ، أولئك المصابيح ، وأهل النعيم في الآخرة . .

وانطبعت هذه المواعظ الحسنة في ضمير الشيخ ، وفي أعماق نفسه فالتفت إلى الإمام قائلاً :

« أين أذهب وأدع الجنة؟ وأرى أهلها معك ، جهزني بقوة أتقوى بها على عدوك . . » .

فجهزه الإمام بلامة حرب ، وكان من ألمع المجاهدين معه ، وقد أبلى في الحرب بلاءً حسناً حتى استشهد بين يديه ، فصلى عليه الإمام ، وترحم عليه[1] .

٧ ـ روى الإمام زين العابدين عليه السلام خطبة من خطب جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا نصها :

« إن الحمد لله ، أحمده ، واستعينه ، واستهديه ، وأعوذ بالله من الضلالة ، من يهد الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، انتجبه لأمره ، واختصه بالنبوة ، أكرم خلقه ، وأحبهم إليه ، فبلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وأدى الذي عليه ، أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله ، وأقربه لرضوان الله ، وخيره في عواقب الأمور عند الله ، وبتقوى الله أمرتم ، وللاحسان والطاعة خلقتم ، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه ،

(١) امالي الطوسي (ص ٢٧٧) .

فإنه حذر بأساً شديداً ، واخشوا الله خشية ليست بتعذير ، واعملوا في غير رياء ولا سمعة ، فإن من عمل لغير الله ، وكله الله إلى ما عمل له ، ومن عمل لله مخلصاً تولى الله أجره . . واشفقوا من عذاب الله فإن لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترك شيئاً من أمركم سدى ، قد سمى آثاركم ، وعلم أعمالكم ، وكتب آجالكم ، فلا تغروا بالدنيا فإنها غرارة بأهلها ، مغرورون من اغتروا بها ، وإلى فناء ما هي ، وإن الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون ، اسأل الله منازل الشهداء ، ومرافقة الأنبياء ، ومعيشة السعداء ، فإنما نحن له وبه . . »[1] .

في هذه الخطبة الشريفة دعوة إلى الموعظة الحسنة، ودعوة إلى تقوى الله الذي هو خير ما يتواصى به عباد الله المتقون ، كما فيها دعوة إلى تزكية العمل وتنزيهه عن الرياء ، فإن من عمل لغير الله فقد أفسد عمله ، وضل سعيه ، وخاب أمله .

٨ ـ قال عليه السلام : قال أمير المؤمنين : « أيها الناس أتدرون من يتبع الرجل بعد موته ؟ فسكتوا ، فقال : يتبعه الولد يتركه ، فيدعو له بعد موته ، ويستغفر له[2] وتتبعه الصدقة يوقفها في حياته ، فيتبعه أجرها بعد موته ، وتتبعه السنة الصالحة يعمل بها بعده فيتبعه أجرها ، وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء . . » .

٩ ـ قال عليه السلام : صلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قيد رمح ، ثم أقبل على الناس بوجهه ، فقال : والله لقد أدركنا أقواماً كانوا يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، يراوحون بين جباههم وركبهم كأن زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر ، كأن القوم باتوا غافلين ، ثم قام عليه السلام ، وما رؤي ضاحكاً حتى قبض[3] .

---

(١) وقعة صفين (ص ١٣) .

(٢) إن الولد الذي يدعو لأبيه ، ويستغفر له هو الولد الصالح المتقي دون غيره .

(٣) مشكاة الأنوار (ص ٥٧) للطبرسي .

هـذه بعض الأحاديث التي رواهـا عن جـده الإمـام أميـر المؤمنين رائـد العلم والحكمة في الأرض .

في رحاب القرآن :

وقبـل أن نعرض إلى نمـاذج من تفسير الإمـام عليه السـلام لبعض آيات القرآن الكريم نود أن نبين بعض ما أثر عنه في رحاب هذا السفر العظيم .

شغفة بالقرآن :

كـان الإمام زين العـابدين عليـه السلام حليفـاً للقرآن الكـريم وشغـوفـاً بتلاوته وكان يجد فيه متعة لا تعـدلها أي متعـة ، وقد قـال عليه السـلام : « لو مات ما بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي »[1] .

تلاوته للقرآن :

كان الإمام من أحسن الناس صوتـاً في تلاوتـه القرآن الكـريم فلا يكـاد يسمعه أحد إلا ويتـأثر بـه ، ويقول الـرواة : إن السقائين الـذين يمرون ببـابه كانوا يقفون لاستماع صوته[2] .

تدبره للقرآن :

ولم يقرأ الإمام عليه السلام القرآن الحكيم قراءة عابرة ، وإنمـا كان يتلو آياته بتدبر وامعان ، ويتأمل بما انطوت عليه من كنوز الحكمة والمعرفة ، وقـد قـال : آيات القـرآن خزائن كلمـا فتحت خزانـة ينبغي لك أن تنـظر ما فيهـا[3] ويقـول الرواة أنـه إذا قرأ﴿ مـالك يـوم الـدين ﴾ جعـل يكـررهـا حتى كـاد أن يموت[4] والسبب في ذلك تدبره وتمعنه في محتوى هذه الآية الكريمة .

---

(١) البحار ٤٦/١٠٧ .

(٢) شرح شافية ابي فراس ٢/ورقة ١٩٨ (مصور في مكتبة الحكيم) . اصول الكافي ٢/٦١٦ .

(٣) الوافي

(٤) اصول الكافي ٢/٦٠٢ .

دعاؤه عند ختم القرآن :

وكان عليه السلام إذا ختم القرآن الكريم يدعو الله مبتهجاً بهذا الدعاء الشريف .

« اللَّهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً ، وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته ، وفضلته على كل حديث قصصته ، وفرقاناً فرقت به بين حلالك وحرامك ، وقرآناً اعربت به عن شرائع أحكامك ، وكتاباً فصلته لعبادك تفصيلاً ، ووحياً أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً ، وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه ، وشفاءً لمن انصت بفهم التصديق إلى استماعه ، وميزان قسط[1] لا يحيف[2] عن الحق لسانه ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه ، وعلم نجاة لا يضل من أمَّ قصد سنته ، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته .

اللَّهم فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته ، وسهلت جواسي السنتنا[3] بحسن عبادته فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته ، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته ، ويفزع إلى الاقرار بمتشابهه ، وموضحات بيناته ، اللهم إنك أنزلته على نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وألهمته علم عجائبه مكملاً ، وورثتنا علمه مفسراً ، وفضلتنا على من جهل علمه ، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله .

اللَّهم فكما جعلت قلوبنا له حملة ، وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله ، فصل على محمد الخطيب به ، وعلى آله الخزان له ، واجعلنا ممن يعترف بأنه من عندك حتى لا يعارضنا الشك في تصديقه ، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه . . » .

أما القرآن الكريم فهو معجزة الاسلام الكبرى ، وقد تحدث سليل النبوة

---

(١) القسط : العدل .

(٢) لا يحيف : أي لا يميل .

(٣) جواسي : جمع جاسية وهي الغليظة ، والمراد غلاظ الألسنة .

في هذا المقطع عن بعض معالمه وأنواره وهي :

١ ـ إن الله تعالى أنزل القران الكريم نوراً يهدي به الضال ، ويرشد به الحائر ، ويوضح به القصد .

٢ ـ إن الله تعالى جعل القرآن الحكيم مهيمناً ومشرفاً على جميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ، فهو يكشف عما حدث فيها من التغيير والتبديل والتحريف ، من قبل المنحرفين ودعاة الضلال .

٣ ـ إن الله تعالى فضل كتابه العزيز على كل حديث عُرض فيه لقصص الأنبياء وشؤونهم ، فقد تناول الذكر الحكيم بصورة موضوعية وشاملة أحوالهم ، وشؤونهم واقتباس العبر منهم .

٤ ـ إن القرآن الكريم كان منهجاً ودستوراً عاماً للحياة ، فقد فرق بين الحلال والحرام وأعرب عن شرائع الأحكام ، وفصل جميع ما يحتاجه الناس تفصيلاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض .

٥ ـ إن الله تعالى جعل كتابه الحكيم نوراً يهتدى به من ظلم الضلالة وعماية الجهالة ، كما جعله شفاءً من الأمراض والعاهات النفسية وذلك لمن آمن وصدق به .

٦ ـ إن الذكر الحكيم ميزان عدل وقسط ، ليس فيه ميل عن الحق ، ولا اتباع لهوى ، وإن من تمسك واعتصم به ، فقد سلك الطريق القويم الذي لا التواء فيه ، ونجا من الهلاك .

٧ ـ وطلب الإمام عليه السلام من الله أن يتفضل عليه برعاية كتابه ، والتسليم لمحكم آياته ، والاقرار بمتشابهاته .

٨ ـ إن الله تعالى قد منح نبيه العظيم فألهمه عجائب ما في القرآن الكريم ، وعلمه تفسيره كما اشاد بأئمة الهدى من عترة النبي (ص) الذين رفعهم الله ، وأعلى درجتهم ، فجعلهم خزنة علمه ، والأدلاء على كتابه . . . ولنستمع ، بعد هذا ، إلى مقطع آخر من هذا الدعاء الشريف .

« اللَّهم صل على محمد وآله ، واجعلنا ممن يعتصم بحبله ، ويأوي من المتشابهات إلى حرز معقله ، ويسكن في ظل جناحه ، ويهتدي بضوء صباحه ، ويقتدي بتبلج أسفاره ، ولا يلتمس الهدى في غيره ، أللَّهم وكما نصبت به محمداً علماً للدلالة عليك ، وانهجت بآله سبل الرضا إليك ، فصل على محمد واله ، واجعل القرآن وسيلة لنا إلى أشرف منازل الكرامة ، وسلما نعرج فيه إلى محل السلامة ، وسببا نجزى به النجاة في عرصة القيامة ، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة ، اللهم صل على محمد وآله ، واحطط بالقرآن عنا ثقل الأوزار ، وهب لنا حسن شمائل الأبرار ، واقف بنا آثار الذين قاموا لك اناء الليل وأطراف النهار ، حتى تطهرنا من كل دنس بتطهيره ، وتقفوا بنا أثار الذين استضاؤوا بنوره ،ولم يلههم الأمل عن العمل ،فيقطعهم بخدع غروره ، اللَّهم صلى على محمد وآله واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنساً ، ومن نزغات[1] الشيطان وخطرات الوساوس حارساً ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابساً ، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفةٍ مخرساً ، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً ، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشراً ، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه ، وزواجر أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله ، اللهم صل على محمد وآله وأدم بالقرآن صلاح ظاهرنا واحجب به خطرات الوساوس عن صحة ضمائرنا ، واغسل به درن قلوبنا ، وعلائق أوزارنا ، واجمع به منتشر امورنا ، وارِ به في موقف العرض عليك ظمأ هواجرنا ، واكسنا به حلل الأمان يوم الفزع الأكبر في نشورنا . . . » .

وفي هذا المقطع الرائع تضرع الإمام إلى الله تعالى طالباً منه أن يجعله من المعتصمين بحبل القرآن الكريم ، وأن يلجأ إليه في متشابهاته ليكشف له الأمر ويوضح له القصد ، وأن يستضيء بنوره ، ولا يلتمس الهدى في غيره ، كما طلب منه تعالى أن يجعل القرآن الكريم وسيلة يبلغ بها أعلى درجات المقربين وسلما يعرج فيه إلى مواطن السلامة ، وسبباً للنجاة في يوم القيامة ،

---

(١) نزغات : جمع نزغة ، وهي الوسوسة .

وأن يحط به ثقل الذنوب والأوزار ، وأن يجعل تلاوته وإمعان النظر في آياته مؤنساً له في ظلم الليالي ، وأن يحرسه به من وساوس الشيطان الرجيم ، هذه بعض محتويات هذه الفقرات ، ولنستمع إلى مقطع آخر من هذا الدعاء الشريف .

« اللَّهم صل على محمد وآله ، واجبر بالقرآن خلتنا من عدم الاملاق[1] وسق إلينا به رغد العيش ، وخصب سعة الأرزاق ، وجنبنا به الضرائب[2] المذمومة ، ومداني الاخلاق[3] واعصمنا به من هوة الكفر ، ودواعي النفاق ، حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً ، ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذائداً ، ولما عندك ، بتحليل حلاله ، وتحريم حرامه ، شاهداً .

أللَّهم صل على محمد وآله ، وهون بالقرآن عند الموت على أنفسنا كرب السياق[4] وجهد الأنين ، وترادف الحشارج[5] إذا بلغت النفوس التراقي[6] وقيل من راق ، وتجلى ملك الموت ليقبضها من حجب الغيوب ، ورماها عن قوس المنايا باسهم وحشة الفراق ، وداف لها من زعاف الموت[7] كأساً مسمومة المذاق ، ودنا منا إلى الآخرة رحيل وانطلاق ، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق ، وكانت القبور هي المأوى ألى ميقات يوم التلاق .

أللَّهم صل على محمد وآله ، وبارك لنا في حلول دار البلى ، وطول المقامة بين أطباق الثرى ، واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا وافسح لنا برحمتك في ضيق ملاحدنا ، ولا تفضحنا في حاضري القيامة بموبقات آثامنا ، وارحم بالقرآن في موقف العرض عليك ذل مقامنا ، وثبت به عند اضطراب جسم جهنم يوم المجاز عليها زلل أقدامنا ونور به قبل البعث

---

(١) الاملاق : الفقر .
(٢) الضرائب : جمع ضريبة بمعنى الطبيعة .
(٣) مداني الأخلاق : أي الأخلاق الدنيئة .
(٤) السياق : هي حالة المحتضر عند الموت .
(٥) الحشارج : جمع حشرجة ، وهي الغرغرة عند الموت .
(٦) التراقي : جمع ترقوة وهي العظم المحيط بالرقبة .
(٧) زعاف الموت : أي خالصه .

سدف[1] قبورنا ونجنا به من كل كرب يوم القيامة ، وشدائد أهوال يوم الطامة ، وبيض وجوهنا يوم تسود وجوه الظلمة في يوم الحسرة والندامة ، واجعل لنا في صدور المؤمنين وداً ، ولا تجعل الحياة علينا نكداً .

أللّهم صل على محمد عبدك ورسولك ، كما بلغ رسالتك وصدع بأمرك ، ونصح لعبادك ، إللّهم اجعل نبينا صلواتك عليه وعلى آله يوم القيامة أقرب النبيين منك مجلساً ، وأمكنهم منك شفاعة ، وأجلهم عندك قدراً ، وأوجههم عندك جاهاً[2] اللهم صل على محمد وآل محمد ، وشرف بنيانه[3] وعظم برهانه ، وثقل ميزانه ، وتقبل شفاعته ، وقرب وسيلته ، وبيض وجهه ، وأتم نوره ، وارفع درجته ، واحينا على سنته ، وتوفنا على ملته ، وخذ بنا منهاجه ، واسلك بنا سبيله ، واجعلنا من أهل طاعته ، واحشرنا في زمرته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه ، وصل اللهم على محمد وآله صلاة تبلغه بها أفضل ما يأمل من خيرك وفضلك وكرامتك ، إنك ذو رحمة واسعة وفضل كريم .

أللّهم اجزه بما بلغ من رسالتك ، وأدى من آياتك ، ونصح لعبادك وجاهد في سبيلك افضل ما جزيت أحداً من ملائكتك المقربين، وأنبيائك المرسلين ، المصطفين ، والسلام عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، ورحمة الله وبركاته . . »[4] .

وهكذا ينتهي هذا الدعاء الشريف ، الذي هو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام ،وقد أعرب الإمام عليه السلام في هذه الفقرات عن تعظيمه البالغ للقرآن الكريم ، وقد نعته بأجل الأوصاف ، وأسمى النعوت ، إذ ليس أحد يعرف مكانة هذا الكتاب العظيم ، ويعلم حقيقته وتفسيره سوى أئمة أهل البيت الذين هم خزنة علم النبي (ص) ورواة حكمته . . . لقد طلب الإمام عليه السلام من الله تعالى في هذه الفقرات ـ أن يتكرم عليه بخير

---

(١) سدف قبورنا : أي ظلمة قبورنا .
(٢) جاها : أي منزلة ومقاماً .
(٣) بنيان : أراد به الدين العظيم .
(٤) الصحيفة السجادية الدعاء الواحد والأربعون .

الدنيا والآخرة ، وأن ينعم عليه بالمغفرة والرضوان إذا انتقل إليه ، وصار في جواره ، كما احتوت هذه الفقرات على تعظيم الرسول (ص) باعث الفكر والعلم في الأرض ، والدعاء له بمزيد الأجر على جهوده وجهاده في تحرير الانسان وانقاذه من براثن الكفر والالحاد .

نماذج من تفسيره :

كان الامام زين العابدين عليه السلام من المع المفسرين للقرآن الكريم ، وقد استشهد علماء التفسير بالكثير من روائع تفسيره ، ويقول المؤرخون إنه كان صاحب مدرسة لتفسير القرآن ، وقد أخذ عنه ابنه الشهيد زيد في تفسيره للقرآن[1] كما أخذ عنه ابنه الامام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام في تفسيره الذي رواه عنه زياد بن المنذر[2] الزعيم الروحي للفرقة الجارودية .وعلى أي حال فإنا نقدم نماذج موجزة من تفسيره لكتاب الله العزيز ، وفي ما يلي ذلك .

١ ـ روى الإمام محمد الباقر عليه السلام ، عن أبيه عليه السلام ، في تفسير الآية الكريمة ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشاً ﴾[3] إنه سبحانه وتعالى ، جعل الأرض ملائمة لطباعكم ، موافقة لأجسادكم ، ولم يجعلها شديدة الحمأ[4] والحرارة فتحرقكم ، ولا شديدة البرودة فتجمدكم ، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ، ولا شديدة النتن فتعطبكم[5] ولا شديدة اللين كالماء ، فتغرقكم ، ولا شديدة الصلابة ، فتمتنع عليكم في دوركم وابنيتكم ، وقبور موتاكم ، ولكنه عز وجل جعل فيها من المتانة[6] ما تنتفعون

---

(١) توجد نسخة منه في خزانة المخطوطات في مكتبة الكونكرس الأمريكية حسب ما ذكرته بعض الصحف العراقية .

(٢) حياة الإمام محمد الباقر ١/١١ نقلاً عن الفهرست للشيخ الطوسي (ص ٩٨) .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٢ .

(٤) الحمأ : شدة حرارة الشمس .

(٥) تعطبكم : أي تهلككم .

(٦) المتانة : ما صلب من الأرض وَارتفع .

به ، وتتماسكون ، وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم ، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم ، وقبوركم ، وكثير من منافعكم ، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم ، ثم قال عز وجل : ﴿ والسماء بناءً ﴾ أي سقفا من فوقكم ، محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم ، ثم قال عز وجل : ﴿ وأنزل من السماء ماءً ﴾ يعني المطر ينزله من علٍ ليبلغ قلل جبالكم ، وتلالكم ، وهضابكم[1] وأوهادكم[2] ثم فرقه رذاذاً ووابلا وهطلا[3] لتنشفه أرضوكم ، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضكم ، وأشجاركم وزروعكم وثماركم ، ثم قال عز وجل : ﴿ فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم ﴾ يعني مما يخرجه من الأرض رزقاً لكم ﴿ فلا تجعلوالله انداداً ﴾ أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ﴿ وانتم تعلمون ﴾ أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي انعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى . . »[4] وحفلت هذه القطعة الذهبية من كلام الإمام زين العابدين عليه السلام بأروع أدلة التوحيد ، وأوثقها ، فقد أعطت صورة متكاملة مشرقة من خلق الله تعالى للأرض فقد خلقها بالكيفية الرائعة التي ليست صلبة، ولا شديدة، ليسهل على الانسان العيش عليها ، والانتفاع بخيراتها وثمراتها التي لا تحصى . . . إن الأرض بما فيها من العجائب كالجبال ، والاودية ، والمعادن ، والبحار والأنهار ، وغير ذلك ، من أعظم الأدلة ، وأوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم .

كما استدل الامام عليه السلام على عظمة الله تعالى بخلقه السماء ، وما فيها من الشمس ، والقمر وسائر الكواكب التي تزود هذه الأرض بأشعتها. فإن أشعة الشمس لها الأثر البالغ في تكوين الحياة النباتية ، كما أن أشعة القمر لها الأثر على البحار في مدها وجزرها ، وكذلك لأشعة سائر الكواكب فإن لها الأثر التام في منح الحياة العامة لجميع الموجودات الحيوانية والنباتية في

(١) الهضاب : الأرض المرتفعة .
(٢) الأوهاد : الأرض المنخفضة .
(٣) الرذاذ : المطر الضعيف : الوابل المطر الشديد ، الهطل المطر الضعيف الدائم .
(٤) عيون أخبار الرضا ١/١٣٧ ـ ١٣٨ .

الأرض . . . وهذه الظواهر الكونية لم تكتشف إلا في هذه العصورالحديثة. إلا أن الإمام عليه السلام ألمح إليها في كلامه ، فكان حقاً هو وآباؤه وابناؤه المعصومون الرواد الأوائل الذين رفعوا راية العلم ، وساهموا في تكوين الحضارة الانسانية .

وأعطى الإمام عليه السلام صورة متميزة عن الأمطار ، وأنها تتساقط بصورة رتيبة وفي أوقات خاصة ، وذلك لاحياء الأرض ، واخراج ثمراتها ، ولو دام المطر ونزل دفعة واحدة لأهلك الحرث والنسل .

وبعدما أقام الامام الأدلة المحسوسة على وجود الخالق الحكيم دعا إلى عبادته ، وتوحيده ، ونبذ الأصنام والأنداد التي تدعو إلى انحطاط الفكر ، وجمود الوعي لأنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تملك أي قدرة في إدارة هذا الكون ، وتصريف شؤونه .

٢ ـ وأثر عنه أنه فسر الآية الكريمة ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾[١] بقوله : « بينه ـ أي القرآن ـ في تلاوته ـ تبييناً ، ولا تنثره نثر البقل ، ولا تهذه هذي الشعر ، قفوا عند عجائبه لتحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . . »[٢] .

٣ ـ فسر الآية الكريمة ﴿ ادخلوا في السلم كافة ﴾[٣] بقوله : « السلم هو ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٤] لا شك أن ولاية الإمام أمير المؤمنين باب مدينة علم النبي (ص) ، هي السلم الحقيقي التي ينعم الناس في ظلالها بالأمن والرخاء والاستقرار ، ولو أن المسلمين دانوا بها بعد وفاة النبي (ص) لما داهمتهم أية أزمات في حياتهم السياسية والاجتماعية .

٤ ـ سأل شخص الإمام زين العابدين عليه السلام عن تفسير الآية

---

(١) سورة المزمل : آية ٤ .
(٢) الإمام زين العابدين (ص ٢٧٩) .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٠٨ .
(٤) تفسير البرهان ١/ ١٢٩ .

الكريمة : « أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله »[1] فقال عليه السلام : « جنب الله هو علي بن أبي طالب ، وهو حجة الله على الخلق ، فإذا كان يوم القيامة أمر الله خزان جهنم أن يدفعوا مفاتيحها إلى علي عليه السلام فيدخل من يريد وينجي من يريد ، وقد قال له رسول الله (ص) : يا علي من أحبك أحبني ، ومن أبغضك أبغضني ، يا علي أنت أخي ، وأنا أخوك ، يا علي أن لواء الحمد معك يوم القيامة تقدم به قدام أمتي ، والمؤذنون عن يمينك وشمالك . . »[2] .

لقد حبا الله الإمام أمير المؤمنين بكل منزلة كريمة عنده ، والتي منها أنه قسيم الجنة والنار كما تضافرت الأخبار بذلك ، لقد منحه هذه المنزلة العظيمة لعظيم جهاده في الاسلام وشدة تقواه وتحرجه في الدين .

٥ ـ سأل ثوير بن فاختة الإمام زين العابدين عليه السلام عن تفسير هذه الآية الكريمة ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها وجيء بالنبيين والشهداء »[3] فأجابه الإمام بجواب مطول عن أهوال يوم القيامة ، نذكر بعضه . قال (ع) : « إذا كان يوم القيامة بعث الله الناس من حفرهم عزلاً ، جرداً ، مرداً ، في صعيد واحد يسوقهم النور ، وتجمعهم الظلمة ، حتى يقفوا على عتبة المحشر ، فيزدحمون دونها ، ويمنعون من المضي ، فتشتد أنفاسهم ، ويكثر عرقهم ، وتضيق بهم أمورهم ، ويشتد ضجيجهم ، وترتفع أصواتهم ، وهو أول هول من أهوال القيامة ، فعندها يشرف الجبار تبارك وتعالى من فوق العرش ، ويقول : يا معشر الخلايق انصتوا ، واسمعوا منادي الجبار ، فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم ، فتخشع قلوبهم ، وتضطرب فرائصهم ، ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي ، ويقول الكافرون : هذا يوم عسير فيأتي النداء من قبل الجبار : أنا الله لا إله إلا أنا ، أنا الحكم الذي لا يجور ، احكم اليوم بينكم بعدلي وقسطي ، لا يظلم اليوم عندي أحد آخذ

---

(١) سورة الزمر : أية قد .

(٢) تفسير فرات (ص ٣) .

(٣) سورة الزمر : آية ٦٩ .

للضعيف من القوي ، ولصاحب المظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات ، وأثيب على الهبات ، ولا يجوز هذه العقبة ظالم . ولا أحد عنده مظلمة يهبها لصاحبها ، إلاَّ وأثيبه عليها ، وآخذ له بها عند الحساب ، واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا ، وأنا شاهدكم وكفى بي شهيداً . . . »[1] ويعرض الإمام عليه السلام بصورة شاملة إلى تفصيل أهوال يوم القيامة ، وما يعانيه الانسان من الخطوب والارهاق .

٦ ـ روى الإمام الصادق عليه السلام عن جده الإمام زين العابدين عليه السلام تفسير هذه الآية الكريمة : ﴿ يقبل التوبة من عباده ، ويأخذ الصدقات . . ﴾[2] قال عليه السلام في تفسير : « ويأخذ الصدقات » : اني ضامن على ربي تعالى أن الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرب تعالى . . . وكان يقول : ليس من شيء إلا وكل به ملك ، إلا الصدقة فإنها تقع في يد الله تعالى[3] .

٧ ـ فسر الإمام زين العابدين عليه السلام ﴿ واشتروه بثمن بخس دراهم معدودة ﴾[4] بأن الثمن البخس الذي اشتروا به يوسف كان عشرين درهماً[5] .

٨ ـ روى ثوير بن فاختة أن الإمام زين العابدين عليه السلام فسر الآية الكريمة ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً ﴾[6] بقوله : ﴿ إن هابيل تقرب إلى الله تعالى باسمن كبش كان في حيازته ، وتقرب قابيل بضغث من سنبل ، فقبل الله تعالى من هابيل ، ولم يقبل من قابيل ، فوسوس ابليس لقابيل ، بأن أولاد هابيل سيفخرون على أولادك ، ويقولون : بأنهم

---

(١) تفسير البرهان ٢/ ٩٥ .
(٢) سورة التوبة : آية ١٠٥ .
(٣) تفسير البرهان ١/ ٤٤١ ، تفسير الصافي (ص ٢٢٣) .
(٤) سورة يوسف : آية ٢٠ .
(٥) مجمع البيان ٥/ ٢٢١ .
(٦) سورة المائدة : آية ٢٧ .

أبناء من قَبلّ الله قربانه ، وتحكم فيه هذا الخيال حتى حسد قابيل أخاه هابيل ، وعزم على قتله لئلا يكون منه نسل ، ولم يدر كيف يصنع ، فعلمه ابليس أن يضع رأسه بين حجرين ويقتله ، ففعل ذلك ، ولم يدر كيف يواريه ، حتى جاء غرابان ، واقتتلا ثم حفر أحدهما للآخر وواراه ، وهو ينظر، فقام وحفر لهابيل ودفنه ، وأصبح من النادمين ، وصار هذا سنة في دفن الموتى .

ولما سأله آدم عن أخيه هابيل ، قال له : أجعلتني راعياً له ؟ ثم جاء به إلى مكان القربان فاستبان له أنه قتله ، فلعن قابيل ، وأمر بلعنه ، وبكى على ولده أربعين سنة حتى أوحى الله إليه أني واهب لك ذكراً يكون خلفاً عن هابيل ، فولدت له حواء غلاماً زكياً مباركاً ، وفي اليوم السابع أو حى الله إليه أن سمه (هبة الله) فسماه بذلك[1] .

٩ ـ قال سعيد بن جبير : سألت الإمام زين العابدين عليه السلام عن القربى في الآية الكريمة ﴿ قل لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾[2] فقال عليه السلام : هي قرابتنا أهل البيت[3] .

١٠ ـ سأل رجل الإمام زين العابدين عليه السلام عن الحق المعلوم الذي ورد في قوله تعالى : ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾[4] فقال (ع) : الحق المعلوم الشيء الذي يخرجه من ماله ليس من الزكاة والصدقة المفروضتين . فقال له الرجل : فما يصنع به ؟ فقال (ع) : يصل به رحماً ، ويقوي به ضعيفاً ، ويحمل له كله أو يصل أخاً له في الله ، أو لنائبة تنوبه . وبهر الرجل من علم الإمام وراح يقول له : الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء[5] .

١١ ـ فسر الإمام عليه السلام الآية الكريمة ﴿ فاصفح الصفح

---

(١) تفسير البرهان ١/ ٢٨٠ .
(٢) سورة الشورى : آية ٤٢ .
(٣) احكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٧٥ .
(٤) سورة المعارج : آية ٢٤ .
(٥) لآليء الأخبار ٣/ ٣ ، وسائل الشيعة ٦/ ٦٩ .

الجميل ﴾[1] بأنه العفو من غير عتاب[2] .

هذه بعض الآيات الكريمة التي أثر تفسيرها عن الإمام زين العابدين عليه السلام والمتتبع في كتب التفسير يجد الكثير من آرائه وأقواله في هذا الموضوع .

علم الفقه :

أما علم الفقه فهو من أجل العلوم الإسلامية ، وأهمها ، لأنه يعرض لأفعال المكلفين على ضوء ما قنن في الشريعة الإسلامية ، وقد اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام به اهتماماً بالغاً ، فقام بنشره واذاعته بين الناس ، وكان المتخصص الوحيد في عصره ، في هذا العلم ، ويقول المؤرخون : أنه كان يشبه جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قدرته على الإحاطة بالمسائل الفقهية من جميع جوانبها والتفريع عليها[3] وكان المرجع الوحيد الذي يرجع إليه العلماء والفقهاء في مهام المسائل الدينية ، فقد روى المؤرخون أن الزهري وهو من اجلاء فقهاء المدينة المشهورين كان ممن يرجع إلى الإمام في ما يهمه من الأحكام الشرعية ، ويقول الرواة : إنه رأى في منامه كأن يده مخضوبة ، وفسرت له رؤياه بأنه يبتلى بدم خطأ، وكان في ذلك الوقت عاملاً لبني أمية ، فعاقب رجلاً فمات في العقوبة ، ففزع وخاف من الله ، وفرّ هارباً فدخل في غار يتعبد فيه ، وكان الإمام عليه السلام قد مضى حاجاً إلى بيت الله الحرام فاجتاز على الغار الذي فيه الزهري ، فقيل له : هل لك في الزهري حاجة ؟ فأجابهم إلى ذلك ، ودخل عليه فرآه فزعاً خائفاً ، قانطاً من رحمة الله ، فقال (ع) له : إني أخاف عليك من القنوط ما لا أخاف عليك من ذنبك ، فابعث بدية مسلمة إلى أهله ، وأخرج إلى أهلك ، ومعالم دينك ، فاستبشر الزهري ، وقال له : فرجت عني يا سيدي الله اعلم حيث

---

(١) سورة الحجرات : آية ٨٥ .

(٢) وسائل الشيعة ٥/ ٥١٩ .

(٣) الإمام زين (ص ٣٣) .

يجعل رسالته في من يشاء[1] ، ونعرض إلى نماذج من الأحكام الشرعية التي أدلى بها الإمام .

أقسام الصوم :

دخل الزهري مع جماعة من الفقهاء على الإمام زين العابدين عليه السلام ، فسأل الإمام الزهري عما كانوا يخوضون فيه ، فقال له :

« تذاكرنا الصوم فاجمع رأيي ، ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم واجب إلا شهر رمضان . . » .

فنعى عليهم الإمام قلة معلوماتهم بشؤون الشريعة وأحكام الدين ، وبين لهم أقسام الصوم قائلاً :

« ليس كما قلتم : الصوم على اربعين وجهاً ، عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان ، وعشرة منها صومهن حرام ، وأربعة عشر وجها صيامهن بالخيار ، إن شاء صام ، وإن شاء أفطر ، وصوم الأذن على ثلاثة أوجه : وصوم التأدب ، وصوم الاباحة ، وصوم السفر ، والمرض . . » .

وبهر الزهري ، وبقية الفقهاء من سعة علم الإمام (ع) واحاطته بأحكام الدين ، وطلب منه الزهري إيضاح تلك الوجوه وبيانها ، فقال عليه السلام :

« أما الواجب فصيام شهر رمضان ، وصيام شهرين متتابعين لمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً ، وصيام شهرين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق ، واجب ، قال الله تعالى : ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ، ـ إلى قوله ـ : ـ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ﴾[2] وصيام شهرين متتابعين في كفارة الظهار[3] لمن لم يجد العتق . قال الله تعالى : ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/٣٦ البحار ٧/٤٦ .

(٢) سورة النساء : آية ٩٢ .

(٣) الظهار : أن يقول الرجل لزوجته : أنت علي كظهر أمي .

يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ﴾[1] وصيام ثلاثة أيام : في كفارة اليمين واجب لمن لم يجد له الإطعام . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم ﴾[2] كل ذلك تتابع وليس بمفترق . وصيام أذى الحلق ، حلق الرأس ، واجب ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾[3] وصاحبها فيها بالخيار ، بين صيام ثلاثة أيام أو صدقة أو نسك وصوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدي ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾[4] وصوم جزاء العبد واجب ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ﴾[5] ثم قال عليه السلام : أو تدري كيف يكون عدل ذلك صياماً يا زهري ؟ فقال : لا أدري ، قال عليه السلام : تقوم الصيد قيمة ثم تفضي تلك القيمة على البر ، ثم يكال ذلك البر اصواعاً ، فيصوم لكل نصف صاع يوماً ، وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب[6] .

(وأما الصوم الحرام فصوم يوم الفطر ، ويوم الأضحى ، وثلاثة أيام من أيام التشريق[7] . وصوم يوم الشك[8] أمرنا به ، ونهينا عنه : أمرنا أن نصومه من شعبان ، ونهينا أن ينفرد الرجل بصيامه في اليوم الذي يشك فيه الناس . .

---

(١) سورة المجادلة آية : ٣ ـ ٤ .

(٢) سورة المائدة : آية ٨٩ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٩٦ .

(٤) سورة البقرة : آية ١٩٦ .

(٥) سورة المائدة : آية ٩٥ .

(٦) الاعتكاف إنما يجب بعد مضي يومين منه فيتعين اليوم الثالث ، وكذلك يجب بالنذر وشبهه .

(٧) أيام التشريق : وهي أيام منى ، وهي الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر بعد يوم النحر .

(٨) ان يحرم صوم يوم الشك إذا نوى أنه من رمضان .

والتفت الزهري إلى الامام قائلاً : « جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً ، كيف يصنع ؟ » قال عليه السلام :

« ينوي ليلة الشك أنه صائم من شعبان ، فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه ، وإن كان من شعبان لم يضر . . » .

واشكل الزهري على الإمام .

« كيف يجزي صوم تطوع عن فريضة ؟ . . » .

فأجابه الإمام .

« لو أن رجلاً صام يوماً من شهر رمضان تطوعاً وهو لا يدري ، ولا يعلم أنه من شهر رمضان ، ثم علم بعد ذلك أجزأ عنه لأن الفرض إنما وقع على اليوم بعينه . . » .

ثم استأنف الإمام حديثه في بيان أقسام الصوم قائلاً :

« وصوم الوصال حرام[1] وصوم الصمت حرام[2] وصوم النذر للمعصية حرام ، وصوم الدهر حرام .

وأما الصوم الذي صار صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة والخميس والأثنين وصوم الأيام البيض[3] وصوم ستة أيام من شوال بعد شهر رمضان ، ويوم عرفة ، ويوم عاشوراء . كل ذلك صاحبه فيه بالخيار : إن شاء صام وان شاء أفطر .

وأما صوم الأذن فإن المرأة لا تصوم تطوعاً إلا بأذن زوجها ، والعبد لا يصوم تطوعاً إلا بأذن سيده ، والضيف لا يصوم تطوعاً إلا بأذن مضيفه قال

---

(١) صوم الوصال : وهو أن يصوم الليل والنهار ، وحرمته حرمة تشريعية ، .

(٢) صوم الصمت : هو أن يمسك الانسان فيه من الكلام ، وقد كان الكلام محرماً على الصائم في الشرائع السابقة ، كما أعلن القرآن ذلك في قصة مريم . قال تعالى : ﴿ إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيًا ﴾ إلا أنه نسخ في الشريعة الإسلامية المقدسة .

(٣) الأيام البيض : وهي الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ،وسميت لياليها بيضاً لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها ، جاء ذلك في : مجمع البحرين (مادة : بيض) .

رسول الله (ص) : « فمن نزل على قوم فلا يصوم تطوعاً إلا بإذنهم » .

وأما صوم التأديب فإنه يؤمر الصبي إذا راهق تأديباً ، وليس بفرض وكذلك من أفطر لعلة من أول النهار ، ثم قوي بعد ذلك ، أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً ، وليس بفرض ، وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثم قدم أهله أمر بالامساك بقية يومه تأديباً وليس بفرض وأما صوم الاباحة فمن أكل أو شرب أو تقيأ من غير تعمد أباح الله ذلك وأجزأ عنه صومه .

وأما صوم السفر والمرض فإن العامة اختلفت فيه : فقال قوم : يصوم ، وقال قوم : لا يصوم ، وقال قوم : إن شاء صام ، وإن شاء أفطر وأما نحن فنقول : يفطر في الحالين جميعاً ، فإن صام في السفر أو في حال المرض فعليه القضاء في ذلك لأن الله عز وجل يقول : ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر . . ﴾[1] .

وانتهى هذا البحث الفقهي الذي ألقاه الإمام على العلماء والفقهاء ، وقد كشف عن مدى إحاطة الإمام بأحكام الشريعة وفروع الفقه ، فقد فرع على الصوم هذه الفروع المهمة التي غفل عنها العلماء ، ومن الجدير بالذكر أن فقهاء الإمامية استندوا إلى هذه الرواية في فتاواهم باحكام الصوم .

الجمع بين صلاتي العشائين .

أما الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فجائز ، وليس التفريق بينهما واجباً ، وإن كان أفضل . وقد دل على ذلك ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام فقد قال (ع) : الجمع بين صلاة المغرب والعشاء للصبيان ذلك خير من أن يناموا عنها لقد تضافرت الأخبار عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام في جواز الجمع بين الفريضتين وعلى ضوئها أفتى فقهاء الامامية بذلك ، وهذه الرواية دلت على جواز ذلك ولكن في خصوص صلاة المغرب والعشاء

---

(١) الخصال (ص ٥٠١ ـ ٥٠٤) فروع الكافي ١/١٨٥ المقنعة (ص ٥٨) تفسير القمي . (ص) ١٧٢ ـ ١٧٥) التهذيب ١/٤٣٥ .

للصبيان خاصة ، ومن المؤكد أنه لا خصوصية للعشائين ، ولا للصبيان ، وإنما نص عليهما لأن السؤال كان عنهما .

اعتبار النية في العبادات :

وتعتبر النية في مطلق العبادات ، وأنها لا تصح بدونها ، وقد أستدل على ذلك بما رُوي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه « لا عمل إلا بنية »[1] .

عدم جواز التكفير في الصلاة

ذهبت الشيعة إلى عدم جواز التكفير في الصلاة ، وهو وضع إحدى اليدين على الأخرى في حال القيام . وقد استندوا في ذلك إلى طائفة من الأخبار كان من بينها ما رُوي عن الإمام زين العابدين عليه السلام فقد قال : « وضع الرجل إحدى يديه على الأخرى في الصلاة عمل ، وليس في الصلاة عمل »[2] .

شراء الجارية المغنية :

ويحرم شراء الجارية المغنية بقصد الغناء ، أما إذا اشتريت لقراءة القرآن الكريم وغيره مما ليس بغناء فلا مانع من ذلك ، وقد استدل الفقهاء على ذلك بما رُوي عن الإمام زين العابدين عليه السلام فقد سأله رجل عن شراء جارية لها صوت ، فقال (ع) له : ما عليك لو اشتريتها فذكرتك الجنة ، يعني بقراءة القرآن والزهد والفضائل التيٰ ليست بغناء . أما الغناء فمحظور[3] .

حد الزنا بالأخت

أما الزنا بالأخت فهو من أفحش المحرمات . وقد سئل الإمام زين

---

(١) وسائل الشيعة ٤/٧١١ .
(٢) وسائل الشيعة ٤/١٢٦٤ .
(٣) وسائل الشيعة ١٢/٨٦ .

العابدين عليه السلام عن حده ، فقال عليه السلام : يضرب بالسيف بالغاً ما بلغت الضربة ، فإن عاش خلد بالسجن حتى يموت[1] .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض المسائل الفقهية التي أفتى بها الإمام عليه السلام ويجد المتتبع في كتب الفقه الاستدلالي ، وفي موسوعات الحديث طائفة كبيرة من فتاواه الفقهية ، وقد شملت جميع ابواب الفقه من العبادات والمعاملات ، والعقود والايقاعات ، وقد استند إليها فقهاء الامامية فافتوا على ضوئها .

بحوث كلامية :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام المرجع الوحيد الذي كان يرجع إليه العلماء للسؤال عن المسائل الكلامية المعقدة ، وكان من بين ما أدلى به ، وسئل عنه من هذه البحوث ما يلي :

القضاء والقدر :

أما مباحث القضاء والقدر فهي من غوامض المسائل الكلامية ، وأشدها تعقيداً ، وقد سأل رجل الإمام عليه السلام عنها قائلاً :

« جعلني الله فداك ، ابقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل ؟ . . » فأجابه عليه السلام بجواب حلل فيه أبعادها ، وواقعها على ضوء الفكر الاسلامي قال :

« إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد : فالروح بغير جسد لا تحس ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها ، فأذا اجتمعا قويا ، وصلحا . كذلك العمل والقدر ، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق ، وكان القدر شيئا لا يحس ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ، ولم يتم ، ولكنهما باجتماعهما ، والله فيه لعباده الصالحين .

وأضاف الإمام قائلاً :

---

(١) من لا يحضره الفقيه (ص ٢٤٤) .

ألاَ إنَّ من أجور الناس من رأى جوره عدلاً ، وعدل المهتدين جوراً ، ألاَ إنَّ للعبد أربعة أعين : عينان يبصر بهما أمر آخرته ، وعينان يبصر بهما أمر دنياه ، فإذا أراد الله عز وجل بعبده خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فابصر بهما الغيب ، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه ، والتفت عليه السلام فقال له : « هذا منه ، هذا منه » لقد حلل الإمام عليه السلام واقع القضاء والقدر ، وأزاح الشكوك التي تحوم حولهما ، وأثبت الحقيقة التي قررها الإسلام فيهما .

ـ الله نور :

دخل الإمام عليه السلام مسجد جده رسول الله (ص) فرأى قوماً يختصمون فقال لهم : « فيم تختصمون ؟ . . » .

فانبروا جميعاً قائلين :

« في التوحيد . »

فزجرهم عن الخوض في ذلك ، لقلة بضاعتهم في هذا الأمر، وقال لهم :

« اعرضوا عن مقالتكم . . »

واندفع بعضهم قائلاً :

« إن الله يعرف بخلقه سماواته وأرضه ، وهو في كل مكان . . » وأرشده الإمام إلى مقالة الحق والصواب قائلاً :

« من كان ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، كان نعته لا يشبه نعت شيء فهو ذاك »[1] .

عجبه من الشاك بالله :

وتعجب الإمام عليه السلام كأشد ما يكون التعجب من الشاك بالله خالق السموات والأرض كما تعجب ممن أنكر النشأة الأخرى ، قال عليه السلام :

---

(١) التوحيد (ص ٣٦ ـ ٣٦٧) .

« عجبت كل العجب لمن شك في الله ، وهو يرى خلقه ، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى ، وهو يرى النشأة الأولى . . »[٢] .

حقاً إن مما يدعو إلى التعجب من أنكر وجود الخالق العظيم الذي تدلل عليه جميع الموجودات إذ تستحيل أن توجد من دون علة خالقة لها ، وإن الانسان إذا تأمل وفكر لرأى الآيات على وجود الله تعالى تصاحب كل موجود على وجه الأرض . يقول الشاعر :

في الأرض آيات فلاتك منكراً فعجائب الأشياء من آياته

كما أن العجب ممن ينكر النشأة الأخرى ، وهو يرى النشأة الأولى التي هي أعظم بكثير من النشأة الأخرى لأن عملية التكوين والايجاد أهم من عملية الإعادة يقول الله تعالى : ﴿ قال من يحيى العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ .

ـ استحالة وصف الله بالمحدودية :

ويستحيل أن يوصف الله تعالى بالمحدودية التي هي من صفات الممكن ، قال عليه السلام : « لا يوصف الله تعالى بالمحدودية ، عظم الله ربنا عن الصفة ، وكيف يوصف بمحدودية من لا يحد ، ولا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير »[٣] .

إن الله تعالى لا تحيط بمعرفته عقول البشر ، كما لا تدركه الأبصار المحدودة في نظرها ، وكيف يحيط الممكن الفاني بتلك القوة المبدعة لهذه الاكوان التي حارت الأفكار في كيفية ايجادها وتكوينها ، وكيف تصل إلى معرفة الخالق العظيم ؟ .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض علوم الإمام زين العابدين عليه السلام التي هي امتداد لعلوم آبائه وثرواتهم العلمية والفكرية .

---

(١) بلاغة الامام زين العابدين (ص ٥) .
(٢) صفة الصفوة ٢/٣ .
(٣) الامام زين العابدين (ص ٢١٩) .

من مواعظه وحكمه

واهتم الإمام زين العابدين عليه السلام كأشد ما يكون الاهتمام بوعظ الناس ، وقد أثرت عنه كثير من المواعظ وعظ بها أصحابه ، وأهل عصره ، وهي لا تزال حية تضع العبر أمام الناس ، وتحذرهم من الغرور والطيش ، وتدعوهم ألى سبيل الحق والصواب ، كما أثرت عنه بعض الحكم الخالدة التي تهدف إلى توازن الانسان في سلوكه ، وازدهار شخصيته ، ونعرض لبعض ما روي عنه في ذلك .

مواعظه :

وقبل أن نتحدث عن مواعظ الإمام زين العابدين عليه السلام نود أن نبين إلى ما تهدف إليه مواعظه ، ومواعظ سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وفي ما يلي ذلك :

(أ) تهذيب النفوس ، واصلاحها ، وغرس النزعات الكريمة فيها .

(ب) إزالة العقد النفسية من نفس الانسان ، والقضاء على جميع النزعات الفاسدة ، والشريرة ، والانانية ، والحسد ، والبغي ، والاعتداء على الناس .

(ج) وضع العبر التي مرت على الناس عبر التاريخ من دمار الظالمين ، وهلاك المستبدين ليتخذ الانسان منها دروساً تنير له الطريق ، وتوضح له القصد

في حياته الاجتماعية والفردية .

(د) الاتجاه إلى الله تعالى الذي هو أنبل مقصد في هذه الحياة فإنه ينجي الانسان من كل شر واثم .

(هـ) التزود إلى دار الآخرة التي هي المقر الدائم والحقيقي للانسان ، وذلك بعمل الخير .

هذه بعض الأهداف المشرقة في مواعظ أئمة الهدى عليهم السلام ، ونعرض إلى مواعظ الامام زين العابدين عليه السلام .

١ ـ قال عليه السلام في ذم الدنيا ، والتحذير من شرورها وفتنتها : « إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وأن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكل واحدمنهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ، ولا تكونوا من ابناء الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، ألآ أن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً ، والماء طيباً ، وقرضوا من الدنيا تقريضاً ، ألآ ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، ألا أن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين ، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، أنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة ، أما الليل فصافون أقدامهم . تجري دموعهم على خدودهم ، وهم يجأرون[1] إلى ربهم، يسعون في فكاك رقابهم ،وأما النهار فحلماء علماء بررة ، اتقياء كأنهم القداح[2] قد براهم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى ، وما بالقوم من مرضى أم خولطوا ، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار ، وما فيها . . »[3] .

لقد حذر الإمام عليه السلام من حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة ،

---

(١) يجأرون : أي يتضرعون .

(٢) القداح : السهام بلا ريش ولا نصل .

(٣) اصول الكافي ٢/١٣٢ ، معالم العبر للنوري .

ودعا إلى الاقتداء بالزهاد من عباد الله الصالحين الذين فهموا واقع الحياة الدنيا وما يؤول إليه أمرها من الزوال والفناء ، فما هي إلا أيام معدودة حتى يقدم الانسان على الله فيسأله عما عمله في حياته ليجازيه عليه إنْ خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً ، ولذا اتجه الأخيار بقلوبهم وعواطفهم نحو الله ، فاخلصوا في طاعته وعبادته .

٢ ـ قال عليه السلام : « يا ابن آدم لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وما كانت المحاسبة من همك ، وما كان لك الخوف شعاراً ، والحزن لك دثاراً ، يا ابن آدم إنك ميت ومبعوث ، وموقوف بين يدي الله عز وجل ، ومسؤول ، فأعِدَّ جواباً . . »[1] .

لقد دعا الإمام إلى أن يقيم الانسان في أعماق نفسه ، ودخائل ذاته واعظاً يعظها ومحاسباً يحاسبها على ما يصدر منها من زلات وهفوات ، فإنه مبعوث في يوم القيامة ، ومحاسب على ما يقترفه من إثم وسيئات .

٣ ـ روى الزهري قال : سمعت علياً بن الحسين يقول : « من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، والله ما الدنيا والآخرة إلا ككفتي ميزان ، فأيهما رجح ذهب بالآخر . ثم تلا قوله تعالى : « إذا وقعت الواقعة » ـ يعني القيامة ـ « ليس لوقعتها كاذبة . خافضة » ـ خفضت والله باعداء الله إلى النار ـ « رافعة » ـ رفعت والله أولياء الله إلى الجنة ـ . . » .

ثم خاطب رجلاً من جلسائه ، ـ والذي يظهر من فحوى كلام الإمام (ع) أنه كان متهالكاً في طلب الدنيا ، فقال عليه السلام يعظه :

« اتق الله ، واجمل في الطلب ، ولا تطلب ما لم يخلق ، فإن من طلب ما لم يخلق تقطعت نفسه ، ولم ينل ما طلب ، وكيف ينال ما لم يخلق . . » .

---

(١) الدر النظيم (ص ١٣٧) تاريخ اليعقوبي ٤٦/٣ .

واسرع الرجل قائلاً :

« كيف يطلب ما لم يخلق ؟ . . » .

فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً :

« من طلب الغنى والأموال والسعة في الدنيا فإنما يطلب ذلك للراحة في الدنيا ، والراحة لم تخلق في الدنيا ، ولا لأهل الدنيا ، إنما خلقت الراحة في الجنة ، والتعب والنصب خلقا في الدنيا ، ولأهل الدنيا ، وما اعطي أحد منها حفنة إلا أعطي من الحرص مثلها ، ومن أصاب من الدنيا أكثر كان فيها أشد فقراً لأنه يفتقر إلى الناس لحفظ أمواله ، ويفتقر إلى كل آلة من آلات الدنيا ، فليس في غنى الدنيا راحة ، ولكن الشيطان يوسوس إلى ابن آدم أن له في جمع ذلك المال راحة، وإنما يسوقه إلى التعب في الدنيا ، والحساب عليه في الآخرة .

وأضاف الإمام قائلاً :

كلا ما تعب أولياء الله في الدنيا للدنيا ، بل تعبوا في الدنيا للآخرة . . ألآ ومن اهتم لرزقه كتب عليه حفظه ، كذلك قال المسيح عيسى عليه السلام للحواريين : إنما الدنيا قنطرة فاعبروها ، ولا تعمروها . . »[1] وفي هذه الموعظة دعوة إلى الزهد في الدنيا ، والاجمال في طلبها ، فإن السعي وراء المادة سببه الحصول على الراحة ، ولكن لا راحة في الدنيا وذلك لكثرة همومها وآلامها ، وقد خلقت الراحة في الجنة التي أعدها الله للمتقين من عباده ، فالطلب ينبغي أن يكون لها ، لا للدنيا .

٤ ـ سأل شخص الإمام زين العابدين عليه السلام فقال له : كيف أصبحت يا ابن رسول الله (ص) ؟ فقال عليه السلام :« أصبحت مطلوباً بثمان : الله يطالبني بالفرائض ، والنبي يطالبني بالسنة ، والعيال بالقوت ، والنفس بالشهوة ، والشيطان باتباعه ، والحافظان بصدق في العمل ، وملك الموت

---

(١) الخصال (ص ٦٤ ـ ٦٥) .

بالروح ، والقبر بالجسد ، فأنا بين هذه الخصال مطلوب »[1] .

لقد نظر الإمام إلى أبعاد الحياة الدنيا فرآها محاطة بهذه الأمور الثمانية فصمم على الزهد فيها ، وعدم الاحتفاء بأي شيء من زينتها ومباهجها .

٥ ـ جاء رجل متسول يشكو حاله إلى الإمام عليه السلام ، فأنكر عليه ذلك قائلاً :

« مسكين ابن آدم ، له في كل يوم ثلاث مصائب ، لا يعتبر بواحدة منهن ، ولو اعتبر لهانت عليه المصائب ، وأمر الدنيا : فأما المصيبة الأولى فاليوم الذي ينقص من عمره . . . وإن ناله نقصان في ماله اغتم به ، والدرهم يخلف عنه ، والعمر لا يرده ، والثانية أنه يستوفي رزقه فإن كان حلالاً حُوسب عليه ، وإن كان حراماً عُوقب عليه ، والثالثة أعظم من ذلك ، فقيل له : وما هي ؟ قال : ما من يوم يمسي إلا ودنا من الآخرة رحله لا يدري « أعلى الجنة أم على النار . . »[2] .

لقد دعا الإمام عليه السلام إلى الاعتبار بما يحيط الانسان من المصائب الثلاث ، وهي لو فكر بها لردعته عن التهالك على الدنيا ، وعمل لآخرته التي هي دار الخلود والبقاء .

٦ ـ قال عليه السلام : « لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستنابة ، وجملة الحال في صواب التبيين ، لأعربوا عن كل ما يتلجلج في صدورهم ، ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم ، وعلى أن ادراك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة العدة ، والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بني مغمورٍ بالجهل ، ومفتون بالعجب ، ومعدول بالهوى من باب التثبت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم . . »[3] .

---

(١) أمالي ابن الشيخ (ص ٤١٠) .
(٢) الاختصاص (ص ٣٣٨) .
(٣) البيان والتبيين ١/٨٤ زهر الآداب ١/١٠٢ .

إن الانسان لو امعن النظر ، وأطال التفكير في شؤون هذا الكون لآمن إيماناً لا يخامره شك بان هناك خالقاً ومدبراً يخضع كل شيء لارادته وقضائه ، ولا حول ولا قوة لغيره ، وإذا آمن الانسان بذلك لوجد برد اليقين في نفسه ، واستراح من كثير من المشاكل والمصاعب التي تداهمه في حياته القصيرة الأمد ، ولكن أنىَّ له بذلك فقد غمره الجهل ، وفتنه العجب ، واضله الهوى عن فضل التعلم والوصول إلى الحق .

٧ ـ ومن مواعظه القيمة التي وجهها لاصحابه وشيعته ، وهي من أجل ما أثر عنه من المواعظ ، قال عليه السلام :

« أيها الناس ، اتقوا الله ، واعلموا أنكم إليه راجعون ، فتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، « ويحذركم الله نفسه » ويحك ابن ادم الغافل ، وليس مغفولاً عنه ، إن أجلك أسرع شيء إليك ، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ، ويوشك أن يدركك ، فكأن قد أوفيت أجلك ، وقد قبض الملك روحك ، وصيرت إلى قبرك وحيداً ، فرد إليك روحك ، واقتحم عليك ملكان منكر ونكير لمسألتك ، وشديد امتحانك ، ألآ وإن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده ، وعن نبيك الذي أرسل إليك ، وعن دينك الذي كنت تدين به ، وعن كتابك الذي كنت تتلوه ، وعن أمامك الذي كنت تتولاَّه ، وعن عمرك فيما أفنيته ، وعن مالك من أين اكتسبته ، وفيما أنفقته ، فخذ حذرك ، وانظر لنفسك ، واعد الجواب قبل الامتحان ، والمساءلة والاختبار ، فإن تكن مؤمناً عارفاً بدينك ، متبعاً للصادقين ، موالياً لأولياء الله لقنك الله حجتك وأنطق لسانك بالصواب ، فاحسنت الجواب ، وبُشرت بالجنة ، والرضوان من الله ، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان ، وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ، ودحضت حجتك ، وعييت عن الجواب وبشرت بالنار ، واستقبلت ملائكة العذاب بنزل من حميم ، وتصلية جحيم .

واعلم يا ابن آدم أن ما وراء هذا ـ يعني السؤال في القبر ـ أعظم ، وافظع ، وأوجع للقلوب يوم القيامة ، ذلك يوم مجموع له الناس ، وذلك يوم

مشهود ، يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، يوم ينفخ في الصور ، ويبعثر فيه القبور ، ذلك يوم الآزفة[1] إذ القلوب لدى الحناجر ، كاظمين ، ذلك يوم لا تقال فيه عثرة ، ولا تؤخذ من أحد فدية ، ولا تقبل من أحد معذرة ، ولا لأحد فيه مستقيل توبة ، ليس إلا الجزاء بالحسنات ، والجزاء بالسيئات ، فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من خيرٍ وجده ، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من شر وجده .

فاحذروا أيها الناس من الذنوب والمعاصي ما قد نهاكم عنها ، وحذركموها في الكتاب الصادق ، والبيان الناطق ، ولا تأمنوا مكر الله وتدميره عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا ، فإن الله يقول : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾[2] وأشعروا قلوبكم خوف الله ، وتذكروا ما قد وعدكم في مرجعكم إليه من حسن ثوابه ، كما قد خوفكم من شديد عقابه ، فإنه من خاف شيئاً حذره ، ومن حذر شيئاً تركه ، ولا تكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الحياة الدنيا ، الذين مكروا السيئات ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف ﴾[3] فاحذروا ما حذركم الله بما فعل بالظلمة في كتابه ، ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما توعد به القوم الظالمين ، في كتابه ، لقد وعظكم الله بغيركم ، وإن السعيد من وعظ بغيره ، ولقد اسمعكم الله في كتابه ما فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم حيث قال : ﴿ وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ﴾[4] وقال : ﴿ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴾[5] يعني يهربون . قال : ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم

---

(١) الآزفة : أي القيامة .
(٢) سورة الاعراف : آية ٢٠٠ .
(٣) سورة النحل : آية ٤٥ ـ ٤٧ .
(٤) سورة الأنبياء : آية ١١ .
(٥) سورة الأنبياء : آية ١٢ .

تسألون ﴾[1] فلما أتاهم العذاب ﴿ قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾[2] فإن قلتم أيها الناس : إن الله إنما عنى بهذا أهل الشرك ، فكيف ذاك ؟ وهو يقول : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾[3] .

اعلموا عباد الله أن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ، ولا تنشر لهم الدواوين ، وإنما يحشرون إلى جهنم زمراً ، وإنما تنصب الموازين ، وتنشر الدواوين لأهل الإسلام ، فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن الله تعالى لم يحبب زهرة الدنيا لأحد من أوليائه ، ولم يرغبهم فيها ، وفي عاجل زهرتها ، وظاهر بهجتها ، فإنما خلق الدنيا ، وخلق أهلها ليبلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لآخرته ، وأيم الله لقد ضربت لكم فيه[4] الأمثال ، وضربت الآيات لقوم يعقلون ، فكونوا أيها المؤمنون من القوم الذين يعقلون ، ولا قوة إلا بالله ، وازهدوا فيها ، زهدكم الله فيه من عاجل الحياة الدنيا ، فإن الله يقول : ـ وقوله الحق ـ ﴿ إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام ، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ، وازَّيَنَتْ ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾[5] ولا تركنوا إلى الدنيا ، فإن الله قال لمحمد (ص) : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾[6] ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وما فيها ركون من اتخذها قراراً ، ومنزل استيطان . فإنها دار قُلعة ، ومنزل بُلغة ، ودار عمل ، فتزودوا الأعمال الصالحة ، قبل تفرق أيامها ، وقبل الأذن من الله في خرابها ، فكان قد أخربها الذي عمرها ، أول مرة ، وابتدأها ، وهو ولي ميراثها ، واسأل الله لنا

---

(١) سورة الأنبياء : آية ١٣ .
(٢) سورة الأنبياء : آية ١٤ .
(٣) سورة الأنبياء : آية ٤٧ .
(٤) أي : في القرآن الكريم .
(٥) سورة يونس : آية ٢٤ .
(٦) سورة هود : آية ١١٣ .

ولكم العون على تزود التقوى ، والزهد في الدنيا ، جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل هذه الحياة الدنيا ، الراغبين في أجل ثواب الآخرة فإنما نحن له وبه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . ﴾[1] .

لقد حفلت هذه الموعظة بتصوير مذهل ومروع عن مشاهد يوم القيامة الذي لا تقال فيه عثرة ، ولا تؤخذ فيه من أحد فدية ، وإنما يجازي الناس باعمالهم أن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً ، فلا نجاة فيه للانسان من عذاب الله إلا بالعمل الصالح ، فهو الذي ينقذه من أهوال يوم القيامة ومشاهده المروعة .

وحذر الإمام عليه السلام من اقتراف المعاصي والذنوب ، واتباع الشهوات التي تلقي الناس في شر عظيم ، كما حذر عليه السلام من سلوك طريق الظالمين ، لأن الله تعالى أنزل بهم عقابه الصارم فأهلكهم ودمر ديارهم ، وأذاقهم وبال ما كانوا يظلمون .

وشيء آخر بالغ الأهمية في هذه الموعظة ، هو أن موازين القسط والعدل التي تنصب يوم القيامة إنما هي للمسلمين ، وأما الذين كفروا فلا تنشر لهم الدواوين ، ولا تنصب لهم الموازين ، وأنما يساقون إلى جهنم زمراً .

٨ ـ ومن مواعظه القيمة هذه الموعظة المؤثرة ، وهذا نصها :

« كفانا الله ، وإياكم الظالمين ، وبغي الحاسدين ، وبطش الجبارين، أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا ، المائلون إليها ، المفتونون بها ، المقبلون عليها ، وعلى حطامها الهامد[2] وهشيمها البائد غدا ، واحذروا ما حذركم الله منها ، وازهدوا في ما زهدكم الله فيه منها ، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من اعدها داراً وقراراً ، وبالله إن لكم مما فيها دليلاً من زينتها وتصريف أيامها ، وتغييراً نقلاً

---

(١) تحف العقول (ص ٢٤٩ ـ ٢٥٢) امالي الطوسي (ص ٣٠١) روضة الكافي (ص ١٦٠) امالي الصدوق (ص ٣٥٦) تنبيه الخواطر لابن ورام (ص ٢٢٥) البحار ١٧/١٧ ، الطبعة الأولى .

(٢) الهامد : البالي .

بها ، ومثلاتها ، وتلاعبها بأهلها ، إنها لترفع الخميل ، وتضع الشريف ، وتورد النار أقواماً غداً ، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه ، وإن الأمور الواردة عليكم في كل يوم وليلة من مظلمات الفتن ، وحوادث البدع ، وسنن الجور ، وبوائق الزمان ، وهيبة السلطان[1] ووسوسة الشيطان ، لتثبط القلوب عن نيتها ، وتذهلها عن موجود الهدى ، ومعرفة أهل الحق إلا قليلاً ممن عصم الله ، ونهج سبيل الرشد ، وسلك طريق القصد ، ثم استعان على ذلك بالزهد ، فكرر الفكر ، واتعظ بالعبر ، وازدجر ، فزهد في عاجل بهجة الدنيا ، وتجافى عن لذاتها ، ورغب في دائم نعيم الآخرة ، وسعى لها سعيها ، وراقب الموت ، وشنأ الحياة مع القوم الظالمين ، فعند ذلك نظر إلى ما في الدنيا بعين نيرة ، حديدة النظر ، وابصر حوادث الفتن ، وضلال البدع ، وجور الملوك الظلمة ، فقد ـ لعمري ـ استدبرتم من الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن المتراكمة ، والانهماك فيها ، ماتستدلون به على تجنب الغواة وأهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحق ، فاستعينوا بالله ، وارجعوا إلى طاعته ، وطاعة من هو أولى بالطاعة من طاعة من اتبع واطيع .

فالحذر الحذر من قبل الندامة والحسرة ، والقدوم على الله ، والوقوف بين يديه ، وتالله ما صدر قوم قط عن معصية الله إلا إلى عذابه ، وما آثر قوم قط الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم ، وساء مصيرهم ، وما العلم بالله والعمل بطاعته إلا إلفان مؤتلفان ، فمن عرف الله خافه ، فحثه الخوف على العمل بطاعة الله ، وإن أرباب العلم وأتباعهم ، ألذين عرفوا الله فعملوا له ، ورغبوا إليه وقد قال الله : ﴿ إنما يخشى اللَّهَ من عباده العلماءُ ﴾[2] فلا تلتمسوا شيئاً في هذه الدنيا بمعصية الله ، واشتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله ، واغتنموا أيامها ، واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله ، فإن ذلك أقل للتبعة ، وأدنى من العذر ، وأرجى للنجاة ، فقدموا أمر الله وطاعته وطاعة من أوجب الله طاعته بين يدي الأمور كلها ، ولا تقدموا الأمور الواردة عليكم من طاعة

---

(١) وهيبة السلطان : لعل الصحيح ورهبة السلطان .

(١) سورة فاطر : آية ٢٥ .

الطواغيت ، وفتنة زهرة الدنيا بين يدي أمر الله ، وطاعته ، وطاعة أولي الأمر منكم ، واعلموا أنكم عبيد الله ، ونحن معكم ، يحكم علينا وعليكم سيد حاكم غداً ، وهو موقفكم ، ومسائلكم ، فاعدوا الجواب ، قبل الوقوف والمساءلة والعرض على رب العالمين ، يومئذ لا تكلم نفس إلا باذنه ، واعلموا أن الله لا يصدق كاذباً ، ولا يكذب صادقاً ، ولا يرد عذر مستحق ، ولا يعذر غير معذور ، بل لله الحجة على خلقه بالرسل والأوصياء بعد الرسل ، فاتقوا الله واستقبلوا من اصلاح أنفسكم ، وطاعة الله وطاعة من تولونه فيها ، لعل نادماً قد ندم على ما فرط بالأمس في جنب الله ، وضيَّع من حق الله ، واستغفروا الله وتوبوا إليه فإنه يقبل التوبة ، ويعفو عن السيئات ، ويعلم ما تفعلون ، وإياكم وصحبة العاصين ، ومعونة الظالمين ، ومجاورة الفاسقين ، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم ، واعلموا أنه من خالف أولياء الله ، ودان بغير دين الله ، واستبد بأمره دون أمر ولي الله ، في نار تلتهب ، تأكل أبداناً ، قد غابت عنها أرواحها ، غلبت عليها شقوتها ، فهم موتى لا يجدون حر النار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار ، واحمدوا الله على ما هداكم ، واعلموا أنكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته ، وسيرى الله عملكم ثم إليه تحشرون ، فانتفعوا بالعظة ، وتأدبوا بآداب الصالحين . . »[1] وهذه الموعظة من غرر مواعظ الإمام عليه السلام ، ولم يقتصر على الدعوة إلى الزهد في الدنيا والعمل للآخرة ، وإنما كانت في الوثائق السياسية ، والاجتماعية ، وقد حفلت بما يلي .

١ ـ التحذير من اتباع الطواغيت واتباعهم من المفتونين بحب الدنيا ، والمغرورين بزينتها وبهجتها ، فإنهم جميعاً من الشبكة التخريبية التي تعمل على مناهضة الاصلاح الاجتماعي ، ونشر الظلم والفساد في الأرض .

٢ ـ ذم الدنيا ، والتنديد بطبيعتها ، والتي منها :

(أ) رفعها الخاملين .

---

(١) تحف العقول (ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥) امالي المفيد (ص ١١٧) روضة الكافي (ص ١٣٨) .

(ب) وضعها الأحرار والأشراف

(ج) دفعها أقواماً إلى النار ، وذلك لانحرافهم عن الحق .

وإذا كانت طبيعة الدنيا إقامة الرذائل ، ومناهضة القوى الخيرة ، فالأجدر الزهد فيها ،والتجافي عن شهواتها ، والسعي في الظفر بنعيم الآخرة .

٣ ـ إبداؤه الأسى على ما تواجهه الأمة في عصره من الوان مريعة ومذهلة من مظلمات الفتن ، وحوادث البدع، وسنن الجور، من قبل الحكومة الأموية التي اغرقت البلاد بالظلم والفتن والجور ، وكان وقع تلك الأحداث شديداً على الأمة ، فقد ثبطت القلوب عن نياتها ، وأذهلتها عن طريق الحق ، والرشاد .

٤ ـ الدعوة إلى طاعة الله تعالى ، وطاعة أئمة الحق والهدى الذين يسلكون بالناس سبل النجاة ، ويهدونهم ألى صراط مستقيم ، والذين يمثلون إرادة الأمة ووعيها ، ويحققون لها جميع ما تصبو إليه من العزة والكرامة ، كما دعا عليه السلام إلى التمرد على أئمة الجور ، وعدم التعاون معهم .

٥ ـ الحث على تقوى الله وطاعته اللذين تزدهر بهما حياة الانسان ، ويستقيم بهما سلوكه .

هذه بعض محتويات هذه الموعظة الحافلة بالأمور الدينية والشؤون السياسية .

٩ ـ من مواعظه القيمة التي تحدث فيها عن صفات الزاهدين وقد جاء فيها :

« إن علامة الزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، تركهم كل خليط ، وخليل ، ورفضهم كل صاحب لا يريد ما يريدون ، إلا وأن العامل لثواب الآخرة هو الزاهد في عاجل زهرة الدنيا ، الآخذ للموت أهبته ، الحاث على العمل قبل فناء الأجل ، ونزول ما لا بد من لقائه ، وتقديم الحذر قبل

الحين[1] فإن الله عز وجل يقول : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ﴾[2] فلينزلن أحدكم اليوم نفسه في هذه الدنيا كمنزلة المكرور إلى الدنيا، النادم على ما فرط فيها من العمل الصالح ليوم فاقته، واعلموا، عباد الله، أنه من خاف البيات تجافى عن الوساد، وامتنع من الرقاد ، وامسك عن بعض الطعام والشراب، من خوف سلطان أهل الدنيا، فكيف، ويحك يا ابن آدم ، من خوف بيات سلطان رب العزة ، وأخذه الأليم وبياته لأهل المعاصي والذنوب ، مع طوارق المنايا بالليل والنهار ، فذلك البيات الذي ليس فيه منجى ، ولا دونه ملتجأ ، ولا منه مهرب ، فخافوا الله ، أيها المؤمنون من البيات ، خوف أهل التقوى فأن الله يقول ﴿ ذلك لمن خاف مقامي وخاف عبد ﴾[3] فاحذروا زهرة الحياة الدنيا وغرورها وشرورها ، وتذكروا عاقبة الميل إليها فإن زينتها فتنة ، وحبها خطيئة .

واعلم ويحك يا ابن آدم أن قسوة البطنة، وفطرة الميلة، وسكر الشبع، وعزة الملك مما يثبط ، ويبطىء عن العمل ، وينسي الذكر ، ويلهي عن اقتراب الأجل ، حتى كأنَّ المبتلى بحب الدنيا به خبل من سكر الشراب ، وإن العاقل عن الله ، الخائف منه ، ليمرن نفسه ، ويعودها الجوع حتى ما تشتاق إلى الشبع ، وكذلك تضمر الخيل[4] لسبق الرهان.

فاتقوا الله عباد الله تقوى مؤمل ثوابه ، وخائف عقابه، فقد اعذر الله تعالى وانذر ، وشوق ، وخوف ، فلا أنتم إلى ما شوقكم إليه من كريم ثوابه تشتاقون فتعملون ، ولا أنتم مما خوفكم من شديد عقابه ، واليم عذابه ، ترهبون ، فتنكلون ، وقد نبأكم الله في كتابه أنه ﴿ من يعمل من الصالحات، وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون ﴾[5] ثم ضرب لكم الأمثال في

---

(١) الحين : الهلاك .
(٢) سورة المؤمنون آية ١٠٠ .
(٣) سورة ابراهيم آية ١٤ .
(٤) تضمير الخيل : حجبها عن الأكل حتى تهزل لتستطيع سبق الرهان .
(٥) سورة الأنبياء : آية ٩٤ .

كتابه ، وصرف الآيات لتحذروا عاجل زهرة الحياة الدنيا ، فقال : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾[1] فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا ، وأطيعوا . . فاتقوا الله واتعظوا بمواعظ الله ، وما اعلم إلا كثيراً منكم قد نهكته عواقب المعاصي فما حذرها ، واضرت بدينه فما مقتها ، أما تسمعون النداء من الله بعينها وتصغيرها حيث قال : ﴿ اعلموا إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور * سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾[2] وقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾[3] فاتقوا الله عباد الله ، وتفكروا واعملوا لما خلقتم له ، فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى ، قد عرفكم نفسه ، وبعث إليكم رسوله ، وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه ، وحججه وأمثاله ، فاتقوا الله فقد احتج عليكم ربكم فقال: ﴿الم نجعل له عينين * ولساناً وشفتين * وهديناه النجدين﴾[4] فهذه حجة عليكم ، فاتقوا الله ما استطعتم فإنه لا قوة إلا بالله ، ولا تتكلوا إلا عليه وصلى الله على محمد وآله . . . »[5] .

وألمت هذه الموعظة القيمة بصفات الزاهدين ونزعاتهم ، فكانوا حقاً من خيار خلق الله ، فلم تفتنهم الدنيا ، ولم تغرهم زينتها وشهواتها ، فقد اتجهوا نحو الدار الآخرة وعملوا كل ما يقربهم إلى الله زلفى ، فكانوا في سلوكهم ، وحسن أفعالهم ، وجمال احدوثتهم قدوة حسنة لمن يهتدي بهم .

---

(١) سورة التغابن : آية ١٥ .

(٢) سورة الحديد : آية ٢٠ ـ ٢١ .

(٣) سورة الحشر : آية ١٨ ـ ١٩ .

(٤) سورة البلد : آية ٨ ـ ١٠ .

(٥) تحف العقول (ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤) البحار ٣١٢/١٧ الطبعة الأولى .

١ ـ ومن مواعظه القيمة التي كان يعظ بها اصحابه هذه الموعظة :

« أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً ، وإن أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم في ما عند الله رغبة ، وإن أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله ، وإن أقربكم من الله أوسعكم خلقاً ، وإن أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله ، وإن أكرمكم على الله أتقاكم لله تعالى . . »[١] .

لقد أمر الإمام عليه السلام أصحابه بمحاسن الصفات ، وذخائر الأعمال ، ودلهم على ما ينجيهم من عذاب الله في الدار الآخرة ، فقد حثهم على ما يلي :

(أ) الرغبة في ما عند الله وهي من أعظم الذخائر ، أما الرغبة إلى غيره تعالى فإنها تؤول إلى الخيبة والخسران .

(ب) الخشية من الله ؛ فإنها تصد الانسان من اقتراف أي إثم أو جرم ، وتغرس في النفس الفضيلة والكرامة .

(ج) سعة الأخلاق : فإن الانسان إنما يمتاز على غيره بسمو أخلاقه ، فإذا فقد الاخلاق فقد فقد انسانيته .

(د) التوسعة على العيال : وهي مما توجب شيوع المودة والألفة بين أفراد الأسرة التي هي الخلية الأولى في بناء المجتمع الانساني .

(هـ) تقوى الله : وهي من موجبات التمايز في المجتمع الاسلامي ، فقد جاء في الحديث « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[٦] .

١١ ـ ومما وعظ به الإمام أصحابه قوله : « إن بين الليل والنهار روضة يرتع في رياضها الأبرار ، ويتنعم في حدائقها المتقون ، فادأبوا رحمكم الله في سهر هذا الليل بتلاوة القرآن في صدره ، وبالتضرع والاستغفار في آخره ، وإذا ورد النهار فاحسنوا قراه بترك التعرض لما يرد لكم من محقرات الذنوب فإنها مشرفة بكم على قباح العيوب ، وكأن الرحلة قد أظلتكم ، وكأن الحادي

(١) روضة الكافي (ص ١٥٨) .

قدحدا بكم ، جعلنا الله وإياكم من أغبطه فهمه ، ونفعه علمه . . »[1]

لقد حث الإمام عليه السلام على طاعة الله وعبادته في غلس الليل ، ووضح النهار ، وحذر من اقتراف الذنوب والمعاصي ، فإنها تورد الانسان موارد الهلكة ، فما أسرع ما يفارق هذه الحياة ويرد على الله فيجازيه على اعماله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً .

١٢ ـ ومن مواعظه هذه الموعظة التي وجه فيها الخطاب لنفسه ، وهي من المواعظ التي ترتعد منها الفرائص ، وتفزع منها القلوب ، وهذا نصها :

« يا نفس حتى م إلى الدنيا سكونك ، وإلى عمارتها ركونك ، أما اعتبرت بمن مضى من اسلافك ، ومن رواته الأرض من أُلَّافِكِ ؟ ومن فجعت به من اخوانك ، ونقل إلى الثرى من اقرانك ؟ فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ، محاسنهم فيها بوال دواثر .

خلت دورهم منهم واقوت عراصهمُ وساقهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها وضمهم تحت التراب الحفائر

كم خرمت أيدي المنون من قرون ، وكم غيرت الأرض ببلائها ، وغيبت في ترابها ممن عاشرت من صنوف وشيعتهم إلى الأرماس ، ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الأفلاس :

وأنت على الدنيا مكب منافس لخطابها فيها حريص مكاثر
على خطر تمشي وتصبح لاهياً أتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وإن امرءاً يسعى لدنياه دائباً ويذهل عن أخراه لا شك خاسر

فحتى م على الدنيا إقبالك ؟ وبشهواتها اشتغالك ؟ وقد وخطك القتير[2] وأتاك النذير ، وأنت عما يراد بك ساه ، وبلذة يومك وغدك لاه ، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات ، وعاينت ما حل بهم من المصيبات .

---

(١) الدر النظيم (ص ١٣٧) .
(٢) وخطك : أي اسرع ، القتير : الشيب .

وفي ذكرهول الموت والقبر والبلى عن اللهو واللذات للمرء زاجر
أبعد اقتراب الأربعين تربص وشيب قذال منذر ومكابر
كأنك معنيٌّ بما هو صائر لنفسك عمداً وعن الرشد حائر[1]

انظر إلى الأمم الماضية ، والملوك الفانية ، كيف اختطفتهم عقبان الأيام ووافاهم الحمام ، فامحت من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم ، واصبحوا رمماً في التراب إلى يوم الحشر والمآب .

امسوا رميماً في التراب وعطلت مجالسهم منهم وأخلى مقامر
وحلوا بدار لا تزاور بينهم وأنى لسكان القبور التزاور
فما أن ترى إلا قبوراً ثووا بها مسطحة تسفي عليها الأعاصر

كم من ذي منعة وسلطان ، وجنود ، واعوان ، تمكن من دنياه ، ونال فيها ما تمناه ، وبنى فيها القصور والدساكر[2] وجمع فيها الأموال والذخائر ، ومليح السراري والحرائر .

فما صدفت كف المنية إذ أتت مبادرة تهوى إليه الذخائر
ولا دفعت عنه الحصون التى بنى وحف بها أنهاره والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة ولا طمعت في الذب عنه العساكر

أتاه من الله ما لا يرد ، ونزل به من قضائه ما لا يصد ، فتعالى الله الملك الجبار ، المتكبر العزيز القهار ، قاصم الجبارين ، ومبيد المتكبرين ، الذي ذل لعزه كل سلطان ، وأباد بقوته كل ديان .

مليك عزيز ، لا يرد قضاؤه حكيم عليم ، نافذ الأمر ، قاهر
عنا كل ذي عز لعزة وجهه فكم من عزير للمهيمن صاغر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت لعزة ذي العرش الملوك الجبابر

فالبدار ، البدار[3] ، والحذار الحذار من الدنيا ومكايدها ، وما نصبت لك من

---

(١) في العجز ـ كما لا يخفي ـ زحاف ، ولعل الأصح : لنفسك عمداً أو عن الرشد جائر .
(٢) الدساكر : مفردها دسكرة وهي بناء كالقصر فيه الشراب والملاهي .
(٣) أي : العجل العجل .

مصايدها وتحلت لك من زينتها ، واظهرت لك من بهجتها ، وابرزت لك من شهواتها ، واخفت عنك من غوائلها وهلكاتها .

وفي دون ما عاينت من فجعاتها ... إلى دفعها داع وبالزهد آمر
فجدّ ولا تغفل وكن متيقظاً ... فعما قليل يترك الدار عامر
فشمر ولا تفتر ، فعمرك زائل ... وأنت إلى دار الإقامة صائر
ولا تطلب الدنيا فإن نعيمها ... - وإن نلت منها - غبه لك ضائر

فهل يحرص عليها لبيب ، أو يسربها أريب ؟ وهو على ثقة من فنائها ، وغير طامع في بقائها ، أم كيف تنام عينا من يخشى البيات ، وتسكن نفس من توقع في جميع أموره الممات .

إلا له ، ولكنا نغر نفوسنا ... وتشغلنا اللذات عما نحاذر
وكيف يلذ العيش من هو موقف ... بموقف عدل يوم تبلى السرائر
كأنا نرى أن لا نشور ، وأننا ... سدى ، ما لنا بعد الممات مصادر

وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها ، ويتمتع به من بهجتها مع صنوف عجائبها وقوارع فجائعها ، وكثرة عذابه في مصابها وفي طلبها ، وما يكابد من اسقامها وأوصابها وآلامها .

أما قد نرى في كل يوم وليلة ... يروح علينا صرفها ويباكر
تعاورنا آفاتها وهمومها ... وكم قد ترى يبقى لها المتعاور
فلا هو مغبوطٌ بدنياه آمن ... ولا هو عن تطلابها النفس قاصر

كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها ، وصرعت من مكب عليها ، فلم تُنهضه من عثرته ، ولم تنقذه من صرعته ، ولم تشفه من المه ، ولم تبرئه من سقمه ، ولم تخلصه من وصمه .

بل أوردته بعد عز ومنعة ... موارد سوء ما لهن مصادر
فلما رأى أن لا نجاة وأنه ... هو الموت لا ينجيه منه التحاذر
تندم إذ لم تغن عنه ندامة ... عليه، وابكته الذنوب الكبائر

إذ بكى على ما سلف من خطاياه ، وتحسر على ما خلف من دنياه ،

واستغفر حتى لا ينفعه الاستغفار ، ولا ينجيه الاعتذار عند هول المنية ، ونزول البلية .

احاطت به أحزانه وهمومه ... وابلس لما اعجزته المقادر
فليس له من كربة الموت فارج ... وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت خوف المنية نفسه ... ترددها منه اللها والحناجر

هنالك خف عواده ، واسلمه أهله وعواده ، وارتفعت البرية بالعويل ، وقد أيسوا من العليل ، فغمضوا بايديهم عينيه ، ومدوا عند خروج روحه رجليه ، وتخلى عنه الصديق ، والصاحب الشقيق .

فكم موجع ، يبكي عليه ، مفجع ... ومستنجد صبراً وما هو صابر
ومسترجع داع له الله مخلصاً ... يعدد منه كل ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته ... وعما قليل للذي صار صائر

فشقت جيوبها نساؤه ، ولطمت خدودها اماؤه ، واعول لفقده جيرانه ، وتوجع لرزيته اخوانه ، ثم اقبلوا على جهازه ، وشمروا لابرازه ، كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى ، ولا الحبيب المبدى .

وحل احب القوم كان بقربه ... يحث على تجهيزه ويبادر
وشمر من قد احضروه لغسله ... ووجه لما فاض للقبر حافر
وكفن في ثوبين واجتمعت له ... لتشييعه اخوانه والعشائر

فلو رأيت الأصغر من أولاده ، وقد غلب الحزن على فؤاده ، ويخشى من الجزع عليه ، وخضبت الدموع عينيه ، وهو يندب أباه ، ويقول : يا ويلاه واحرباه .

لعاينت من قبح المنية منظراً ... يهال لمرآة ، ويرتاع ناظر
أكابر اولاد يهيج اكتئابهم ... إذا ما تناساه البنون الاصاغر
وربة نسوان عليه جوازع ... مدامعهم فوق الخدود غوازر

ثم أخرج من سعة قصره ، إلى ضيق قبره ، فلما استقر في اللحد ، وهيل عليه اللبن احتوشته اعماله ، واحاطت به خطاياه ، وضاق ذرعاً بما

رآه ، ثم حثوا بأيديهم عليه التراب ، واكثروا البكاء عليه والانتحاب ، ثم وقفوا ساعة عليه ، وايسوا من النظر إليه ، وتركوه رهناً بما كسب وطلب .

فولوا عليه معولين وكلهم ... لمثل الذي لاقى اخوه محاذر
كشاءٍ رتاع آمنين بدالها ... بمديته بادي الذراعين حاسر
فريعت ولم ترتع قليلاً واجفلت ... فلما نأى عنها الذي هو حاذر، . . .

عادت إلى مرعاها ونسيت ما في اختها دهاها ، افبأفعال الانعام اقتدينا ؟ أم على عادتها جرينا ؟ عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى ، واعتبر بموضعه تحت الثرى ، المدفوع إلى هول ما ترى .

ثوى مفرداً في لحده وتوزعت ... مواريثه أولاده والأصاهر
واحنوا على أمواله يقسمونها ... فلا حامد منهم عليها وشاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ... ويا آمنا من أن تدور الدوائر. . .

كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائر إليها لا محالة ؟ أم كيف ضيعت حياتك، وهي مطيتك إلى مماتك ؟ أم كيف تشبع من طعامك وأنت منتظر حمامك ؟ أم كيف تهنأ بالشهوات وهي مطية الآفات .

ولم تتزود للرحيل وقد دنا ... وأنت على حال وشيك مسافر
فيالهف نفسي كم أسوف توبتي ... وعمري فانٍ والردى لي ناظر
وكل الذي اسلفت في الصحف مثبت ... يجازي عليه عادل الحكم قادر

فكم ترقع بآخرتك دنياك ، وتركب غيك وهواك ، أراك ضعيف اليقين يا مؤثر الدنيا على الدين ، ابهذا أمرك الرحمن ؟ أم على هذا انزل القرآن ؟ أما تذكر أمامك من شدة الحساب ، وشر المآب ، أما تذكر حال من جمع وثمر ، ورفع البناء وزخرف وعمر ، أما صار جمعهم بوراً ، ومساكنهم قبوراً .

تخرب ما يبقى وتعمر فانياً ... فلا ذاك موفورٌ ولا ذاك عامر
وهل لك إن وافاك حتفك بغتة ... ولم تكتسب خيراً لدى الله عاذر
أترضى بأن تفنى الحياة وتنقضي ... ودينك منقوص ومالك وافر[1]

(١) البداية والنهاية ٩/١٠٩ ـ ١١٣ ، تأريخ ابن عساكر .

وانتهت هذه الموعظة، وقد صورت واقع الحياة الدنيا، وما يؤول إليه أمر الانسان من النزوح عن هذه الدنيا ، التي هو احرص ما يكون عليها ، فقد هام بحبها، وتعلق بشهواتها ومباهجها ، مع علمه بمفارقتها إلى قبر مظلم ضيق، تتقطع فيه أوصاله، وتنحسر فيه أخباره، ولا يبقى معه إلا عمله، فإن كان صالحا ، فلا يأنس إلا به ، وإن كان شراً فلا يخاف إلا منه .

ونحن لا يخالجنا شك في مضامين هذه الموعظة ، إلا أنا نشك فيها من جهة ركاكة بعض ألفاظها خصوصاً ما اشتملت عليه من النظم ، وهي لا تتناسب مع بلاغة الإمام زين العابدين عليه السلام الذي هو من أبلغ أئمة البلاغة في العالم العربي والاسلامي ، فهو صاحب الصحيفة السجادية التي لم تعرف العربية أبلغ وافصح منها .

١٣ ـ ومن مواعظه هذه الموعظة القيمة التي حذر فيها من الدنيا قال عليه السلام : « احذركم من الدنيا ، وما فيها ، فإنها دار زوال وانتقال ، تنتقل بأهلها من حال إلى حال ، وهي قد أفنت القرون الخالية ، والأمم الماضية ، وهم الذين كانوا اكثر منكم مالاً[1]، وأطول أعماراً، واكثر آثاراً، افنتهم الدنيا، فكأنهم لا كانوا أهلا ، ولا سكانا ، قد أكل التراب لحومهم ، وأزال محاسنهم ، وبدد أوصالهم ، وشمائلهم ، وغير الوانهم ، وطحنتهم أيدي الزمان افتطعمون بعدهم بالبقاء ؟ هيهات !! هيهات !! فلا بد من الملتقى ، فقد بدد ما مضى من عمركم ، وما بقي فافعلوا فيه ما سوف يلتقي عليكم بالاعمال الصالحة قبل انقضاء الأجل ، وفروغ الأمل ، فعن قريب تؤخذون من القصور إلى القبور حزينين غير مسرورين ، فكم والله من فاجر قد استكملت عليه الحسرات ، وكم من عزيز وقع في مسالك الهلكات حيث لا ينفعه الندم ، ولا يغاث من ظلم ، وقد وجدوا ما اسلفوا وأخذوا ما تزودوا ، ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ فهم في منازل همود[2] وفي

---

(١) الأصح : أموالاً .

(٢) الهمود : الموت .

عسكر الموتى خمود ، ينتظرون صيحة القيامة وحلول يوم الطامة[1] ﴿ ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ﴾[2] .

وبهذا تنتهي بعض مواعظ الامام زين العابدين عليه السلام . حقاً إنها من اعظم الأرصدة الروحية ، كما أنها من أنجح الأدوية لمعالجة الأمراض النفسية التي تؤدي إلى انحطاط الانسان ، وترديه في متاهات سحيقة من مجاهل هذه الحياة .

من حكمه وتعاليمه :

لقد أدلى الإمام زين العابدين عليه السلام بكثير من الحكم القيمة ، والتعاليم الرفيعة التي انبعثت عن خبرته الكاملة لواقع الحياة ، وتعمقه في شؤونها الاجتماعية ، وخبرته بأحوال الناس ، وأمورهم ، وفي مايلي بعض ما أثر عنه .

ذم التكبر :

ذم الإمام عليه السلام التكبر ، ونعى على المتكبر هذه الظاهرة السيئة لأنها باب لكل شر ومصدر لكل رذيلة ، فالمتكبر لا يرى غيره يستحق الحياة ، ومن ثم يقوم بالظلم والاعتداء على الناس يقول عليه السلام : « عجبت للمتكبر الفخور ، الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة » . إن المتكبر على الناس الفخور بنفسه ، لو تأمل ذاته قليلا ونظر إلى بداية تكوينه ، ونهاية مصيره لما تكبر على الناس ، وفخر بما يتمتع به من مال أو بنين .

من مأمنه يؤتى الحذر[4] :

ومن كلماته الحكمية الخالدة هذه الكلمات الذهبية الرائعة . قال عليه

---

(١) الطامة : الداهية لأنها تطم كل شيء .

(٢) سورة النجم : آية ٣٠ .

(٣) بلاغة الإمام زين العابدين (ص ٢٧) نقلاً عن ناسخ التواريخ ١/ ٤٨٤ .

(٤) لقد عرف الجاهليون هذا المثل .

السلام : « من مأمنه يؤتى الحذر ، يكتفي اللبيب بوحي الحديث ، وينبو البيان عن قلب الجاهل ، ولا ينتفع بالقول ، وإن كان بليغاً مع سوء الاستماع . . »[1] أما معطيات هذه الكلمات البليغة فهي :

١ ـ إن الحذر يؤتى من مأمنه : ومعنى ذلك أن من يقيم حرساً مكثفاً للحفاظ على حياته كما يفعل الملوك ، والرؤساء ، فإن ما يحذرونه يأتي ـ على الأكثر ـ من أولئك الحراس ، فإنهم هم الذين يفتكون بهم كما وقع ذلك كثيراً مع بعض الملوك .

٢ ـ إن اللبيب المتفتح ذهنه هو الذي يفهم الأمور من وحي الحديث ، وقرائن الأحوال ولا يحتاج إلى التعمق والبسط في القول .

٣ ـ إن البيان يبتعد عن قلب الجاهل ، ولا يصل إليه لأنه قد ران عليه الجهل فصده عن فهم الأمور .

٤ ـ إن بلاغة القول وحكمته لا ينتفع بهما مع سوء الاستماع ، وإنما ينتفع بهما مع الاصغاء .

التحذير من المراء :

حذر الإمام عليه السلام من المراء ، وهو المجادلة التي لا يقصد منها الوصول إلى الحق ، وإنما المقصود المغالبة والاستعلاء قال عليه السلام : «المراء يفسد الصداقة القديمة ، ويحل العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن تكون به المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة »[2] إن المراء مفتاح للشر ، ويلقي بين الناس العداوة والبغضاء ، ويسبب لهم كثيراً من المصاعب والمشاكل .

الابتهاج بالذنب :

إن الابتهاج بالذنب ، والافتخار به ينم عن تمادي الشخص في الجريمة

(١) تذكرة ابن حمدون (ص ٢٦) .
(٢) زهر الآداب ١/١٠٢ .

قال عليه السلام : « إياك والابتهاج بالذنب، فإن الابتهاج بالذنب أعظم من ركوبه »[1] .

أنواع الذنوب :

أما أنواع الذنوب التي توجب سخط الله وعذابه فقد تحدث الإمام عنها ، وحذر منها ليكون الانسان في سلامة من دينه ودنياه ، قال عليه السلام :

« الذنوب التي تغير النعم البغي على الناس ، والزوال عن العادة في الخير ، واصطناع المعروف ، وكفران النعم ، وترك الشكر ، قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

والذنوب التي تورث الندم قتل النفس التي حرم الله ، قال الله تعالى : في قصة قتل قابيل حين قتل أخاه فعجز عن دفنه « فاصبح من النادمين » وترك صلة القرابة حتى يستغنوا ، وترك الصلاة حتى يخرج وقتها ، وترك الوصية ورد المظالم ، ومنع الزكاة حتى يحضر الموت ، وينغلق اللسان .

والذنوب التي تنزل النقم عصيان العارف ، والتطاول على الناس ، والاستهزاء بهم ، والسخر بهم . والذنوب التي تدفع النعم اظهار الافتقار ، والنوم عن العتمة[2] ، وعن صلاة الغداة ، واستحقار النعم ، وشكوى المعبود . والذنوب التي تهتك العصم شرب الخمر ، واللعب بالقمار ، وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح وذكر عيوب الناس ، ومجالسة أهل الريب . والذنوب التي تنزل البلاء ترك اغاثة الملهوف ، وترك معونة المظلوم ، وتضييع الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر والذنوب التي تديل الاعداء المجاهرة بالظلم ، واعلان الفجور ، واباحة المحظور ، وعصيان الأخيار ، واتباع الأشرار . والذنوب التي تعجل الفناء قطيعة الرحم ، واليمين الفاجرة ، والأقوال الكاذبة والزنا ، وسد طرق المسلمين ،

---

(١) الدر النظيم (ص ١٧٣) .

(٢) العتمة : هي وقت صلاة العشاء .

وادعاء الامامة بغير حق . والذنوب التي تقطع الرجاء اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والثقة بغير الله ، والتكذيب بوعد الله والذنوب التي تظلم الهواء السحر والكهانة ، والإيمان بالنجوم ، والتكذيب بالقدر ، وعقوق الوالدين ، والذنوب التى تكشف الغطاء الاستدانة بغير نية الاداء ، والاسراف في النفقة على الباطل ، والبخل على الأهل والولد وذوي الأرحام ، وسوء الخلق ، وقلة الصبر ، واستعمال الضجر ، والاستهانة بأهل الدين والذنوب التي ترد الدعاء سوء النية وخبث السريرة ، والنفاق مع الاخوان ، وترك التصديق بالاجابة وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها ، وترك التقرب إلى الله عز وجل بالبر والصدقة ، واستعمال البذاء والفحش في القول ، الزور ، وكتمان الشهادة ، ومنع الزكاة والقرض والماعون وقساوة القلوب على أهل الفقر والفاقة ، وظلم اليتيم والأرملة ، وانتهار السائل ورده بالليل . . . »[1] .

لقد حذر الإمام عليه السلام من اقتراف هذه الذنوب والجرائم التي توجب انحراف الانسان في سلوكه ، وتبعده عن خالقه ، وقد ذكر الإمام آثارها الوضعية ، وما يترتب عليها من المضاعفات السيئة في الدنيا قبل دار الآخرة ، ومن الحق أن هذا الحديث وأمثاله من أحاديث الأئمة الطاهرين عليهم السلام - في هذا الموضوع - من المناجم الخصبة في تربية النفس ، وتهذيبها ، وتنظيم توازنها وسلوكها .

حقيقة الموت :

ووصف الإمام عليه السلام حقيقة الموت بالنسبة للمؤمنين والكافرين ، بقوله : « الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة ، وفك اغلال ثقيلة ، والاستبدال بأفخر الثياب ، وأوطأ المراكب ، وللكافر كخلع ثياب فاخرة ، والنقل من منازل أنيسة ، والاستبدال بأوسخ الثياب ، وأخشنها ، وأوحش المنازل واعظمها . . . »[2] .

---

(١) معاني الأخبار للصدوق (ص ٧٨) .

(٢) معاني الأخبار للصدوق باب ١٣٦ .

لقد تواترت الأخبار عن أئمة الهدى عليهم السلام أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، فإذا حل الموت بالمؤمن فإنه لا يجد فيه أية صعوبة ، وإنما يجد الراحة الكبرى لأنه ينتقل إلى نعيم الآخرة يتبوأ الفردوس حيثما يشاء ، وأما الكافر فإذا نزل الموت بساحته فإنه يوم شقائه وبلائه ، ويواجه الموت بحسرات وآلام لأنه ينتقل من جنة إلى سجن وعذاب دائم .

أهم أنواع الزهد :

سأل شخص الإمام زين العابدين عليه السلام عن الزهد ، فقال عليه السلام : الزهد عشرة أشياء ، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع ، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين ، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا[1] ، ألآ وإن الزهد في آية من كتاب الله قوله : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾[2] وألم هذا الحديث الشريف ببعض الحقائق العرفانية ، وهي :

(أ) إن أسمى درجة من الزهد لا تعادل أدنى درجة من الورع عن محارم الله الناشيء عن ضبط النفس ، والسيطرة عليها .

(ب) إن أرقى درجة من الورع هي أدنى درجة من اليقين بالله تعالى الذي هو من اسمى مراحل الإيمان .

(ج) إن أعلى مرتبة من اليقين هي أدنى درجة من الرضا بما قسم الله ، فإنه جوهر الإيمان .

(د) أن حقيقة الزهد قد ألمت به الآية الكريمة التي حذرت من الأسى والحزن على ما يفوت الانسان من المنافع في دار الدنيا ، كما حذرت من الفرح والابتهاج بما يكسبه الانسان ويظفر من ملاذ هذه الحياة وخيراتها المادية ، لأنها تؤول إلى التراب .

---

(١) اصول الكافي : باب ذم الدنيا .

(٢) سورة الحديد اية ٥٧ .

أفضل الأعمال عند الله :

سئل الإمام عليه السلام عن أفضل الأعمال عند الله ، فقال : « ما من عمل أفضل عند الله تعالى بعد معرفة الله ، ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا ، وإن لذلك شعباً كثيرة ، وإن للمعاصي شعباً ، فأول ما عُصي الله به الكبر ، وهو معصية ابليس حين أبى ، واستكبر، وكان من الكافرين ، والحسد وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء ، وحب الدنيا ، وحب الرياسة ، وحب الراحة ، وحب الكلام ، وحب العلو ، وحب الثروة ، فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا ، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك . . حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنيا بلاء . . »[1] .

إن حب الدنيا أساس البلاء ، ومصدر الفتن ، والأخطار التي يمنى بها الانسان، فإن تهالكه على الدنيا يجر له كثيراً من المعاصي والآثام ، ويلقيه في شر عظيم ، وقد ذكر الامام عليه السلام بعض الآفات من حب الدنيا، والتي منها .

١ ـ التكبر .
٢ ـ الحسد .
٣ ـ حب النساء وحب الرياسة .
٤ ـ حب الراحة .
٥ ـ حب الكلام[2] .
٦ ـ حب العلو على الغير .
٧ ـ حب الثروة .

وهذه الآفات قد جعلت الانسان يسلك في المنعطفات ، واغرقته في الآثام ، وابعدته عن طريق الحق .

---

(١) اصول الكافي : باب ذم الدنيا .
(٢) حب الكلام : الذي عناه الإمام هو حب الكلام في ما لا يعني الانسان ولا يهمه .

معرفة العدالة :

ومن غرر حكميات الإمام عليه السلام هذا الحديث الشريف الذي حدد فيه عدالة الانسان ، ووثاقته ، قال عليه السلام :

« إذا رأيتم الرجل قد حسُن سمته، وهديه ، وتمادى في منطقه ، وتخاضع في حركاته ، فرويداً لا يغرنكم ، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا ، وركوب الحرام منها ، لضعف بنيته ، ومهانته ، وجبن قلبه ، فنصب الدين فخاً له ، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره فإن تمكن من حرام اقتحمه ، وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنكم ، فإن شهوات الخلق مختلفة ، فما اكثر من يتأبى عن الحرام وإن كثر ، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة ، فيأتي منها محرماً ، فإذا رأيتموه كذلك فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا عقدة عقله ، فما اكثر من ترك ذلك اجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين ، فيكون ما يفسده بجهله اكثر مما يصلحه بعقله . . فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا ايكون هواه على عقله ، أم يكون عقله على هواه ؟ وكيف محبته للرياسة الباطلة وزهده فيها ؟ فإن في الناس من يترك الدنيا للدنيا ، ويرى أن لذة الرياسة الباطلة أفضل من رياسة الأموال والنعم المباحة المحللة ، فيترك ذلك أجمع طلباً للرياسة ، حتى إذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالأثم فحسبه جهنم وبئس المهاد ، فهو يخبط خبط عشواء ، يقوده أول باطله إلى أبعد غايات الخسارة ، ويمد به بُعد طلبه لما لا يقدر في طغيانه ، فهو يحل ما حرم الله ، ويحرم ما أحل الله لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له الرياسة التي قد شقي من أجلها فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً أليماً .

ولكن الرجل كل الرجل الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله ، وقواه مبذولة في قضاء الله ، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد مع العز في الباطل ، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤدي إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ، ولا تنفد ، وأن كثيراً ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤدي به إلى عذاب لا انقطاع له ،

ولا زوال ، فذلك الرجل تمسكوا به ، واقتدوا بسنته ، وإلى ربكم توسلوا به ، فإنه لا ترد له دعوة ، ولا يخيب من طلبه . . . »[1] .

واستهدف حديث الإمام عليه السلام معرفة العدالة التي هي من أجل الملكات النفسية لأن بها يسمو الانسان ، ويتحرر من أوضار المادة ، ومغريات النفس وشهواتها بحيث لم يعد أي سلطان عليه من النزعات الشريرة ، والفاسدة ، وقد استند بعض الفقهاء إلى هذا الحديث إلى اعتبار ارقى مراتب العدالة لمن يتصدى إلى المرجعية العامة من الفقهاء[2] .

لقد دل الحديث ـ بوضوح ـ على أن معرفة الرجل العادل الكامل في ورعه وتقواه ينبغي أن تستند إلى الفحص الدقيق ، والخبرة الكاملة ، لا إلى النظرة الخاطفة ، والتي منها ما يلي .

(أ) حسن السمت : فانه ليس دليلاً على العدالة والتقوى .

(ب) اظهار الاصلاح : فإنه أيضاً ليس دليلاً على العدالة ، لأنه قد يكون خداعاً منافقاً ، اتخذ الدين وسيلة لنيل مآربه وأطماعه وشهواته بعد أن عجز عن الظفر بها في سائر الوسائل الأخرى .

(ج) الامتناع عن المال الحرام : وهذا أيضاً ليس دليلاً على التقوى لأنه قد يحمل نفسه على ذلك ، ويرغمها في سبيل تحقيق مآربه ، واغراضه التي لا صلة لها بالدين أصلاً .

أما الوسائل التي ستكشف بها كمال الورع والوثاقة ، والدين فهي :

(أ) أن يغلب عقل الانسان على هواه وشهواته .

(ب) عدم حب للرياسة الباطلة ، وزهده فيها ، فإن ذلك من أوثق الامارات على العدالة والتقوى .

(ج) اتباع أوامر الله ، والانقياد الكامل لطاعته تعالى ، بحيث يوجه

---

(١) تفسير الامام العسكري (ص ١٩) تنبيه الخواطر (ص ٣١٦) الاحتجاج ٢/ ١٧٥ .
(٢) سفينة النجاة .

جميع طاقاته للحصول على مرضاة الله والتقرب إليه ، فهذا هو العادل الواقعي الذي تنبعث عدالته عن فكر وتأمل وايمان .

صفات المنافق والمؤمن :

وأدلى الإمام عليه السلام بالحديث التالي مبيناً بعض صفات المنافقين ، والمؤمنين ، قال : « المنافق ينهى ولا ينتهي ، ويأمر ولا يأتي ، إذا قام للصلاة اعترض ، وإذا ركع ربض ، وإذا سجد نقر ، يمسي وهمه العشاء ، ولم يصم ، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر .

والمؤمن خلط علمه بحلمه ، يجلس ليعلم ، وينصت ليسلم ، لا يحدث بالامانة للاصدقاء ، ولا يكتم الشهادة للبعداء ، ولا يعمل شيئاً من الحق رياءاً ، ولا يتركه حياءاً إن زكّي خاف مما يقولون : ويستغفر الله لما لا يعلمون ، ولا يضره جهل من جهله . . »[1] لقد ألم حديث الإمام عليه السلام بابرز صفات المنافقين والمؤمنين ، أما صفات المنافقين فهي :

(أ) إن المنافق ينهى عن المنكر ، ولا ينتهي عنه ، ويأمر بالمعروف ، ولا يأتي به لأنه لم يكن يؤمن بذلك في اعماق نفسه ، أما السبب في أمره ونهيه فهو للخداع والتضليل بأنه من خيار الناس .

(ب) إنه إذا قام للصلاة اعترض على تشريعها ، كما أنه إذا ركع في صلاته ربض أي هوى إلى الأرض كالغنم عند ربوضها ، وأما سجوده فهو غير مستقر فيه ، فمثله كمثل الطائر عند نقره الطعام .

(ج) إنه كالبهيمة في أن همها علفها ، فكذلك هو يصبح ويمسي ولا همَّ له إلا الطعام .

أما الصفات التي امتاز بها المؤمن فهي .

(أ) إن شخصيته مركبة من عنصرين ، وهما : العلم والحلم ، فهو عالم

---

(١) تحف العقول (ص ٢٨٠) بحار الأنوار ١٧/٣١٥ الطبعة الأولى ، وروى بعض هذا الحديث في وسائل الشيعة ١١/٢٧٢ .

وحليم ومن اجتمعت فيه هاتان الصفتان بلغ أعلى مراتب الكمال .

(ب)إنه لا يجلس عند أحد إلا ليتعلم منه العلم والحكمة ، ولا يجلس في مجالس اللهو والبطالة التي لا يستفيد منها شيئاً .

(ج) إنه إذا انصت لأحد فإنما ليسلم منه ، ويأمن شره والاعتداء عليه[1] .

(د) إذا استؤمن على شيء يكتمه ، ولا يفشيه لأحد حتى لاصدقائه .

(هـ) إذا تحمل الشهادة يدلي بها ، ولا يكتمها .

(و) إذا عمل شيئاً من الحق ، لا يعمله رياءً ولا سمعة ، وإنما خالصاً لوجه الله تعالى .

(ز) إذا زكِّي ، ونُعت ببعض الأوصاف الشريفة ، فإنه يخاف أن لا يكون قد اتصف بذلك ، ويستغفر الله لمن أطلق عليه تلك الأوصاف .

(ج) إنه لا يهتم بمن جهله ، ولا يقيم له وزناً . . . إن هذه الصفات الماثلة في المؤمن تدل على سمو ذاته ، وكمال شخصيته .

نصائح رفيعة :

وقدم الإمام عليه السلام لبعض اصحابه هذه النصيحة الرفيعة قائلاً له : « ليس لك أن تقعد مع من شئت فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾[2] وليس لك أن تتكلم بما شئت فإن الله تعالى يقول : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾[3] ولأن رسول الله (ص) قال : ﴿ رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو صمت فسلم ﴾ وليس لك أن تسمع ما شئت ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ إن السمع

---

(١) هذا من باب حفظ اللسان ، وعدم الخوض في كل حديث ، والامساك في مواطن الشبهات ، وتجنب مجالسة القوم الفاسقين .

(٢) سورة الانعام : آية ٦٨ .

(٣) سورة الأسرى : آية ٣٦ .

والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً[1] ﴾ .

إن الانسان المسلم لو طبق على واقع حياته هذه النصائح الرفيعة لظفر بخير عميم وكان بمنجاة من الشقاء والشرور .

المواساة والاحسان :

كان الإمام عليه السلام يحث شيعته وأصحابه على المواساة والاحسان فيما بينهم لأنه خير ضمان لوحدتهم ، واجتماع كلمتهم ، وقد أثر عنه كثير من الاخبار في ذلك وهذه بعضها :

١ ـ قال عليه السلام : « إن أرفعكم درجات ، وأحسنكم قصوراً وأبنية ـ يعني في الجنة ـ أحسنكم إيجاباً المؤمنين ، وأكثركم مواساة لفقرائهم ، إن الله ليقرب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة طيبة يكلم بها أخاه المؤمن الفقير ، بأكثر من مسيرة الف عام يقدمه ، وإن كان من المعذبين بالنار ، فلا تحتقروا الاحسان إلى اخوانكم ، فسوف ينفعكم حيث لا يقوم مقام غيره . . »[3] لقد حث الإمام عليه السلام على مواساة الفقراء والاحسان إليهم ، وذكر ما يترتب عليه من الأجر الجزيل عند الله ، وعد من المواساة الكلمة الطيبة التي يقدمها الانسان المسلم لأخيه ، لأنها مما توجب شيوع المودة والألفة بين المسلمين .

٢ ـ قال الإمام عليه السلام : « من بات شبعاناً وبحضرته مؤمن جائع طاو فإن الله تعالى يقول لملائكته : اشهدوا على هذا العبد أمرته فعصاني ، وأطاع غيري ، فوكلته إلى عمله ، وعزتي وجلالي لا غفرت له أبداً . . . »[4] .

ويعتبر هذا الحديث وأمثاله مما أثر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام

---

(١) سورة الأسراء : آية ٣٦ .
(٢) تفسير البرهان ١/٣٢٢ .
(٣) تفسير البرهان ١/٤٤ .
(٤) عقاب الأعمال (ص ٣٠) .

من العناصر الرئيسية في بناء التكافل الاجتماعي الذي أسسه الاسلام ، والذي يقضي ـ بصورة جازمة ـ على الفقر والحرمان .

٣ ـ قال عليه السلام : « من كان عنده فضل ثوب فعلم أن بحضرته مؤمناً يحتاج إليه ، فلم يدفعه إليه أكبه الله على منخريه في النار . »[١] .

إن الاسلام بكل اعتزاز وفخر ـ يعتبر الفقر كارثة اجتماعية مدمرة ، يجب القضاء عليه بكل السبل والوسائل ، وقد حشد جميع اجهزته لابادته ، وانقاذ المجتمع منه .

٤ ـ قال عليه السلام : « إني لأستحيي من ربي أن أرى أخاً من اخواني ، فاسأل الله له الجنة وابخل عليه بالدينار والدرهم ، فإذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الجنة لك لكنت بها أبخل ، وابخل ، وابخل . . »[٢] .

ويحكى هذا الحديث عن مدى تعاطف الإمام عليه السلام أمام قضايا البر والاحسان ، وحثه عليهما .

٥ ـ قال عليه السلام : « من أطعم مؤمناً حتى يشبع ، لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلاّ الله رب العالمين . . . وأضاف الإمام قائلاً : من موجبات المغفرة اطعام المسلم السغبان[٣] ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أو إطعام في يوم ذي مسغبة * يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة ﴾ .

وفي هذا الحديث دعوة إلىٰ اطعام الجائع ، ودفع السَّغب عنه ، وقد حث الاسلام على ذلك واعتبره ضرورة اسلامية ملحة يسأل عنها الانسان

---

(١) محاسن البرقى ١/٩٧ .

(٢) مصادقة الأخوان (ص ٣٤) سير اعلام النبلاء ٤/٢٣٩ ، تهذيب الكمال م ٧/ق ٢ ورقة ٣٣٨ مصور .

(٣) أي : الجائع .

المسلم ، ويحاسب عليها خصوصاً إذا كان الفقير في حاجة ماسة إلى الطعام .

٦ ـ قال عليه السلام : « من قضى لأخيه حاجة قضى الله له مائة حاجة ، ومن نفَّس عن أخيه كربة نفسَّ الله عنه كربه يوم القيامة ، بالغاً ما بلغت ، ومن اعانه على ظالم له ، اعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الاقدام ، ومن سعى له في حاجة حتى قضاها له فسر بقضائها ، كان كادخال السرور على رسول الله (ص) ومن سقاه من ظمأ ، سقاه الله من الرحيق المختوم ، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن كساه من عري ، كساه الله من استبرق وحرير ، ومن كساه من غير عري لم يزل في ضمان الله ما دام على المكسي من الثوب سلك ، ومن كفاه ما أهمه أخدمه الله من الولدان ، ومن حمله على راحلة بعثه الله يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة يباهي به الملائكة ، ومن كفنه عند موته كساه الله يوم ولدته أمه إلى يوم يموت ، ومن زوجه زوجة يأنس بها ، ويسكن إليها آنسه الله في قبره بصورة أحب أهله إليه ، ومن عاده في مرضه حفته الملائكة تدعو له حتى ينصرف ، وتقول : طبت ، وطابت لك الجنة . . . والله لقضاء حاجته أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام . . »[١] .

إن هذه التعاليم الرفيعة التي أعلنها الإمام عليه السلام مما توجب تضامن المسلمين وشيوع المودة والرحمة والتعاطف بينهم .

٧ ـ قال عليه السلام : « يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما يكون ، وأجوع ما يكون ، واعطش ما يكون ، فمن كسى مؤمناً في دار الدنيا كساه الله من حلل الجنة ، ومن أطعم مؤمناً في دار الدنيا أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى مؤمناً في دار الدنيا شربة ، سقاه الله من الرحيق المختوم . . »[٢] .

إن الإسلام يحرص كل الحرص على إبادة الفقر والبؤس ، ونفي

---

(١) ثواب الأعمال (ص ٨١) .

(٢) الإمام زين العابدين (ص ١٩٤) .

الحاجة من المجتمع الإسلامي وقد ضمن الجزاء الأوفى في دار البقاء لمن يقوم باسعاف أخيه وبره .

٨ ـ قال عليه السلام : « من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى مؤمناً عن ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسى مؤمناً من عرى ، لم يزل في ستر الله وحفظه ما بقيت منه خرقه . . »[١] .

إن هذه المبادىء التي رفع شعارها الإمام عليه السلام تمثل جوهر الإسلام وواقعه ولو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لكانوا سادة الأمم والشعوب .

صلة الأرحام :

وحث الإمام عليه السلام على صلة الأرحام ، وحذر من قطيعتها ، وذلك لما يترتب عليها من المضاعفات السيئة ، قال عليه السلام : « من سره أن يمد الله في عمره ، وأن يبسط له في رزقه فليصل رحمه ، فإن الرحم لها لسان ، يوم القيامة ، ذلق[٢] تقول : يا رب صل من وصلني ، واقطع من قطعني ، فالرجل ليرى بسبيل خير إذا أتته الرحم التي قطعها فتهوى به إلى اسفل قعر في النار . . »[٣] .

لقد تواترت الأخبار عن أئمة الهدى عليهم السلام في الحث على صلة الارحام ، وإنها توجب العمر المديد للانسان ، والمزيد من الرزق ، والأجر الجزيل في الدار الآخرة فانها توجب تماسك المجتمع ، وشيوع المودة والصفاء بين المسلمين ، وذلك من أهم ما يدعو إليه الاسلام .

---

(١) المؤمن (ص ١٩) للحسين بن سعيد الأهوازي من مخطوطات مكتبة السيد الحكيم تسلسل ١٩٦ . وقد قامت بتحقيقه ونشره مدرسة الإمام المهدي (عج) في قم سنة ١٤٠٤ هـ مع كتاب التمحيص للشيخ ابي علي محمد بن همام الاسكافي المتوفي سنة ٣٣٦ هـ وقد ورد هذا الحديث تحت رقم ١٥٩ ص ٦٣ .

(٢) الذلق : اللسان الفصيح .

(٣) البحار .

الحب في الله :

دعا الإمام عليه السلام المسلمين إلى التحاب ، والمودة فيما بينهم في الله تعالى خالصة لا يشوبها شيء من شؤون المادة التي لا تلبث أن تتلاشى ، قال عليه السلام : « إذا جمع الله الأولين والآخرين نادى مناد يسمعه الناس يقول : أين المتحابون في الله ؟ فيقوم عنق من الناس ، فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنة بغير حساب ، فتتلقاهم الملائكة ويسألونهم عن العمل الذي جازو به إلى الجنة ، فيقولون : نحن المتحابون في الله ، فيقولون : وأي شيء كان أعمالكم ؟ فيقولون : كنا نحب في الله ، ونبغض في الله فيقولون لهم : نعم أجر العاملين[1] .

إن الحب في الله يوحد ، ولا يفرق ، ويجمع ولا يشتت ، انه ناشيء عن الإيمان العميق بالله .

الدعاء للمؤمن :

ودعا الإمام عليه السلام المؤمنين إلى الدعاء لاخوانهم بظهر الغيب ، والثناء عليهم قال عليه السلام :

« إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب أو يذكره بخير ، قالوا : نعم الأخ أنت لأخيك ، تدعو له بالخير، وهو غايب عنك ، وتذكره بخير، قد أعطاك الله مثلي ما سألت له ، وأثنى عليك مثلي ما أثنيت عليه ، ولك الفضل عليه ، وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء ويدعو عليه ، قالوا له : بئس الأخ أنت لأخيك ، كف أيها المستر على ذنوبه وعورته ، واربع على نفسك ، واحمد الله الذي ستر عليك ، واعلم أن الله أعلم بعبده منك . . »[2] .

إن هذه السنن والآداب الكريمة مما تعزز وحدة المسلمين وتضامنهم وتوجب شيوع المودة والاخاء فيما بينهم .

---

(١) وسائل الشيعة ٤٣٢/١١ .

(٢) اصول الكافي .

جزاء أهل الفضل :

وحث الإمام عليه اصحابه ودعاهم إلى اسداء الفضل والمعروف إلى الناس ، كما دعاهم إلى التحلي بالصبر والتآزر فيما بينهم قال (ع) : « أذا كان يوم القيامة نادى مناد : ليقم أهل الفضل . فيقوم ناس قبل الحساب ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة ويسألونهم إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة ، فإذا سألوهم عما استحقوا ذلك ، يقولون : كنا إذا جهل علينا حلمنا ، وإذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسيء إلينا غفرنا . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ، ثم ينادي مناد : ليقم أهل الصبر. فيقوم ناس ، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة ويسألونهم مثل الأول . فيقولون : صبرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن معصية الله عز وجل ، فيقولون لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ، ثم ينادي مناد: ليقم جيران الله عز وجل ، فيقوم ناس ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة فتسألهم الملائكة عما استحقوا ذلك، وما مجاورتهم لله عز وجل ؟ فيقولون : كنا نتزاور في الله ، ونتجالس في الله ، ونتبادل في الله ، فيقولون : ادخلوا الجنة فنعم أجر العالمين . . »[1] .

وفي هذا الحديث الشريف دعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات التي توجب رفع مستوى الانسان ، وبلوغه ذروة الشرف والكمال .

الدعوة إلى الدين :

وتقدم رجل إلى الإمام عليه السلام فسأله عن الدعوة إلى الدين ؟ فقال عليه السلام له : «ادعوك إلى الله تعالى ، وإلى دينه ، وجماعه أمران : الأول : معرفة الله ، والآخر العمل برضوانه ، وإن معرفة الله أن تعرفه بالوحدانية ، والرأفة ، والرحمة ، والعلم والقدرة ، والعلو على كل شيء ، وأنه النافع ، الضار ، القاهر لكل شيء ، الذي لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف

---

(١) حلية الأولياء ٣/١٥٩ تأريخ اليعقوبي ٣/٤٦ .

الخبير ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن ما جاء به هو الحق من عند الله تعالى ، وأن ما سواهما هو الباطل ، فإذا اجابوا إلى ذلك فلهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين . . . »[1] .

إن الدعوة إلى الدين ، والدخول في حظيرته يتركزان أن على معرفة الله تعالى ، والإيمان بوحدانيته والاعتراف بنبوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، ومن اعترف بكلا الأمرين جرت عليه احكام الإسلام من حقن دمه وصيانة أمواله ، ومعاملته كبقية المسليمن .

التحذير من بعض المحرمات :

وحذر الإمام عليه السلام من اقتراف بعض المحرمات لأنها مما توجب بُعد الإنسان عن ربه ، وتلقيه في شر عظيم قال عليه السلام : « اتقوا المحرمات كلها ، واعلموا أن غيبتكم لأخيكم المؤمن من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله اعظم في التحريم من الميتة ، قال الله تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾[2] وإن الدم أخف في التحريم عليكم أكله من أن يشي أحدكم بأخيه المؤمن من شيعة آل محمد (ص) إلى سلطان جائر ، فإنه يهلك نفسه وأخاه المؤمن ، والسلطان الذي وشُي به إليه ، وإن لحم الخنزير أخف تحريماً من تعظيمكم من صغر الله ، وتسميتهم باسمائنا أهل البيت ، وتلقيبهم بالقابنا ، وقد سماهم الله باسماء الفاسقين ، ولقبهم بالقاب الفاجرين ، وأن ما أهل به لغير الله ، أخف تحريماً عليكم من أن تعقدوا نكاحاً، أو صلاة جماعة، مع اعدائنا الغاصبين لحقوقنا ، إذا لم يكن منكم تقية ، قال الله تعالى : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا أثم عليه ﴾[3] ومن اضطره اللهو إلى تناول شيء من هذه المحرمات وهو معتقد لطاعة الله فلا اثم عليه . .[4] لقد حذر الإمام عليه السلام من

---

(١) التهذيب للطوسي ٢/ ٤٧ .

(٢) سورة الحجرات آية ١١ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٣ .

(٤) بحار الأنوار ٧/ ٣٣١ الطبعة الأولى .

اقتراف جميع المحرمات ، واكد بصورة خاصة على اجتناب المحرمات التالية .

(أ) الغيبة : لأنها توجب تصدع الوحدة الإسلامية ، وشيوع الكراهية والبغضاء بين المسلمين ، ومن المقطوع به أن من كان قلبه عامراً بالإيمان بالله فإنه يبتعد عنها ، وكان الإمام عليه السلام يحذر منها في كثير من نصائحه ، فقد قال له رجل : إن فلاناً ينسبك إلى الضلال والبدعة ، فانكر الإمام عليه ذلك وقال له : « ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت كلامه إلينا ، ولا رعيت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه ، إن الموت يعمنا ، والبعث محشرنا ويوم القيامة موعدنا ، والله يحكم فينا ، إياك والغيبة فأنها إدام كلاب أهل النار ، واعلم أن من أكثر عيوب الناس شهد عليه الاكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه . . »[1] .

(ب) الوشاية بالمؤمن إلى السلطان الجائر : فإنها من أعظم الموبقات لأنها تؤدي إلى التدمير الشامل .

(ج) اضفاء الالقاب الكريمة التي تلقب بها أئمة أهل البيت عليهم السلام على الظالمين الذين أشاعوا الجور والفساد في ذلك العصر .

(د) الاتصال بالظالمين والعمل معهم فإن ذلك يؤدي إلى تقوية مركزهم واعلاء شأنهم . . . هذه بعض محتويات كلام الإمام عليه السلام .

التحذير من الطمع :

دعا الإمام عليه السلام إلى التحرر من ذل الطمع ، قال عليه السلام : « رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس ، ومن لم يرج الناس في شيء ، ورد أمره إلى الله تعالى في جميع أموره ، استجاب الله له كل شيء . . »[2] .

---

(١) مشكاة الأنوار (ص ٢٩١) احتجاج الطبرسي (ص ١٧٢) .
(٢) اصول الكافي : باب الاستغناء عن الناس ، وسائل الشيعة ٦/٣١٤ .

إن للطمع آفات خطيرة على الانسان فهي تورده المهالك ، وتلقيه في شر عظيم ، والدعوة إلى التحرر منه إنما هي دعوة إلى الكمال ، والسمو ، والارتقاء .

شكر المحسن :

وأكد الإمام عله السلام على ضرورة شكر المحسن ، حتى لا يضيع المعروف ، قال (ع) : « إن الله تعالى يحب كل قلب حزين ، ويحب كل عبد شكور ويقول الله لعبد من عبيده يوم القيامة : اشكرت فلاناً ؟ فيقول : بل شكرتك يا رب فيقول الله سبحانه : لم تشكرني إن لم تشكره .

وأضاف الإمام بعد ذلك قائلاً : أشكركم أشكركم للناس . . »[1] .

إن شكر المنعم والمحسن ضرورة اسلامية ملحة ليبقى المعروف والاحسان بين الناس ، ويشجع المحسنون على عمل الخير والبر ، واسداء الخدمات الاجتماعية للناس .

الأمر بالمعروف :

ومن أبرز المبادىء الاسلامية الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فقد تبنى ذلك الاسلام بصورة ايجابية ، من أجل أن تسود العدالة الاجتماعية بين الناس، ولا يبقى منكر ، ولا اعتداء ، ولا ظلم ، على واقع الحياة العامة بين الناس ، وقد تواترت الاخبار عن أئمة الهدى عليهم السلام على ضرورته ولزومه ، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام : « التارك للأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر كنابذ كتاب الله وراء ظهره ، إلا أن يتقي تقاة ، فقيل له : ما تقاته ؟ قال : يخاف جباراً أن يفرط عليه ، أو أن يطغى . . »[2] .

إن الخوف من الجبار العنيد يسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن المكلف ، وقد ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية شروط القيام بهذا الواجب الاسلامي الخطير .

---

(١) أصول الكافي : باب الشكر .

(٢) حلية الأولياء /٣/ ١٤٠ طبقات ابن سعد ٢١٣٥ .

فضل الكلام على السكوت :

سأل رجل الامام عليه السلام عن السكوت والكلام ، أيهما أفضل؟ فقال (ع) : « لكل واحد منهما آفات ، فإذا سلما من الآفات ، فالكلام أفضل وانبرى إليه شخص فقال له :

« كيف ذاك يا ابن رسول الله ؟ . »

فأجابه عليه السلام :

« إن الله سبحانه لم يبعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت ، إنما بعثهم بالكلام ، ولا استحقت الجنة بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام ، وما كنت لأعدل القمر بالشمس . . »[1] .

سعادة الانسان :

وتحدث الإمام عليه السلام عما يوجب سعادة الانسان في هذه الدنيا ، فقال : ومن سعادة المرء أن يكون متجره في بلاده ، ويكون خلطاؤه صالحين ، ويكون له ولد يستعين بهم »[2] .

حقاً أن من ظفر بهذه الأمور فقد ظفر بخير الدنيا ، وكان من السعداء فيها .

الجامع بين الأديان :

سأل رجل الإمام عليه السلام عن الإطار الجامع بين الأديان السماوية ، فقال : « قول الحق ، والحكم بالعدل ، والوفاء بالعهد . . »[3] وتشترك الأديان السماوية في هذه البنود الثلاثة التي هي قوام الحياة الاجتماعية ، والتي رفع شعارها جميع الأنبياء والمرسلين .

---

(١) الإحتجاج (١٧٢) الطبعة الأولى .

(٢) الخصال (ص ٢٤٥) .

(٣) الخصال (ص ١٠٩) .

خصال رفيعة :

وتحدث الإمام عليه السلام عن بعض الصفات الرفيعة التي ينبغي أن يتصف بها المسلم ، والتي يكمل بها اسلامه قال (ع) :

« اربع من كن فيه كمل اسلامه ، ومحصت عنه ذنوبه ، ولقي ربه عز وجل وهو عنه راض : من وفى لله عز وجل بما يجعل على نفسه للناس ، وصدق لسانه مع الناس ، واستحيا من كل قبيح عند الله وعند الناس ، وحسن خلقه مع أهله . . »[1] إن من يتصف بهذه الصفات الرفيعة فهو المؤمن حقاً المستكمل إيمانه ، الذي يلقى الله وهو عنه راض .

علامات المؤمن :

قال الإمام عليه السلام : « علامات المؤمن خمس : فقال له طاووس اليماني : وما هي يا ابن رسول الله ؟ قال : الورع في الخلوة ، والصدقة في القلة ، والصبر عند المصيبة ، والحلم عند الغضب ، والصدق عند الخوف . »[2] إن هذه الصفات الخمس تدل على إيمان من يتصف بها ، وإنه من عباد الله الصالحين الذين أترعت نفوسهم بالتقوى .

الكلام الحسن :

حث الإمام عليه السلام أصحابه على الكلام الحسن مع الناس ، وذكر ما يترتب عليه من المنافع ، قال : « القول الحسن يثري المال ، وينمي الرزق ، وينسأ في الأجل ، ويحبب إلى الأهل ، ويدخل الجنة . . »[3] .

والم حديث الإمام عليه السلام بمعطيات القول الحسن ، والكلم الطيب ، والتي منها :

---

(١) الخصال (ص ٢٠٣) .
(٢) الخصال (ص ٢٤٥) .
(٣) الخصال (ص ٢٨٩) وسائل الشيعة ٥/٥٣١ .

(أ) إنه موجب لتنمية المال ، وسعة الرزق . ويظهر أثر ذلك - بوضوح - عند ذوي الصناعات ، وأهل الحرف والتجار ، فإن الناس تتعامل بالشراء والتجارة مع من يقابلهم بالكلام الطيب من هؤلاء الأصناف ، ومن الطبيعي أن ذلك مما يوجب زيادة دخل الفرد منهم ، كما أن الطباع تنفر عن بذيء الكلام وسيء الخلق ، الأمر الذي يوجب كساد سلعته ، وضيق رزقه .

- ومن ثمرات الكلام الطيب أنه ينسأ في الأجل ، وذلك فيما إذا دفع ظلامة عن مؤمن أو اسدى له نفعاً ، فإن الله تعالى يجازي صاحبه بزيادة العمر في الدنيا وجزيل الأجر في الآخرة .

- ومن فوائد الكلام الطيب أنه موجب لأن يكون صاحبه عزيزاً ومحبوباً عند أهله وعار فيه ، فإن النفوس تهفو إلى صاحب الكلام الحسن ، والخلق الكامل .

(ز) ومن منافعه أنه موجب للفوز بالجنة ، وذلك فيما إذا كان صلاح ذات البين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

طبقات الناس :

وتحدث الإمام عليه السلام مع زرارة بن أوفى عن طبقات الناس ، فقال له : يازرارة ، الناس في زماننا على ست طبقات : أسد ، وذئب وثعلب ، وكلب ، وخنزير ، وشاة ، فأما الأسد فملوك الدنيا يحب كل واحد منهم أن يغلب ، ولا يُغلب ، وأما الذئب فتجاركم يذمون إذا اشتروا ويمدحون إذا باعوا ، وأما الثعلب فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم ولا يكون في قلوبهم ما يصفون بالسنتهم ، وأما الكلب فهو الذي يهر على الناس بلسانه ، ويكرمه الناس من شر لسانه ، وأما الخنزير فهؤلاء المخنثون واشباههم لا يدعون إلى فاحشة إلا أجابوا ، وأما الشاة فالمؤمنون الذين تجز شعورهم ، ويؤكل لحومهم ، ويكسر عظمهم ، فكيف تصنع الشاة بين أسد ، وذئب ، وثعلب ، وكلب ، وخنزير ؟ . . »[1] .

---

(١) الخصال (ص ٣٠٨) .

لقد نظر الإمام عليه السلام بعمق وشمول إلى المجتمع الذي عاش فيه فحلله إلى طبقات ست : وذكر خصائص كل طبقة بما ينطبق عليها ، ولا يتخلف عنها .

التواضع :

أما التواضع فهو من محاسن الأخلاق التي يشرف بها الانسان ، وقد حث الإمام عليه السلام على التحلي به قال : « لا حسب لقرشي ، ولا لعربي إلا بتواضع ، ولا كرم إلا بتقوى ، ولا عمل إلا بنية ، ألآ وإن أبغض الناس إلى الله عز وجل من يقتدي بسنة إمام ، ولا يقتدي باعماله . . »[1] .

اقتباس الحكمة :

ودعا الإمام عليه السلام إلى اقتباس الحكمة، ولو صدرت من منافق لأنها من مصادر الفكر والوعي الذي يحرص الإسلام على تطوره ، قال عليه السلام : « لا تحتقر اللؤلؤة النفيسة أن تجلبها من الكبا[2] الخسيسة ، فإن أبي حدثني ، قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إن الكلمة من الحكمة لتلجلج في صدر المنافق نزاعاً إلى فطانها، حتى يلفظ بها فيسمعها المؤمن فيكون أحق بها وأهلها فيلقفها . . »[4] .

طينة المؤمن والكافر :

وأدلى الإمام عليه في حديث له عن الطينة التي خلق منها المؤمن ، والكافر ، قال : « إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين ؛ قلوبهم وابدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة ، وجعل خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك . وخلق الكفار من طينة سجين : قلوبهم وأبدانهم فخلط بين

---

(١) الخصال (ص ١٩) .
(٢) الكبا : الكناسة .
(٣) كذا وردت ، ولعلها : نطقها .
(٤) البحار ١/ ٩٥ الطبعة الأولى .

الطينتين ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ، ويلد الكافر المؤمن ، ومن ههنا يصيب الكافر الحسنة ، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه ، وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه . . »[1] .

لقد استفاضت النصوص في أن الله تعالى خلق الانسان من طين ، قال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من طين ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وبدأ خلق الانسان من طين ﴾[3] وقد خلق الانبياء والمؤمنين من أقدس البقاع وأطهرها ، ولذلك كانوا هداة وقدوة ، ومنقذين ومحررين للناس ، وخلق الكفار والمنحرفين من احط بقعة وأقذرها ، ومن ثمَّ كانوا حجر عثرة في تقدم الانسان وتطوير حياته الاجتماعية . . . وقد قضت حكمة الله تعالى أن تختلط هَاتان الطينتان فيخرج منهما ما يعاكس ويباين طبيعتيهما ، فقد يولد من النبيين والمؤمنين بعض الشقاة والملحدين كنبي الله نوح ، فقد ولد منه ضال عن الطريق ، منحرف عن العدل ، كافر برسالة أبيه ، وقد أغرقه الله مع الكافرين؛ فاشفق عليه نوح فناجى ربه في شأنه فأجاله تعالى : « إنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح » كما أن بعض الكافرين والضالين قد يولد منهم المؤمنون والصالحون ، وكان ذلك من نتائج اختلاط الطينتين كما قال الإمام عليه السلام .

الصبر :

وحث الإمام عليه السلام على الصبر ، قال : « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له . . »[4] .

إن أعظم ما يتسلح به الانسان أمام الأحداث والخطوب التي تداهمه هو التذرع بالصبر والجاء الأمور إلى الله تعالى ، والرضا بما قسم ، فإن ذلك جوهر الإيمان .

---

(١) أصول الكافي ٢/٢ .
(٢) سورة الأنعام آية (٢) .
(٣) سورة السجدة آية (٧) .
(٤) أصول الكافي ٢/٨٩ .

من أخلاق المؤمن :

وتحدث الإمام عليه السلام عن الصفات الشريفة التي يتصف بها المؤمن قال : « من اخلاق المؤمن الانفاق على قدر الاقتار[1] والتوسعة على قدر التوسع ، وانصاف الناس ، وابتداؤه إياهم بالسلام عليهم . . »[2] .

إن من أخلاق المؤمن التوازن في حياته الاقتصادية ، فلا يسرف عند الاقتار ، ويتوسع عند السعة ، كما أن أخلاق المؤمن انصافه للناس ، حتى من نفسه فإن ذلك دليل على ورعه ، ومن أخلاقه ابتداؤه بالسلام على الناس فإنه ينم عن حسن اخلاقه ، وعدم تكبره واستعلائه .

العصبية :

سئل الإمام عليه السلام عن العصبية التي هي من أخلاق الجاهلية ، فقال : « العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه من خيار قوم آخرين ، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم »[3] لقد حدد الإمام عليه السلام العصبية الرعناء التي يأثم عليها صاحبها بهذا التحديد الرائع ، وهو أن يرى الرجل شرار قومه ومجرميهم من خيار الناس وصلحائهم ، وأن يعينهم على الظلم والبغي والاعتداء ، فإن في ذلك تنكراً للحق ، وسحقاً للقيم ، أما حب الانسان لقومه فإنه ليس من العصبية في شيء .

الاتقاء من الكذب :

وكان الإمام عليه السلام يحذّر ابناءه من الكذب ، ويقول لهم : « اتقوا الكذب ، الصغير منه والكبير ، في كل جد وهزل . فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير ، أما علمتم أ رسول الله (ص) قال : ما يزال

---

(١) الاقتار : ضيق المعيشة .

(٢) اصول الكافي ٢/٢٤١ وسائل الشيعة ١١/١٤٩ .

(٣) اصول الكافي ٢/٣٠٨ .

العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً ، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً . . »[1] .

لقد حذر الإمام عليه السلام من الكذب في كل شيء ، لأنه من أفحش الجرائم وأكثرها مقتاً عند الله ، كما أمر بالتحلي بالصدق لأنه مصدر لكل فضيلة وعنوان لكل شرف ، وكرامة .

التثبت بالقول :

ودعا الإمام عليه السلام أصحابه إلى التثبت في القول ، وأن يكونوا على علم مما يقولونه خيراً كان أو شراً قال : « لايقول رجل : في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقال فيه من الشر ما لا يعلم . . »[2] .

العفة :

وحث الإمام عليه السلام أصحابه على التحلي بالعفة ، واعتبرها من أفضل أنواع العبادة قال : « إن أفضل العبادة عفة البطن والفرج »[3] .

القناعة :

أما القناعة فإنها من أسمى الصفات الانسانية ، فإذا تحلى الانسان بها فقد استراح من هموم الدنيا قال عليه السلام فيها : « من قنع بما قسم الله فهو من أغنى الناس . . »[4] .

إن القناعة كنز لا يفنى ، فمن قنع بما قسم الله فهو من أثرى الناس وأغناهم ومن أعظمهم راحة ، وأقلهم هما .

---

(١) اصول الكافي ٢/٢٢٣ .
(٢) عيون الأخبار لأبن قتيبة ١/٢٧٥ .
(٣) الاختصاص (ص ٢٢٣) .
(٤) الفصول المهمة لأبن الصباغ (ص ١٨٧) جمهرة الأولياء ٢/٧٤ وسائل الشيعة ١١/٣٠٤ .

من منجيات المؤمن :

وأدلى الإمام عليه السلام بما ينجي المؤمن قال : « ثلاث منجيات للمؤمن : كف لسانه عن الناس ، وعن اغتيابهم ، وشغله بما ينفعه لدنياه وآخرته ، وطول بكائه على خطيئته . . »[1] .

من سنن الأنبياء وحكمهم :

وقصَّ الإمام عليه السلام على أصحابه مجموعة من سنن الأنبياء وحكمهم ، وقضاياهم ، ليهتدوا بسيرتهم ، ويستنيروا بسلوكهم ، وفي ما يلي بعض ما أثر عنه .

وصية الخضر لموسى :

روى الزهري أن الإمام زين العابدين عليه السلام قال : كان آخر ما أوصى به الخضر لموسى بن عمران أنه قال : لا تعيرن أحداً بذنب ، وإن أحب الأمور إلى الله عز وجل ثلاثة : القصد في الجدة ، والعفو في المقدرة ، والرفق بعباد الله وما رفق أحد بأحد في الدنيا ألا رفق الله عز وجل به يوم القيامة ، ورأس الحكمة مخافة الله . »[2] .

ما أروع معاني هذه الحكمة !! وما اسمى مقاصدها ، فقد أوصت بكل ما يسعد به الانسان ويشرفه على كل كائن حي .

من وحي الله لموسى :

وحكى الإمام عليس السلام لأصحابه إحدى مناجاة الله تعالى مع نبيه موسى عليه السلام قال : أوحى الله إلى موسى : حببني إلى خلقي ، وحبب خلقي إلي ، فقال موسى : يا رب كيف أفعل ؟ قال : ذكرهم آلائي ،

---

(١) الدر النظيم (ص ١٧٤) .

(٢) الخصال (ص ١٠٦) الغايات (ص ١٩) مخطوط .

ونعمائي ليحبوني ، فلا ترد آبقاً عن بابي ، أو ضالاً عن فنائي . إن ذلك أفضل لك من عبادة مائة سنة ، يصام نهارها ، ويقام ليلها ، قال موسى : من هذا العبد الآبق منك ؟ قال الله : المتمرد ، قال : فمن الضال عن فنائك ؟ قال : الجاهل بإمام زمانه ، والغائب عنه بعد ما عرفه ، الجاهل بشريعة دينه ، تعرفه شريعته ، وما يعبد به ربه تعالى ، ويتوصل به إلى مرضاته[1] .

لقد حث الإمام عليه السلام بهذا الحديث الدعاة إلى الله تعالى على بذل المزيد من الجهود لانقاذ الناس من معاصي الله، وترغيبهم في طاعته ، وأن لا ينفروهم من ذلك ، وإن عملهم في هذا السبيل من أفضل الطاعات ، وأحبها لله .

حكمة في الأنجيل :

ونقل الإمام لأصحابه حكمة مشرقة من حكم الانجيل ، قال : مكتوب في الانجيل ، لا تطلبوا علم ما لا تعملون ، ولما تعملوا بما علمتم ، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلا كفراً ، ولم يزدد من الله إلا بُعداً[2] .

لقد دعا الإمام عليه السلام إلى العمل بالعلم ، وأنه ليس من الحق في شيء أن يعلم الانسان شيئاً ولا يعمل به ، فإن ذلك لا يزيده إلا بُعداً من الله

موسى مع عابد :

وحكى الإمام عليه السلام لأصحابه قصة موسى مع عابد ، قال : مر موسى برجل رافع يده إلى السماء يدعو الله تعالى فغاب سبعة أيام ، ثم رجع إليه فرآه رافعاً يده إلى السماء ، فقال موسى : يا رب هذا عبدك رافع يده إليك يسألك المغفرة منذ سبعة أيام لا تستجيب له ؟ فأوحى الله إليه : يا موسى لو دعاني حتى تسقط يداه ، وينقطع لسانه ما استجبت له ، حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به[3] . .

---

(١) البحار ١/ ٧١ الطبعة الأولى .

(٢) اصول الكافي .

(٣) الإمام زين العابدين (ص ٢٠٢) .

أما هذا الحديث فيدعو كل انسان يتوجه بعبادته إلى الله أن يسلك في طاعته من الأبواب التي عينها ، ولا يتعثر في سلوكه وطريقه .

موسى مع الله :

قال الإمام عليه السلام : سأل موسى بن عمران ربه تعالى : من أهلك الذين تظلهم بظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ؟ فأوحى إليه سبحانه وتعالى : الطاهرة قلوبهم ، والتربة أيديهم ، الذين يذكرون جلالي ، والذين يكتفون بطاعتي ، كما يكتفي الصغير باللبن ، والذين يأوون إلى مساجدي ، كما تأوي النسور إلى أوكارها ، والذين يغضبون لمحارمي إذا استحلت مثل النمر إذا حرد . . »[1] .

إن هذه الجماعة المؤمنة بربها من خيرة البشر في طهارة قلوبها ، وفي سلامة ضمائرها ونياتها ، فقد اتجهت بقلوبها وعواطفها نحو الله لا ترى غيره ، ولا تؤمن إلا به ، والله يجازيهم على ذلك فيظلهم بظله ويشملهم بلطفه ، ويخصهم بفضله .

وفاة النبي :

وروى الإمام عليه السلام وفاة جده رسول الله (ص) وما رافقها من الأحداث ، ونسوق نص روايته . روى الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه أبي جعفر ، قال : دخل على أبي علي ابن الحسين (ع) رجلان من قريش ، فقال : ألآ أخبركما عن رسول الله ؟ »فقالا : بلى ، فقال : سمعت أبي يقول : كان قبل وفاة النبي (ص) بثلاثة، هبط عليه جبرئيل ، فقال: يا أحمد أن الله تبارك وتعالى ، أرسلني إليك تفضيلاً لك ، وخاصة لك ، يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ فقال رسول الله : أجدني يا جبريل مغموماً ، وأجدني يا جبريل مكروباً ، فلما كان اليوم الثالث هبط جبريل وملك الموت ، وهبط معهما ملك من الهواء ، يقال له اسماعيل ، على سبعين ألف ملك . فسبقهم جبريل ، فقال : يا محمد إن الله تبارك وتعالى

---

(١) الإمام زين العابدين (ص ٢٠٢) .

أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً وخاصة لك ، يسألك عما هو أعلم به منك ، يقول : كيف تجدك ؟ فقال : يا جبريل أجدني مغموماً ، وأجدني مكروباً .

واستأذن ملك الموت على الباب ، فقال جبريل : يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك، لم يستأذن على آدمي قبلك، ولن يستأذن على آدمي بعدك ، فقال : إئذن له ، فأذن له جبريل ، فأقبل بين يديه ، فقال : يا أحمد إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في ما أمرتني ، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها ، وإن كرهت ، تركتها ، فقال النبي : يا ملك الموت أتفعل ذلك ؟ فقال : نعم ، أمرت أن أطيعك في ما أمرتني به ، فقال جبريل : يا أحمد إن الله تبارك وتعالى قد اشتاق إلى لقائك ، فقال النبي : يا ملك الموت إمضِ لما أمرت به ، فقال جبريل : يا أحمد هذا آخر وطأتي الأرض إنما كنت أنت حاجتي من الدنيا .

فلما تُوفي النبي (ص) جاءتهم التعزية ، جاءهم آت يسمعون حسه ، ولا يرون شخصه ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة »[1] إن في الله تبارك وتعالى عزاءً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل فائت ، فبالله ثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله ، وبركاته . قال جعفر : قال أبي : قال علي : أتدرون من هذا ؟ هذا هو الخضر[2] وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض البوادر من سنن الأنبياء وحكمهم التي نقلها الإمام عليه السلام إلى أصحابه وتلاميذه .

الولاء لأهل البيت :

وأكد الإمام عليه السلام على ضرورة الولاء والمودة لأهل البيت عليهم السلام واعتبر ذلك عنصراً مهماً من عناصر الاسلام ، فقد قال عليه السلام لأبي حمزة الثمالي :

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٨٥ .

(٢) التشوف إلى رجال التصوف ليوسف التالي (ص ٣١ ـ ٣٢) .

« أي البقاع أفضل ؟ . . » .

وحار أبو حمزة في الجواب فقال :

« الله ورسوله أعلم . . » .

فأجابه عليه السلام :

« إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ، ولو أن رجلاً عمرَّ ما عمرَّ نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يصوم النهار ، ويقوم الليل في ذلك الموضع ، ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً[1] . .

لقد تواترت الأخبار عن الرسول الأعظم (ص) وأوصيائه عليهم السلام في أن ولاية الأئمة ضرورة اسلامية يسأل عنها المسلم في يوم حشره ونشره ، ويحاسب عليها كما يحاسب على سائر الواجبات الاسلامية ، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنها شرط في صحة العمل ، لا في قبوله ، كشرائط الصحة[2] في الواجبات .

وعلى أي حال فقد ذكر الإمام عليه السلام في حديث آخر ما يظفر به محبو أهل البيت من الأجر الجزيل في دار الآخرة ، والدنيا ، فقد وفد عليه جماعة من شيعته عائدين اياه ، قالوا له :

« كيف أصبحت يا ابن رسول الله ؟ » .

فأجابهم الإمام بلطف :

« في عافية ، والله المحمود على ذلك . وكيف أصبحتم أنتم جميعاً ؟ » .

فانبروا قائلين :

---

(١) الإمام زين العابدين (ص ٢٠٢) .
(٢) كفاية الأصول للشيخ الأخوند .

« أصبحنا والله لك محبين . . » .

فبشرهم بما يظفرون به من الجزاء الأوفى عند الله قائلاً :

« من أحبنا لله أدخله الله ظلاً ظليلاً ، يوم لا ظل إلا ظله ، ومن أحبنا يريد مكافأتنا كافاه الله عنا الجنة ، ومن أحبنا لغرض دنياه آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب . . »[1] .

حق النبي وعلي على المسلمين :

وأدلى الإمام عليه السلام في حديث له عن الحقوق العظيمة للنبي (ص) ولوصيه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على هذه الأمة ، قال عليه السلام : « إن كان الأبوان عظم حقهما على أولادهما لاحسانهما إليهم ، فاحسان محمد وعلي صلوات الله عليهما وعلى ابنائهما إلى هذه الأمة أجل وأعظم ، فهما أحق أن يكونا أبويها . . »[2] .

إن للنبي (ص) ولوصيه من الحقوق على هذه الأمة ما هو أعظم بكثير من حقوق الآباء ، فقد حررا إرادة الأمة ، وانقذاها من العبودية وظلمات الجهل ومنحاها الحياة الحرة الكريمة ، ولكن ـ من المؤسف ـ أن هذه الأمة لم تشكر الطافهما ، فقد عمدت إلى اقصاء العترة الطاهرة عن مراكز الحكم والقيادة وعمد حكامها إلى ابادتها بشكل رهيب في صعيد كربلاء ، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام : كان رسول الله صلى الله عليه وآله مكفراً لا يشكر معروفه ، ولقد كان معروفه على القرشي والعربي والعجمي ، ومن كان أعظم معروفاً من رسول الله (ص) على هذا الخلق ؟ وكذلك نحن أهل البيت مكفرون لا يشكر معروفنا[3] .

سيادة أهل البيت على الناس :

سأل رجل الإمام عليه السلام ، فقال له : بماذا فضلتم على الناس

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٩٢) الصراط السوي (ص ١٩٣) .
(٢) الإمام زين العابدين (ص ٢٠٢) نقلاً عن المحاسن للبرقي .
(٣) الوافي ١٣٣/٣ .

جميعاً ، وسدتموهم ؟ فقال عليه السلام : اعلم أن اناس جميعاً لا يخلون من أحد ثلاثة : أما رجل أسلم على أيدينا فهو مولى لنا ، يرجع إلينا ولاؤه فنحن سادته ، وأما رجل قاتلناه ، فقتلناه فمضى إلى النار ، وبقي ماله مغنماً لنا وإما رجل أخذنا منه جزيته وهو صاغر ، ولا رابع فأي فضل لم نحزه ، وشرف لم نحصله ؟ »[1] .

أكبر الظن أن الإمام عليه السلام إنما ساق حديثه هذا إلى شخص لا يقر بفضل أهل البيت عليهم السلام ، ولا يؤمن بسيادتهم المطلقة على جميع هذه الأمة ، هذا وإن لهم من الفضائل والمواهب ما لا يحصى ، وحسبهم فخراً إن الله أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، وفرض مودتهم على جميع الأمة ، وقرنهم الرسول (ص) بمحكم التنزيل ، وجعلهم سفن النجاة وأمن العباد .

روائع الحكم القصار :

أما حكم الإمام القصار فإنها تمثل الابداع ، وتطور الفكر ، واصالة الرأي ، وتحكي خلاصة التجارب التي ظفر بها الإمام في حياته ، وهي لا تقتصر على جانب خاص من جوانب الحياة ، وإنما كانت شاملة لجميع مناحيها ، لقد نظر الإمام الحكيم بعمق وشمول إلى جميع شؤون الانسان ، فوضع الحلول الحاسمة لجميع قضاياه وشؤونه . . . وفي ما يلي بعض ما أثر عنه من غرر الحكم والآداب :

١ ـ قال عليه السلام : « من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا »[2] .

ما أروع هذه الكلمة فقد حكت واقع الاحرار الذين هانت عليهم الدنيا في سبيل كرامتهم وعزتهم فلم يخضعوا للذل والهوان ، وكان على رأسهم أبو الأحرار وسيد الشهداء الذي كرمت عليه نفسه فاستهان بالدنيا ، فلم يصانع الظالمين ، ولم يخضع لجبروتهم وحمل راية الكرامة الانسانية ، حتى

(١) غرر الآثار ودرر الآثار للديلمي (ص ٨٠) مخطوط في مكتبة السيد الحكيم تسلسل ٥٤٩ .
(٢) تحت العقول (ص ٢٧٨) .

استشهد ، وهو مرفوع الرأس ، موفور الكرامة .

٢ ـ قال عليه السلام : « الخير كله في صيانة الانسان نفسه »[١] .

إن الخير بجميع رحابه ومفاهيمه في صيانة الانسان لنفسه من المعاصي والذنوب والآثام التي تهبط به إلى واد سحيق ليس له قرار .

٣ ـ قال عليه السلام : « ما أحب المؤمن معافىً في الدنيا ، وفي نفسه وماله ، ولا يصاب بشيء من المصائب »[٢] إن ما يصاب به المؤمن في هذه الدنيا من الخطوب والنكبات يكون كفارة لما اقترفه من الذنوب كما يكون زيادة في حسناته ، ومن الطبيعي أن يحرم من ذلك إذا لم يصب بمصائب الدنيا .

٤ ـ قال عليه السلام : « ضل من ليس له حليم يرشده ، وذل من ليس له سفيه يعضده . . »[٣] إن الانسان إذا لم يكن له حليم يرشده في مهمات أموره، ومعضلات شؤونه ، تعثر في خطاه ، وانساب في متاهات سحيقة من مجاهل هذه الحياة ، كما أنه إذا لم يكن له سفيه يعضده ، ويذب عنه فقد تعرض للذل والهوان .

٥ ـ قال عليه السلام : « ويل لمن غلبت أحاده اعشاره » وسأل هشام بن سالم الإمام الصادق عليه السلام عن معنى هذا الحديث ، فقال : أما سمعت الله عز وجل يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها »[٤] فالحسنة الواحدة إذا عملها كتبت له عشراً ، والسيئة الواحدة إذا عملها كتبت له واحدة ، فنعوذ بالله ممن يرتكب في يوم واحد عشر سيئات ، ولا تكون له حسنة واحدة فتغلب حسناته سيئاته »[٥] .

---

(١) تحف العقول (ص ٢٧٨) .
(٢) التمحيص لأبي علي محمد بن همام الاسكافي . (راجع : ص ٨١ ـ الهامش) وقد ورد الحديث تحت رقم : ١٢ ص : ٣٢ .
(٣) الاتحاف بحب الأشراف (ص ٧٥ .
(٤) سورة الانعام : آية ١٦٠ .
(٥) معاني الأخبار : مخطوط للشيخ الصدوق في مكتبة السيد الحكيم .

٦ ـ قال عليه السلام : « اللئيم يأكل ماله الاعداء ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً . . »[١] .

إن اللئيم هو الذي يضن بما له ، فلا يسعف به فقيراً ولا يعين به مسكيناً ، فإن الله تعالى يحرمه منه ، ويسلط عليه اعداءه ، فينعمون بامواله ، وهو قد تحمل اوزارها .

٧ ـ قال عليه السلام : « إن الجسد إذا لم يمرض يأشر[٢] ولا خير في جسد يأشر . . »[٣] .

إن الانسان إذا كان في جميع فترات حياته يتمتع بصحةٍ جيدة ، ولم تلسعه الأمراض ، فإنه من الطبيعي يكون في بطرٍ وكفران للنعمة ، ولا خير في جسد يكون كذلك .

٨ ـ قال عليه السلام : عليكم باداء الامانة ، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً لو أن قاتل أبي الحسين بن علي ائتمنني على السيف الذي قتله به لأديته إليه . . »[٤] إن أداء الأمانة من أبرز الصفات التي الزم بها الإسلام ، واعتبرها عنصراً مهماً في خلق الانسان المسلم فمن يخن أمانته ليس من الاسلام في شيء .

٩ ـ قال عليه السلام : « أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة . »[٥] .

إن من يعمل بالسنة فقد طبق الإسلام على واقع حياته ، ومنهج سلوكه ، ومن الطبيعي أن ذلك من أفضل الأعمال ، وأحبها لله .

١٠ ـ قال عليه السلام : « لقد استرقك بالود من سبقك بالشكر . . »[٦]

---

(١) نزهة الناظر (ص ٣٢) للحسين محمد الحلواني .
(٢) يأشر : أي يبطر .
(٣) حلية الأولياء ٣/١٣٤ تذكرة الحفاظ ١/٧١ .
(٤) دار السلام للنوري ٢/١٤٠ .
(٥) الوافي ١/٦٧ الإمام زين العابدين (ص ٢١٩) .
(٦) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢١/٣٣١ .

إن من سبق بالشكر على الاحسان الذي أسدي إليه ، فقد استرق قلب المحسن إليه بالولاء والود .

١١ ـ قال عليه السلام : « لا يكون الصديق صديقاً حتى يقطع لأخيه المؤمن قطعة من دينه يرقعها بالاستغفار . . »[١] .

إن الصداقة الخالصة في الإسلام هي التي تقوم على المحبة والأخوة في الله ، ومن مستلزماتها ـ حسب هذا الحديث ـ أن يقوم الصديق بالاستغفار لصديقه .

١٢ ـ قال عليه السلام : « ضمنت على ربي أنه لا يسأل أحد من غير حاجة إلا اضطرته المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة . . »[٢] .

إن السؤال من غير حاجة دليل على ضعف النفس وفقرها ، وإن الله تعالى ليبلى هذا السائل بالبؤس والفقر فيضطر إلى السؤال .

١٣ ـ قال عليه السلام : « إياك ، وما تعتذر منه . »[٣] .

لقد حذر الإمام عليه السلام من اقتراف أي عمل يوجب الاعتذار منه ، ومن الطبيعي أن ذلك سمت للعمل القبيح .

١٤ ـ قال عليه السلام « إن الله جل جلاله يقول : وعزتي وعظمتي وجمالي ، وبهائي ، وعلوي ، وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت همه في آخرته ، وغناه في قلبه ، وكففت عنه ضيعته ، وضمنت السماوات والأرض رزقه ، وأتته الدنيا وهي راغمة . »[٤] .

إن الله تعالى يحب العبد المؤمن الذي يؤثر طاعته على كل شيء ، ولا ينقاد لهواه ورغباته النفسية ، وأنه تعالى ليمنحه ألطافه ونعمه في الدنيا والآخرة .

---

(١) بهجة المجالس وانس المجالس ١/ ٦٨٥ .
(٢) وسائل الشيعة ٦/ ٣٠٥ .
(٣) كشف الغمة .
(٤) وسائل الشيعة ١١/ ٢٢٢ .

١٥ ـ قال عليه السلام : « رب مغرور ، مفتون ، يصبح لاهياً ضاحكاً ، يأكل ويشرب ، وهو لا يدري لعله قد سبقت له من الله سخطة ، يصلى بها نار جهنم . . »[١] .

لقد حذر الإمام عليه السلام من الغرور واللهو ، وعدم المبالاة في معاصي الله ، وهو لا يأمن من أن الله تعالى قد سخط عليه ، وكتبه من أهل النار وهي الحياة الدائمة الشقية .

١٦ ـ قال عليه السلام : « سبحان من جعل الاعتراف بالنعمة له حمداً ، سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الشكر شكراً . . »[٢] .

إن الاعتراف بنعم الله تعالى والطافه هو حقيقة الحمد له تعالى كما أن الاعتراف بالعجز عن شكره هو واقع الشكر .

١٧ ـ قال عليه السلام : « طلب الحوائج إلى الناس مذلة للحياة ، ومذهبة للحياء ، واستخفاف بالوقار ، وهو الفقر الحاضر ، وقلة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر . . » .

من المؤكد أن الخضوع للناس ، وطلب ما في أيديهم مما يوجب الذل والهوان وذهاب الحياء ، وهو دليل على فقر النفس وضعفها ، فإن الشخص العزيز هو الذي يصون نفسه ، ويصون كرامته ، ولا يطلب من أحد سوى ربه .

١٨ ـ قال عليه السلام : « من عتب على الزمان طالت معتبته . . » .

حقاً أن من يعتب على الزمان يطول عتابه له وذلك لكثرة خطوبه ونكباته ومآسيه خصوصاً مع الأحرار فإن ضرباته لهم متلاحقة ، وقسوته معهم مستمرة .

١٩ ـ قال عليه السلام : « ما استغنى أحد من الناس إلا افتقر الناس

---

(١) تحف العقول (ص ٢٨٢) .

(٢) تحف العقول (ص ٢٨٣) .

إليه » إن من يستغني عن الناس بما له أو بعلمه فإن الناس تفتقر إليه ، ولا تستغني عنه .

٢٠ ـ قال عليه السلام : « الكريم يبتهج بفضله ، واللئيم يفتخر بملكه . . » لقد حكت هذه الكلمة واقع الكريم واللئيم ، فالكريم يبتهج ويفخر بما يسديه إلى الناس من فضل واحسان ، أما اللئيم فهو يفخر بما يملكه من الأموال والامتعة التي يؤول أمرها إلى التراب ، إذ ليست له أية صفة شريفة أو نزعة كريمة حتى يعتز ويفخر بها .

٢١ ـ قال عليه السلام : « استح من الله لقربه منك . . » لقد دعا الإمام عليه السلام إلى الخوف من الله تعالى ، وذلك لقدرته تعالى على جميع عباده ، فإن جميع الموجودات والكائنات خاضعة لارادته وتحت قبضته يتصرف فيها كيفما يشاء .

٢٢ ـ قال عليه السلام : « لا تعادين أحداً ، وإن ظننت أنه لا يضرك . . » إنه ليس من الحكمة ولا من المنطق في شيء أن يعادي الانسان أي أحد كان ، وإن ظن أنه لا يضره ، فإن الرشيد هو الذي يجذب القلوب إليه ، ولا يدع أحداً يحقد عليه ويبغضه .

٢٣ ـ قال عليه السلام : « لا تزهدن في صداقة أحد ، وإن ظننت أنه لا ينفعك ، فإنك لا تدري متى ترجو صديقك . . » .

إن من الحكمة ووفور العقل أن لا يزهد الانسان في صداقة أي أحد لأنه لا يأمن أن يأتي عليه وقت يكون في حاجة إلى مناصرته ومساعدته .

٢٤ ـ قال عليه السلام : « من اتكل على حسن اختيار الله عز وجل له لم يتمن غير الحالة التي اختارها الله له . . . » .

إن من واقع الإيمان الاتكال على حسن اختيار الله ، والرضا بقضائه ، فإن من يؤمن بذلك ويطبقه على واقع حياته يكون من أسعد الناس ، ومن

أكثرهم راحة واستقراراً في عوالمه النفسية .

٢٥ ـ قال عليه السلام : « لا يعتذر إليك أحد إلا قبلت عذره ، وإن علمت أنه كاذب » إن من مكارم الأخلاق قبول عذر المسيء ، وعدم مقابلته بالمثل ، فإن في ذلك جمعاً للكلمة واجتناباً للفرقة .

٢٦ ـ قال عليه السلام : « ليقل عيب الناس على لسانك . . » .

من الآداب الإسلامية الرفيعة تنزيه اللسان عن ذكر عيوب الناس ، وعدم ذكرهم إلا بخير .

٢٧ ـ قال عليه السلام : « استعن على الكلام بالسكوت فإن للقول حالات تضر . . » .

لقد أوصى الإمام الحكيم بالسكوت وعدم الكلام في ما لا يعني الانسان في أمر دينه ودنياه ، فإن للكلام حالات مضرة ومهلكة في كثير من الأحيان .

٢٨ ـ قال عليه السلام : « من رمى الناس بما هم فيه رموه بما ليس فيه . . » إن من يتعرض لذكر الناس بسوء ، وإن اتصفوا به ، فإنهم يلصقون به من الصفات السيئة ما ليس فيه .

٢٩ ـ قال عليه السلام : « خير مفاتيح الأمور الصدق ، وخير خواتيمها الوفاء . » لقد أكد الإمام عليه السلام على لزوم التحلي بالصدق والوفاء فإنهما من أسمى الصفات التي يشرف بها هذا الانسان .

٣٠ ـ قال عليه السلام : « شهادة أن لا إله إلا الله هي الفطرة . . »

إن الإيمان بالله والاقرار بوحدانيته هما الفطرة التي فطر عليها الانسان وإنما يخرج عنها بالتربية الضالة ، والبيئة المنحرفة فهما اللذان يهلكانه ويصدانه عن الطريق القويم .

٣١ ـ قال عليه السلام : « صلاة الفريضة هي الملة . . » .

إن الالتزام بأداء الصلاة المفروضة اقرار وتدين بملة الإسلام التي تعتبر

الصلاة العلامة المؤشرة على الإسلام ، والفارقة بين المسلم والكافر .

٣٢ ـ قال عليه السلام : « طاعة الله هي العصمة . . » .

إن طاعة الله تعالى ، واجتناب معاصيه هما العصمة من الشيطان والطهارة من الدنس والرجس .

٣٣ ـ قال عليه السلام : « لا يهلك مؤمن بين ثلاث خصال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وشفاعة محمد (ص) ، وسعة رحمة الله » . . .

إن هذه الخصال الثلاث إذا دان بها المؤمن فإنها تقربه إلى الله زلفى ، وتبلغ به إلى ساحات رحمته ورضوانه ، أما شهادة التوحيد فإنها تخرجه من ظلمات الكفر ، وأما شفاعة الرسول (ص) فإنها تنقذه من الجحيم ، وأما سعة رحمته فإنها قد وسعت كل شيء لدرجةٍ تتطامن[1] إليها أعناق الفتاة العصاة يوم القيامة .

٣٤ ـ قال عليه السلام : « إذا تكلفت عناء الناس[2] كنت أغواهم . . » .

إن من يتكلف لعناء الناس وقضاء حوائجهم لا بقصد القربة إلى الله ، وإنما لدواعٍ أخرى بعيدة عن الأهداف الخيرة فإنه يكون من أغوى الناس ، ومن أكثرهم جهلاً .

٣٥ ـ قال عليه السلام : « عجبت ممن يحتمي الطعام لمضرته ، ولا يحتمي من الذنب لمضرته . . »[3] .

إن الحمية من الذنوب ، وما يلحقها من عار ، والفرار من المعاصي وما يليها من تبعات أولى من الحمية من الطعام المضر ، لأن الذنب يجر الويل والشقاء في دار الآخرة التي هي دار الخلود والبقاء .

---

(١) تشرئب وتتطاول وقد ورد في الحديث النبوي الشريف حول هذا المخدع : « إن لله رحمة يوم القيامة ، يتطامن إليها ابليس بعنقه » وقد أشرنا إلى ذلك في تعليقنا على الحديث : رقم ٤٦ .

(٢) الأفضل : عداء .

(٣) الأصح : لمعرته ؛ أي : عاره وفضيحته .

٣٦ ـ قال عليه السلام : إذا صليت فصل صلاة مودع . . » .

لقد دعا الإمام عليه السلام إلى التوجُّه والاقبال الخالص في أداء الصلاة ، وأنه ينبغي للمسلم أن يؤديها كصلاة مودع للحياة .

٣٧ ـ قال عليه السلام : « لكل شيء فاكهة ، وفاكهة السمع الكلام الحسن . . » .

إن الكلام الطيب هو من أثمن ما يلقى على السمع ، وهو فاكهته بل وفاكهة الحياة أيضاً .

٣٨ ـ قال عليه السلام : اللجاجة مقرونة بالجهالة . . » .

إن اللجاجة في الأمور تنشأ من الجهالة ، وضيق الفكر ، وعدم استيعابه لواقع الأمور التي مجرياتها بيد الله تعالى .

٣٩ ـ « قال عليه السلام : « سبب الرفعة التواضع . . » إن الانسان إنما يسمو ويرتفع شأنه إذا كان متواضعاً ، دمث الأخلاق ، وبذلك يسود غيره .

٤٠ ـ قال عليه السلام : كلكم سيصير حديثاً فمن استطاع أن يكون حسناً فليفعل . . » .

وقد نظم هذه الكلمة الذهبية ابن دريد بقوله :

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

٤١ ـ قال عيه السلام : « الحسود لا ينال شرفاً ، والحقود يموت كمداً . . » .

إن الحسد داء خبيث قد ألقى الناس في شر عظيم ، فمن ابتلي به فقد فقد معالي الأخلاق ، وفارق كل صفة شريفة ، كما أن الحقود على الناس يموت كمداً ، وغيظاً حينما يرى نعم الله التي يسديها إلى الناس .

٤٢ ـ قال عليه السلام : « فقد الأحبة غربة . . » .

إن فقد الأحبة من أقسى النكبات التي تدهم الانسان ، فإنه يبقى غريباً تطارده الهموم والآلام .

٤٣ ـ قال عليه السلام : « الرضا بمكروه القضاء ارفع درجات اليقين . . » .

إن من يرضى بما قسم الله له ، وما كتبه عليه من الأحداث المذهلة فلا يجزع ولا يفزع ، ويكون في راحة واستقرار نفسيين ، انه من المتقين الذين فوضوا إليه تعالى أمورهم ، ورضوا بقضائه وحكمه .

٤٤ ـ قال عليه السلام : « نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة والمحبة عبادة . . » .

إن الإسلام حث على المحبة والألفة ، وحرم الأختلاف والفرقة ، ومن الطبيعي أن نظر المؤمن إلى أخيه المؤمن بلطف وعطف ، مما يوجب شيوع المحبة ، وتوثيق الصلة بين المسلمين ، وهو من أفضل أنواع العبادة في الإسلام .

٤٥ ـ قال عليه السلام : « إذا التاجران صدقا وبراً ، بُورك لهما . وإذا كذباً وخانا ، لم يبارك لهما . . » .

إن من منميات التجارة الصدق في المعاملة ، والبر بالناس ، فإذا اتصف بهما التاجر بارك الله في سعيه ، وزاد في رزقه ، وإذا شذ عنهما ، وسلك الطرق الملتوية ، فإن نصيبه يكون الخسران .

٤٦ ـ قيل للإمام عليه السلام : إن الحسن البصري يقول : ليس العجب ممن هلك ، كيف هلك ، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا ! فرد الإمام ذلك ، وقال : أنا أقول : « ليس العجب ممن نجا كيف نجا ؟ وإنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله . . » .

إن رحمة الله تعالى قد وسعت كل شيء ، ويطمع فيها حتى ابليس ، والإمام أعرف بذلك وأدرى من الحسن البصري وغيره .

٤٧ ـ قال عليه السلام : « إذا نصح العبد لله في سره أطلعه على مساوىء عمله ، فتشاغل بذنوبه عن معايب الناس . . » .

إن الانسان إذا خاف الله في سره ، واجتنب معاصيه ، فإن الله تعالى يفيض عليه بالطافه التي منها أنه يطلعه على مساوىء عمله ، ويشغله بذلك عن ذكر معايب الناس ، لينجو من تبعات غيبتهم التي هي من أفحش الذنوب .

٤٨ ـ قال عليه السلام : « أقرب ما يكون العبد من غضب الله ، إذا غضب . » .

إن الغضب مما يوجب هلاك الانسان ، ويخرجه عن توازنه ، ويلقيه في شر عظيم ، وإن أكثر الجرائم فظاعة القتل ، وإنما يقترف ـ على الأكثر ـ في حال الغضب ، وهو مما يوجب غضب الله ومقته للعبد .

٤٩ ـ قال عليه السلام : « للدابة على صاحبها ست خصال : يبدأ بعلفها إذا نزل ، ويعرض عليها الماء إذا مر به ، ولا يضربها إلا على حق ، ولا يحملها إلا ما تطيق ، ولا يكلفها من السير إلا طاقتها ، ولا يقف عليها فواقا . . »[1] .

واعلن الإمام عليه السلام في هذا الحديث حقوق الحيوان على صاحبه وقد حفلت بالرحمة ، والرأفة ، والمداراة الكاملة له ، ولم تشرع المنظمات التي أسست للرفق بالحيوان مثل هذه الحقوق .

٥٠ ـ قال عليه السلام : « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للمقدرة عليه ، فإن العفو عن قدرة ، فضل من الكرم . . » .

إن العفو عند المقدرة دليل على شرف النفس وسعة حلمها ، وهو ضرب من الكرم والسخاء ، وأما الانتقام فإنه ينم عن اللؤم والخسة ، وضيق النفس .

---

(١) الفواق : بضم الفاء وفتحها ما بين الحلبتين من الوقت .

٥١ ـ قال عليه السلام : « إياكم وصحبة العاصين ، ومعونة الظالمين . . » .

لقد حذر الإمام عليه السلام من صحبة العاصين لأن لها تأثيراً على سلوك الشخص ، وانحرافه عن الطريق القويم ، فإن الحياة الاجتماعية حياة تأثير وتأثر كما يقول علماء الاجتماع ـ كما حذر الإمام من معونة الظالمين لأن فيها نشراً للجور ، ومساعدة على تعميم الظلم .

٥٢ ـ سئل الإمام عليه السلام عن أعظم الناس خطراً ؟ فقال : من لم يرض الدنيا لنفسه خطراً .

إن اصوب الناس فكراً ، وأكثرهم حزماً ووعياً هو الذي يرى نفسه أعظم من الدنيا ، فلا يبيع آخرته بدنياه ، وإنما يتجه صوب الله ، ويعمل لآخرته فيوفر لها الزاد والمتاع .

٥٣ ـ قال عليه السلام : « الرزق الحلال قوت المصطفين . . » .

إن الرزق الحلال الذي يكون من الوسائل المشروعة هو قوت الأخيار والمصطفين الذين يتحرجون كأشد ما يكون التحرج في مكاسبهم ومعاشهم فلا يأكلون إلا الحلال الطيب ، ويمتنعون عما حرمه الله .

٥٤ ـ قال عليه السلام : « اخذالناس ثلاثة من ثلاثة ، الصبر من أيوب ، والشكر من نوح ، والحسد من بني يعقوب . . » .

لقد اقتبس الناس هذه الخصال الثلاث من هؤلاء الأشخاص فهم الذين اسسوا أصولها ، وبنوا قواعدها في هذه الحياة .

٥٥ ـ قال عليه السلام : « ليس لك أن تتكلم بما شئت لأن الله تعالى يقول : « ولا تقف ما ليس لك به علم » وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله عز وجل يقول : « إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً » .

لقد حدد الإسلام الكلام السائغ الذي يتلفظ به الانسان وذلك في ما يرجع إلى تدبير شؤون الانسان في معاملاته ، وسائر اغراضه الأخرى

المباحة ، أما الكلام الذي يتكلم به لترويج الباطل وقول غير الحق فإنه حرام ومحاسب عليه ، وكذلك حدد الإسلام الكلام الذي يسمعه الانسان ، وهو الكلام الطيب ، فاستماع الغيبة والفحش منهيّ عنهما ، حتى ان الانسان ليحاسب على أحاسيسه النفسية ، ومشاعره القلبية .

٥٦ ـ قال عليه السلام : « إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه » لقد دعا الإمام عليه السلام إلى التزين بالحلم الذي هو من أميز الصفات التي يتحلى بها الانسان وأكثرها عائدة عليه، فإنه ينجيه من كثير من المشاكل والخطوب .

٥٧ ـ قال رجل للإمام : يا ابن رسول الله إني لأحبك في الله حباً شديداً ، فقال عليه السلام : « اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك ، وأنت لي مبغض » .

لقد استعاذ الإمام عليه السلام بالله تعالى من أن يحب من أجله ، وهو له مبغض وقد دل ذلك على مدى نكرانه للذات ، واعتصامه بالله ، وانقطاعه إليه ورجائه لعفوه ، ومرضاته .

٥٨ ـ قال عليه السلام : « لا يقل عمل مع تقوى ، وكيف يقل ما يتقبل ؟ » .

إن العمل إذا كان مشفوعاً بالتقوى ، فهو غير قليل ، وكيف يقل، وهو مقبول عند الله تعالى ؟

٥٩ ـ قال عليه السلام : « لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يصفوا[1] الله بعظمته لم يقدروا » .

إن جميع من في دنيا الوجود لا يتمكنون أن يصفوا عظمة الله تعالى ، إذ كيف يصل الممكن المحدود في قواه الفكرية ، وسائر طاقاته إلى وصف تلك الذات الأزلية التي ابدعت خلق الأشياء ، والتي لا يحيط بها إدراك .

٦٠ ـ قال عليه السلام : « النجدة الاقدام على الكريهة ، والصبر عند

النائبة ، والذب عن الإخوان . . » .

أما النجدة ـ وهي الشجاعة أو شدة البأس ـ فهي من أبرز صفات الرجال ، والتي كان من مظاهرها الاقدام على الكريهة ، (أي : الحرب) والصبر عند النائبة ، (أي : المصيبة) والذب عن الاخوان . (أي : الدفاع عنهم) .

٦١ ـ قال عليه السلام : « لا ينتفع البليغ بالقول مع سوء الاستماع . . » .

إن البليغ إذا لم يصغ لقوله ، وقوبل بالاعراض ، فإن بلاغته تذهب أدراج الرياح .

٦٢ ـ قال عليه السلام : « لينفق الرجل بالقصد ، وبلغة الكفاف ، ويقدم الفضل منه لآخرته ، فإن ذلك أبقى للنعمة ، وأقرب إلى المزيد من الله تعالى ، وأنفع في العاقبة . . » .

لقد أوصى الإمام عليه السلام بالاقتصاد ، وعدم الاسراف ، وأن يبذل الفاضل من الأموال إلى الفقراء والمحرومين ، أو المشاريع العامة للبلاد ، ويترتب على ذلك بقاء النعمة ، والتقرب إلى الله تعالى ، والظفر بالعاقبة الكريمة .

٦٣ ـ قال عليه السلام : « إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله . . » .

وأثرت هذه الكلمة القيمة عن جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وهي تحكي ما اتصفوا به من الرحمة والرأفة ، ومقتهم لجميع أنواع الظلم والاعتداء على الناس خصوصاً على الضعفاء الذين لا يجدون ناصراً إلا الله ، فإن الاعتداء عليهم من أفحش ألوان الظلم .

٦٤ ـ قال عليه السلام : « بئس الأخ يرعاك غنياً ، ويقطعك فقيراً . . » .

لقد ذم الإمام عليه السلام الرجل الذي يتودد لأخيه أو صديقه في حال غناه وثرائه ، وينبذه إذا صار فقيراً ، فإن ذلك ينم عن الانتهازية ، وفقدان الشرف والكرامة من الانسان .

٦٥ ـ قال عليه السلام : « اعرف المودة من قلب أخيك بما له من قلبك . . » .

إن الانسان إذا أراد اختبار محبة أخ أو صديق له فعليه أن يفتش عن محبته له في نفسه ، فإنه بقدرها يحبه ويخلص له .

٦٦ ـ قال عليه السلام : « من كانت الآخرة همه كفاه الله همَّ الدنيا . . » .

إن من يعمل للآخرة ، ويتقي الله تعالى فإنه يكفيه أمر هذه الدنيا ، ويريحه من كثير من مشاكلها .

٦٧ ـ قال عليه السلام : « سادة الناس في الدنيا الأسخياء ، وسادة الناس في الآخرة الأتقياء . . » .

وليس من شك في أن الاسخياء هم سادة الناس ، وخيارهم ، وأشرافهم ، كما أن سادة الناس في الآخرة هم الاتقياء ، والصالحون .

٦٨ ـ قال عليه السلام : « لو أنزل الله عز وجل كتاباً أنه معذب رجلاً واحداً لرجوت أن أكونه ، أو أنه راحم رجلاً لرجوت أن أكونه ، أو أنه معذبي لا محالة ما ازددت إلا اجتهاداً لئلا ارجع نفسي بلائمة . . » .

لقد اعرب الإمام عليه السلام عن عظيم خوفه ورجائه من الله تعالى ، وأنه لو حكم عليه بالعذاب لما ازداد إلا اجتهاداً في طاعته وعبادته لئلا يرجع على نفسه بلائمة .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض روائع حكمه القصار ، وبها نقفل الكلام عن مواعظه وحكمه .

مؤلفاته

١٠

الصحيفة السجادية

من المحقق أن أول من ألَّف ودون في دنيا الإسلام هم أئمة أهل البيت عليهم السلام ، والعلماء العظام من شيعتهم[١] ، فهم الرواد الأوائل الذين خططوا مسيرة الأمة الثقافية وفجروا ينابيع العلم والحكمة في الأرض .

ومن الجدير بالذكر أن مؤلفاتهم ، وسائر بحوثهم لم تقتصر على علم خاص ، وإنما تناولت جميع أنواع العلوم كعلم الفقه ، والتفسير ، والحديث والأصول ، وعلم النحو ، والكلام ، والفلسفة ، بالاضافة إلى وضعهم لقواعد الأخلاق ، وآداب السلوك ، وأصول التربية . . وكان أول من سبق في هذا المضمار عملاق هذه الأمة ، ورائد نهضتها الفكرية والعلمية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو الذي فتق أبواب العلوم العقلية والنقلية وأسس أصولها ، وقواعدها ، يقول العقاد : إن الإمام أمير المؤمنين (ع) قد فتق أبواب اثنين وثلاثين علماً، فوضع قواعدها ، وأرسى أصولها[٢] ويقول ابن شهر اشوب : الصحيح أن أول من صنف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثم سلمان ، ثم أبو ذر ، ثم الأصبغ بن نباتة ، ثم عبيد الله بن أبي رافع ، ثم صنفت الصحيفة الكاملة[٣] .

---

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر .

(٢) عبقرية الإمام علي .

(٣) معالم العلماء .

وممن الف من الأئمة الطاهرين الإمام زين العابدين عليه السلام ، فقد كانت مؤلفاته نموذجاً رائعاً لتطور الفكر الإسلامي ، وتقدم الحركة الثقافية والعلمية ، ومن مؤلفاته القيمة ما يلي .

الصحيفة السجادية :

أما الصحيفة السجادية فهي من ذخائر التراث الإسلامي ، ومن مناجم كتب البلاغة والتربية والأخلاق ، والأدب في الإسلام ، ونظراً لأهميتها البالغة فقد سماها كبار رجال الفكر والعلم ، بأخت القرآن ، وانجيل أهل البيت ، وزبور آل محمد[1] .

ومما زاد في أهميتها أنها جاءت في عصر طغت فيه الأحداث الرهيبة ، والمشاكل السياسية القائمة على حياة المسلمين فاحالتها إلى سحب مظلمة ليس فيها أي بصيص من نور الإسلام وهديه واشراقه ، فقد انشغل المسلمون بالتكتل الحزبي والسياسي ، سعياً وراء مصالحهم واطماعهم ، ولم يعد هناك أي ظل لروحانية الإسلام وتعاليمه ، وآدابه ، وحكمه .

لقد فتحت الصحيفة السجادية آفاقاً جديدة للوعي الديني ، لم يكن المسلمون يعرفونه من ذي قبل ، فقد دعت إلى التبتل وصفاء الروح ، وطهارة النفس والتجرد من الانانية ، والجشع ، والطمع ، وغير ذلك من النزعات الشريرة ، كما دعت إلى الاتصال بالله تعالى خالق الكون ، وواهب الحياة الذي هو مصدر الفيض والخير لجميع الكائنات ، ولا بدلنا من وقفة قصيرة للحديث عن هذا السفر الجليل .

سندها :

أما سند الصحيفة فينتهي إلى الإمام الأعظم أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام ، وإلى الشهيد الخالد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، وقد ذكرت سلسلة السند في مقدمة الصحيفة ، وقد حظي بالتواتر حتى زاد على

(١) الذريعة في تصانيف الشيعة ١٥/١٨ .

ستةٍ وخمسين ألفاً (٥٦٠٠٠) وما زال العلماء يتلقونها موصولة الاسناد بالاسناد[١] قال السيد محسن الأمين العاملي : « وبلاغة الفاظها ـ أي الصحيفة ـ وفصاحتها التي لا تبارى ، وعلو مضامينها ، وما فيها من أنواع التذلل لله تعالى ، والثناء عليه ، والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسل إليه أقوى شاهد على صحة نسبتها ، وأن هذا الدر من ذلك البحر ، وهذا الجوهر من ذلك المعدن ، وهذا الثمر من ذلك الشجر ، مضافاً إلى اشتهارها شهرة لا تقبل الريب ، وتعدد أسانيدها المتصلة إلى منشئها صلوات الله عليه ، وعلى آبائه وابنائه الطاهرين ، فقد رواها الثقات باسانيدهم المتعددة المتصلة ، إلى زين العابدين عليه السلام ، وقد كانت منها نسخة عند زيد الشهيد ثم انتقلت إلى أولاده ، وإلى أولاد عبد الله بن الحسن المثنى ، كما هو مذكور في أولها ، مضافاً إلى ما كان عند الباقر عليه السلام من نسختها ، وقد اعتنى بها الناس أتم اعتناء بروايتها ، وضبط الفاظها ، ونسخها ، وواظبوا على الدعاء بادعيتها في الليل والنهار ، والعشي والابكار . »[٢] .

إن سند الصحيفة قطعي لا يقبل الجدل ، ولا الشك ، فقد تواتر إلى حد اليقين ، مضافاً إلى بلاغتها الفائقة التي لا تصدر إلا عن هذا الإمام العظيم « سبوح لها منها عليها شواهد »[٣] .

مميزاتها :

وتمتاز الصحيفة السجادية بل وغيرها من سائر أدعيته بأمور بالغة الأهمية كان من بينها ما يلي :

أولاً : إنها تمثل التجرد التام من عالم المادة ، والانقطاع الكامل إلى الله تعالى والاعتصام به الذي هو أثمن ما في الحياة ، ولنستمع ألى ما قاله الإمام في ذلك :

---

(١) مجلة البلاغ العدد السابع السنة الأولى الصحيفة ٥٤ مقال للدكتور حسين علي محفوظ .
(٢) الذريعة في تصانيف الشيعة .
(٣) من بيت شعر لأبي الطيب المتنبي ، في وصف سرعة الفرس .

« اللّهم إني أخلصت بانقطاعي إليك ، وأقبلت بكلي عليك ، وصرفت وجهي عمن يحتاج إلى رفدك ، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك ، ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفة من رأيه ، وضلة من عقله ، فكم قد رأيت يا إلهي من اناس طلبوا العز بغيرك فذلوا ، ورامـوا الثروة من سواك فافتقروا وّحاولوا الارتفاع فاتضعوا ، فصح بمعاينة أمثالهم حازم ، وفقه اعتباره ، وأرشده إلى طريق صوابه اختياره .

فأنت يا مولاي دون كل مسؤول موضع مسألتي ، ودون كل مطلوب إليه ، ولي حاجتي ، أنت المخصوص قبل كل مدعو بدعوتي ، لا يشركك أحد في رجائي ، ولا يتفق أحد معك في دعائي ، ولا ينظمه واياك ندائي ، لك يا إلهي وحدانية العدد ، وملكة القدرة الصمد ، وفضيلة الحول والقوة ، ودرجة العلو والرفعة، ومن سواك مرحوم في عمره ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، مختلف الحالات ، متنقل في الصفات ، فتعاليت عن الاشباه والاضداد ، وتكبرت عن الأمثال والأنداد ، فسبحانك لا إلّه إلا أنت . . »[1] .

ومثلت هذه اللوحة الذهبية مدى انقطاع الإمام عليه السلام إلى الله تعالى ، وتمسكه به ، وانصرافه عمن سواه وزهده في غيره ، وقد علل عليه السلام ذلك بما يلي :

(أ) إن من السفاهة والعبث أن يرجو الانسان غير خالقه ، فإن ذلك الغير مهما عظم شأنه ، فإنه ضعيف محتاج إلى الرفد والعطاء ، فكيف يرجوه الانسان ، ويأمل منه الخير ؟ .

(ب) إن التجارب دلت الإمام عليه السلام على أن فريقاً من الناس راموا الشرف والعزة والرفعة من غير طريق الله تعالى إلا أن آمالهم قد خابت ، وخسروا خسراناً مبيناً ، كما أن قسماً كبيراً من الناس طلبوا الثراء من غير الله ففوجئوا بالفقر والحرمان ، الأمر الذي زاد الإمام عليه السّلام بصيرة ويقيناً إن التعلق

(١) الصحيفة السجادية الدعاء السابع والعشرون .

بغير الله إنما هو عبث وسراب .

(ج) إن الحول والقوة إنما هما بيد الله تعالى ، وأما غيره فهو مرحوم في عمره ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، مختلف حالاته ، آيل أمره إلى الفناء والزوال . . . وهذه الأمور هي التي زهدت الإمام عليه السلام بغير الله .

ثانياً : إنها كشفت عن كمال معرفة الإمام عليه السلام بالله تعالى ، وعميق إيمانه به ، ولم يكن ذلك ناشئاً عن عاطفة أو تقليد ، وإنما كان ذلك قائماً على العلم والعرفان وقد أدلى عليه السلام في صحيفته بكثير من البحوث الكلامية انتهل منها علماء الكلام والفلاسفة المسلمون في ما كتبوه عن واجب الوجود ، ولنستمع إلى قطعة من دعائه عرض فيها إلى عظمة الخالق الحكيم يقول عليه السلام :

« الحمد لله الأول بلا أول كان قبله ، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته ابصار الناظرين ، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين . . . ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً ، واخترعهم على مشيئته اختراعاً . . » وهذه الجهات التي ذكرها الإمام عليه السلام للخالق العظيم من أهم المباحث الكلامية وهي .

(أ) أوليته تعالى من دون أن يكون أول قبله .

(ب) آخريته من دون أن يكون آخر بعده ، وقد دلل على هاتين الجهتين في علم الكلام .

(ج) قصور الأبصار عن رؤيته إذ كيف يستطيع الممكن أن يرى ويبصر تلك القوة الكبرى المكونة والمبدعة لهذا الكون .

(د) عدم استطاعة وصفه ونعته تعالى ، فإنَّ جميع الالفاظ لا تستطيع أن تلّم ببعض أوصافه ونعوته .

(هـ) ابتداعه للخلق وتكوينه لهم من دون أن يكون له شريك في خلقه أو شبيه في عظمته . ولنستمع إلى لوحة أخرى من دعائه في وصف عظمة

الخالق العظيم . قال عليه السلام :

« الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته ، وميز بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً ، وأمداً ممدوداً ، يولج كل واحد منهما في صاحبه ، ويولج صاحبه فيه ، بتقدير منه للعباد ، فيما يغذوهم به ، وينشئهم عليه ، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب ، وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومنامه ، فيكون ذلك لهم جماماً ، وقوة ، ولينالوا به لذة وشهوة ، وخلق لهم النهار مبصراً ليبتغوا فيه من فضله ، وليتسببوا إلى رزقه ، ويسرحوا في أرضه . . »[٢] .

واستدل الإمام الحكيم على عظمة الله تعالى بخلقه لليل والنهار وولوج كل منهما في الآخره ، بحركة خفية لا يملك أحد وقفها ولا ضبطها ، ولا تقسيمها وتحديدها إن دخول الليل في النهار أو دخول النهار في الليل إنما يتم في تدرج وتداخل لا يمكن فيه فرز اللحظات ، وفصل التغيرات . شيئاً فشيئاً يتسرب غبش الليل إلى وضاءة النهار ، وشيئاً فشيئاً يتنفس الصبح فيغياهب الظلام وكلاهما مشهد مكرر[٣] كما ذكر الإمام عليه السلام الحكمة من خلق الليل والنهار ، فقد خلق تعالى اليل ليسكن فيه الانسان من حركات التعب ، ونهضات النصب ، وإن جميع ما يستهلكه الانسان من طاقات في اثناء عمله في النهار يسترده في منامه ، وخلق تعالى النهار ، وجعله مبصراً ليبتغي الانسان فيه من فضله ، ويتسبب إلى رزقه ، ويعمل لاعاشة نفسه وعياله .

لقد احتوت أدعية الإمام عليه السلام على مجموعة من أدلة التوحيد ، وقد دللت على أنه من سادات العارفين بالله والمنيبين له .

ثالثاً : إنها احتوت على كمال الخضوع والتذلل أمام الله تعالى ، وبذلك قد امتازت على بقية أدعية الأئمة الطاهرين عليهم السلام . قال

---

(١) الصحيفة السجادية .

(٢) الصحيفة السجادية .

(٣) في ظلال القرآن ٣/ ٦٥ الطبعة الأولى .

الفاضل الأصفهاني في ديباجة صحيفته : « إن ادعية مولانا زين العابدين عليه السلام على كثرتها قد امتازت عن ادعية باقي المعصومين عليهم السلام بما فيها من أفانين التضرعات ، واظهار التذلل والمسكنة لله تعالى مما ليس في غيرها . . . وأضاف يقول : إن الله تعالى قد خص كل واحد منهم بمزية وخصوصية لا توجد في غيره كالشجاعة في أمير المؤمنين (ع) وابنه الحسين (ع) والرقة والتفجع في أدعية زين العابدين (ع) لاسيما أدعية الصحيفة الكاملة ، المعروفة بين أصحابنا الإمامية تارة بزبور آل محمد ، وأخرى بإنجيل أهل البيت[1] ولنستمع إلى قطعة من بعض أدعيته الشريفة التي يتضرع بها إلى الله ، قال عليه السلام : « رب افحمتني ذنوبي ، وانقطعت مقالتي ، فلا حجة لي ، فأنا الأسير ببليتي ، المرتهن بعملي ، المتردد في خطيئتي ، المتحير عن قصدي ، المنقطع بي ، قد أوقفت نفسي موقف الاذلاء المذنبين ، موقف الاشقياء المتجرئين عليك ، المستخفين بوعدك ، سبحانك أي جرأة اجترأت عليك !!! وأي تغريرٍ غررت نفسي !! مولاي أرحم كبوتي لحر وجهي ، وزلة قدمي ، وعد بحلمك على جهلي ، وباحسانك على اساءتي ، فأنا المقر بذنبي ، المعترف بخطيئتي ، وهذه يدي وناصيتي استكين بالقود من نفسي ، ارحم شيبتي ، ونفاد أيامي ، واقتراب أجلي ، وضعفي ومسكنتي ، وقلة حيلتي ، مولاي ، وارحمني إذا انقطع من الدنيا أثرى ، ومحي من المخلوقين ذكري ، وكنت من المنسيين ، كمن قد نسي ، مولاي وارحمني عند تغير صورتي ، وحالي إذا بلي جسمي ، وتفرقت اعضائي ، وتقطعت أوصالي ، يا غفلتي عما يراد بي .

مولدي وارحمني في حشري ، ونشري ، واجعل في ذلك اليوم مع اوليائك موقفي ، وفي احبائك مصدري ، وفي جوارك مسكني يا رب العالمين . . »[2] ويفيض هذا الدعاء الشريف بالفزع والخوف من الله تعالى ، والانقطاع إليه ، فقد ذاب هذا الإمام العظيم أمام الخالق الحكيم ، وتحبب

---

(١) الصحيفة الخامسة السجادية (ص ١٣ - ١٤) .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء الثاني والخمسون .

إليه ، وعمل كل ما يقربه إليه زلفي طالباً منه المغفرة والرضوان .

رابعاً : إنها فتحت أبواب الأمل والرجاء برحمة الله التي وسعت كل شيء فإن الانسان مهما كثرت ذنوبه وخطاياه لا ينبغي له أن يقنط من رحمة الله تعالى ، وعفوه وكرمه ، يقول الإمام عليه السلام في بعض أدعيته : « إلهي وعزتك وجلالك ، لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك ، ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بكرمك . . . » .

وكثير من أدعية الإمام عليه السلام تفيض بالرجاء الذي يملأ النفس اشراقاً وطمعاً وثقة بعفو الله ومغفرته .

خامساً : إنها فتحت للمناظرات البديعة مع الله تعالى ، وهي مليئة بالحجج البالغة في طلب العفو منه تعالى ، ولنستمع إلى بعضها . يقول عليه السلام :

« إلهي إن كنت لا تغفر إلا لأوليائك وأهل طاعتك ، فإلى من يفزع المذنبون ؟ وإن كنت لا تكرم إلا أهل الوفاء لك فبمن يستغيث المسيئون ؟ إلهي إنك أنزلت في كتابك العفو ، وأمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا ، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا ، فإنك أولى بذلك منا ، وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا ، وقد جئتك سائلاً فلا تردني عن بابك ، وأمرتنا بالاحسان إلا ما ملكت أيماننا ، ونحن أرقاؤك فاعتق رقابنا من النار . . » .

وقال عليه السلام في دعاء آخر له :

« إلهي إني امرؤ حقير، وخطري يسير، وليس عذابي مما يزيد في ملكك مثقال ذرة ولو أن عذابي مما يزيد في ملكك لأحببت أن يكون ذلك لك ، ولكن سلطانك أعظم ، وملكك أدوم من أن تزيده طاعة المطيعين أو تنقصه معصية المذنبين . . » .

وعلق العلامة المغفور له الشيخ محمد جواد مغنية على هذه اللوحة من الدعاء بقوله : « أرأيت دفاعاً أقوى من هذا الدفاع ؟ أو حجة أبلغ من هذه

الحجة ؟ ماذا يصنع الله بعقاب الناس ، ما دام لا ينقص من ملكه ، والعذاب لا يزيد من سلطانه ، وقد احتج الإمام بنفس الشريعة التي كتبها الله على نفسه وعلى الناس أجمعين ، حيث قال عزّ من قائل : « كتب ربكم على نفسه الرحمة . . يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه غفور رحيم » لقد وضع الإمام زين العابدين النقاط على الحروف ، وقدم الأرقام للحاكم العظيم مع التقديس ، وإذا كان قول الله حقاً وصدقاً ، فإن احتجاج الإمام جاء وفقاً لهذا الحق . . »[1] .

سادساً : إن أكثر أدعية الصحيفة قد وضعت برامج للأخلاق الروحية التي يسمو بها الانسان ، كما رسمت آداب السلوك ، وأصول الفضائل النفسية ومن أدعيته قوله عليه السلام :

« اللهم صل على محمد وآله ، وبلغ بإيماني أكمل الإيمان ، واجعل يقيني أفضل اليقين ، وانته بنيتي إلى أحسن النيات ، وبعملي إلى أحسن الأعمال ، اللهم وفر بلطفك نيتي ، وصحح بما عندك يقيني ، واستصلح بقدرتك ما فسد مني .

اللّهم صل على محمد وآله ، واكفني ما يشغلني الاهتمام به ، واستعملني بما تسألني غداً عنه ، واستفرغ أيامي في ماخلقتني له ، واغنني ، وأوسع علي في رزقك ، ولا تفتني بالبطر ، وأعزني ، ولا تبتلني بالكبر ، وعبدني لك ، ولا تفسد عبادتي بالعجب ، وأجر للناس على يدي الخير ، ولا تمحقه بالمن ، وهب لي معالي الأخلاق واعصمني من الفخر .

اللّهم صل على محمد وآله ، ولا ترفعني في الناس درجة ألا حططتني عند نفسي مثلها ، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها اللهم صل على محمد وآله ، ومتعني بهدى صالح لا استبدل به ، وطريقة حق لا أزيغ عنها ، ونية رشد لا أشك فيها ، وعمرني ما كان عمري بذله في طاعتك ، فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني قبل أن

---

(١) معالم الفلسفة الإسلامية (ص ١٩٠ ـ ١٩١) .

يسبق مقتك إلي ، ويستحكم غضبك علي .

اللَّهم لا تدع خصلة تعاب مني إلا أصلحتها ، ولا عائبة اؤنب بها إلا أحسنتها ، ولا اكرومة فيَّ ناقصة إلا أتممتها . . » .

لقد طلب الإمام عليه السلام من الخالق العظيم أن يمنحه كل فضيلة يسمو بها هذا الانسان فقد طلب منه تعالى أن يهبه اكمل الإيمان ، وأفضل اليقين ، ويجعل عمله أحسن الأعمال ، ويستعمله بطاعته ومراضيه ، ويوسع عليه في رزقه ، ولا يبتليه بالبؤس والحرمان ، ولا بالعظمة والكبرياء ، وأن يجعله عبداً مطيعاً له ، خاضعاً له ، وأن يجري الخير على يده للناس ، ولا يمحق احسانه بالمن عليهم ، وأن يهب له معالي الأخلاق ومحاسن الصفات ، وأن لا يرفعه عند الناس درجة إلا ويحط مثلها في نفسه ، لئلا يرى لنفسه تفوقاً على عباد الله . . وأضاف الإمام عليه السلام بعد ذلك قائلاً :

« اللَّهم صل على محمد وآل محمد ، وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح واجزي من هجرني بالبر ، وأثيب من حرمني بالبذل ، واكافي من قطعني بالصلة ، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر ، وأن أشكر الحسنة وأغضي عن السيئة .

اللَّهم صل على محمد وآل محمد ، وحلني بحلية الصالحين ، وألبسني زينة المتقين في بسط العدل ، وكظم الغيظ ، واطفاء النائرة ، وضم أهل الفرقة ، واصلاح ذات البين ، وافشاء العارفة ، وستر العائبة ، ولين العريكة ، وخفض الجناح ، وحسن السيرة ، وسكون الريح ، وطيب المخالقة ، والسبق إلى الفضيلة ، وايثار التفضل ، وترك التعبير والافضال على غير المستحق ، والقول بالحق وإن عز ، واستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعلي ، واستكثار الشر من قولي وفعلي ، واكمل ذلك لي بدوام الطاعة ، ولزوم الجماعة ، ورفض أهل البدع ، ومستعمل الرأي المخترع . . . »[1] .

---

(١) الصحيفة السجادية .

لقد سأل الإمام عليه السلام من الله تعالى أن ينعم عليه بمحاسن الصفات ، ومعالي الاخلاق ، وكل ما يقربه إليه زلفى ، ليعيش موفور الكرامة هادياً للناس ، ومرشداً إلى طريق الحق والصواب .

سابعاً : إنها احتوت على حقائق علمية لم تكن معروفة في عصره ، نذكر منها على سبيل المثال قوله عليه السلام في الدعاء على اعداء المسلمين : « اللهم وامزج مياههم بالوباء ، وأطعمتهم بالأدواء . . »[1] .

لقد أشار الإمام عليه السلام إلى حقيقة علمية اكتشفت في العصور الأخيرة ، وهي أن جراثيم الوباء المعروفة (بالكوليرا) إنما تأتي عن طريق الماء ، فهو الذي يتلوث بجراثيمها ، وبه يصاب من يشربه ، كما أن جراثيم هذا الوباء تنتقل إلى الأطعمة فإذا أكلها الانسان وهي ملوثة بتلك الجراثيم فإنه يصاب بهذا الداء حتماً فالاصابة بهذا الداء الخطير تأتي من طريق الماء والطعام ، ولم تعرف هذه الحقيقة إلاَّ في هذا العصر .

ومن الحقائق العلمية التي احتوت عليها الصحيفة السجادية قوله عليه السلام : « الحمد لله الذي ركب فينا آلات البسط ، وجعل لنا أدوات القبض »[2] .

لقد نظر الإمام عليه السلام إلى اليدين والرجلين اللذين هما من عجائب الأجهزة في جسم الانسان ، فإنهما ينقبضان ، وينبسطان حسب الذبذبات التي يوجهها دماغ الانسان إليهما ، تقول مجلة العلوم الانجليزية : إنَّ يد الانسان في مقدمة العجائب الطبيعية الفذة، وإنه من الصعب جداً ، بل من المستحيل ـ أن تبتكر آلة تضارع اليد البشرية من حيث البساطة والقدرة ، وسرعة التكيف ، فحينما تريد قراءة كتاب تناوله بيدك ، ثم ثبته في الوضع الملائم للقراءة ، وهذه اليد هي التي تصحح وضعه تلقائياً ، وحينما تقلب إحدى صفحاته تضع أصابعك تحت الورقة وتضغط عليها بالدرجة التي تقلبها بها ، ثم يزول الضغط بقلب الورقة ، واليد تمسك القلم ، وتكتب به ،

---

(١) الصحيفة السجادية .

(٢) الصحيفة السجادية : الدعاء الأول .

وتستعمل كافة الآلات التي تلزم الانسان من ملعقة إلى سكين إلى آلة الكتابة ، وتفتح النوافذ ، وتغلقها ، وتحمل كل ما يريده الانسان ، واليدان تشملان على سبع وعشرين عظماً، وتسع عشرة مجموعة من العضلات لكل منهما[1] وقد بحث الطب الحديث بصورة موضوعية وشاملة عن خصائص اليدين وما فيهما من الغرائب التي تدلل على وجود الخالق العظيم .

ثامناً : إنها من أهم الأرصدة الروحية والأخلاقية في الفكر الإسلامي فهي بلسم للنفوس الحائرة ، ومنهل عذب ، يرتوي منها المنيبون والمتقون وهي تمثل فلسفة الدعاء الذي هو معراج المؤمن إلى الله ، والبالغ به إلى أرقى مراتب الكمال ، إذ ليس شيء في هذه الحياة ما هو أسمى من الاتصال بالله تعالى خالق الكون ، وواهب الحياة إنَّ النفوس الحائرة تجد في الدعاء ضالتها المنشودة ، فإنها تشعر بالطمأنينة بعد القلق ، وبالأمل بعد القنوط ، وبالرجاء بعد اليأس . . . إن الدعاء الخالص ليسمو بالانسان إلى عالم الملكوت ، ويجرده من أوضار المادة ، وتبعات الهوى التي تهبط بالانسان إلى مستوى سحيق ماله من قرار ، إن هذه الفلسفة المشرقة من الدعاء قد احتوت عليها ـ بوضوح ـ الصحيفة السجادية الخالدة .

تاسعاً : إن الصحيفة السجادية كانت ثورة على الفساد ، والتسيب والانحلال الذي ساد في ذلك العصر بسبب السياسة الأموية التي أشاعت الفساد والمجون والتحلل بين المسلمين ، وجمدت طاقات الاسلام ، فلم يُر لها أي ظل على واقع الحياة .

لقد كانت الصحيفة السجادية بما تحمل من بنود مشرقة في عالم الفكر والحياة ثورة على الجمود والانحطاط والتخلف الذي كان من متارك الحكم الأموي .

عاشراً : إنها بلغت أرقى مراتب البلاغة والفصاحة ، فلا أكاد أعرف كلاماً عربياً بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة ما هو أبلغ وأفصح من أدعية

---

(١) الله والعلم الحديث .

الإمام زين العابدين عليه السلام ، وقد كان البارز فيها جمال الأسلوب ، وبداعة الديباجة ، ورقة الألفاظ ، فلم يستعمل الإمام الكلمة إلا بعد أن تجمع مقاييس الجمال .

إن للصحيفة السجادية من الخصائص البلاغية ، والمميزات الأدبية ما يعرفها ، ويثمنها أهل الأختصاص من علماء البلاغة ، وقد علق الدكتور حسين علي محفوظ عليها وعلى سائر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام ، قال : وعلى الرغم من أنه ـ أي الدعاء المأثور عن الأئمة ـ نثر فني رائع ، واسلوب ناصع من أجناس المنثور ، ونمط بديع من أفانين التعبير ، وطرق بارعة من أنواع البيان ، ومسلك معجب من فنون الكلام والحق إن ذلك النهج العبقري المعجز من بلاغات النبي (ص) وأهل البيت (ع) التي لم يرق إليها غير طيرهم ، ولم تَسْمُ إليها سوى أقلامهم .

فالدعاء أدب جميل ، وحديث مبارك ، ولغة غنية ، ودين قيم ، وبلاغة عبقرية ، إلهية المسحة ، نبوية العبقة . . »[1] .

وكان من مظاهر الروعة والبلاغة في أدعية الإمام عليه السلام الإطناب في وصف الجنة ، وما فيها من النعم والترف ، والقصور الجميلة ، والسبب في ذلك تشويق الناس ، وترغيبهم باعمال البر والخير لينالوا الجنة ، ويفوزوا بنعيمها ، كما أطنب الإمام عليه السلام في التهويل من أمر النار ، وقساوة العذاب ، وذلك لزجر الناس عن اقتراف الموبقات ، وإبعادهم عن ارتكاب الجرائم والمنكرات ، وقد جارى الإمام بذلك القرآن الكريم الذي أطنب في كثير من آياته في وصف الجنة والنار ، وذلك للأسباب التي المحنا إليها ، وقد نص علماء البلاغة ، على أن الإطناب في ذلك من أرقى مراتب البلاغة ، ومن أروع صورها .

هذه بعض الجهات التي امتازت بها الصحيفة السجادية ، وهي ـ كما ذكرنا ـ من ذخائر التراث الإسلامي ، ومن مناجم كتب التربية والاخلاق .

---

(١) مجلة البلاغ : العدد السادس من السنة الأولى ص ٥٦ .

الاهتمام بها :

واهتمت الأوساط الإسلامية وغيرها اهتماماً بالغاً بالصحيفة السجادية ، وكان من مظاهر هذا الاهتمام ما يلي :

(أ) إن علماء المسلمين ، والصالحين قد واظبوا على الدعاء بها في غلس الليل البهيم ، وفي وضح النهار ، متضرعين بها إلى الله ، وطالبين منه المغفرة والنجاة من النار .

(ب) ولم تقتصر أهمية الصحيفة على العالم العربي ، وإنما تعدت إلى غيره من شعوب العالم ، فقد ترجمت إلى اللغة الانكليزية ، والفارسية والألمانية ، والاردية والفرنسية ، وغيرها . ومن الجدير بالذكر إنها ترجمت إلى اللغة الفارسية عدة مرات ، فقد ترجمها الحاج ميرز أبو الحسن الشعراني ، والسيد صدر الدين البلاغي ، والحاج عماد الدين حسين الاصفهاني ،والشيخ جواد فاضل ، والسيد علي نقي فيض الإسلام ، وقد اتحفوا شعوبهم بهذه الصحيفة التي هي كنز من كنوز الفكر والعلم والحكمة .

(ج) ومما يدلل على مدى أهميتها أن الخطاطين في مختلف العصور الإسلامية انبروا إلى خطها بخط أثري كان في منتهى الروعة ، كما قاموا بزخرفتها زخرفة بديعة ، وقد حفلت بها الكثير من خزائن المخطوطات الإسلامية ، الأمر الذي يكشف عن مدى الاهتمام والاعتزاز بها .

شروحها :

وعكف العلماء على دراسة الصحيفة السجادية ، وشرحها ، وإيضاح مقاصدها ، وقد الفت في ذلك مجموعة من الكتب القيمة ذكرها شيخ المحققين الشيخ أغا بزرك الطهراني ، وفي ما يلي نص ما ذكره :

١ ـ شرح الصحيفة للميرزا ابراهيم بن محمد علي السبزواري المعاصر الملقب (بوثرق الحكماء) المتوفى (١٣٥٨ هـ) وهو شرح فارسي ، عرفاني شرح فيه الغريب ، والجمل المشكلة طبع سنة (١٣٤٢ هـ) .

٢ ـ شرح الصحيفة للميرزا ابراهيم، بن مير محمد معصوم ، بن مير فصيح ، بن مير ، الحسين التبريزي ، القزويني ، المتوفى سنة (١١٤٩ هـ) ذكره ولده السيد حسن في خاتمة المعارج » وقال : إن شرح بعض أدعية الصحيفة . . .

٣ ـ شرح الصحيفة للشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن ، بن محمد ، بن صالح ابن اسماعيل الكفعمي صاحب (المصباح) والمتوفى سنة (١١٩٥هـ) سماه الفوائد الطريفة .

٤ ـ شرح الصحيفة للمولى شريف أبي الحسن بن محمد طاهر بن عبد الحميد الفتوني ، العاملي ، الأصفهاني ، الغروي ، المتوفى في حدود سنة (١١٤٠ هـ) .

٥ ـ شرح الصحيفة فارسي لبعض الأصحاب .

٦ ـ شرح الصحيفة : لبعض الأصحاب يوجد في المكتبة الرضوية .

٧ ـ شرح الصحيفة : لبعض الأصحاب يوجد في المكتبة الرضوية ، لا يعرف عصره .

٨ ـ شرح الصحيفة : للسيد الأجل الميرزا محمد باقر الحسين الفارسي .

٩ ـ شرح الصحيفة : للعلامة محمد باقر المجلسي فارسي مقتصر على الموارد المهمة المشكلة .

١٠ ـ شرح الصحيفة : للعلامة محمد باقر المجلسي لم يتم، اسمه (الفوائد الطريفة) باللغة العربية .

١١ ـ شرح الصحيفة : لبديع الهرندي فارسي سماه (رياض العابدين) .

١٢ ـ شرح الصحيفة : لمحمد تقي بن مقصود .

١٣ ـ شرح الصحيفة : فارسي مجهول المؤلف .

١٤ ـ شرح الصحيفة : للسيد جمال الدين الكوكباني اليماني ، نزيل

الهند ، المتوفى في بغداد سنة (١٣٣٩ هـ) .

١٥ ـ شرح الصحيفة لبعض الأصحاب لا يعرف شخصه لنقص في أول النسخة وآخرها .

١٦ ـ شرح الصحيفة لحبيب الله بن علي مدد الكاشاني ، توجد نسخة منه عند احفاده في كاشان .

١٧ ـ شرح الصحيفة ، للشيخ عباس بن محمد علي البلاغي النجفي صاحب (تنقيح المقال) وهو شرح مزجي الفه في مشهد الرضا عليه السلام بخراسان زائراً ، شرع فيه في غرة جمادي الأولى سنة (١١٠٥هـ) وفرغ منه في رجب من تلك السنة ، ونقله إلى البياض بعد مراجعته إلى اصفهان بمدة

١٨ ـ شرح الصحيفة للميرزا حسن بن المولى عبد الرزاق اللاهيجي صاحب « شمس اليقين » غير تام يقع في ثلاثة مجلدات .

١٩ ـ شرح الصحيفة لتاج الدين حسن بن محمد الأصفهاني ، والد الفاضل الهندي ، يوجد في مكتبة أبي الهدى الكلباسي في اصفهان .

٢٠ ـ شرح الصيغة : فارسي للمحقق الأغا حسين الخوانساري المتوفى سنة (١٠٩٩ هـ) .

٢١ ـ شرح الصحيفة : لحسين بن المولى حسن الجيلاني الاصفهاني ، المتوفى سنة (١١٢٩ هـ) .

٢٢ ـ شرح الصحيفة : على نحو التعليق للسيد حسين بن الحسن بن أبي جعفر محمد الموسوي الكركي .

٢٣ ـ شرح الصحيفة : على نحو التعليق للشيخ عز الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي ، والد الشيخ البهائي المتوفي سنة (٩٨٤ هـ) .

٢٤ ـ شرح الصحيفة : لخليل بن الغازي القزويني ، نسخة منه كانت في مكتبة شيخ الشريعة الأصفهاني في النجف .

٢٥ ـ شرح الصحيفة : للسيد محمد رضا الأعرجي .

٢٦ ـ شرح الصحيفة لرضا علي الطالقاني .

٢٧ ـ شرح الصحيفة لمحمد سليم الرازي .

٢٨ ـ شرح الصحيفة لمحمد صالح بن محمد باقر الروغني ، القزويني فارسي .

٢٩ ـ شرح الصحيفة لمحمد صالح بن محمد باقر الروغني. عربي .

٣٠ ـ شرح الصحيفة : للشيخ عباس بن محمد علي بن محمد البلاغي النجفي .

٣١ ـ شرح الصحيفة : للسيد صدر الدين بن الميرمحمد صالح الطباطبائي جد السادة المدرسين في يزد .

٣٢ ـ شرح الصحيفة للمفتي ميرعباس اللكنهوري يوجد في مكتبة السيد ناصر حسين الكنتوري بلكنهور .

٣٣ ـ شرح الصحيفة : لجمال السالكين عبد الباقي الخطاط التبريزي ، مسهب مبسوط على طريقة الصوفية . كذا ذكره في الرياض .

٣٤ ـ شرح الصحيفة : لعبد الغفار الرشتي من علماء عصر الشاه عباس .

٣٥ ـ شرح الصحيفة : لابن مفتاح أبي الحسن عبد الله بن أبي القاسم ، بن مفتاح الزيدي اليماني .

٣٦ ـ شرح الصحيفة لعبد الله أفندي صاحب رياض العلماء .

٣٧ ـ شرح الصحيفة : لمحمد طاهر بن الحسين الشيرازي نزيل قم .

٣٨ ـ شرح الصحيفة : لصدر الدين علي بن نظام الدين احمد الأشتكي الشيرازي المعروف بالمدني ، والمتوفى سنة (١١٢٠ هـ) اسمه « رياض السالكين » .

٣٩ ـ شرح الصحيفة : للسيد شرف الدين علي بن حجة الله

الشولستاني الحسيني الطباطبائي .

٤٠ ـ شرح الصحيفة : لنور الدين أبي الحسن بن عبد العال الكركي المتوفي سنة (٩٤٠ هـ) .

٤١ ـ شرح الصحيفة لأبي الحسن علي بن الحسن الزواري ، وهذا الشرح فارسي .

٤٢ ـ شرح الصحيفة : للشيخ علي بن الشيخ زين العابدين من احفاد الشهيد الثاني ، وهو شرح مبسوط يشبه تفسير مجمع البيان حيث يذكر الدعاء أولاً ثم اللغة ، ثم الاعراب ، ثم المعنى .

٤٣ ـ شرح الصحيفة : للشيخ علي بن الشيخ أبي جعفر ، وهو أيضاً من احفاد الشهيد الثاني زين الدين ، توجد النسخة في مكتبة السيد محمد المشكاة في طهران .

٤٤ ـ شرح الصحيفة لمحمد علي بن نصير الجهار دهي الرشتي ، النجفي المتوفى سنة (١٣٣٤ هـ) مجلد كبير بالفارسية بعنوان الحاشية .

٤٥ ـ شرح الصحيفة : للشيخ محمد علي بن الحاج سليمان الجشي ، البحراني الخطي تعرض فيه إلى لغاته ، وبيان غريبه ، ولكنه لم يتم .

٤٦ ـ شرح الصحيفة : لفتح الله الخطاط ، الصوفي ، بحث فيه على طريقة التصوف .

٤٧ ـ شرح الصحيفة : للشيخ فخر الدين الطريحي ، النجفي ، المتوفى سنة (١٠٨٥ هـ) اسماه (النكت اللطيفة) .

٤٨ ـ شرح الصحيفة : للميرزا قاضي ، شرح منه أربعة من أدعيتها ، وقد اسماه (التحفة الرضوية) .

٤٩ ـ شرح الصحيفة : ناقص الأول والآخر ، لا يعرف مؤلفه ، يوجد عند الشيخ مهدي شرف الدين في تستر .

٥٠ ـ شرح الصحيفة للسيد محسن بن قاسم بن اسحاق الضغاني الزيدي من أهل القرن الثالث عشر .

٥١ ـ شرح الصحيفة : للسيد محسن بن أحمد الشامي الحسيني اليماني الزيدي ، المتوفي سنة (١٢٥١ هـ) ذكره ابن زيادة في (نشر العرف) المخطوط .

٥٢ ـ شرح الصحيفة لمحمد بن محمد رضا المشهدي مؤلف (كنز الدقائق) يقع في أربعة مجلدات نسخة منه عند السيد شهاب الدين التبريزي في قم .

٥٣ ـ شرح الصحيفة : للسيد أفصح الدين محمد الشيرازي مؤلف (المواهب الإلهية) في شرح نهج البلاغة ، ذكره السيد شهاب الدين في المقدمة التي كتبها للصحيفة المطبوعة .

٥٤ ـ شرح الصحيفة : لمحمد المدعو بعبد الباقي ، ذكر فيه لغات الصحيفة .

٥٥ ـ شرح الصحيفة : للشيخ ابي جعفر محمد بن جمال الدين أبي منصور الحسن ابن الشهيد الثاني ، رحمه الله المتوفى سنة (١٠٣٠ هـ) .

٥٦ ـ شرح الصحيفة : لمحمد بن الحسين بن عبد الصمد ، الحارثي العاملي المتوفي سنة (١٠٣٠ هـ) اسمه (حدائق الصالحين) وهو غير شرحه الآخر الذي هو على غرار التعليق .

٥٧ ـ شرح الصحيفة : لقطب الدين محمد بن علي اللاَّهيجي المولد ، الديلمي المحتد ، شرح موجز فارسي ، وترجمة محتوية على حاصل المعنى ، بعبارات رائقة ، مألوفة ، وفيه تحقيقات دقيقة ، توجد النسخة في مكتبة السيد جلال الدين المحدث في طهران .

٥٨ ـ شرح الصحيفة للسيد محمد بن حيدر الحسيني الطباطبائي ، النجفي المتوفى سنة (١٠٩٩ هـ) من علماء عصر الشاه صفي ، ومن تلاميذ

الشيخ البهائي ، واستاذ العلامة المجلسي .

٥٩ ـ شرح الصحيفة لمحمد المدعو بشاه محمد الاصطهباناتي ، الشيرازي اسماه (رياض العارفين) أو « روضة العارفين » .

٦٠ ـ شرح الصحيفة : أو التعليق عليها للمحدث محمد بن الشاه مرتضى الكاشاني المعروف بالمولى محسن الفيض ، المتوفى سنة (١٠٩١ هـ) وقد طبع .

٦١ ـ شرح الصحيفة للشيخ أبي جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن الشهيد الثاني .

٦٢ ـ شرح الصحيفة لشيخ الإسلام والمسلمين بهاء الملة والدين محمد بن الحسين ابن عبد الصمد ، الحارثي ، العاملي ، المتوفى سنة (١٠٣٠ هـ) اسماه (حدائق الصالحين)[١] .

٦٣ ـ شرح الصحيفة للمحدث السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي ، التستري الجزائري ، المتوفى سنة (١١١٢ هـ) سماه (نور الأنوار) وقد طبع سنة (١٣١٦ هـ) .

٦٤ ـ شرح الصحيفة : أيضاً للسيد نعمة الله الجزائري ، وهو غير (نور الأنوار) بل هو أكبر وأقدم منه .

٦٥ ـ شرح الصحيفة : للفاضل هادي بن المولى محمد صالح بن احمد المازندراني وهو فارسي .

٦٦ ـ شرح الصحيفة للشيخ يعقوب بن ابراهيم البختياري الحوزي ، المتوفى سنة (١٠٥٠ هـ) قال السيد حسن الصدر : رأيته بخطه الشريف .

وبهذا ينتهي ما ذكره المحقق الكبير الشيخ اغابزرك الطهراني من شروح الصحيفة[١] وقد طبع بعد ذلك شرحان للصحيفة وهما :

---

(١) انظر : شرح الصحيفة رقم (٥٦) . الذي ورد آنفاً .

(٢) الذريعة في تصانيف الشيعة ١٣ / ٣٥٤ ـ ٣٥٩ .

٦٧ ـ شرح الصحيفة للعلامة المغفور له الشيخ محمد جواد مغنية طبع في بيروت .

٦٨ ـ شرح الصحيفة لسماحة الحجة السيد محمد الشيرازي طبع في كربلاء المقدسة هذه بعض شروح الصحيفة السجادية ، وهي تمثل مدى اهتمام العلماء بها في مختلف العصور ، وقد وجدوا فيها كنوزاً من العلم والحكمة والعرفان ، وإنها من أهم الثروات الفكرية في الإسلام بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة .

ملحقاتها :

وتحتوي الصحيفة السجادية التي رويت عن الإمام أبي جعفر عليه السلام وأخيه الشهيد العظيم زيد بن علي عليه السلام على ثلاثةٍ وخمسين دعاء لا تؤلف مجموع الصحيفة إذ سقطت منها بعض الأدعية ـ كما ذكر ذلك في مقدمتها ـ وقد عكف العلماء على البحث عن باقي الأدعية فظفروا بطائفة منها ، والحقوها بالصحيفة السجادية ، وفي ما يلي اسماء تلك الملحقات مع اسماء مؤلفيها .

الصحيفة الأولى : جمعها المحدث الحر العالمي صاحب (وسائل الشيعة) المتوفى سنة (١١٠٤ هـ) وقد استخرجها من الأصول المعتمدة عنده، وكتب آخرها: « يقول العبد محمد بن الحسن بن علي بن محمد الحر العاملي ، عفا الله عنه ، هذا ما وصل إلي مما خرج عن الصحيفة الكاملة . . »[1] وتحتوي الصحيفة على ثلاثةٍ وستين دعاءً .

الصحيفة الثانية : للفاضل عبد الله بن الميرزا عيسى بن محمد بن صالح الاصفهاني المعروف بالأفندي مؤلف « رياض العلماء » وقد استدرك فيها ما فات الحر العاملي ، وقد طبعت على الحجر[2] .

---

(١) الذريعة في تصانيف الشيعة ١٨/١٥ روضات الجنات ٩٧/٧ .
(٢) اعيان الشيعة ٤/ق ١/ ٥٠٠ .

الصحيفة الثالثة : للميرزا حسين النوري ، وقد استدرك فيها ما فات الميرزا عبد الله جامع الصحيفة الثانية ، وقد جمع سبعاً وسبعين دعاءً غير مذكورة في سائر الصحائف[1] .

الصحيفة الرابعة : للمحقق الكبير السيد محسن العاملي ، وقد استدرك فيها الصحائف السابقة ، ومجموع أدعيتها مائة واثنان وثمانين (١٨٢) دعاءً انفرد منها باثنين وخمسين دعاءً[2] .

الصحيفة الخامسة : جمعها الشيخ محمد صالح بن الميرزا فضل الله المازندراني الحائري[3] .

من ملحقاتها :

وقد ظفرنا بمجموعة من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام لم تدون في الصحيفة الأم وهي :

دعاؤه بحسن السريرة :

ومن ادعيته هذا الدعاء الشريف : « اللَّهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوامع العيون علانيتي ، وتقبح سريرتي ، أللَّهم كما أسأت ، وأحسنت إلي فإذا عدت فعد علي . . »[4] .

لقد طلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يحسن سريرته ، ودخائل نفسه ، واستعاذ به من أن يحسن علانيته ظاهراً أمام الناس دون أن يمتَّ ذلك إلى الواقع بصلة ، كما طلب منه تعالى أن يعود عليه بالمغفرة والرضوان إن عاد إلى إحدى رغباته النفسية .

---

(١) الذريعة ١٥/١٩ .

(٢) الذريعة ١٥/١٩ .

(٣) الذريعة ١٥/١٩ .

(٤) صفة الصفوة ٢/٥٢ درر الابكار (ورقة ٧٠) سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٧ العقد الفريد ٣/١٥٥ وزاد فيه « وارزقني مواساة من قترت عليه رزقه بما وسعت علي . » .

دعاؤه إذا نزلت به فاقة :

كان الإمام عليه السلام يدعو بهذا الدعاء الجليل إذا نزلت به فاقة أو خاف من أمر ، وكان يوصي أولاده بالدعاء به ، وذلك عقيب صلاة أربع ركعات أو ركعتين ، وهذا نصه :

« يا موضع كل شكوى ، يا سامع كل نجوى ، يا شافي كل بلوى ، يا عالم كل خفية ، ويا كاشف ما يشاء من كل بلية، أدعوك دعاء من اشتدت فاقته ، وضعفت قوته ، وقلت حيلته ، دعاء الغريب ، الغريق ، الفقير، الذي لا يكشف ما هو فيه إلا أنت يا أرحم الراحمين ، لا إله إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين . . . » .

وكان يقول : لا يدعو أحد بهذا الدعاء إلا فرج الله عنه[1] وقد مثل هذا الدعاء مدى اعتصام الإمام بالله والتجائه إليه ، فقد أيقن أن الله تعالى وحده هو القادر على كشف الضراء ، والبأساء ، فليس هناك أية قوة تستطيع أن تغير بؤس الانسان وشقاءه سوى الله تعالى .

دعاؤه في الالتجاء إلى الله :

ومن أدعيته الشريفة هذا الدعاء ، وقد رواه عنه زيد بن اسلم ، وهذا نصه : « اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها ، ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني . . »[2] .

لقد طلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن لا يكله إلى نفسه لأن النفس إمارة بالسوء ، ولا إلى المخلوقين ، فإنه مدعاة إلى تضييعه وتحقيره ، أما الايكال إلى الله فإنه سبب الفلاح والنجاح في الدارين .

---

(١) أخبار الدول (ص ١٠٩) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٩٢) .
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/٢٦٦ ، سير اعلام النبلاء ٤/٢٣ تاريخ دمشق ٣٦/١٥٢ .

دعاؤه بالمغفرة والتوبة :

وكان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء طالباً منه المغفرة والتوبة : « يا من ذكره شرف للذاكرين ، ويا من شكره فوز للشاكرين ، ويا من طاعته نجاة للمطيعين ، اشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر ، وألسنتنا بشكرك عن كل شكر ، وجوارحنا بطاعتك عن كل طاعة ، فإن قدرت لنا فراغاً عن شغل ، فاجعله فراغ سلامة ، لا تدركنا فيه تبعة ، ولا تلحقنا فيه سيئة حتى ينصرف إليك كتاب السيئات عنا بصحف خالية من ذكر سيئاتنا ، ويتولى كتاب الحسنات عنا مسرورين ، بما كتبوا من حسناتنا ، فإذا انقضت أيام حياتنا ، وتصرمت مدد اعمارنا ، واستحضرتنا دعوتك التي لا بد من إجابتها ، فاجعل ختام ما تحصي علينا الكتبة توبة مقبولة ، لا نوقف بعدها على ذنب اجترحناه ، ولا معصية اقترفناها ، ولا تكشف عنا ستراً سترته على رؤوس الاشهاد ، ويوم أخبار العباد إنك رحيم بمن دعاك ، مستجيب لمن ناداك »[1] .

وتضرع الإمام عليه السلام إلى الله تعالى سائلاً منه أن يسخر قلبه ولسانه وجميع جوارحه في ذكره وعبادته ، وأن يجعل نهاية المطاف من حياته التوبة الخالصة المقبولة .

دعاؤه في الصلاة على النبي :

ومن أدعيته الشريفة هذا الدعاء ، وكان يدعو به في الصلاة على جده الرسول الأعظم (ص) وهذا نصه : « يا دائم ، يا ديوم ، يا حي ، يا قيوم ، يا كاشف الغم ، يا فارج الهم ، يا باعث الرسل ، ويا صادق الوعد ، صل على محمد وآل محمد ، وافعل بي ما أنت أهله . . »[2] .

دعاؤه عند استجابة دعائه :

كان الإمام عليه السلام يدعو بهذا الدعاء عند استجابة دعائه: « اللهم قد

---

(١) دعوات القطب الراوندي (ص ٤٩) مخطوط .

(٢) الجُنة الواقية ، والجنة الباقية للكفعمي من مخطوطات مكتبة السيد الحكيم : تسلسل (١٢٧٢) .

أكدى الطلب[1] واعيت الحيلة إلا عندك ، وضاقت المذاهب ، وامتنعت المطالب ، وعسرت الرغائب ، وانقطعت الطرق إلا إليك ، وتصرمت الآمال ، وانقطع الرجاء إلا منك ، وخابت الثقة ، واخلف الظن إلا بك .

اللّهم إني أجد سُبل المطالب إليك منهجه ، ومناهل الرجاء إليك مفتحة واعلم أنك لمن دعاك بموضع إجابة ، وللصارخ إليك بمرصد إغاثة ، وأن القاصد إليك لقريب المسافة منك ، ومناجاة العبد إياك غير محجوبة عن استماعك ، وأن في التلهف إلى جودك ، والرضا لعدتك والاستراحة إلى ضمانك عوضاً عن منع الباخلين ، ومندوحة عما في أيدي المستأثرين ، ودركاً من ختل[2] المواربين[3] فلا إلّه إلا أنت ، فاغفر ما مضى من ذنوبي ، واعصمني في ما بقي من عمري ، وافتح لي أبواب رحمتك وجودك التي لا تغلقها عن احبائك ، واصفيائك يا أرحم الراحمين . . »[4] .

لقد تمسك الإمام عليه السلام بالله ، واعتصم به ، وانقطع إليه ، وتعلقت به جميع رغائبه وآماله وأمانيه ، فقد أيقن عليه السلام أن الالتجاء إلى غير الله إنما هو من الوهن والضعف لأنه أخذ بالوهم ، وسعي وراء السراب .

دعاؤه عند وضع الطعام ورفعه :

كان عليه السلام إذا وضع الطعام بين يديه يدعو بهذا الدعاء « اللهم هذا من منّك وفضلك ، وعطائك ، فبارك لنا فيه ، وسوغناه ، وارزقنا خلفاً إذا أكلناه ، ورب محتاج إليه ، رزقت فاحسنت ، اللهم واجعلنا من الشاكرين . . » .

وإذا رفع الخوان عنه دعا بهذا الدعاء : « الحمد لله الذي حملنا في البر

---

(١) أكدى الطلب : أي لم يظفر الطلب ببلوغ الحاجة .
(٢) الختل : اقبح الغدر .
(٣) المواربين : جمع موارب وهو المخاتل .
(٤) دعوات القطب الراوندي (ص ٢٧) .

والبحر ورزقنا من الطيبات ، وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً . . . »[1] .

لقد كان الإمام عليه السلام مشغولاً بذكر الله في جميع أوقاته ، لا يفتر ولا يتخلى عنه .

دعاؤه في تفويض أمره إلى الله :

ومن أدعيته هذا الدعاء الجليل : « بسم الله ، وبالله ، وفي سبيل الله ، وبالله ، ومن الله ، وإلى الله ، وعلى ملة رسول الله (ص) ، أللّهم إني اسلمت نفسي إليك ، وفوضت أمري إليك ، ووجهت وجهي إليك ، والجأت ظهري إليك ، اللهم احفظني بحفظ الإيمان من بين يدي ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، ومن تحتي ، فادفع عني بحولك وقوتك ، ولا حول ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . . »[2] .

لقد اسلم الإمام نفسه إلى الله ، وفوض إليه أموره معتصماً به ، ومتمسكاً بحبله وموقناً أن لا حول ، ولا قوة إلا به .

دعاؤه في الاستعاذة من غضب الله :

وكان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء الجليل في الاستعاذة من غضب الله تعالى : « اللهم من أنا حتى تغضب علي ؟ فوعزتك ما يزين ملكَكَ إحساني ، ولا تقبحه اساءتي ،ولا ينقص من خزائنك غناي ، ولا يزيد فيها فقري . . »[3] .

دعاؤه إذا آوى إلى فراشه :

وكان عليه السلام إذا آوى إلى فراشه دعا بهذا الدعاء : « اللّهم أنت الأول فلا شيء قبلك ، وأنت الظاهر فلا شيء فوقك ، وأنت الباطن فلا شيء

---

(١) فروع الكافي ٦/٢٩٤ .

(٢) قرب الاسناد للحميري (ص ٣) .

(٣) بحار الأنوار ٤٦/١٠١ .

دونك ، وأنت الآخر فلا شيء بعدك ، أللّهم رب السموات السبع ، ورب الأرضين السبع ، ورب التوراة والانجيل والزبور ، والقرآن الحكيم ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إنك على صراط مستقيم . . »[1] .

دعاؤه في دفع ما يخاف :

وكان عليه السلام إذا خاف شيئاً دعا بهذا الدعاء لصرفه عنه : « إلّهي إنه ليس يرد غضبك إلا حلمك ، ولا ينجي من عقابك إلا عفوك ، ولا يخلص منك إلا رحمتك ، والتضرع إليك ، فهب يا إلّهي فرجاً بالقدرة التي بها تحيي ميت البلاد وبها تنشر أرواح العباد ، ولا تهلكني ، وعرفني الإجابة يا رب ، وارفعني ، ولا تضعني وانصرني ، وارزقني ، وعافني من الآفات ، يا رب إن ترفعني ، فمن يضعني ؟ وإن تضعني فمن ذا الذي يرفعني ؟ وقد علمت يا إلّهي أن ليس في حكمك ظلم ، ولا في نقمتك عجلة ، إنما يعجل من يخاف الفوت ، ويحتاج إلى الظلم الضعيف ، وقد تعاليت يا سيدي عن ذلك علواً كبيراً ، فلا تجعلني للبلاء غرضاً ، ولا لنقمتك نصباً ، ومهلني ونفسي ، وأقلني عثرتي ، ولا تتبعني ببلاء على أثر بلاء ، فقد ترى ضعفي ، وقلة حيلتي ، فصبرني فإني يا رب ضعيف ، متضرع إليك يا رب أعوذ بك منك ، واستجير بك من كل بلاء فأجرني ، واستتر بك فاسترني ، يا سيدي مما أخاف ، واحذر ، وأنت العظيم أعظم من كل عظيم بك استترتِ ، يا الله صل على محمد وآله الطيبين ، وسلم تسليماً كثيراً . . »[2] .

هذه بعض اللقطات من ملحقات الصحيفة السجادية ، ومن أراد المزيد منها فعليه بمراجعة الملحقات الخمسة في الصحيفة ، ومصباح الكفعمي ، ومصباح الطوسي ، ومهج الدعوات ، وغيرها من كتب الادعية .

نماذج رائعة من الصحيفة :

وما دمنا مشغولين بالبحث عن الصحيفة السجادية نعرض لبعض

---

(١) فلاح السائل لابن طاووس .

(٢) الصحيفة السجادية للحر العاملي (ص ١٥٩ - ١٦٠) .

جواهرها التي لا تثمن ، والتي فاقت كل وصف في مستواها الفكري ، والفني ، وفي ما يلي ذلك .

دعاؤه في الصلاة على النبي :

كان الإمام عليه السلام يدعو بهذا الدعاء الجليل ، وقد عرض فيه إلى جهود جده الرسول الأعظم (ص) وما عاناه من المشاق في سبيل الدعوة الإسلامية ، واعلاء كلمة الله في الأرض ، وهذا نصه :

« الحمد لله الذي منَّ علينا بمحمد نبيه صلى الله عليه وآله ، دون الأمم الماضية والقرون السالفة ، بقدرته التي لا تعجز عن شيء ، وإن عظم ، ولا يفوتها شيء وإن لطف ، فختم بنا على جميع من ذرأ [١] وجعلنا شهداء على من جحد ، وكثرنا بمنه على من قل ، أللّهم فصل على محمد أمينك على وحيك ونجيبك[٢] من خلقك وصفيك من عبادك ، إمام الرحمة ، وقائد الخير ، ومفتاح البركة ، كما نصب لأمرك نفسه ، وعرض فيك للمكروه بدنه ، وكاشف في الدعاء إليك حامَّته[٣] وحارب في رضاك أسرته ، وقطع في إحياء دينك رحمه ، وأقصى الأدنين على جحودهم ، وقرب الأقصين على استجابتهم لك ووالى فيك الأبعدين ، وعادى فيك الأقربين ، وأدأب نفسه[٤] في تبليغ رسالتك ، وأتعبها بالدعاء إلى ملتك ، وشغلها بالنصح لأهل دعوتك ، وهاجر إلى بلاد الغربة[٥] ومحل النأي عن موطن رحله ، وموضع رجله[٦] ومسقط رأسه ، ومأنس نفسه ، إرادة منه لاعزاز دينك ، واستنصاراً على أهل الكفر بك ، حتى استتب له ما حاول في اعدائك ، واستتم له ما دبر في أوليائك[٧]

---

(١) ذرأ : خلق .

(٢) النجيب : المختار .

(٣) حامته : خاصته وعشيرته .

(٤) أدأب نفسه : أي أتعبها .

(٥) عرض الإمام إلى هجرة النبي (ص) تارة إلى الطائف وأخرى إلى يثرب من أجل نشر الإسلام .

(٦) موضع رجله : أي موضع قدمه .

(٧) كان تدبير النبي لأولياء الله اظهار عزتهم وكرامتهم .

فنهد إليهم[1] مستفتحاً بعونك ، ومتقوياً على ضعفه بنصرك ، فغزاهم في عقر ديارهم ، وهجم عليهم في بحبوحة قرارهم[2] حتى ظهر أمرك ، وعلت كلمتك ، اللّهم فادفعه بما كدح فيك[3] إلى الدرجة العليا من جنتك حتى لا يساوى في منزلة ، ولا يكافأ في مرتبة ، ولا يوازيه لديك ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وعرفه في أهله الطاهرين ، وأمته المؤمنين ، من حسن الشفاعة أجل ما وعدته ، يا نافذ العدة ، يا وافي القول ، يا مبدل السيئات باضعافها من الحسنات ، إنك ذو الفضل العظيم . . »[4] .

لقد عرض الإمام عليه السلام إلى ما عاناه جده الرسول الأعظم (ص) من المشاق والمتاعب في سبيل نشر الإسلام ، واعلاء كلمة التوحيد ، والتي كان منها إجماع مشركي أرحامه وقومه على مناهضته واخماد دعوته ، واعلانهم الحرب عليه ، وقد نبذهم النبي (ص) واتصل بالابعدين نسباً كعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبي ذر فكانوا الصق الناس به ، وأقربهم إليه ، وأدناهم منه ، ومن جملة المتاعب التي عاناها النبي (ص) هجرته إلى الطائف ، وإلى يثرب ومعاناته في تلك الهجرة لأنواع مريرة من الأذى والاضطهاد ولكن الله تعالى قد أعزه ونصره فأظهر أمره ، وأعلى شأنه ، وأعزه ، فقد غزا المشركين في عقر دارهم ، وأباد رؤوسهم وضروسهم ، وقام الإسلام على سوقه عبل الذراع ، قوي الساعد ، ولم تعد أية قوة في الأرض قادرة على مناهضته ، وكان ذلك هو النصر المبين للإسلام .

دعاؤه لاتباع الرسل :

وأشار الإمام عليه السلام في هذا الدعاء باتباع الرسل ومصدقيهم ، وعرض بعد ذلك لأصحاب جده الرسول الأعظم (ص) الذين ناصروا الإسلام في أيام محنته وغربته .

---

(١) نهد إليهم : أي نهض إليهم .

(٢) بحبوحة قرارهم : أي في وسط قرارهم ومحل إقامتهم .

(٣) كدح : تعب .

(٤) الصحيفة السجادية . الدعاء الثاني .

قال عليه السلام :

« اللهم واتباع الرسل ومصدقوهم من أهل الأرض بالغيب عند معارضة المعاندين لهم بالتكذيب ، والاشتياق إلى المرسلين بحقائق الإيمان في كل دهر وزمان ارسلت فيه رسولاً ، وأقمت لأهله دليلاً من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله ، من أئمة الهدى ، وقادة أهل التقى على جميعهم السلام ، فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان . . » .

وأثنى الإمام عليه السلام ثناءً عاطراً على اتباع الرسل ومصدقيهم من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء وسيدهم النبي محمد (ص) وهم الذين يمثلون واقع الإيمان فقد آمنوا بالله ، وصدقوا رسله بما أنبأوهم به من الكائنات الغيبية ، ولم يلتفتوا إلى دعاية القوى المعادية لهم ، بل ناهضوهم ، وناجزوهم ولنستمع بعد هذا لى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف يقول عليه السلام : « اللهم واصحاب محمد خاصة الذين احسنوا الصحابة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكانفوه[1] واسرعوا إلى وفادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث اسمعهم حجة رسالاته وفارقوا الأزواج والأولاد في اظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته ، وانتصروا به ، ومن كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته ، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته ، فلا تنس لهم اللّهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك ، ربما حاشوا[2] الخلق عليك ، وكانوا مع رسولك دعاةً لك إليك ، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم ، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ، ومن كثرت في اعزاز دينك من مظلومهم . . . » .

وفي هذه القطعة اشاد الإمام عليه السلام بأصحاب جده الرسول الأعظم (ص) الذين احسنوا الصحبة ، وأبلوا البلاء الحسن في نصرة الاسلام والذب

---

(١) كانفوه : أي اعانوه .

(٢) حاشوا : أي جمعوا .

عن مبادئه ، وقد آمنوا بـه إيمانـاً لا يخامـره أدنى شك ، وقـد عانـوا في سبيله أنواعاً مريرة وشاقة ، والتي كان منها .

١ ـ نبذُهم أزواجهم وأولادهم من الذين لم يؤمنوا بالإسلام .

٢ ـ مقـاتلتهم آباءهم وابنـاءهم من الذين نـاهضوا الإسـلام ، يتاجـرون بذلك تجارة مع الله لن تبور .

٣ ـ هجران عشائرهم لهم على اعتناقهم للإسلام ، ودعمهم للنبي (ص).

٤ ـ معاناتهم لضائقة اقتصادية بسبب الإسـلام ، هذه بعض الأمـور التي عاناها أصحاب النبي (ص) المجاهدون ، ولنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء .

« اللهم وأوصل إلى التابعين لهم باحسان ، الذين يقولون : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان » خير جزائك الـذين قصدوا سمتهم، وتحـروا وجهتهم ومضوا على شاكلتهم ، لم يثنهم ريب في بصيـرتهم ، ولم يختلجهم شـك في قفو آثـارهم ، والإئتمام بهـداية منـارهم ، مكانفين ومـوازرين لهم ، يدينون بـدينهم ، ويهتدون بهـديهم ، يتفقون عليهم ، ولا يتهمونهم في ما أدوا إليهم .

اللهم وصل على التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدين ، وعلى أزواجهم وعلى ذريـاتهم ، وعلى من أطاعـك منهم صلاة تعصمهم بهـا من معصيتك ، وتفسح لهم في رياض جنتـك ، وتمنعهم بها من كيـد الشيطان ، وتعينهم بهـا على ما استعانوك عليه من بر ، وتقيهم طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يـطرق بخير ، وتبعثهم بها على اعتقاد حسن الرجاء لك ، والطمع في ما عندك ، وترك النهمة في ما تحويه أيدي العباد ، لتردهم إلى الرغبة إليك ، والـرهبة منـك ، وتزهدهم في سعـة العاجـل ، وتحبب إليهم العمل لـلآجل ، والاستعـداد لما بعـد المـوت ، وتهـون عليهم كـل كـرب يحـل بهم يـوم خـروج الأنفس من أبـدانها ، وتعـافيهم مما تقـع به الفتنـة من محذوراتهـا ، وكبة النـار ، وطـول

الخلود فيها ، وتصيرهم إلى امن من مقيل المتقين . . . »[1] .

وطلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يصلي على التابعين باحسان لاصحاب النبي (ص) وهم الذين لم يروه ، وآمنوا به في اعماق نفوسهم فساروا على الخط الذي سار عليه اصحابه ، لم يثنهم ريب ، ولم يختلجهم شك في الاقتداء بهم ، والسير على هديهم ، فرفعوا منار التوحيد ، واذاعوا بين الناس مبادىء هذا الدين وقيمه ، وقد دعا لهم الإمام بما يلي .

١ ـ العصمة من اقتراف المعاصي .
٢ ـ الوقاية لهم من كيد الشيطان الرجيم .
٣ ـ الاعانة لهم على البر والتقوى .
٤ ـ وقايتهم من طوارق اليل والنهار .
٥ ـ أن يمنحهم الله حسن الرجاء به ليستغنوا عما في أيدي الناس .
٦ ـ أن يهبهم تعالى الزهد في الدنيا ، ويجبب لهم العمل لدار الآخرة

هذه بعض محتويات دعائه إلى التابعين لاصحاب جده الرسول (ص) .

دعاؤه لنفسه ولأهل ولايته :

ومن غرر أدعية الإمام عليه السلام هذا الدعاء الجليل ، وكان يدعو به لنفسه ولأهل ولايته :

« يا من لا تنقضي عجائب عظمته ، صل على محمد وآله ، واحجبنا عن الالحاد في عظمتك ، ويا من لا تنتهي مدة ملكه ، صل على محمد وآله ، واعتق رقابنا من نقمتك ، ويا من لا تفنى خزائن رحمته ، صل على محمد وآله ، واجعل لنا نصيباً في رحمتك ، ويا من تنقطع دون رؤيته الابصار ، صل على محمد وآله ، وادننا إلى قربك ، ويا من تصغر عند خطره الاخطار[2] صل على محمد وآله ، وكرمنا عليك[3] ويا من تُظهر عنده بواطن

(١) الصحيفة السجادية الدعاء الرابع .
(٢) أراد الإمام أن عند عظمة الله تعالى تصغر عظمة العظماء ، فإنها إذا قيست بعظمته تعالى تكون لا شيء .
(٣) كرمنا عليك : أي اجعلنا كرماءً عندك .

الأخبار صل على محمد وآله ، ولا تفضحنا لديك ، اللهم اغننا عن هبة الوهابين بهبتك ، واكفنا وحشة القاطعين بصلتك، حتى لا نرغب إلى أحد مع بذلك[1] ولا نستوحش من أحد مع فضلك ، اللهم فصل على محمد وآله ، وكد لنا ولا تكد علينا[2] وأمكر لنا ، ولا تمكر بنا[3] وأدِلْ لنا ، ولا تدِلْ منا[4] اللهم صل على محمد وآله وقنا منك[5] واحفظنا بك ، واهدنا إليك ، ولا تباعدنا عنك ، إن من تَقِهِ يسلمْ[6] ومن تهده يعلم، ومن تقربه إليك يغنم، اللهم فصل على محمد وآله ، واكفنا حد نوائب الزمان ، وشر مصائد الشيطان ، ومرارة صولة السلطان . . » .

لقد بدأ الإمام عليه السلام ـ في هذه القطعة ـ بالثناء على الخالق العظيم ثم سأله أن يجنبه الالحاد في عظمته التي بها يخرج الانسان عن انسانيته ، وتدرج بعد ذلك بذكر عظمة الله تعالى ، والطلب إليه أن يسدي عليه الطافه ونعمه وأن يغنيه بهبته عن هبة الواهبين ، وبصلته عن وحشة القاطعين ، وأن يكفيه نوائب الزمان ، وينقذه من شر مصائد الشيطان ، ومرارة صولة السلطان ، وقد حفلت هذه القطعة بأفخم الالفاظ ، وأروع البيان وهي من أجمل القطع البلاغية في الأدب العربي ، ولنستمع إلى مقطع آخر من هذا الدعاء .

« اللهم إنما يكتفي المكتفون بفضل قوتك ، فصل على محمد وآله ، واكفنا ، وإنما يعطي المعطون من فضل جِدَتِكَ ، فصل على محمد وآله ، وأعطنا ، وإنما يهتدي المهتدون بنور وجهك فصل على محمد وآله ، واهدنا ، اللّهم إنك من واليت لم يضرره خذلان الخاذلين ، ومن اعطيت لم

---

(١) البذل : العطاء .

(٢) كدلنا : أي هيء لنا الأسباب لرفعتنا ، ولا تكد علينا : أي لا تهيء الاسباب لذلنا .

(٣) وامكر لنا : المكر ـ في اللغة ـ معالجة الاسباب الخفية للوصول إلى المسببات المرغوبة والمراد ولا تمكر بنا أي لا تمكر لضعتنا وهواننا .

(٤) وأدل لنا : أي اصراف دولة الاعداء إلينا « ولا تدل منا » : أي لا تأخذ الدولة منا .

(٥) وقنا منك : أي احفظنا من جانبك .

(٦) أن من تقه يسلم أي من تحفظه يسلم من الآفات .

ينقصه منع المانعين ، ومن هديت لم يغوه اضلال المضلين ، فصل على محمد وآله ، وامنعنا بعزك من عبادك ، واغننا عن غيرك بارفادك[1] واسلك بنا سبيل الحق بارشادك ، اللهم صل على محمد وآله واجعل سلامة قلوبنا في ذكر عظمتك ، وفراغ أبداننا في شكر نعمتك ، وانطلاق السنتنا في وصف منتك ، اللهم صل على محمد وآله ، واجعلنا من دعاتك الداعين إليك وهداتك الدالين عليك ، ومن خاصتك الخاصين لديك ، يا أرحم الراحمين . . »[2] .

يا لروعة الإيمان ، يا لجلال المحبة في الله !! أرأيتم كيف ذاب هذا الإمام في مودته واخلاصه لله فقد آمن بأن جميع مجريات الأحداث بيد الله تعالى ، ولا حول ولا قوة لغيره ، فلذا عقد آماله ورجاءه به لا بغيره .

دعاؤه في الصباح والمساء :

ومن أجل أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام هذا الدعاء الشريف ، وكان يدعو به صباحاً ومساءً ، وهو حافل بالأدلة الوثيقة على وجود الخالق العظيم ، وعلى عظيم قدرته ، وهذا نصه :

« الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته ، وميزَّ بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً ، وأمداً ممدوداً ، يولج كل واحد منهما في صاحبه ، ويولج صاحبه فيه ، بتقدير منه للعباد في ما يغذوهم به ، وينشئهم عليه ، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ، ونهضات النصب ، وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومنامه ، فيكون ذلك لهم جماماً[3] وقوة ، ولينالوا به لذة وشهوة، وخلق لهم النهار مبصراً ليبتغوا فيه من فضله ، وليتسببوا إلى رزقه ، ويسرحوا في أرضه ، طلباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم ، ودرك الآجل في أخراهم ، بكل ذلك يصلح شأنهم ، ويبلو أخبارهم ، وينظر كيف

---

(١) أرفادك : أي عطائك .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء الخامس .

(٣) جماماً أي راحة .

هم في أوقات طاعته ومنازل فروضه ، ومواقع احكامه ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى . . . » .

أما هذه فإنها من بنود أدلة التوحيد الإسلامي القائم على الفكر والحس ، فليس الإيمان بالله ـ في الإسلام ـ ظاهرة تقليدية أو نزعة عاطفية ، وإنما هو قائم على أوثق الدولة ، واكثرها وعياً واصالة .

لقد نظر الإمام الحكيم ـ في هذه اللوحة ـ إلى الكون والحياة ، فأقام إيمانه العميق بالله على ذلك ، نظر إلى الليل والنهار القائمين على مسيرة مرتبة مذهلة ، أعلن عنها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ من الذي رتب هذه المسيرة وابدعها ، وقدرها بتلك الدقة المحيرة التي لا تتجاوز ما قدر لها قيد شعرة ، بل ولا قدر ثانية . . . إنه الله الخالق العظيم ، الواهب للحياة .

وذكر الإمام عليه السلام الفوائد الحياتية للانسان بمسيرة الليل والنهار فقد خلق تعالى الليل ليسكن فيه الانسان من حركات التعب ، ونهضات النصب وجعله تعالى لعباده لباساً ليلبسوا فيه الراحة والقوة . . . أما النهار فقد خلقه الله مبصراً وضياءاً ليبتغي فيه الانسان من فضله تعالى ورزقه فيزرع أو يعمل ، أو يتجر ، وغير ذلك مما يدر عليه بالرزق ، لتستمر حياته على هذه الأرض التي يعيش عليها، ولنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف.

« اللهم فلك الحمد على ما فلقت لنا من الإصباح ، ومتعتنا به من ضوء النهار وبصرتنا من مطالب الأقوات ، ووقيتنا فيه من طوارق الآفات ، أصبحنا ، وأصبحت الأشياء كلها بجملتها لك سماؤها وأرضها ، وما بثت في كل واحد منهما ساكنه ومتحركه ، ومقيمه وشاخصه[1] وما علا في الهواء ساكنة ومتحركة ، وما كُنَّ تحت الثرى، أصبحنا في قبضتك يحوينا ملكك وسلطانك ، وتضمنا مشيئتك ، ونتصرف عن أمرك ، ونتقلب في تدبيرك ، ليس لنا من الأمر إلا ما قضيت ، ولا من الخير إلا ما أعطيت ، وهذا يوم حادث

---

(١) الشاخص : المسافر .

جديد ، وهو علينا شاهد عتيد[1] إن احسنا ودعنا بحمد ، وإن أسأنا فارقنا بذم .

أللّهم صل على محمد وآله ، وارزقنا حسن مصاحبته ، واعصمنا من سوء مفارقته بارتكاب جريرة ، أو اقتراف صغيرة أو كبيرة ، وأجزل لنا فيه من الحسنات ، واخلنا فيه من السيئات ، واملأ لنا ما بين طرفيه حمداً وشكراً ، واجراً وذخراً ، وفضلاً واحساناً ، اللهم يسر على الكرام الكاتبين[2] مؤونتنا ، واملأ من حسناتنا صحائفنا ولا تخزنا عندهم بسوء أعمالنا ، اللهم اجعل لنا في كل ساعة من ساعاته حظاً من عبادك[3] ، ونصيباً من شكرك ، وشاهد صدق من ملائكتك ، أللّهم صل على محمد وآله ، واحفظنا من بين أيدينا ، ومن خلفنا ، وعن أيماننا ، وعن شمائلنا ، ومن جميع نواحينا حفظاً عاصماً عن معصيتك ، هادياً إلى طاعتك ، مستعملاً لمحبتك .

اللّهم صل على محمد وآله ، ووفقنا في يومنا هذا ، وليلتنا هذه ، وفي جميع أيامنا ، لاستعمال الخير ، وهجران الشر ، وشكر النعم ، واتباع السنن ، ومجانبة البدع ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وحياطة الإسلام ، وانتقاص الباطل واذلاله ، ونصرة الحق واعزازه ، وارشاد الضال ، ومعاونة الضعيف ، وادراك اللهيف .

اللّهم صل على محمد وآله ، واجعله ايمن يوم عهدناه ، وافضل صاحب صحبناه ، وخير وقت ظللنا فيه ، واجعلنا من أرضى من مر عليه الليل ، والنهار ، من جملة خلقك ، أشكرهم لما أوليت من نعمك ، وأقومهم بما شرعت من شرائعك ، وأوقفهم عما حذرت من نهيك ، اللهم إني أشهدك ، وكفى بك شهيداً ، وأشهد سماءك وأرضك ، ومن أسكنتهما من ملائكتك وسائر خلقك ، في يومي هذا ، وساعتي هذه وليلتي هذه ،

---

(١) العتيد : الحاضر ، والقوي .

(٢) الكرام الكابتنين : هم الملائكة الكاتبون لأعمال الانسان ، ونعتهم بالكرام لأنهم لا يثبتون باطلاً ، ولا يسقطون حقاً .

(٣) هكذا وردت ، والأصح ، عبادتك .

ومستقري هذا ، اشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت ، قائم بالقسط[1] عدل في الحكم ، رؤوف بالعباد ، مالك الملك ، رحيم بالخلق ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، وخيرتك من خلقك ، حملته رسالتك فأداها ، وأمرته بالنصح لأمته فنصح لها .

اللّهم صل على محمد وآله أكثر ما صليت على أحد من خلقك ، وآته عنا أفضل ما آتيت من عبادك ، وأجزه عنا أفضل وأكرم ما جزيت أحداً من أنبيائك عن أمته ، إنك أنت المنان بالجسيم ، الغافر للعظيم ، وأنت ارحم من كل رحيم ، فصل على محمد وآله الطيبين ، الأخيار ، الأنجبين . .»[2].

لقد تحدث الإمام عليه السلام ـ في هذا المقطع ـ عن خضوع جميع الأشياء لقدرة الله وارادته فهو الذي يتصرف بها حسبما يشاء ، وأخذ بعد ذلك بالدعاء بالتوفيق لاستعمال الخير ، وهجران الشر ، وشكر النعم ، واتباع السنن ، ومجانبة البدع ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وحياطة الإسلام ، وانتقاص الباطل ، ونصرة الحق واعزازه ، وارشاد الضال ، ومعاونة الضعيف ، وادراك اللهيف ، إلى غير ذلك من محاسن الأعمال ، ومكارم الأخلاق التي يسمو بها الانسان ، وقد انتقى الإمام في هذا الدعاء أجمل الالفاظ وأبلغها ، ومن المؤكد أنه ليس في الكلام العربي بعد القرآن الكريم ، ونهج البلاغة ما هو أبلغ وأفصح من هذا الدعاء .

دعاؤه بخواتم الخير :

ومن أجل أدعيته هذا الدعاء الشريف وكان يدعو به بأن يمن الله عليه بخواتم الخير ، وهذا نصه :

« يا من ذكره شرف للذاكرين ، ويا من شكره فوز للشاكرين ، ويا من طاعته نجاة للمطيعين ، صلى على محمد وآله ، وأشغل قلوبنا بذكرك عن كل

---

(١) القسط : العدل .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء السادس .

ذكر ، والسنتنا بشكرك عن كل شكر ، وجوارحنا بطاعتك عن كل طاعة ، فإن قدرت لنا فراغاً من شغل ، فاجعله فراغ سلامة لا تدركنا فيه تبعة ، ولا تلحقنا فيه سأمة ، حتى ينصرف عنا كتاب السيئات ، بصحيفة خالية من ذكر سيئاتنا ، ويتولى كتاب الحسنات عنا مسرورين ، بما كتبوا من حسناتنا ، وإذا انقضت أيام حياتنا ، وتصرمت مدد اعمارنا ،واستحضرتنا دعوتك التي لا بد منها ، ومن أجابتها ، فصل على محمد وآله ، واجعل ختام ما تحصي علينا كتبة اعمالنا توبة مقبولة لا توقفنا بعدها على ذنب اجترحناه[1] ولا معصية اقترفناها ، ولا تكشف عنا ستراً سترته على رؤوس الاشهاد يوم تبلو اخبار عبادك ، إنك رحيم بمن دعاك ، ومستجيب لمن ناداك . . »[2] .

أرأيتم هذا الاخلاص لله ، والتفاني في مودته وحبه ؟ !! لقد طلب الإمام من الله أن يختم له بخيرٍ ، ويرزقه توبة نصوحاً لينجو من أهوال الآخرة ، وعذاب يوم القيامة ، وتقر عينه بالفردوس الأعلى .

دعاؤه في طلب التوبة :

كان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء طالباً من الله تعالى أن يمنَّ عليه بالتوبة والمغفرة « اللهم أنه يحجبني عن مسألتك خلال ثلاث ، وتحدوني عنها خلة واحدة : يحجبني أمر أمرت به ، فأبطأت عنه ، ونهي نهيتني عنه ، فأسرعت إليه ، ونعمة أنعمت بها علي ، فقصرت في شكرها ، ويحدوني على مسألتك تفضلك على من أقبل بوجهه إليك ، ووفد بحسن ظنه إليك ، إذ جميع احسانك تفضيل ، وإذ كل نعمك ابتداء ، فها أنا ذا يا إلهي واقف بباب عزك وقوف المستسلم الذليل ، وسائلك على الحياء مني سؤال البائس المعيل ، مقر لك بأني لم استسلم وقت احسانك إلا بالاقلاع عن عصيانك ، ولم أخْلُ في الحالات كلها من امتنانك ، فهل ينفعني يا إلهي اقراري عندك بسوء ما اكتسبت ؟ وهل ينجيني منك اعترافي لك بقبيح ما ارتكبت ؟

---

(١) اجترحناه : أي ارتكبناه .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء السادس .

أم أوجبت لي في مقامي هذا سخطك؟ أم لزمني وقت دعائي مقتك؟، سبحانك لا ايأس منك ، وقد فتحت لي باب التوبة إليك ، بل أقول : مقال العبد الذليل الظالم لنفسه ، المستخف بحرمة ربه الذي عظمت ذنوبه فجلت ، وادبرت أيامه فولت ، حتى إذا رأى مدة العمل قد انقضت ، وغاية العمر قد انتهت ، وأيقن أنه لا محيص له منك ، ولا مهرب له عنك، تلقاك بالانابة ، واخلص لك التوبة ، فقام إليك بقلب طاهر نقي ، ثم دعاك بصوت حائل[1] خفي قد تطأطأ لك ، فانحنى ، ونكس رأسه ، فانثنى ، قد ارعشت خشيته رجليه ، وغرقت دموعه خديه ، يدعوك بيا ارحم الراحمين ، ويا ارحم من انتابه[2] المسترحمون ويا أعطف من أطاف به المستغفرون ، ويا من عفوه أكثر من نقمته، ويا من رضاه أوفر من سخطه، ويا من تحمد إلى خلقه بحسن التجاوز، ويا من عود عباده قبول الإنابة ، ويا من استصلح فاسدهم بالتوبة ، ويا من رضي من فعلهم باليسير ، ويا من كافى قليلهم بالكثير ، ويا من ضمن لهم إجابة الدعاء ، ويا من وعدهم على نفسه بتفضله حسن الجزاء ، ما أنا بأعصى من عصاك فغفرت له ، وما أنا بالوم من اعتذر إليك فقبلت منه ، وما أنا بأظلم من تاب إليك فعدت عليه ، أتوب إليك في مقامي هذا توبة نادم على ما فرط منه مشفق مما اجتمع عليه ، خالص الحياء مما وقع فيه ، عالم بأن العفو عن الذنب العظيم لا يتعاظمك ، وأن التجاوز عن الاثم الجليل لا يستصعبك ، وأن احتمال الجنايات الفاحشة لا يتكأدك[3] وأن أحب عبادك إليك من ترك الاستكبار عليك ، وجانب الإصرار[4] ولزم الاستغفار ، وأنا ابرأ إليك من أن استكبر ، وأعوذ بك من أن أصر ، واستغفرك لما قصرت فيه واستعين بك على ما عجزت عنه .

اللهم صلِّ على محمد وآله ، وهب لي ما يجب علي لك ، وعافني مما استوجبه منك ، وأجرني مما يخافه أهل الإساءة فإنك مليء بالعفو ، مرجو

---

(١) الحائل : الضعيف .

(٢) انتابه : أي قصده .

(٣) لا يتكأدك : أي لا ينتقل عليك .

(٤) جانب الاصرار : أي جانب الاصرار على المعاصي .

للمغفرة ، معروف بالتجاوز ، ليس لحاجتي مطلب سواك ، ولا لذنبي غافر غيرك ، حاشاك ولا أخاف على نفسي إلا إياك ، إنك أهل التقوى ، وأهل المغفرة ، صل على محمد وآل محمد ، واقض حاجتي ، وانجح طلبتي ، واغفر ذنبي ، وآمن خوف نفسي إنك على كل شيء قدير ، وذلك عليك يسير ، آمين رب العالمين . . »[1] .

لقد فتح الإمام عليه السلام في هذا الدعاء باب المحاورة مع الله تعالى ، وهو باب جديد ، لم يكن معهوداً ولا معروفاً ـ فيما احسب ـ في الكلام العربي سوى ما أثر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض أدعيته . . . لقد عرض الإمام على الله تعالى العوامل التي تحجبه عن مسألته ، كما عرض إلى ما يحفزه إلى مسألته ، وقد ذكر ذلك بصورة مفصلة ومثيرة طالباً منه تعالى التوبة والعفو ، والرحمة ، وقد قال ذلك بلهجة الخائف الذليل المستكين أمام الله تعالى ، فقد انحنى ، ونكس رأسه ، وارتعش ، وسالت دموعه ، وهو يدعو ضارعاً ، نادماً على ما فرط في أمره ، مستغفراً لما قصر في حقه تعالى ، وهو عليه السلام سيد الساجدين ، وإمام المتقين ، وزعيم الموحدين ، فأي نفس ملائكية تلك النفس العظيمة التي صغرت ، وذابت إجلالاً وتعظيماً أمام الخالق العظيم ؟ !!

دعاؤه إذا مرض :

كان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء الجليل إذا مرض ، أو نزل به كرب أو بلية ، وهذا نصه : « أللّهم لك الحمد على ما لم أزل اتصرف فيه من سلامة بدني ، ولك الحمد على ما أحدثت بي من علة في جسدي ، فما أدري يا إلهي أي الحالين أحق بالشكر لك ، وأي الوقتين أولى بالحمد لك ، أوقت الصحة التي هنأتني فيها طيبات رزقك ، ونشطتني بها لابتغاء مرضاتك وفضلك ، وقويتني معها على ما وفقتني له من طاعتك ؟ أم وقت العلة التي محصتني بها ، والنعم التي اتحفتني بها تخفيفاً لما ثُقل به على

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء الثاني عشر .

ظهري ، من الخطيئات ، وتطهيراً لما انغمست فيه من السيئات وتنبيهاً لتناول التوبة ، وتذكيراً لمحو الحوبة[1] بقديم النعمة ؟ وفي خلال ذلك ما كتب لي الكاتبان من زكي الأعمال ما لا قلب فكر فيه ، ولا لسان نطق به ، ولا جارحة تكلفته ، بل افضالاً منك علي ، واحساناً من صنيعك إلي .

أللّهم فصل على محمد وآله ، وحبب إلي ما رضيت لي ، ويسر لي ما احللت بي ، وطهرني من دنس ما اسلفتُ ، وامح عني شر ما قدمت ، وأوجدني حلاوة العافية ، واذقني برد السلامة ، واجعل مخرجي عن علتي إلى عفوك ، ومتحولي عن صرعتي إلى تجاوزك ، وخلاصي من كربي إلى روحك[2] وسلامتي من هذه الشدة إلى فرجك ، إنك المتفضل بالاحسان ، المتطول بالامتنان ، الوهاب الكريم ذو الجلال والاكرام . . »[3] لقد آمن الإمام إيماناً لا يشوبه أدنى شك بأن الصحة والسلامة ، والسقم والمرض ، كل ذلك بيد الله تعالى ، فهو الذي يمنح العافية ، ويبتلي بالمرض من يشاء من عباده ، وقد شكر الإمام عليه السلام ربه على كلا الحالتين ، ففي حال الصحة يشكره لأنه منحه طيبات رزقه ، ونشطه لابتغاء مرضاته ، وقواه على طاعته ، وفي حال المرض يشكره لأن فيه تخفيفاً للذنب ، وتطهيراً من الأثم ، وتنبيهاً لتناول التوبة ، وسأله بعد ذلك أن يمنحه حلاوة العافية ، ويذيقه برد السلامة ، ويسلمه من كوارث الشدة ، ويذيقه طعم الفرج .

دعاؤه إذا استقال من ذنوبه :

ومن غرر أدعيته هذا الدعاء الجليل ، وكان يدعو به إذا استقال من ذنوبه ، أو تضرع إلى الله في طلب العفو عن عيوبه ، حسبما عنون به في الصحيفة ، وهذا نصه :

« أللّهم يا من برحمته يستغيث المذنبون ، ويا من إلى ذكر احسانه يفزع

---

(١) الحوبة : الإثم .

(٢) روحك : أي سعة رحمتك .

(٣) الصحيفة السجادية : الدعاء الخامس عشر .

المضطرون ، ويا من لخيفته ينتحب الخاطئون ، يا أنس كل مستوحش غريب ، ويا فرج كل مكروب كئيب ، ويا غوث كل مخذول فريد[1] ويا عضد كل محتاج طريد ، أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلماً ، وأنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمك سهماً ، وأنت الذي عفوه أعلى من عقابه ، وأنت الذي تسعى رحمته أمام غضبه ، وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه ، وأنت الذي اتسع الخلائق كلهم في وسعه ، وأنت الذي لا يرغب في جزاء من اعطاه ، وأنت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه ، وأنا يا إلهي عبدك الذي أمرته بالدعاء ، فقال : لبيك ، وسعديك ، ها أنا ذا يا رب مطروح بين يديك ، أنا الذي أوقرت[2] الخطايا ظهره وأنا الذي افثت[3] الذنوب عمره ، وأنا الذي بجهله عصاك ، ولم تكن أهلاً منه[4] لذاك[5] هل أنت يا إلهي راحم من دعاك فأبلغَ في الدعاء ؟ أم أنت غافر لمن بكاك فأسرعَ في البكاء ؟ أم أنت متجاوز عمن عفر[6] لك وجهه تذللاً ، أم أنت فغن من شكا إليك فقره توكلاً ؟ إلهي لا تخيب من لا يجد معطياً غيرك ، ولا تخذل من لا يستغني عنك بأحد دونك ، إلهي فصل على محمد وآله ، ولا تعرض عني ، وقد أقبلت عليك ، ولا تحرمني وقد رغبت إليك ، ولا تجبهني بالرد ، وقد انتصبت بين يديك ، أنت الذي وصفت نفسك بالرحمة ، فصل على على محمد وآله ، وارحمني ، وأنت الذي سميت نفسك بالعفو فاعف عني ، قد ترى يا إلهي فيض دمعي من خيفتك ، ووجيب[7] قلبي من خشيتك ، وانتقاض جوارحي[8] من هيبتك ، كل ذلك حياءاً منك لسوء عملي ، ولذاك

---

(١) الفريد : هو الذي لا عون له .
(٢) أوقرت : أي أثقلت .
(٣) أفثت : أي استوعبت . وفي رواية : أفنت .
(٤) الضمير يرجع إلى العبد .
(٥) لذاك : أي للعصيان .
(٦) عفر : التعفير هو تمريغ الوجه بالتراب .
(٧) الوجيب : اضطراب القلب .
(٨) الانتقاض : من النقض مقابل البناء ، والمراد : انخلاع الجوارح بعضها عن بعض .

خمد صوتي عن الجأر[1] إليك ، وكلَّ لساني عن مناجاتك . . » .

وحكى هذا المقطع عن عظيم إيمان الإمام بالله ، وعميق انقطاعه إليه ، وقد التجأ إليه في جميع أحواله وشؤونه ، واعتصم به في كل ما أهمه لأنه مصدر الفيض والنعم والخير الذي وسعت رحمته كل شيء ، وقد تضرع إليه الإمام ، وتوسل ، وتملق طالباً منه العفو والتوبة والغفران ، ولنستمع إلى مقطع آخر من هذا الدعاء .

« يا إلهي فلك الحمد ، فكم من عائبة سترتها علي ، فلم تفضحني ، وكم من ذنب غطيته علي فلم تشهرني ، وكم من شائبة[2] الممت بها[3] فلم تهتك عني سترها ، ولم تقلدني مكروه شنارها[4] ولم تبد سَوْأتِها لمن يلتمس معايبي من جيرتي وحسدة نعمتك عندي ، ثم لم ينهض ذلك عن أن جريت إلى سوء ما عهدت مني !! فمن أجهل مني يا إلهي برشده ؟ ومن أغفل مني عن حظه ؟ ومن أبعد مني من استصلاح نفسه ، حين أنفق ما أجريت علي من رزقك في مانهيتني عنه من معصيتك ؟ ومن أبعد غوراً في الباطل ، وأشد أقداماً على السوء مني حين أقف بين دعوتك ، ودعوة الشيطان ، فاتبع دعوته على غير عمى[5] منى في معرفة به ، ولا نسيان من حفظي له ؟ وأنا حينئذ موقن بأن منتهى دعوتك إلى الجنة ، ومنتهى دعوته إلى النار ، سبحانك ما اعجب ما أشهد به على نفسي ، واعدده من مكتوم أمري ، واعجب من ذلك أناتك[6] عني وابطاؤك عن معاجلتي ، وليس ذلك من كرمي عليك ، بل تأنياً منك ، وتفضلاً منك علي ، لأن عفوك عني أحب إليك من عقوبتي ، بل أنا يا إلهي أكثر ذنوباً ، وأقبح آثاراً ، وأشنع أفعالاً ، وأشد في الباطل تهوراً ، وأضعف عند طاعتك تيقظاً ، وأقل لوعيدك انتباهاً وارتقاباً ، من أن أحصي لك

---

(١) الجأر : رفع الصوت بالاستغاثة .

(٢) الشائبة : الدنس .

(٣) الممت بها : أي عملتها .

(٤) الشنار : العار .

(٥) على غير عمى : أي أتبعته على بصيرة من أمري في ضلاله وغوايته .

(٦) الأناة : الحلم .

عيوبي ، وأقدر على ذكر ذنوبي ، وإنما أوبخ بهذا نفسي طمعاً في رأفتك التي بها صلاح أمر المذنبين ، ورجاءً لرحمتك التي بها فكاك رقاب الخاطئين . . » .

إن الإمام عليه السلام في جميع فترات حياته لم يقترف أي ذنب ، ولم يرتكب أي خطيئة ، وإنما كان متحرجاً في دينه ، ومتحرجاً في سلوكه كأشد ما يكون التحرج ، ولشدة خوفه من الله تعالى ، وإنابته ، وانقطاعه إليه ، فقد نزل نفسه منزلة المذنبين ، فهو يرجو العفو والخلاص ، والنجاة ، ولنستمع إلى المقطع الأخير في هذا الدعاء .

« اللّهم : وهذه رقتبي قد ارقّتْها(٢) الذنوب ، فصل على محمد وآله ، فأعتقها بعفوك ، يا إلهي لو بكيت إليك حتى تسقط أشعار عيني ، وانتحبت حتى ينقطع صوتي ، وقمت لك حتى تتنشر قدماي(٣) وركعت لك حتى ينخلع صلبي(٤) وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاي(٥) وأكلت تراب الأرض طول عمري ، وشربت ماء الرماد آخر دهري ، وذكرتك في خلال ذلك حتى يكل لساني ، ثم لم ارفع طرفي إلى آفاق السماء استحياءً منك ، ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي ، وإن كنت تغفر لي حين استوجب مغفرتك ، وتعفو عني ، حين استحق عفوك ، فإن ذلك غير واجب لي باستحقاق ، ولا أنا أهل له باستيجاب ، إذ كان جزائي منك في أول ما عصيتك النار ، فإن تعذبني فأنت غير ظالم لي .

إلهي فإذ قد تغمدتني بسترك ، فلم تفضحني ، وتأنيتني(٦) بكرمك فلم تعاجلني ، وحلمت عني بتفضلك ، فلم تغير نعمتك علي ، ولم تكدر معروفك

---

(١) سيئاتي المخلقة : يعني أن السيئات التي اقترفتها صيرتني كالثوب الخلق البالي .
(٢) قد ارقتها : أي جعلتها الذنوب رقاً .
(٣) تتنشر قدماي : أي تنتفخ اعصابها .
(٤) الصلب : عظم فقار الظهر .
(٥) حدقتاي : أي عيناي .
(٦) تأنيتني : أي حلمت عني .

عندي ، فارحم طول تضرعي ، وشدة مسكنتي ، وسوء موقفي ، اللهم صل على محمد وآله ، وقني من المعاصي ، واستعملني بالطاعة ، وارزقني حسن الإنابة ، وطهرني بالتوبة ، وأيدني بالعصمة ، واستصلحني بالعافية ، واذقني حلاوة المغفرة ، واجعلني طليق عفوك ، وعتيق رحمتك ، واكتب لي أماناً من سخطك ، وبشرني بذلك[1] في العاجل دون الآجل ، بشرى اعرفها ، وعرفني فيه علامة أتبينها ، إن ذلك لا يضيق عليك في وسعك ، ولا يتكأدك[2] في قدرتك ، ولا يتصعدك[3] في آناتك ، ولا يؤودك[4] في جزيل هباتك التي دلت عليها آياتك ، إنك تفعل ما تشاء ، وتحكم ما تريد ، إنك على كل شيء قدير . . . »[5] .

لقد عمل الإمام عليه السلام كل ما يقربه إلى الله زلفى ، وقدم لآخرته ما لا عين رأت، ولا اذن سمعت بمثله ، ففي ميدان العبادة لم يترك نافلة ولا مستحباً إلا أتى بهما ، وقد قضي معظم حياته صائماً نهاره ، وقائماً ليله ، وفي ميدان المبرات على البائسين والمحرومين فإنه لم يترك لوناً من ألوان البر والإحسان إلا قدمه لهم ، وهو مع ذلك يرى نفسه مقصراً في طاعته لله ، شأنه في ذلك شأن الأنبياء والأوصياء الذين اخلصوا في عبادتهم وطاعتهم كأعظم ما يكون الاخلاص ، وهم مع ذلك لم يروا لها أية أهمية في جنب الله .

دعاؤه في الاستعاذة من الشيطان :

ومن أدعيته هذا الدعاء الجليل ، وكان يدعو به إذا ذكر الشيطان ، فاستعاذ منه ومن عداوته وكيده .

« اللهم إنا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم[6] وكيده ، ومكائده ،

---

(١) بذلك : اسم الاشارة يرجع إلى الامان .
(٢) لا يتكأدك : أي لا يثقل عليك .
(٣) لا يتصعدك : أي لا يشتد عليك .
(٤) لا يؤودك : أي لا يثقل عليك .
(٥) الصحيفة السجادية : الدعاء السادس عشر .
(٦) نزغات الشيطان : وساوسه وافساده .

ومن الثقة بأمانيه ومواعيده ، وغروره ، ومصائده ، وإن يطمع نفسه في إضلالنا عن طاعتك ، وامتهاننا[1] بمعصيتك ، أو أن يحسن عندنا ما حسَّن لنا ، أو أن يثقل علينا ما كرَّه إلينا ، اللهم أَخْسِئْهُ[2] عنا بعبادتك ، واكبته[3] بدؤوبنا في محبتك ، واجعل بيننا وبينه ستراً لا يهتكه وردماً[4] مصمتاً[5] لا يفتقه ، اللهم صل على محمد وآله ، واشغله عنا ببعض اعدائك ، واعصمنا منه بحسن رعايتك ، واكفنا ختره[6] وولنا ظهره ، واقطع عنا أثره ، اللهم صل على محمد وآله ، وأمتعنا من الهدى بمثل ضلالته ، وزودنا من التقوى ضد غوايته ، واسلك بنا من التقى خلاف سبيله من الردى ، اللهم لا تجعل له في قلوبنا مدخلة ، ولا توطنن له فيما لدينا منزلاً ، اللهم وما سولَّ لنا من باطل فعرفناه ، وإذا عرَّفتناه فقناه ، وبصرنا ما نكايده به ، والهمنا ما نعده له ، وايقظنا عن سنة الغفلة بالركون إليه ، وأحسن بتوفيقك عوننا عليه ، أللَّهم وأشرب قلوبنا انكار عمله ، والطف لنا في نقص حيله ، اللهم صل على محمد وآله ، وحول سلطانه عنا ، واقطع رجاءه وادرأه[7] عن الولوع بنا . . . » .

إن كل نزعة من النزعات الشريرة ، وكل فكرة عابثة تصد الانسان عن الطريق القويم ، وتزين له المعاصي ، وتحبذ له الجرائم والآثام ، وتحمله على الشر والعدوان ، إنما هي مستوحاة من الشيطان الرجيم ، فهو العدو الأول للانسان الذي يخرجه من انسانيته ويلقي به في مستوى سحيق من الانحطاط ما له من قرار ، وقد دعا الإمام عليه ـ في هذه الفقرات ـ أن ينجيه من كيده ومكائده ، ومن الثقة بأمانيه ومواعيده وغروره ومصائده ووساوسه التي

---

(١) امتهاننا : أي استخدامنا .
(٢) أخسئه عنا : أي اطرده عنا .
(٣) اكبته : أي اجعله ذليلاً .
(٤) الردم : السد .
(٥) المصمت : الشديد التماسك الذي لا جوف له .
(٦) الختر : الغدر .
(٧) ادرئه : أي امنعه ، وادفعه .

أغوى بها الناس ، وأرادهم في المهالك ، وأبعدهم من الطاف الله ورحمته ، ولنستمع إلى بقية الدعاء .

« اللّهم صل على محمد وآله ، واجعل آباءنا وأمهاتنا وأولادنا وأهالينا وذوي أرحامنا وقراباتنا ، وجيراننا من المؤمنين والمؤمنات منه في حرز حارز[1] وحصن حافظ ، وكهف مانع ، والبسهم منه جنناً واقية[2] وأعطهم عليه اسلحة ماضية ، اللّهم وأعمم بذلك من شهد لك بالربوبية ، وأخلص لك بالوحدانية ، وعاداه[3] لك بحقيقة العبودية ، واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربانية .

أللّهم احلل ما عقد ، وافتق ما رتق[4] وافسخ ما دبر ، وثبطه إذا عزم ، وانقض ما ابرم ، اللهم واهزم جنده ، وأبطِل كيده ، واهدم كهفه ، وأرغم انفه ، اللهم اجعلنا في نظم اعدائه ، واعزلنا عن عداد أوليائه ، لا نطيع له إذا استهوانا ، ولا نستجيب له إذا دعانا ، نأمر بمناوأته[5] من أطاع أمرنا ، ونعظ عن متابعته من اتبع زجرنا[6] اللهم صل على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ، وأعذنا وأهالينا واخواننا ، وجميع المؤمنين ، والمؤمنات مما استعذنا منه ، وأجرنا مما استجرنا بك من خوفه ، واسمع لنا ما دعونا به ، وأعطنا ما اغفلناه ، واحفظ لنا ما نسيناه ، وصيرنا بذلك في درجات الصالحين ، ومراتب المؤمنين ، آمين رب العالمين . . . »[7] لقد سأل الإمام عليه السلام من الخالق العظيم أن يتكرم على أولاد الإمام وأقاربه وأرحامه وجيرانه بالوقاية من مكائد الشيطان الرجيم ، ويجعلهم في حرز حريز ، وحصن منيع ، من غروره وآفاته، كما دعا لجميع من

---

(١) الحارز : الحافظ .
(٢) الجنن الواقية : هي الدروع .
(٣) الضمير يرجع إلى الشيطان .
(٤) الرتق : الخياطة .
(٥) المناوأة : المعاداة .
(٦) من اتبع زجرنا : هم الاخوان والاصدقاء .
(٧) الصحيفة السجادية : الدعاء السابع عشر .

أقر لله بالربوبية ، وشهد له بالوحدانية من كافة الملل والأديان أن ينقذهم من شرور الشيطان الرجيم ، ويسلمهم من الركون إليه ، ثم دعا على الشيطان الرجيم أن يثبط الله عزمه ، وينقض ما أبرم ، ويهزم جنوده ، ويبطل كيده ، وأن يعيذ المؤمنين ، ويجيرهم من هذا العدو الماكر الخبيث .

دعاؤه عند الاستسقاء :

كان عليه السلام يدعو عند الاستسقاء بعد الجدب بهذا الدعاء ، وهو من غرر أدعيته :

« اللهم اسقنا الغيث ، وانشر علينا رحمتك بغيثك المغدق[١] من السحاب المنساق لنبات أرضك ، الموافق في جميع الآفاق ، وامنن على عبادك باينا ع الثمرة[٢] وأحي بلادك ببلوغ الزهرة ، وأشهد ملائكتك السفرة بسقي منك نافع دائم غُزْرُه[٣] واسع دِرَره[٤] وابل[٥] سريع ، عاجل ، تحيي به ما قد مات ، وترد به ما قد فات ، وتخرج به ما هوات ، وتوسع به في الأقوات سحاباً متراكماً[٦] هنيئاً مريئاً[٧] طبقاً[٨] مجلجلة[٩] غير ملث ودقه[١٠] ولا خُلَّب برقه[١١] اللهم اسقنا غيثاً ، مغيثاً[١٢] مريئاً ممرعاً[١٣] عريضاً ، واسعاً

---

(١) المغدق : الكثير القطر .
(٢) اينا ع الثمرة : تمام نضجها ، وبلوغها حالة الاقتطاف .
(٣) الغزر : هو الكثير .
(٤) واسع دره : أي سيلانه .
(٥) الوابل : هو المطر العظيم القطر .
(٦) سحاباً متراكماً : أي بعضه فوق بعض .
(٧) الهنيء : اللذيذ الطعم ، المريء المحمود العاقبة . الأول للطعام والثاني للثواب .
(٨) طبقاً : أي يطبق الأرض ويعمها .
(٩) مجلجلاً : أي ذو رعد وصوت لأنه يكون أكثر ماءً .
(١٠) غير ملث ودقه : الملث المقيم ، الودق : المطر الدافق ، والمراد أن لا يكون المطر مقيماً فإنه يوجب فساد الزرع ، ودمار الديار .
(١١) الخلب : البرق الذي ليس وراءه مطر .
(١٢) مغيثاً : أي يغيثنا من القحط .
(١٣) ممرعاً : أي موجباً للخصب والرخاء .

غزيراً[1] ترد به النهيض[2] وتجبر به المهيض[3] اللهم اسقنا سقياً تسيل منه الظراب[4] وتملأ منه الجباب[5] وتفجر به الأنهار[6] وتنبت به الاشجار ، وترخص به الأسعار في جميع الأمصار ، وتنعش به البهائم ، والخلق ، وتكمل لنابه طيبات الرزق ، وتنبت لنا به الزرع ، وتدربه الضرع ، وتزيدنا به قوة إلى قوتنا .

أللّهم لا تجعل ظله علينا سموماً[7] ولا تجعل برده علينا حسوماً [8] ولا تجعل صوبه[9] علينا رجوماً ولا تجعل ماءه علينا أجاجاً[10] اللهم صل على محمد وآل محمد وارزقنا من بركات السماء والأرض ، وإنك على كل شيء قدير . »[11] واعتقد أنه لم يؤثر في الكلام العربي ما هو أبلغ ، وأروع من هذا الوصف الذي حفل به دعاء الإمام عليه السلام للسحاب ، فقد نعته بأدق الصفات التي تحكي واقعه ، وما يحدثه من حياة للأرض ، وتغيير شامل لمناهج الطبيعة وما يجلبه من المنافع والثمرات للانسان بل ولسائر الحيوانات . . . لقد أوتي هذا الإمام العظيم كآبائه جوامع الكلم وفصل الخطاب .

دعاؤه إذا أحزنه أمر :

وكان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء الجليل إذا أحزنه أمر ، أو أهمته الخطايا ، وهذا نصه :

---

(١) غزيراً : أي كثيراً .
(٢) النهيض : النبات الذي ينهض ، ويقوم على ساقه .
(٣) المهيض : النبات الذي آل إلى التلف لعدم الماء ، ويستعمل عادة للجناح الضعيف الذي لا يقوى بسببه الطائر على الطيران .
(٤) الضراب : الجبال الصغيرة .
(٥) الجباب : جمع جب وهو البئر لم يحفره انسان .
(٦) تفجر الانهار : أي تسيل .
(٧) السموم : الريح الحارة .
(٨) الحسوم : الهواء البارد .
(٩) الصوب : المطر القوي الغزير .
(١٠) اجاجاً : أي مالحاً .
(١١) الصحيفة السجادية : الدعاء التاسع عشر .

« اللهم يا كافي الفرد الضعيف ، وواقي الأمر المخوف ، أفردَتْني الخطايا فلا صاحب معي ، وضعفت عن غضبك فلا مؤيد لي ، وأشرفت على خوف لقائك فلا مسكّن لروعتي ، ومن يؤمنني منك ، وأنت أخفتني ، ومن يساعدني وأنت أفردتني ، ومن يقويني وأنت أضعفتني ، لا يجير يا إلهي إلا رب علي مربوب ، ولا يؤمن إلا غالب على مغلوب ، ولا يعين إلا طالب على مطلوب ، وبيدك يا إلهي جميع ذلك السبب ، وإليك المفر والمهرب ، فصل على محمد وآله ، وأجر هربي ، وأنجح مطلبي .

اللّهم إنك أن صرفت عني وجهك الكريم ، أو منعتني فضلك الجسيم ، أوحَظَّرْتَ علي رزقك ، أو قطعت عني سببك ، لم أجد السبيل إلى شيء من أملي غيرك ، ولم أقدر على ما عندك بمعونة سواك ، فإني عبدك وفي قبضتك ، ناصيتي بيدك ، لا أمر لي مع أمرك ، ماضٍ فيَّ حكمُك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك ، ولا قوة لي على الخروج من سلطانك ، ولا استطيع مجاوزة قدرتك ، ولا استميل هواك ، ولا أبلغ رضاك ، ولا أنال ما عندك إلا بطاعتك ، وبفضل رحمتك ، إلهي أصبحت وأمسيت عبداً داخراً[1] لك ، لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلاّ بك ، أشهد بذلك على نفسي ، وأعترف بضعف قوتي وقلة حيلتي ، فأنجز لي ما وعدتني ، وتمم لي ما آتيتني ، فإني عبدك المسكين ، المستكين[2] الضعيف الضرير[3] الحقير ، المهين الفقير ، الخائف ، المستجير . . . » .

لقد آمن الإمام العظيم بالقدرة المطلقة لله تعالى ، وأيقن أن جميع مجريات الاحداث إنما هي بيده تعالى فهو المالك والقاهر ، والغالب ، الذي لا راد لأمره ، وقد جرد الإمام نفسه من جميع الإمكانيات معترفاً بعبوديته وعجزه وضعفه ومسكنته ، وعدم استطاعته على تحقيق أي شيء إلا بمساعدته تعالى ، ولنستمع إلى بقية هذا الدعاء .

---

(١) داخراً : أي ذليلاً .

(٣) المستكين : المتضرع .

(٣) الضرير : المصاب في البؤس والضراء .

« اللَّهم صل على محمد وآله ، ولا تجعلني ناسياً لذكرك في ما أوليتني ، ولا غافلاً لاحسانك في ما أبليتني[1] ولا آيساً من إجابتك لي ، وإن أبطأت عني[2] في سراء كنت أو ضراء ، أو شدة أو رخاء أو عافية أو بلاء ، أو بؤس أو نعماء ، أو جدة[3] أو لأواء[4] أو فقر أو غنى .

اللَّهم صل على محمد وآله واجعل ثنائي عليك ، أو مدحي إياك وحمدي لك ، في كل حالاتي ، حتى لا أفرح بما آتيتني من الدنيا ، ولا أحزن على ما منعتني فيها ، واشعر قلبي تقواك ، واستعمل بدني في ما تقبله مني ، واشغل بطاعتك نفسي عن كل ما يرد عليّ حتى لا أحب شيئاً من سخطك ، ولا اسخط شيئاً من رضاك ، أللَّهم صل على محمد وآله ، وفرغ قلبي لمحبتك ، وأشغله بذكرك ، وأنعشه بخوفك ، وبالوجل منك ، وقوة بالرغبة إليك ، وأمله إلى طاعتك[5] وأجْرِ به في أحب السبل إليك ، وذلله بالرغبة في ما عندك أيام حياتي كلها ، واجعل تقواك من الدنيا زادي ، وإلى رحمتك رحلتي ، وفي مرضاتك مدخلي ، واجعل في جنتك مثواي ، وهب لي قوة أحتمل بها جميع مرضاتك ، واجعل فراري إليك ، ورغبتي في ما عندك ، وألبس قلبي الوحشة من شرار خلقك ، وهب لي الأنس بك وبأوليائك ، وأهل طاعتك ، ولا تجعل لفاجر ولا كافر علي منة ، ولا له عندي يداً ، ولا بي إليهم حاجة ، بل اجعل سكون قلبي ، وأنس نفسي واستغنائي وكفايتي بك وبخيار خلقك ، اللَّهم صل على محمد وآله ، واجعلني لهم قريناً ، واجعلني لهم نصيراً ، وامنن علي بشوق إليك ، وبالعمل لك بما تحب وترضى ، إنك على كل شيء قدير وذلك عليك يسير . . »[6] .

أعرب الإمام عليه السلام ـ في هذا المقطع ـ عن عظيم ثقته وإيمانه

---

(١) ابليتني : أي أمتحنتني .
(٢) ابطأت عني : أي تأخرت اجابتك عني .
(٣) الجدة : الغنى .
(٤) أللأواء : الضيق في المعيشة .
(٥) واملِه إلى طاعتك : أي اجعله راغباً ميالاً إلى طاعتك .
(٦) الصحيفة السجادية : الدعاء الواحد والعشرون .

بالله سائلاً اياه أن يجعله لهجاً بذكره ، وأن لا يغفل عن إحسانه وألطافه عليه ، وأن لا يجعله آيساً من إجابته له في جميع شؤونه وأحواله ، كما طلب منه أن يجعل ثناءه ومدحه له في جميع أحواله لا يبغي بذلك شيئاً غير رضاه ، وأن يشغله بطاعته عن كل ما يرد عليه من أحداث هذه الدنيا ، كما طلب منه أن يفرغ قلبه لمحبته ، ويشغله بذكره ، وينعشه بخوفه ، ويسلك به إلى أحب السبل إليه ، وأن يجعل التقوى زاده في هذه الدنيا الفانية ، وأن يجعل الفردوس الأعلى مثواه ، ومقره الأخير .

وطلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يملأ قلبه من الوحشة والكراهية لشرار خلقه ، وأن يهب له الأنس بأوليائه وأحبائه والصالحين من عباده ، وأن لا يجعل لفاجر ولا كافر له عليه يداً أو احساناً أوله عندهم حاجة ، وإنما يجعل جميع شؤونه وأحواله بيده تعالى ، فهو الذي يغنيه عن جميع خلقه .

دعاؤه عند الشدة :

وكان من دعائه عند الشدة ، والجهد ، وتعسر الأمور هذا الدعاء الجليل .

« اللَّهم إنك كلفتني من نفسي ما أنت أملك به مني ، وقدرتك عليه وعلي أغلب من قدرتي ، فأعطني من نفسي ما يرضيك عني ، وخذ لنفسك رضاها من نفسي في عافية ، اللَّهم لا طاقة لي بالجهد ، ولا صبر لي على البلاء ، ولا قوة لي على الفقر فلا تحظر[1] علي رزقي ، ولا تكلني إلى خلقك ، بل تفرد بحاجتي ، وتول كفايتي ، وانظر إلي ، وانظر لي في جميع أموري ، فإنك إن وكلتني إلى نفسي عجزت عنها ولم أقم ما فيه مصلحتها ، وإن وكلتني إلى خلقك تجهموني[2] وإن الجأتني إلى قرابتي حرموني ، وإن أعطوا قليلاً نكداً ، ومنوا علي طويلاً ، وذموا كثيراً ، فبضلك اللهم فأغنني ،

---

(١) تحظر : أي تمنع .

(٢) تجهموني : أي قطبوا وجوههم وعبسوا في وجهي .

وبعظمتك فأنعشني ، وبسعتك فابسط يدي وبما عندك فاكفني .

اللهم صل على محمد وآله ، وخلصني من الحسد ،واحصرني[1] عن الذنوب ، وورعني عن المحارم[2] ولا تجرئني على المعاصي ، واجعل هواي عندك ، ورضاي في ما يرد علي منك ، وبارك لي في ما رزقتني وفي ما خولتني ، وفي ما انعمت به علي ، واجعلني في كل احوالي محفوظاً ، مكلوءا[3] مستوراً ، ممنوعاً[4] معاذاً[5] مجاراً .

أللّهم صل على محمد وآله ، واقض عني كل ما الزمتنيه[6] وفرضته علي لك، في وجه من وجوه طاعتك ، أو لخلق من خلقك ، وإن ضعف عن ذلك بدني ، ووهنت عنه قوتي ، ولم تنله مقدرتي، ولم يسعه مالي ، ولا ذات يدي ، ذكرته أونسيته ، هويا رب مما قد أحصيته علي ، وأغفلته أنا من نفسي ، فأدِّه عني من جزيل عطيتك وكبير ما عندك ، فإنك واسع حتى لا يبقى علي شيء منه تريد أن تقاضي به من حسناتي أو تضاعف به من سيئاتي يوم ألقاك يا رب . . . » .

انظروا بامعان إلى هذه الفقرات فسترون عمق الإيمان ، وتمام الاخلاص ، والتجرد الكامل من كل نزعة من نزعات المادة . . . لقد طلب الإمام من الله تعالى أن تشمله عنايته وألطافه ، وأن يتفضل عليه بما يلي :

١ ـ أن لا يبليه بما لا طاقة ولا قدرة له عليه .

٢ ـ أن لا يبليه بالفقر والبؤس فإنهما من أقسى الكوارث في الحياة الدنيا .

٣ ـ أن لا يكله إلى أحد من الخلق قريبين كانوا أو بعيدين ، فإنهم

---

(١) احصرني : أي امنعني .
(٢) وورعني عن المحارم : أي اعطني ورعاً يصدني عن اقتراف المحارم .
(٣) مكلوءاً : أي محروساً ومحفوظا .
(٤) ممنوعاً : أي لا يصل أحد ألي بسوء .
(٥) معاذاً : أي محفوظاً من الأعداء .
(٦) كل ما الزمتنيه : أي من الفرائض والواجبات ، وذلك بالتوفيق لقضائها .

يحتقرون من افتقر إليهم .

٤ ـ أن يخلصه من الحسد الذي هو من أقذر النزعات الشريرة .

٥ ـ أن يمنعه من الذنوب ، ويصده عن اقتراف المعاصي .

٦ ـ أن يمنحه الورع والتقوى عن ارتكاب ما حرمه الله ، ولا يجعل له أية رغبة في الجرأة على ارتكاب المعاصي .

٧ ـ أن يجعل رغباته النفسية في ما عند الله .

٨ ـ أن يبارك له في ما رزقه الله من الأموال والأولاد .

٩ ـ أن يحفظه في جميع أحواله وشؤونه ، ويستر عليه ، ويعيذه من كل سوء .

١٠ ـ أن يوفقه لقضاء ما فاته من الواجبات والفرائض التي يلزم بقضائها هذه بعض طلبات الإمام عليه السلام ، ولنستمع إلى بقية هذا الدعاء .

« اللَّهم صل على محمد وآله ، وارزقني الرغبة في العمل لك لآخرتي ، حتى أعرف صدق ذلك في قلبي ، وحتى يكون الغالب علي الزهد ، في دنياي ، وحتى أعمل الحسنات شوقاً ، وآمن من السيئات فرقا[1] وهب لي نوراً أمشي به في الناس ، واهتدي به في الظلمات ، واستضيء به من الشك والشبهات اللهم صل على محمد وآله ، وارزقني خوف غم الوعيد[2] وشوق ثواب الموعود[3] حتى أجد لذة ما أدعوك ، وكآبة ما استجير بك منه .

اللَّهم ، قد تعلم ما يصلحني في أمر دنياي وآخرتي فكن بحوائجي حفياً اللهم صل على محمد وآل محمد ، وارزقني الحق عند تقصيري في الشكر لك بما أنعمت علي في اليسر والعسر ، والصحة والسقم ، حتى

---

(١) فرقا : خوفاً .

(٢) يوم الوعيد : يوم القيامة .

(٣) ثواب الموعود : هو الثواب العظيم الذي أعده الله للمتقين والصالحين من عباده .

اتعرف من نفسي روح الرضا، وطمأنينة النفس مني بما يجب لك في ما يحدث في حال الخوف ، والأمن والرضا والسخط والضر والنفع .

اللَّهم صل على محمد وآله ، وارزقني سلامة الصدر من الحسد ، حتى لا أحسد أحداً من خلقك على شيء من فضلك ، وحتى لا أرى نعمة من نعمك على أحد من خلقك في دين أو دنيا أو عافية أو تقوى أو سعة أو رخاء إلا رجوت لنفسي أفضل ذلك بك ، ومنك ، وحدك لا شريك لك ، اللَّهم صل على محمد وآله ، وارزقني التحفظ من الخطايا ، والاحتراس من الزلل في الدنيا والآخرة في حال الرضا والغضب ، حتى أكون بما يرد علي منهما بمنزلة سواء ، عاملاً بطاعتك ، مؤثراً لرضاك على ما سواهما في الأولياء والأعداء ، حتى يأمن عدوي من ظلمي وجوري ، ويبأس وليي من ميلي وانحطاط هواي ، واجعلني ممن يدعوك مخلصاً في الرخاء ، دعاء المخلصين ، المضطرين لك في الدعاء ، إنك حميد مجيد . . . »[1] .

واحتوت هذه الفقرات على بعض الرغبات النفسية الملحة للإمام ، سائلاً من الله تعالى أن يحققها له وهي :

١ ـ الرغبة في العمل للآخرة .

٢ ـ الزهد في الدنيا .

٣ ـ القيام باعمال الخير والمبَّرات .

٤ ـ أن يهبه الله نوراً يمشي به بين الناس ، ويهتدي به في الظلمات ، ويستضيء به في الشبهات .

٥ ـ أن يهبه تعالى الخوف من أهوال يوم القيامة ، والشوق للثواب الجزيل الذي أعده تعالى للمتقين والصالحين من عباده .

٦ ـ أن يسلمه الله من الحسد الذي هو من أخطر الآفات النفسية .

---

(١) حفياً : أي لطيفاً .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء الثاني والعشرون .

٧ ـ أن يرزقه الله التحفظ من الخطايا ، والاحتراس من الزلل . . . هذه بعض محتويات هذه القطعة من هذا الدعاء .

دعاؤه إذا سأل الله العافية :

وكان من أدعيته الشريفة هذا الدعاء ، وكان يدعو به أذا سأل الله العافية وشكرها « اللّهم صل على محمد وآله ، وألبسني عافيتك ، وجللني[١] عافيتك ، وحصني بعافيتك ، وأكرمني بعافيتك ، وأغنني بعافيتك ، وأفرشني عافيتك وأصلح لي عافيتك ، ولا تفرق بيني وبين عافيتك في الدنيا والآخرة[٢] اللهم صلِّ على محمد وآله وعافني عافية كافية[٣] شافية ، عالية[٤] نامية ، عافية تولد في بدني العافية ، عافية الدنيا والآخرة ، وامنن علي بالصحة ، والأمن ، والسلامة في ديني ، وبدني ، والبصيرة في قلبي ، والنفاذ في أموري ، والخشية لك ، والخوف منك ، والقوة على ما أمرتني به من طاعتك والاجتناب لما نهيتني عنه من معصيتك .

اللهم وامنن علي بالحج والعمرة، وزيارة قبر رسولك صلواتك عليه ، ورحمتك وبركاتك عليه ، وعلى آله ، وآل رسولك عليهم السلام[٥] أبداً ما أبقيتني في عامي هذا ، وفي كل عام ، واجعل ذلك مقبولاً ، مشكوراً مذكوراً لديك ، مدخوراً عندك وأنطق بحمدك وشكرك وذكرك ، وحسن الثناء عليك لساني ، واشرح لمراشد دينك قلبي ، وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم ، ومن شر السامة[٦] والهامة[٧] والعامة[٨] واللامة[٩] ومن شر كل شيطان

---

(١) جللني : أي غطني .
(٢) عافية الآخرة هي الخلاص من العقاب .
(٣) كافية : أي تكفيني ما أهمني .
(٤) عالية : أي أعلى درجات العافية .
(٥) وآل رسولك : معطوف على زيارة قبر رسولك .
(٦) السامة : الدابة التي تسم ولا تقتل .
(٧) الهامة : هي الحيوان الذي يسم ويقتل .
(٨) العامة : أي عامة الناس .
(٩) اللامة : النازلة الشديدة التي تنزل بالانسان .

مريد[1] ومن شر كل سلطان عنيد ، ومن شر كل مترف حفيد[2] ومن شر كل ضعيف وشديد ، ومن شر كل شريف ووضيع ، ومن شر كل صغير وكبير ، ومن شر كل قريب وبعيد ، ومن شر كل من نصب لرسولك ولأهل بيته حرباً من الجن والأنس ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنك على صراط مستقيم .

اللَّهم صل على محمد وآله ومن أرادني بسوء فاصرفه عني ، وادحر عني مكره ، وادرأ عني شره ، ورد كيده في نحره ، واجعل بين يديه سداً حتى تعمي عني بصره ، وتصمم عن ذكري سمعه ، وتقفل دون إخطاري قلبه ، وتخرس عني لسانه ، وتقمع رأسه وتذل عزه ، وتكسر جبروته ، وتذل رقبته ، وتفسخ[3] كبره، وتؤمنني من جميع ضره وشره ، وغمزه[4] وهمزه[5] ولمزه[6] وحسده ، وعداوته ، وحبائله ، ومصائده ، ورجله[7] وخيله ، إنك عزيز قدير . . »[8] .

إن أثمن شيء في الحياة الدنيا ، وأغلاه نعمة العافية ، والسلامة من الأسقام والأمراض ، وقد سأل الامام عليه السلام من الله تعالى أن يمتعه بهذه النعمة ليتقوى بها على طاعته ، وأداء فرائضه ، ويجتنب بها محرماته ومعاصيه ، ثم طلب الإمام من الله أن يمن عليه بالحج والعمرة ، وزيارة قبر النبي العظيم (ص) وزيارة قبور أبنائه الأئمة الطاهرين الذين هم سفن النجاة ، وأمن العباد ، ثم تعوذ الإمام عليه السلام من شرور الأنس والجن ، وسائر المخلوقات ، وطلب منه تعالى أن يحميه منها ، ويجعله في أمن وسلام من شرورها .

---

(١) مريد : هو المارد المؤذي .

(٢) المترف الحفيد : هو صاحب المال الذي له حفدة يخدمونه ، فإنه قد يطغى فيؤذي الناس .

(٣) تفسخ كبره : أي تبطل كبره .

(٤) الغمز : ـ في المقام ـ هو الضغط .

(٥) الهمز : الطعن .

(٦) اللمز : الكسر .

(٧) رجله : هم المشاة من الجيش .

(٨) الصحيفة السجادية الدعاء الثالث والعشرون .

دعاؤه إذا قتر عليه رزقه :

وكان من دعائه عليه السلام إذا قتر عليه رزقه ، وضاقت عليه وسائل معاشه .

« اللّهم إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظن ، وفي آجالنا بطول الأمل ، حتى ألتمسنا أرزاقك من عند المرزوقين ، وطمعنا بآمالنا في اعمار المعمرين ، فصل على محمد وآله ، وهب لنا يقيناً صادقاً تكفينا به من مؤونة الطلب ، وألهمنا ثقة خالصة ، تعفينا بها من شدة النصب[1] واجعل ما صرحت به من عدتك[2] في وحيك ، وأتبعته من قسمك في كتابك قاطعاً لاهتمامنا بالرزق الذي تكفلت به ، وحسماً للاشتغال بما ضمنت الكفاية له ، فقلت ، وقولك الحق الأصدق ، وأقسمت ، وقسمك الأبر الأوفى ، ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ ثم قلت : ﴿فورب السماء إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾[3] وتحدث الإمام عليه السلام في هذا الدعاء عن ظاهرتين من الظواهر النفسية وهما .

١ ـ إن الانسان إذا قتر عليه رزقه ، وضاقت عليه سبل معيشته ، فأنه يتهم الله بذلك ، ويعزوه إليه ، فيكيل له اللوم والعتاب .

٢ ـ إن الانسان قد ابتلي بطول الأمل والبقاء في هذه الدنيا فإنه ينظر نظرة حمقاء إلى المعمرين فيها ، فيحسب أنه سيعمر مثل ما عمروا ، وكان لذلك من المضاعفات السيئة التي منها أن الانسان إذا أيقن بذلك ، فإنه يهمل شؤون آخرته ، ويصرف همه ، وجميع قواه للظفر بالدنيا ، والحصول على خيراتها . . . ثم سأل الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يهب له اليقين بأن الأرزاق مقسومة بيده تعالى ليسلم بذلك من مؤونة الطلب وشدة التعب .

---

(١) النصب : التعب .

(٢) عدتك : أي وعدك .

(٣) الصحيفة السجادية الدعاء الثامن والعشرون .

دعاؤه في المعونة على قضاء الدين :

وكان من دعائه عليه السلام في المعونة على قضاء الدين .

« أللَّهم صل على محمد وآله ، وهب لي العافية من دين تُخلق به وجهي[1] ويحار فيه ذهني ، ويتشعب له فكري ، ويطول بممارسته شغلي ، واعوذ بك يا رب من هم الدين وفكره ، وشغل الدين[2] وسهره ، فصل على محمد وآله ، واعذني منه ، واستجير بك يا رب من ذلته في الحياة ، ومن تبعته بعد الوفاة ، فصل على محمد وآله ، وأجرني منه بوسع فاضل ، وكفاف واصل ، اللهم صل على محمد وآله واحجبني عن السرف ، والازدياد ، وقومني بالبذل[3] والاقتصاد ، وعلمني حسن التقدير ، واقبضني بلطفك عن التبذير ، وأجْرِ من أسباب الحلال أرزاقي ، ووجه في أبواب البر إنفاقي ، وازو[4] عني من المال ما يحدث لي مخْيَلَةً أو تأدِّياً إلى بغي ، أو ما أتعقب منه طغياناً ، اللهم حبب ألي الفقراء ، واعني على صحبتهم بحسن الصبر ، واجعل ما خولتني من حطامها ، وعجلت لي من متاعها بلغة ألى جوارك ، ووصلة إلى قربك ، وذريعة إلى جنتك ، إنك ذو الفضل العظيم ، وأنت الجواد الكريم . . . »[5] .

واحتوى هذا الدعاء الشريف على النقاط التالية :

أولاً : إن الامام سأل من الله تعالى وتضرع إليه أن يعافيه من الدين ، وذلك لما ينجم عنه من الأضرار والآلام ، والتي منها .

(أ) إنه يخلق الوجه ، ويجعله بالياً ، وذلك من كثرة الهموم التي تخالج المدين خصوصاً إذا لم يتمكن من وفائه .

---

(١) تخلق به وجهي : أي تصيره كالخلق البالي .
(٢) وشغل الدين : أي العمل لأجل الخلاص منه .
(٣) وقومني بالبذل : أي قوم أموري بأن أبذل قدر ما يلزم .
(٤) إزو عني : أي ابعد عني .
(٥) الصحيفة السجادية الدعاء التاسع والثلاثون .

(ب) إنه يسبب بلبلة الذهن ، واضطراب الفكر ، وتشعبه ، فإن المدين يطيل التفكير في كيفية وفائه ، والتخلص منه .

(ج) إنه يوجب ممارسة الكثير من الأشغال والأعمال من أجل وفائه والتخلص منه .

(د) إنه مذلة في الحياة ، فإن المدين يشعر بالذل أمام من استدان منه .

(هـ) إن ذمة المدين بعد وفاته تكون مشغولة للدائن لا يفكها إلا وفاء الدين عنه ، ونظراً لهذه الأمور المترتبة على الدين ، فقد طلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يوسع عليه ويجزل له المزيد من رزقه لينجو من آلام الدين وأضراره .

ثانياً : إن الإمام طلب من الله تعالى أن يحجبه عن السرف ، وزيادة البذل والانفاق ، فإن ذلك مما يوجب تلف الأموال ، وضياعها .

ثالثاً : إنه عليه السلام سأل الله أن يعلمه ويهديه إلى حسن التقدير في الأموال ، وهو وضعها في محلها ، فلا يسرف ، ولا يقتصد ، وإنما يبتغي بين ذلك سبيلاً .

رابعاً : إنه طلب من الله تعالى أن يجعل رزقه من الوسائل المشروعة التي لم يمنع عنها الشرع .

خامساً : إنه سأل الله تعالى أن يجعل أنفاقه في وجوه البر والخير ، وما يرضي الله تعالى .

سادساً : إنه سأل الله تعالى ألاَّ يبتليه بالثراء الذي يحدث له تكبراً على الناس ، واعجاباً بالنفس ، أو ظلماً للناس وطغياناً عليهم .

سابعاً : وطلب الإمام من الله أن يحبب له صحبة الفقراء والبؤساء وأن يعينه على مزاملتهم ، وتحمل ما يلاقيه منهم من أذى أو مكروه . . . هذه بعض محتويات هذا الدعاء الجليل .

دعاؤه في ذكر التوبة وطلبها :

وكان من دعائه عليه السلام في ذكر التوبة ، وطلبها .

« اللَّهم يا من لا يصفه نعت الواصفين ، ويا من لا يجاوزه رجاء الراجين ، ويا من لا يضيع لديه أجر المحسنين ، ويا من هو منتهى خوف العابدين ، ويا من هو غاية خشية المتقين ، هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب ، وقادته أزمة الخطايا ، واستحوذ عليه الشيطان ، فقصر عما أمرت به تفريطاً ، وتعاطى ما نهيت عنه تغريراً ، كالجاهل بقدرتك عليه ، أو كالمنكر فضل إحسانك إليه ، حتى إذا انفتح له بصر الهدى ، وتقشعت عنه سحائب العمى ، أحصى ما ظلم به نفسه ، وفكر في ما خالف به ربه ، فرأى كبير عصيانه كبيراً ، وجليل مخالفته جليلة ، فاقبل نحوك مؤملاً لك مستحيياً منك ، ووجه رغبته إليك ، ثقة بك ، فأمك[1] بطمعه يقيناً ، وقصدك بخوفه اخلاصاً قد خلا طمعه من كل مطموع فيه غيرك ، وافرخ[2] روعه من كل محذور منه سواك فمثل بين يديك متضرعاً ، وغمض بصره إلى الأرض متخشعاً ، وطأطأ رأسه لعزتك متذللاً ، وابثك من سره ما أنت اعلم به منه خضوعاً ، وعدد من ذنوبه ما أنت احصى لها خشوعاً ، واستغاث بك من عظيم ما وقع به في علمك ، وقبيح ما فضحه في حكمك ، من ذنوب أدبرت لذاتها فذهبت وأقامت تبعاتها فلزمت ، لا ينكر يا إلهي عدلك إن عاقبته ، ولا يستعظم عفوك إن عفوت عنه ورحمته لأنك الرب الكريم الذي لا يتعاظمه غفران الذنب العظيم . . . » .

أما هذا المقطع فقد احتوى على توحيد الله والثناء عليه ، وأنه لا يحيط بوصفه نعت الناعتين ، ولا وصف الواصفين ، إذ كيف يحيط الممكن المحدود في وجوده ومداركه وعلمه وقدرته ، وفي جميع فعالياته ، بواجب الوجود الذي لا انتهاء لعلمه ، وسائر قدراته ؟

---

(١) أمَّك : أي قصدك .
(٢) افرخ : ذهب .

وألقى الإمام عليه السلام نظرة على المذنبين من عباد الله وقد عد نفسه تواضعاً منهم وإذ أزمة الخطايا والشهوات هي التي دفعتهم إلى مخالفة آوامر الله تعالى ، وأنهم حينما يستيقظون تراودهم أفكار مريرة وتأنيب حاد من الضمير لمخالفتهم أوامر الله والجرأة عليه ، وأنهم يفزعون إليه طالبين منه العفو والمغفرة والرضوان ، ولنستمع إلى مقطع آخر من هذا الدعاء الجليل .

« اللّهم فها أنا ذا قد جئتك مطيعاً لأمرك في ما أمرت به من الدعاء ، متنجزاً وعدك في ما وعدت به من الإجابة إذ تقول : ﴿ أدعوني استجب لكم ﴾ اللّهم فصل على محمد وآله والقني بمغفرتك ، كما لقيتك باقراري ، وارفعني عن مصارع الذنوب ، كما وضعت لك نفسي ، واسترني بسترك كما تأنيتني[1] عن الانتقام مني ، اللّهم وثبت في طاعتك نيتي ، وأحكم في عبادتك بصيرتي ، ووفقني من الأعمال لما تغسل به دنس الخطايا عني ، وتوفني على ملتك ، وملة نبيك محمد عليه السلام أذا توفيتني .

أللّهم إني أتوب إليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي وصغائرها ، وبواطن سيئاتي وظواهرها ، وسوالف زلاتي وحوادثها ، توبة من لا يحدث نفسه بمعصية ، ولا يضمران يعود في خطيئة ، وقد قلت ، يا إلهي في محكم كتابك : إنك تقبل التوبة عن عبادك ، وتعفو عن السيئات ، وتحب التوابين ، فاقبل توبتي كما وعدت ، واعف عن سيئاتي كما ضمنت ، وأوجب لي محبتك كما شرطت، ولك يا رب شرطي ألاّ أعود في مكروهك ، وضماني أن لا أرجع في مذمومك ، وعهدي أن أهجر جميع معاصيك .

اللّهم إنك أعلم بما علمت ، فاغفر لي ما علمته ، واصرفني بقدرتك إلى ما أحببت اللّهم وعلي تبعات قد حفظتهن ، وتبعات قد نسيتهن ، وكلهن بعينك التي لا تنام ، وعلمك الذي لا ينسى ، فعوض منها أهلها ، واحطط عني وزرها ، وخفف عني ثقلها ، واعصمني من أن اقارف مثلها .

أللّهم ونه لا وفاء لي بالتوبة إلا بعصمتك ، ولا استمساك بي عن الخطايا

---

(١) تأنيتني : أي تمهلت عليّ .

إلا عن قوتك ، فقوني بقوة كافية ، وتولني بعصمة مانعة ، اللهم إيما عبد تاب إليك ، وهو في علم الغيب عندك فاسخ لتوبته ، وعائد في ذنبه وخطيئته ، فإني أعوذ بك أن أكون كذلك ، فاجعل توبتي هذه توبة لا أحتاج بعدها إلى توبة ، توبة موجبة لمحو ما سلف ، والسلامة في ما بقى . . . » .

وفي هذا المقطع ، وقف الإمام خاضعاً ذليلاً منكسراً أمام الخالق العظيم ، وكله رجاء وأمل في أن يستجيب دعاءه ، ويمنحه المغفرة والرضوان ، ويرفعه عن مصارع الذنوب ، ويستر عليه بستره الجميل ، فقد تاب إليه توبة نصوحاً ، وأناب إليه ، وأخلص في طاعته ، على أن لا يعود إلى مكروه ، ولا يرجع إلى مذموم ، ويسلك كل طريق فيه رضاه ، ويلح الإمام على الله في قبول توبته ، طالباً منه أن يعصمه من كل ذنب ، ويمحو عنه كل خطيئة ، ولنستمع إلى بقية هذا الدعاء الجليل .

« أللّهم إني اعتذر إليك من جهلي ، واستوهبك سوء فعلي . . . فاضممني إلى كنف[1] رحمتك تطولاً ، واسترني بستر عافيتك تفضلا ، اللهم وإني أتوب إليك من كل ما خالف إرادتك أو زال عن محبتك من خطرات قلبي ، ولحظات عيني ، وحكايات لساني ، توبة تسلم بها كل جارحة على حيالها[2] من تبعاتك ، وتأمن مما يخاف المعتدون من أليم سطواتك ، اللّهم فارحم وحدتي بين يديك ، ووجيب قلبي من خشيتك ، واضطراب أركاني من هيبتك ، فقد أقامتني يا رب ذنوبي مقام الخزي ، بفنائك ، فإن سكتُ لم ينطق عني أحد ، وإن شفعت فلست بأهل الشفاعة .

أللّهم صل على محمد وآله ، وشفِّع في خطاياي كرمك ، وعد علي سيآتي بعفوك ، ولا تجزني جزائي من عقوبتك ، وابسط علي طولك[3] وجللني بسترك ، وافعل بي فعل عزيز تضرع إليه عبد ذليل ، فرحمه أو غني

---

(١) الكنف : الجانب .

(٢) على حيالها : أي على انفرادها .

(٣) طولك : أي احسانك .

تعرض له عبد فقير فنعشه ، اللهم لا خفير[1] لي منك فليخفرني عزك ، ولا شفيع لي فليشفع لي فضلك ، وقد أوجلتني خطاياي ، فلْيؤمني عفوك في كل ما نطقت به عن جهل مني بسوء أثري[2] ولا نسيان لما سبق من ذميم فعلي ، ولكن لتسمع سماؤك ومن فيها ، وأرضك ومن عليها ما أظهرت لك من الندم ، ولجأت إليك فيه من التوبة ، فلعل بعضهم برحمتك يرحمني لسوء موقفي أو تدركه الرأفة علي لسوء حالي فينالني منه بدعوة هي أسمع لديك من دعائي ، أو شفاعة أو كد عندك من شفاعتي تكون بها نجاتي ، من غضبك ، وفوزتي برضاك .

اللّهم أن يكن الندم توبة فأنا أندم النادمين، وإن يكن الترك لمعصيتك إنابة فأنا أول المنيبين ، وأن يكن الاستغفار حطة للذنوب فإني لك من المستغفرين ، اللهم فكما أمرت بالتوبة ، وضمنت القبول ، وحَثثت على الدعاء ، ووعدت الإجابة ، فصل على محمد وآله ، واقبل توبتي ، ولا ترجعني مرجع الخيبة من رحمتك إنك أنت التواب على المذنبين ، والرحيم للخاطئين المنيبين .

اللهم صل على محمد وآله كما هديتنا به ، وصل على محمد وآله كما استنقذتنا به وصل على محمد وآله صلاة تشفع يوم القيامة ، ويوم الفاقة ، أنك على كل شيء قدير ، وهو عليك يسير . . . »[3] .

أرأيتم هذا التبتل والانقطاع إلى الله ؟ لقد ذاب الإمام وجلاً وخوفاً ووجيباً من الله ، هذا ـ هو سيد المتقين ، وإمام المنيبين وزعيم الموحدين .

من المقطوع به أن الإمام عليه السلام لم يقترف في جميع فترات حياته ذنباً ولا خطيئة فقد كانت حياته تشع بنور التقوى والإيمان ، وتتدفق بروح الهداية والتقوى ، لقد أراد الإمام بذلك أن يعطي للأمة دروساً مشرقة عن

---

(١) لا خفير لي : أي لا مجير لي .

(٢) بسوء أثري : أي بسوء ذنبي ، الذي يبقى أثراً على الانسان .

(٣) الصحيفة السجادية : الدعاء الحادي والثلاثون .

المبادىء الاصيلة في الإسلام ، التي تدعو الناس إلى الله ، فقد فتحت لهم باب التوبة ، وليس لمن شذ في سلوكه ، وابتعد عن الطريق القويم أن ييأس من روح الله ، فالطريق مفتوح له إذا تاب ، وأناب إلى الله ، واقتلع من نفسه نزعة الإثم والعصيان .

دعاؤه في الاستخارة :

وكان من دعائه عليه السلام في الاستخارة :

« اللهم إني أستخيرك بعلمك ، فصل على محمد وآله ، واقض لي بالخيرة وألهمنا معرفة الاختيار ، واجعل ذلك ذريعة إلى الرضا بما قضيت لنا والتسليم لما حكمت فأزح عنا ريب الارتياب[1] وأيدنا بيقين المخلصين ولا تسمنا[2] عجز المعرفة عما تخيرت ، فنغمط[3] قدرك ، ونكره موضع رضاك ، ونجنح إلى التي هي أبعد من حسن العاقبة ، وأقرب إلى ضد العافية ، حبب إلينا ما نكره من قضائك ، وسهل علينا ما نستصعب من حكمك ، وألهمنا الانقياد لما أوردت علينا من مشيتك حتى لا نحب تأخير ما عجلت ، ولا تعجيل ما أخرت ، ولا نكره ما أحببت ، ولا نتخير ما كرهت ، واختم لنا بالتي هي احمد عاقبة ، وأكرم مصيراً ، إنك تفيد الكريمة ، وتعطي الجسيمة ، وتفعل ما تريد ، وأنت على كل شيء قدير . . »[4] دلل هذا الدعاء على التجاء الإمام عليه السلام في جميع أموره إلى الله ، وأنه في مهامه ، يستخير الله ، ويسترشده ، فإن قضى له بالفعل أتى به وإلا تركه .

دعاؤه إذا ابتلي :

وكان من دعائه عليه السلام إذا ابتلي أو رأى مبتلى بفضيحة ذنب :

---

(١) ريب الارتياب : أي تهمة الشك في تقديرك وقضائك .

(٢) ولا تسمنا : أي لا تجعل علينا علامة .

(٣) فنغمط : أي ننتقصه . ولا نقدره كما يستحق .

(٤) الصحيفة السجادية : الدعاء الثالث والثلاثون .

« أللّهم لـك الحمد على سترك بعد علمك ، ومعافاتك بعد خُبْرك ، فكلنا قد اقترف العائبة فلم تشهره ، وارتكب الفاحشة فلم تفضحه ، وتستر بالمساوي[1] فلم تدلل عليه[2] كم نهي لك قد أتيناه ، وأمر قد وقفتنا عليه[3] فتعديناه ، وسيئة اكتسبناها ، وخطيئة ارتكبناها ، كنت المطلع عليها دون الناظرين ، والقادر على اعلانها فوق القادرين ، كانت عافيتك لنا[4] حجاباً دون ابصارهم ، وردماً[5] دون اسماعهم ، فاجعل ما سترت من العورة ، واخفيت من الدخيلة[6] واعظاً لنا ، وزاجراً عن سوء الخلق ، واقتراف الخطيئة ، وسعياً إلى التوبة الماحية ، والطريق المحمودة ، وقرِّب الوقت فيه ، ولا تسمنا الغفلة عنك ، إنا إنا إليك راغبون ، ومن الذنوب تائبون وصل على خيرتك اللهم من خلقك ، محمد وعترته الصفوة من بريتك ، الطاهرين ، واجعلنا لهم سامعين ، ومطيعين كما أمرت . . »[7] .

تحدث الإمام عليه السلام ـ في هذا الدعاء ـ عن ألطاف الله تعالى على العصاة والمذنبين من عباده ، فلم يفضحهم حين اقترافهم الذنوب ، ولم يشهرهم بين الناس فتسقط مكانتهم الاجتماعية ، وإنما ستر عليهم بستره المرخي لعلهم يرجعون إلى طريق الحق ، وعن الغي يرتدعون .

دعاؤه في الرضا إلى أصحاب الدنيا :

وكان من دعائه عليه السلام في الرضا إذا نظر إلى أصحاب الدنيا .

« الحمد لله رضىً بحكم الله ، شهدت أن الله قسم معايش عباده بالعدل ، وأخذ على جميع خلقه بالفضل[8] اللهم صل على محمد وآله ولا

---

(١) وتستر بالمساوي : أي أبدى ستراً على قبائحه ومساويه .
(٢) فلم تدلل عليه : أي لم تدل الناس عليه ، ولم تظهره لهم حتى يشتهر أمره بينهم .
(٣) قد وقفتنا عليه : يعني أمرتنا أن نقف عنده ولا نتعداه .
(٤) عافيتك لنا : أي عفوك عنا .
(٥) ردماً : أي سداً .
(٦) أخفيت من الدخيلة : أي أخفيت ما يحول في دخائل النفس .
(٧) الصحيفة السجادية : الدعاء الرابع والثلاثون .
(٨) بالفضل : أي بتفاضل بعضهم على بعض في الرزق .

تفتني بما أعطيتهم ولا تفتنهم بما منعتني[1] فأحسد خلقك ، وأغمط حكمك[2] اللهم صل على محمد وآله ، وطيب بقضائك نفسي ، ووسع بمواقع حكمك صدري ، وهب لي الثقة لأقر معها بأن قضائك لم يجر إلا بالخيرة ، واجعل شكري لك على ما زويت عني أوفر من شكري إياك ، على ما خولتني ، واعصمني من أن أظن بذي عدم خساسة[3] ، أو أظن بصاحب ثروة فضلاً ، فإن الشريف من شرفته طاعتك ، والعزيز من أعززته عبادتك ، فصل على محمد وآله ، ومتعنا بثروة لا تنفذ ، وأيدنا بعز لا يفقد ، واسرحنا في ملك الأبد[4] إنك الواحد الأحد[5] الصمد[6] الذي لم تلد ، ولم تولد ، ولم يكن لك كفواً أحد . . »[7] ونعرض - بايجاز - إلى بعض المحتويات الرائعة في هذا الدعاء الجليل .

أولاً : ذكر الإمام عليه السلام أن الله تعالى قسم معايش عباده بالعدل ، وفضل بعضهم على بعض في الرزق ، وذلك لحكمة لأنهم لو تساووا في أرزاقهم ، لهلكوا جميعاً كما في الحديث .

ثانياً : إن الإمام عليه السلام سأل الله تعالى أن لا يفتنه بما تفضل به على بعض عباده بالثراء وزيادة النعم ، فيقيه من حسده لهم .

ثالثاً : طلب الإمام من الله تعالى أن يعصمه من أن يظن بالفقراء خساسة وأنهم إنما منعوا من الرزق لنقص فيهم ، كما طلب من الله أن يعصمه من أن يظن بصاحب الثراء فضلاً وشرفاً ، فإن الشريف هو الذي تشرف بطاعة الله وعبادته .

---

(١) ولا تفتنهم بما منعتني : أي لا تفتن الناس بما منعتني من الرزق بأن يقولوا : إنما حجب الله عند الرزق لحقارته وضعته .

(٢) اغمط حكمك : أي انتقص حكمك .

(٣) أن أظن بذي عدم خساسة : أي أظن بالفقير الدناءة والخساسة لفقره .

(٤) ملك الأبد : هي الجنة التي لا زوال لها .

(٥) الأحد : هو الذي لا جزء له .

(٦) الصمد : السيد الشريف الذي يقصد إليه في الحوائج .

(٧) الصحيفة السجادية : الدعاء الخامس والثلاثون .

دعاؤه إذا نظر إلى السحاب :

وكان من دعائه عليه السلام إذا نظر إلى السحاب والبرق ، وسمع صوت الرعد :

« اللَّهم إن هذين[1] آيتان من آياتك ، وهذين عونان من أعوانك ، يبتدران طاعتك ، برحمة نافعة ، أو نقمة ضارة ، فلا تمطرنا بهما مطر السوء[2] ولا تلبسنا بهما لباس البلاء ، أللَّهم صل على محمد وآله ، وانزل علينا نفع هذه السحائب وبركتها ، واصرف عنا أذاها ومضرتها ، ولا تصبنا فيها بآفة ، ولا ترسل على معايشنا عاهة .

أللَّهم وإن كنت بعثتها نقمة، وأرسلتها سخطة ، فإنا نستجير بك من غضبك ونبتهل إليك في سؤال عفوك ، فمل بالغضب إلى المشركين ، وأدر رحى نقمتك على الملحدين ، أللَّهم اذهب محل[3] بلادنا بسقياك ، واخرج وَحَرَ[4] صدورنا برزقك ، ولا تشغلنا عنك بغيرك ، ولا تقطع عن كافتنا مادة برك ، فإن الغني من أغنيت ، وإن السالم من وقيت ، ما عند أحد دونك دفاع ، ولا بأحد عن سطوتك امتناع ، تحكم بما شئت على من شئت ، وتقضي بما أردت في من أردت ، فلك الحمد على ما وقيتنا من البلاء[5] ولك الشكر على ما خولتنا من النعماء ، حمداً يخلف حمد الحامدين وراءه ، حمداً يملأ أرضه وسماءه إنك المنان بجسيم المنن ، الوهاب لعظيم النعم ، ألقابل يسير الحمد ، الشاكر قليل الشكر ، المحسن المجمل ذو الطول[6] لا إله إلا أنت إليك المصير[7] تحدث الإمام عليه السلام في هذا الدعاء عن السحاب والبرق اللذين هما آيتان من آيات الله ، وعونان من أعوانه ، يرسلهما إما نعمة

---

(١) المشار إليهما : هما الرعد والبرق .
(٢) مطر السوء : هو الموجب للخراب والدمار .
(٣) المحل : الجدب .
(٤) الوحر : أشد الغضب .
(٥) وقيتنا من البلاء : أي حفظتنا من البلاء .
(٦) الطول : أي الاحسان .
(٧) الصحيفة السجادية : الدعاء السادس والثلاثون .

لعباده ، فيحيي بهما الأرض بعد موتها ، ويجلب بهما النعم والخيرات لهم ، وإما أن يكونا نقمة عليهم ، فيمطرهم مطر السوء ، فيخرب به ديارهم ، ويهلك به زرعهم وحرثهم ويرسل عليهم البرق مصحوباً بالزلازل المدمرة والمحرقة . . . وقد تضرع الإمام إلى الله تعالى أن يجعل مطر السوء على أعدائه من المشركين ، والملحدين ، والمنحرفين ، ويخص المؤمنين والمسلمين بمطر الخير والرحمة ليغنيهم من فضله ، ويرزقهم من نعمته .

دعاؤه إذا اعترف بالتقصير

وكان من دعائه عليه السلام إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر له تعالى .

« اللَّهم إن أحداً لا يبلغ من شكرك غاية ، إلاّ حل عليه من احسانك ما يلزمه شكراً ، ولا يبلغ مبلغاً من طاعتك ، وإن اجتهد إلا مقصراً دون استحقاقك بفضلك ، فاشكر عبادك عاجز عن شكرك ، واعبدهم مقصر عن طاعتك ، لا يجب لأحد أن تغفر له باستحقاقه ، ولا أن ترضى عنه باستيجابه ، فمن غفرت له فبطولك[1] ومن رضيت عنه فبفضلك ، تشكر يسير ما شكر ، وتثيب على قليل ما تطاع فيه ، حتى كأن شكر عبادك الذي أوجبت عليه ثوابهم ، واعظمت عنه جزاءهم أمرٌ ملكوا استطاعة الامتناع منه دونك ، فكافيتهم ، أو لم يكن سببه بيدك فجازيتهم . بل ملكت - يا إلهي - أمرهم قبل أن يملكوا عبادتك ، وأعددت ثوابهم ، قبل أن يفيضوا في طاعتك[2] وذلك أن سنتك الإفضال ، وعادتك الإحسان ، وسبيلك العفو ، فكل البرية معترفة بأنك غير ظالم لمن عاقبت ، وشاهدة بأنك متفضل على من عافيت ، وكل مقر على نفسه بالتقصير عما استوجبت ، فلولا أن الشيطان يختدعهم[3] عن طاعتك ، ما عصاك عاص ، ولولا أنه صور لهم الباطل في مثال الحق

---

(١) فبطولك : أي فبأحسانك .

(٢) أن يفيضوا في طاعتك: أي يسترسلوا في طاعتك .

(٣) يختدعهم : أي يخدعهم ، ويغشهم .

ما ضل عن طريقك ضال ، فسبحانك !! ما ابين كرمك[1] في معاملة من أطاعك ، أو عصاك ، تشكر للمطيع ما أنت توليته له[2] وتملي للعاصي فيما تملك معاجلته فيه ، أعطيت كلاً منهما ما لم يجب له[3] ، وتفضلت على كل منهما بما يقصر عمله عنه ، ولو كافأت المطيع على ما أنت توليته لأوشك أن يفقد ثوابك ، وأن تزول عنه نعمتك ، ولكنك بكرمك جازيته على المدة القصيرة الفانية ، بالمدة الطويلة الخالدة ، وعلى الغاية القريبة الزائلة بالغاية[4] المديدة[5] الباقية ، ثم لم تسمه القصاص في ما أكل من رزقك الذي يقوى به على طاعتك ، ولم تحمله على المناقشات في الآلات[6] التي تسبب باستعمالها ألى مغفرتك ، ولو فعلت ذلك به لذهب بجميع ما كدح له ، وجملة ما سعى له فيه جزاءً للصغرى[7] من أياديك ومننك ، ولبقي رهيناً بين يديك بسائر نعمك ، فمتى كان يستحق شيئاً من ثوابك ؟ لا متىٰ !

هذا يا إلٰهي من أطاعك ، وسبيل من تعبد لك ، فأما العاصي أمرك ، والمواقع[8] نهيك ، فلم تعاجله بنقمتك لكي يستبدل بحاله في معصيتك حال الانابة إلى طاعتك ، ولقد كان يستحق في أول ما همَّ بعصيانك كل ما اعددت لجميع خلقك من عقوبتك ، فجميع ما أخرت عنه من العذاب وابطأت به عليه من سطوات النقمة والعقاب ترك من حقك ، ورضي بدون واجبك ، فمن أكرم يا إلٰهي منك ، ومن أشقى ممن هلك عليك ؟ لا ! من ؟ فتباركت أن توصف إلا بالاحسان ، وكرمت أن يخاف منك إلا العدل ، لا يخشى جورك على من عصاك ، ولا يخاف إغفالك ثواب من أرضاك . فصل على محمد وآله

---

(١) ما ابين كرمك : أي ما أظهر كرمك .
(٢) توليته له : أي أعطيته له .
(٣) ما لم يجب له : أي ما لا يستحقه من الاحسان .
(٤) بالغاية : أي المدة المحدودة .
(٥) المديدة : أي الممتدة .
(٦) الآلات : أي الجوارح البدنية .
(٧) للصغرى : أي النعمة الصغيرة .
(٨) المواقع : أي الآتي ، والمباشر الفعل .

وهب لي أملي ، وزدني من هداك ما أصل به إلى التوفيق في عملي إنك منان كريم . . »[1] ونقف وقفة قصيرة للنظر في معطيات هذا الدعاء الجليل ،الذي احتوى على ما يلي .

أولاً : إن ألطاف الله تعالى ، ونعمه على عباده لا تحصى ، وإن الشاكر له مهما بلغ في شكره ، فإنه لا يؤدي ما عليه من حق ، لأن الأدوات التي يشكر بها كلها معطاة من الله ، وهي تستحق الشكر .

ثانياً : إن الانسان مهما اجتهد في طاعة الله وعبادته فإنه مقصر في ذلك بسبب ألطاف الله اللامتناهية على عباده .

ثالثاً : إن الله تعالى إذ يتفضل على المؤمنين من عباده بالمغفرة ، وتعويضهم عن أعمالهم الخيرة بالفردوس الأعلى ، فإن ذلك ليس على سبيل الاستحقاق لهم عليه ، وإنما هو من باب الفضل واللطف منه تعالى ، وقد دلل على ذلك بصورة موضوعية في البحوث الكلامية .

رابعاً : إن الذي يخدع الناس عن طاعة الله ، ويغريهم بالمعاصي إنما هو الشيطان الرجيم ، ولولاه ما ضل عن الطريق ضال ، ولا غوى أحد .

خامساً : إن الله تعالى يشكر المطيعين من عباده ، ويمهل العاصين منهم ، فلم يعجل لهم العقوبة ، ولو عاجلهم بها ما ترك عليها من دابة .

سادساً : إن الله تعالى يجازي الصالحين من عباده في الدار الآخرة التي لا انقضاء لها ، فيهبهم جنة المأوى يتبوَّؤون فيها حيثما شاؤوا . . . هذه بعض محتويات هذا الدعاء الجليل .

دعاؤه إذا نعي إليه ميت :

وكان من دعائه عليه السلام إذا نعي إليه ميت أو إذا ذكر الموت .

« اللَّهم صل على محمد وآله ، واكفنا طول الأمل ، وقصره عنا بصدق

---

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء السابع والثلاثون .

العمل ، حتى لا نؤمل استتمام ساعة بعد ساعة ، ولا استيفاء يوم بعد يوم ، ولا اتصال نفس بنفس ، ولا لحوق قدم بقدم ، وسلمنا من غروره ، وآمِنّا من شروره وانصب الموت بين أيدينا نصباً ، ولا تجعل ذكرنا له غباً[1] واجعل لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطىء معه المصير إليك ، ونحرص على وشك اللحاق بك ، حتى يكون الموت مأنَسنا الذي نأنس به ، ومألفنا الذي نشتاق إليه ، وحامتنا[2] التي نحب الدنو منها ، فإذا أوردته علينا وانزلته بنا ، فاسعدنا به زائراً ، وآنسنا به قادماً ، ولا تشقنا بضيافته ، ولا تحزنا بزيارته ، واجعله باباً من ابواب مغفرتك ، ومفتاحاً من مفاتيح رحمتك ، أمتنا مهتدين غير ضالين ، طائعين غير مستكرهين ، تائبين غير عاصين ولا مصرين يا ضامن جزاء المحسنين ، ومستصلح عمل المفسدين . . »[3] إن طول الأمل مما يصد الانسان عن الأعمال الصالحة ، وينسيه الدار الآخرة ، وقد استعاذ الإمام عليه السلام بالله منه ، وتضرع إليه تعالى أن يجعله نصب عينه لا ينساه لحظة من حياته ليعمل لدار القرار ، وحتى يأنس بالموت إذا وفد عليه .

دعاؤه في طلب الستر :

وكان من دعائه عليه السلام في طلب الستر والوقاية :

« اللّهم صل على محمد وآله ، وأفرشني مهاد كرامتك ، وأوردني مشارع رحمتك ، وأحللني بحبوحة[4] جنتك ، ولا تسمني بالرد عنك ، ولا تحرمني بالخيبة منّك ، ولا تقاضني بما اجترحت[5] ولا تناقشني[6] بما اكتسبت ، ولا تبرز مكتومي ولا تكشف مستوري ، ولا تحمل على ميزان الانصاف عملي ، ولا تعلن على عيون الملأ خبري ، أخْفِ عنهم ما يكون

---

(١) غبا : أي متقطعاً في وقت دون وقت .
(٢) الحامة : أهل بيت الرجل .
(٣) الدعاء الاربعون .
(٤) البحبوحة : وسط الشيء والسعة .
(٥) اجترحت : أي عملت .
(٦) لا تناقشني : أي لا تحاسبني .

نشره علي عاراً ، واطو عنهم ما يلحقني عندك شناراً[1] شرف درجتي برضوانك ، واكمل كرامتي بغفرانك ، وانظمني[2] في أصحاب اليمين[3] ووجهني في مسالك الآمنين ، واجعلني في فوج[4] الفائزين ، واعمر بي مجالس الصالحين ، آمين رب العالمين . . »[5] .

هنا تضرع الإمام إلى الله تعالى خاشعاً ، وطالباً منه أن يحله مهاد كرامته ، ويورده مشارع رحمته ، ويمن عليه بالفردوس الأعلى ، ولا يَسمَهُ بالردّ ، ولا يحرمه بالخيبة ، كما طلب منه الستر والوقاية في الدار الآخرة ، وأن يشرف درجته برضوانه ، ويكمل كرامته بغفرانه .

إن هذا الإمام العظيم لا يحيط الوصف بحقيقته تقواه ، ولا يلم اللفظ بورعه وكماله ، وشدة إنابته إلى الله .

دعاؤه إذا نظر إلى الهلال :

وكان من دعائه عليه السلام إذا نظر إلى الهلال : أيها الخلق[6] المطيع[7] الدائب[8] السريع ، المتردد[9] في منازل التقدير[10] المتصرف في فلك التدبير ، آمنت بمن نوّر بك الظلم ، وأوضح بك البهم ، وجعلك آية من آيات ملكه[11] وعلامة من علامات سلطانه ، وامتهنك[12] بالزيادة والنقصان ،

---

(١) الشنار : العار .
(٢) انظمني : أي اجعلني وأسلكني .
(٣) اصحاب اليمين : هم الذين يؤخذ بهم إلى الجنة ، ويقابلهم أصحاب الشمال .
(٤) الفوج : الجماعة .
(٥) الصحيفة السجادية : الدعاء الثاني والأربعون .
(٦) الخلق : أراد به المخلوق .
(٧) المطيع : أي مطيع لله تعالى .
(٨) الدائب : أي المستمر في عمله .
(٩) المتردد : أي متردد بمجيئه وذهابه .
(١٠) منازل التقدير : أي المنازل التي قدرها له الله .
(١١) آيات ملكه : أي علامة على أنه تعالى مالك للكون .
(١٢) وامتهنك : أي استعملك في المهنة أي الحرفة .

والطلوع والافول[1] والإنارة ، والكسوف[2] في كل ذلك أنت له مطيع ، وإلى إرادته سريع ، سبحانه ما أعجب ما دبرَّ في أمرك ، وألطف ما صنع في شأنك ، جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث ، فاسأل الله ربي وربك ، وخالقي وخالقك ، ومقدري ومقدرك ، ومصوري ، ومصورك ، أن يصلي على محمد وآله ، وأن يجعلك هلال بركة لا تمحقها[3] الأيام، وطهارةٍ لا تدنسها الآثام، هلال أمن من الآفات ، وسلامة من السيئات ، هلال سعد لا نحس فيه ، ويمن لا نكد معه ، ويسر لا يمازجه عسر ، وخير لا يشوبه شر ، هلال أمن وإيمان ونعمة واحسان ، وسلامة واسلام .

اللَّهم صل على محمد وآله ، واجعلنا من أرضى من طلع عليه ، وازكى من نظر إليه ، وأسعد من تعبد لك فيه ، ووفقنا فيه للتوبة ، واعصمنا فيه من الحوبة[4] واحفظنا من مباشرة معصيتك ، وأوزعنا فيه[5] شكر نعمتك ، وألبسنا فيه جنن العافية[6] وأتمم علينا باستكمال طاعتك فيه المنة ، إنك المنان الحميد ، وصلى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين . . »[7] .

وتحدث الإمام عليه السلام ـ في هذا الدعاء ـ عن آية من آيات الله العظام ، وهو القمر الكوكب الرائع الجميل ، الذي زين الله به سماء الدنيا ، وجعل له منازلاً يسير فيها بمسيرة مرتبة ، ومنظمة تنظيماً دقيقاً ، ففي طلوعه ، وافوله ، وإنارته ، وكسوفه آيات رائعة على وجود الخالق الحكيم ، وعظمة تدبيره ، وعجيب صنعه ، وقد سأل الإمام عليه السلام من الله أن يجعل له الخير فيه ، ويجعله هلال أمن من الآفات وسلامة من السيئات ، ويجعله هلال سعد لا نحس فيه إلى غير ذلك من المطالب الحسان التي سأل الإمام من الله أن يحققها له فيه .

---

(١) ألأفول : الغروب .

(٢) الكسوف : ويحدث عندما تحول الأرض بينه وبين نور الشمس .

(٣) لا تمحقها : أي لا تبطلها .

(٤) الحوبة : أي الخطيئة .

(٥) واوزعنا فيه لا ؛ أي أقسم لنا .

(٦) الجنن جمع جنة : وهي كل ما يُتَّقى به .

(٧) الصحيفة السجادية : الدعاء الثالث والأربعون .

دعاؤه في دفع كيد الأعداء :

وكان من دعائه عليه السلام في دفاع كيد الاعداء ، ورد بأسهم هذا الدعاء الجليل ، ويسمى بالجوثن الصغير[١] ومن الجدير بالذكر أن هذا الدعاء غير الدعاء المروي عن النبي (ص) المسمى بالجوشن الصغير : «إلهي هديتني فلهوت ، ووعظت فقسوت ، وأبليت الجميل فعصيت ، ثم عرفت ما اصدرت إذ عرفتنيه فاستغفرت فأقلتَ ، فعدت فسترت فلك إلهي الحمد تقحمت أودية الهلاك ، وحللت شعاب[٢] تلف تعرضت فيها لسطواتك، وبحلولها عقوباتك، ووسيلتي إليك التوحيد ، وذريعتي أني لم أشرك بك شيئاً ، ولم اتخذ معك إلهاً ، وقد فررت إليك بنفسي وإليك مفر المسيء ، ومفزع المضيع لحظ نفسه الملتجيء ، فكم من عدو انتضى[٣] علي سيف عداوته ، وشحذ[٤] لي ظبة مديته[٥] وارهف لي شباحده[٦] وداف لي[٧] قواتل سمومه ، وسدد نحوي صوائب[٨] سهامه ، ولم تنم عني عين حراسته واضمر أن يسومني المكروه ، ويجرعني زعاف[٩] مرارته ، فنظرت يا إلهي إلى ضعفي عن احتمال الفوادح ، وعجزي عن الانتصار ممن قصدني بمحاربته ، ووحدتي في كثير عدد من ناواني ، وأرصد لي بالبلاء في ما لم اعمل فيه فكري ، فابتدأتني وشددت أزري[١٠] بقوتك ، ثم فللت لي حده[١١] وصيرته من بعد جمع عديد وحده ، واعليت كعبي[١٢] عليه ، وجعلت ما سدده مردوداً

---

(١) الجوشن : الدرع .
(٢) الشعاب : جمع شعب ، وهو الصدع الذي يكون في الجبل .
(٣) انتضى : أي سل .
(٤) شحذ : أي حدد ليقطع سريعاً .
(٥) ظبة مدية : الظبة طرف المدية : وهي السكين .
(٦)شباحده : أي طرف حد السكين .
(٧) داف : أي مزج .
(٨) صوائب سهامه : أي سهامه الصائبة .
(٩) الزعاف : السم القاتل .
(١٠) ازري : أي ظهري .
(١١) فللت حده : أي كسرت سورته وشدته .
(١٢) الكعب : الرجل .

عليه ، فرددته لم يشف غيظه ، ولم يسكن غليله ، قد عض على شواه ، وأدبر مولياً قد اخلفت سراياه[١] وكم من باغ بغاني بمكائده ، ونصب لي شرك مصائده ووكل بي تفقد رعايته ، واظبأ[٢] إلي إظباء السبع لطريدته انتظاراً لانتهاز الفرصة لفريسته ، وهو يظهر لي بشاشة الملق ، وينظرني على شدة الحنق ، فلما رأيت يا إلهي تباركت وتعاليت ، دغل[٣] سريرته ، وقبح ما انطوى عليه ، اركسته لأم رأسه في زبيته[٤] ورددته في مهوى حفرته ، فانقمع[٥] بعد استطالته ذليلاً ، في ربق حبالته[٦] التي كان يقدر أن يراني فيها ، وقد كاد أن يحل بي ، لولا رحمتك ، ما حلَّ بساحته ، وكم من حاسد قد شرق بي بغصته ، وشجيَ مني بغيظه ، وسلقني[٧] بحد لسانه ، ووحرني[٨] بقرف[٩] عيوبه ، وجعل عرضي[١٠] غرضاً لمراميه[١١] وقلدني خلالاً[١٢] لم تزل فيه ، ووحرني[١٣] بكيده ، وقصدني بمكيدته ، فناديتك يا إلهي مستغيثاً بك ، واثقاً بسرعة إجابتك ، عالماً أنه لا يضطهد من أوى إلى ظل كتفك ، ولا يفزع من لجأ إلى معقل انتصارك ، فحصنتني من بأسه بقدرتك ، وكم من سحائب مكروه جليتها عني ، وسحائب نعم أمطرتها علي ، وجداول رحمة نشرتها[١٤] وعافية ألبستها ، وأعين احداث طمستها[١٥] وغواشي كربات

---

(١) سراياه : جمع سرية وهي القطعة من الجيش .
(٢) اظبأ : أي اشرف .
(٣) دغل : أي فساد سريرته .
(٤) الزبية : هي الحفرة .
(٥) انقمع : أي انقلع .
(٦) ربق حبالته : أي في مصيدته المصنوعة من الحبل .
(٧) سلقني : أي آذاني .
(٨) وحرني : أي غاظني .
(٩) القرف : الاكتساب .
(١٠) العرض : الشرف .
(١١) غرضاً لمراميه : أي استهدفني بالكلام السيء والبذيء .
(١٢) خلالاً : أي صفات .
(١٣) وحرني : أي غاظني .
(١٤) نشرتها : أي أجريتها .
(١٥) طمستها : أي محوتها .

كشفتها، وكم من ظن حسن حققت، وعدم جبرت ، وصرعة انعشت ، ومسكنة حولت[1]، كل ذلك انعاماً وتطولاً منك ، وفي جميعه إنهماكاً مني على معاصيك ، لم تمنعك اساءتي عن اتمام احسانك ، ولا حجرني[2] ذلك من ارتكاب مساخطك لا تسأل عما تفعل ، ولقد سئلتَ فاعطيت ، ولم تسأل فابتدأت ، واستُميح فضلك فما اكديت[3] أبيت ما مولاي إلا احساناً وامتناناً ، وتطولاً[4] وإنعاماً ، وأبيتُ إلا تقحماً لحرماتك[5] وتعدياً لحدودك ، وغفلة عن وعيدك فلك الحمد إلهي من مقتدر لا يغلب ، وذي اناة[6] لا تعجل ، هذا مقام من اعترف بسبوغ النعم ، وقابَلَها بالتقصير ، وشهد على نفسه بالتضييع .

اللّهم فإني أتقرب إليك بالمحمدية[7] الرفيعة ، والعلوية[8] البيضاء وأتوجه إليك بهما أن تعيذني من شر كذا وكذا ،[9] فإن ذلك لا يضيق عليك في وجدك[10] ولا يتكأدك[11] في قدرتك ، وأنت على كل شيء قدير ، فهب لي يا إلهي من رحمتك ، ودوام توفيقك ما اتخذه سلماً أعرج به إلى رضوانك ، وآمن به من عقابك يا أرحم الراحمين . . »[12] لقد مرت على الإمام عليه السلام أزمات سياسية شاقة وعسيرة ، فقد تعرض لضغط هائل أيام الحكم الأموي ، إذ فرضت عليه السلطة الرقابة الشديدة ، وكانت تحصي

---

(١) ومسكنة حولت : أي فقر حولته إلى غنى .
(٢) ولا حجرني ذلك : أي ولا منعني ذلك.
(٣) فما أكديت : أي ما رددت.
(٤) التطول : التفضل .
(٥) الا تقحما لحرماتك : أي دخولاً فيها بجرأة وجسارة .
(٦) الأناة : الحلم .
(٧) المحمدية : هي دين الاسلام الحنيف .
(٨) العلوية : هي الولاء والتدين بولاية رائد الحق والعدل الامام أمير المؤمنين عليه السلام.
(٩) من شر كذا أو كذا : وهو الشيء الذي يخاف ويحذر مه .
(١٠) في وُجْدك : أي في ما تقدر عليه .
(١١) لا يتكأدك : أي لا يثقل عليك .
(١٢) الصحيفة السجادية : الدعاء التاسع والأربعون .

عليه أنفاسه ، وقابلته بمزيد من الشدة والقسوة .

لقد حكت هذه الوثيقة من الدعاء ما عاناه الإمام من ضروب المحن ، وصنوف البلاء من خصومه السياسيين ، وما دبروا له تارة من المؤامرات التي كادت تودي بحياته ، وأخرى ما كانوا يبغون له من الغوائل ، وما يكيدون له في وضح النهار ، وفي غلس الليل للقضاء عليه ، فقد نصبوا له شرائك مصائدهم ، قد ملئت قلوبهم بالحقد عليه ، ولكن الله تعالى بلطفه وفضله عليه رد كيدهم إلى نحورهم ، فاركسهم في الفتنة ، وصب عليهم العذاب الأليم وانقذ الإمام من شرورهم .

دعاؤه في الرهبة :

وكان من دعائه عليه السلام في الرهبة ، هذا الدعاء الجليل .

« اللَّهم إنك خلقتني سوياً[1] وربيتني صغيراً ، ورزقتني مكفياً[2] اللَّهم إني وجدت في ما أنزلت من كتابك ، وبشرت به عبادك ، أن قلت : «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً » وقد تقدم مني ما قد علمت ، وما أنت أعلم به مني ، فياسوأتا مما أحصاه علي كتابك ، فلولا المواقف التي أؤمل من عفوك الذي شمل كل شيء لألْقيت بيدي[3] ولو أن أحداً استطاع الهرب من ربه لكنت أنا أحق بالهرب منك ، وأنت لا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء إلا أتيت بها ، وكفى بك جازياً ، وكفى بك حسيباً .

اللَّهم إنك طالبي إن أنا هربت ، ومدركي إن أنا فررت ، فها أنا ذا بين يديك خاضع ذليل راغم[4] إن تعذبني فإني لذلك أهل ، وهو يا رب منك عدل ، وأن تعف عني فقديماً شملني عفوك ، وألبستني عافيتك ، فاسألك

---

(١) خلقتني سوياً : أي خلقتني مستوي الخلقة .
(٢) رزقتني مكفياً : أي لا احتاج إلى رزقٍ من غيرك .
(٣) لألقيت بيدي : أي لاستسلمت ، ومددت يدي آيساً .
(٤) راغم : أي لاصق بالرغام وهو التراب .

اللَّهم بالمخزون من اسمائك ، وبما وارته الحجب من بهائك إلا رحمت هذه النفس الجزوعة ، وهذه الرمة[1] الهلوعة التي لا تستطيع حر شمسك فكيف تستطيع حر نارك ؟ والتي لا تستطيع صوت رعدك ، فكيف تستطيع صوت غضبك ؟ فارحمني اللهم فإني امرؤ حقير ، وخطري[2] يسير ، وليس عذابي مما يزيد في ملكك مثقال ذرة ، ولو أن عذابي مما يزيد في ملك لسألتك الصبر عليه ، وأحببت أن يكون ذلك لك ، ولكن سلطانك اللَّهم أعظم ، وملك أدوم من أن تزيد فيه طاعة المطيعين ، أو تنقص منه معصية المذنبين ، فارحمني يا أرحم الراحمين ، وتجاوز عني ياذا الجلال والإكرام ، وتب علي إنك أنت الثواب الرحيم . . »[3] .

واحتوى هذا الدعاء الجليل على تضرع الإمام عليه السلام ، وتوسله إلى الله تعالى . راجياً منه أن يمن عليه بالرحمة والغفران ، وأن يتلطف عليه بعفوه الذي شمل كل شيء ، كما احتوى على الفزع ، والخوف من عذاب الله ، فإن هذه النفس لا تستطيع مقاومة حرارة الشمس ، فكيف تستطيع أن تقاوم وتصبر على نار جهنم واهوالها ؟ ولنستمع بعد هذا إلى دعاء آخر من أدعيته .

دعاؤه في التضرع إلى الله :

« إلهي أحمدك ـ وأنت للحمد أهل ـ على حسن صنيعك إلي ، وسبوغ نعمائك علي ، وجزيل عطائك عندي ، وعلى ما فضلتني به من رحمتك ، واسبغت عليَّ من نعمتك ، فقد اصطنعت عندي ما يعجز عنه شكري ، ولولا احسانك إلي ، وسبوغ نعمائك علي ، ما بلغت احراز حظي ، ولا اصلاح نفسي ، ولكنك ابتدأتني بالاحسان ، ورزقتني في أموري كلها الكفاية ، وصرفت عني جهد البلاء ، ومنعت مني محذور القضاء .

إلهي فكم من بلاء جاهد[4] قد صرفت عني ، وكم من نعمة سابغة

---

(١) الرمة : العظام المندرسة البالية .

(٢) خطري : أي أمري .

(٣) الصحيفة السجادية : الدعاء الخمسون .

(٤) بلاء جاهد : أي موجب للمشقة .

أقررت بها عيني ، وكم من صنيعة كريمة لك عندي ، أنت الذي أجبت عند الاضطرار دعوتي ، وأقلت عند العثار زلتي ، وأخذت لي من الأعداء بظلامتي إلهي ما وجدتك بخيلاً حين سألتك ، ولا منقبضاً حين أردتك ، بل وجدتك لدعائي سامعاً ، ولمطالبي معطياً ، ووجدت نعماك علي سابغة في كل شأن من شأني ، وفي كل زمان من زماني ، فأنت عندي محمود وصنيعك لدي مبرور ، تحمدك نفسي ولساني وعقلي ، حمداً يبلغ الوفاء وحقيقة الشكر ، حمداً يكون مبلغ رضاك عني ، فنجني من سخطك يا كهفي حين تعييني المذاهب ، ويا مقيلي عثرتي ، فلولا سترك عورتي لكنت من المفضوحين ، ويا مؤيدي بالنصر ، فلولا نصرك إياي لكنت من المغلوبين ، ويا من وضعت له الملوك نير المذلة[1] على اعناقها ، فهم من سطوته خائفون ، ويا أهل التقوى[2] ويا من له الأسماء الحسنى ، اسألك أن تعفو عني وتغفر لي فلست بريئاً فاعتذر ، ولا بذي قوة فانتصر ، ولا مفر لي فأفر وأستقيلك عثراتي ، واتنصل[3] إليك من ذنوبي التي قد أوبقتني[4] واحاطت بي فاهلكتني ، منها فررت إليك رب تائباً ، فتب علي ، متعوذاً فأعذني ، مستجيراً فلا تخذلني ، سائلاً فلا تحرمني ، معتصماً فلا تسلمني ، داعياً فلا تردني خائباً ، دعوتك يا رب مسكيناً ، مستكيناً[5] مشفقاً ، خائفاً وجلاً ، فقيراً مضطراً إليك ، أشكو إليك يا إلهي ضعف نفسي عن المسارعة في ما وعدته أولياءك ، والمجانبة عما حذرته اعداءك ، وكثرة همومي ، ووسوسة نفسي .

إلهي لم تفضحني بسر يرتي ، ولم تهلكني بجريرتي[6] ادعوك فتجيبني وأن كنت بطيئاً حين تدعوني ، واسألك كل ما شئت من حوائجي ، وحيث ما كنت وضعت عندك سري ، فلا ادعو سواك ، ولا أرجو غيرك ، لبيك ، لبيك ،

---

(١) نير المذلة : النير هو الخشبة التي توضع على عنق الثور حين الحرث .
(٢) أهل التقوى : أي أنه تعالى أهل لأن يتقى ويخاف منه .
(٣) أتنصل : أي اتبرأ .
(٤) أوبقتني : أي اهلكتني .
(٥) مستكيناً : أي متضرعاً .
(٦) الجريرة : الجريمة .

تسمع من شكا إليك ، وتلقى من توكل عليك[1] وتخلص من اعتصم بك ، وتفرج عمن لاذ بك ، إلهي فلا تحرمني خير الآخرة والأولى لقلة شكري ، واغفر لي ما تعلم من ذنوبي ، إن تعذب فأنا الظالم المفرط ، المضيع ، الآثم ، المقصر المضجع[2] المغفل حظ نفسي ، وإن تغفر فأنت ارحم الراحمين . . »[3] واحتوى هذا الدعاء الجليل على تضرع الإمام عليه السلام واستكانته أمام الخالق العظيم ، معترفاً ـ باعتزاز وفخر ـ بعظيم الطافه ، وسبوغ نعمه عليه ، طالباً منه العفو والغفران ، والتوبة عليه ، ولنستمع إلى دعاء آخر من أدعيته الجليلة .

دعاؤه في الالحاح على الله :

وكان من دعائه عليه السلام في الالحاح على الله تعالى :

« يا الله الذي لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وكيف يخفى عليك يا إلهي ، ما أنت خلقته ، وكيف لا تحصي ما أنت صنعته ؟ أو كيف يغيب عنك ما أنت تدبره ؟ أو كيف يستطيع منك من لا حياة له إلا برزقك ؟ أو كيف ينجو منك من لا مذهب له في غير ملكك ؟ سبحانك أخشى خلقك لك أعلمهم بك ، وأخضعهم لك أعملهم بطاعتك ، وأهونهم عليك من أنت ترزقه ، وهو يعبد غيرك ، سبحانك لا ينقص سلطانك من أشرك بك ، وكذب رسلك ، وليس يستطيع من كره قضاءك أن يرد أمرك ، ولا يمتنع منك من كذب بقدرتك ، ولا يفوتك من عبد غيرك ، ولا يعمر في الدنيا من كره لقاءك ، سبحانك ما أعظم شأنك ، وأقهر سلطانك ، وأشد قوتك ، وأنفذ أمرك ! سبحانك قضيت على جميع خلقك الموت ، من وحدك ، ومن كفر بك ، وكل ذائق الموت ، وكل صائر إليك ! فتباركت وتعاليت لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، آمنت بك وصدقت رسلك ، وقبلت كتابك ،

---

(١) وتلقى من توكل عليك : أي تلقاه بالإجابة وقضاء حوائجه .

(٢) المقصر المضجع : هو المتهاون والمقصر .

(٣) الصحيفة السجادية : الدعاء الحادي والخمسون .

وكفرت بكل معبود غيرك ، وبرئت ممن عبد سواك .

اللّهم إني أصبح وأمسي مستقلاً لعملي ، معترفاً بذنبي ، مقراً بخطاياي أنا باسرافي على نفسي ذليل ، عملي اهلكني ، وهوايَ ارداني ، وشهواتي هدمتني فاسألك يا مولاي سؤال من نفسه لاهية لطول أمله ، وبدنه غافل لسكون عروقه ، وقلبه مفتون بكثرة النعم عليه ، وفكره قليل لما هو صائر إليه سؤال من قد غلب عليه الأمل ، وفتنه الهوى ، واستمكنت منه الدنيا وأظله الأجل ، سؤال من استكثر ذنوبه ، واعترف بخطيئته ، سؤال من لا رب له غيرك ، ولا ولي له دونك ، ولا منقذ له منك ، ولا ملجأ له منك إلا إليك .

إلهي اسألك بحقك الواجب على جميع خلقك ، وباسمك العظيم الذي أمرت رسولك أن يسبحك به ، وبجلال وجهك الكريم الذي لا يبلى ، ولا يتغير ، ولا يحول ولا يفنى أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تغنيني عن كل شيء بعبادتك ، وأن تسلي نفسي عن الدنيا بمخافتك ، وأن تثنيني[1] بالكثير من كرامتك برحمتك ، فإليك أفر ، ومنك أخاف ، وبك استغيث ، وإياك أرجو ، ولك أدعو ، وإليك الجأ ، وبك أثق ، وإياك استعين ، وبك أو أؤمن ، وعليك أتوكل ، وعلى جودك وكرمك أتكل . . »[2] وحكى هذا الدعاء عن كمال معرفة الإمام عليه السلام ، وعظيم إيمانه بالله ، وهذه بعض معطياته .

١ ـ علم الله تعالى لا حد له ، فقد أحاط بكل شيء علماً ، ولا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

٢ ـ إن جميع الموجودات تفتقر إلى فيضه تعالى ، ولا تستغني عنه لحظة واحدة لأنها في ملكه ، وتحت قبضته وسلطانه .

٣ ـ أن أخشى خلق الله تعالى ، وأكثرهم طاعة وعبادة له هم العارفون

---

(١) تثنيني : أي ترجعني إليك .

(٢) الصحيفة السجادية : الدعاء الثاني والخمسون .

بـه وفي طليعتهم السـادة العلمـاء قـال تعـالى : ﴿ إنمـا يخشى اللَّهَ من عبـاده العلماءُ ﴾ .

٤ ـ إن أهون العباد ، وأكثرهم خسراناً ، وأقلهم ادراكاً ووعيـاً هم الذين يعبدون غير الله ، ويشركون به ، ويكذبون رسله .

٥ ـ إن الله تعالى بسط الموت على جميع خلقه ، فكلهم صـائرون إليـه ليجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، ويجزي الكافرين بما كسبت أيديهم .

٦ ـ واعلن الإمام ـ في هذا الدعاء ـ عن إيمانه المـطلق بالله ، وتصديقه لرسله وأنبيائه ، وبراءته من كل معبود غير الله تعالى .

٧ ـ واعرب الإمام عن خضوعه المطلق لله تعالى ، وتذلله أمامه ، طالباً منه أن يمنحه الكرامة والعفو . . . هذه بعض محتويات هذا الدعاء الجليل .

دعاؤه في التذلل لله :

وكان من دعائه عليه السلام في التذلل لله عز وجل .

« رب أفحمتني دنوبي ، وانقطعت مقالتي ، فلا حجـة لي ، فأنـا الأسير ببليتي ، المرتهن بعملي ، المتردد في خطيئتي ، المتحير عن قصدي ، المنقطع بي ، قـد أوقفت نفسي موقف الأذلاء المـذنبين ، موقف الأشقيـاء ، المتجرِّين عليك ، المستخفين بوعدك ، سبحانك أي جرأة اجترأت عليك ، وأي تغـرير غررت بنفسي !! مولاي ارحم كبوتي لحر وجهي وزلة قـدمي ، وعد بحلمـك على جهلي وبإحسانك على إساءتي ، فأنا المقـر بذنبي المعتـرف بخطيئتي ، وهـذه يـدي وناصيتي ، استكين[1] بـالقـود من نفسي ، إرحم شيبتي ، ونفـاد أيـامي ، واقتـراب أجلي ، وضعفي ومسكنتـي ، وقلة حـيلتـي ، مـولاي : وارحمني إذا انقـطع من الدنيـا أثري ، وامحى من المخلوقين ذكـري ، وكنت من المنسيين كمن قد نُسي ، مولاي وارحمني عند تغير صورتي ، وحالي إذا بلي

---

(١) استكين : أي أخضع .

جسمي وتفرقت أعضائي ، وتقطعت أوصالي ، يا غفلتي عما يُراد بي ، مولاي وارحمني في حشري ونشري ، واجعل في ذلك اليوم مع اوليائك موقفي ، وفي أحبائك مصدري ، وفي جوارك مسكني يا رب العالمين . . »[1]

لقد اعلن الإمام عليه السلام ـ في هذا الدعاء ـ عن إنابته وانقطاعه إلى الله ، واعتصامه به ، فقد وقف أمامه موقف الأذلاء الخاشعين طالباً منه الرحمة والغفران حينما ينتقل من هذه الدنيا إلى دار القرار ، ولنستمع إلى الدعاء الأخير من أدعية الصحيفة .

دعاؤه في استكشاف الهموم :

وكان من دعائه عليه السلام في استكشاف الهموم هذا الدعاء الجليل :

« يا فارج الهم ، وكاشف الغم ، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صل على محمد وآل محمد ، وافرج همي ،واكشف غمي، يا واحد ، يا أحد ، يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، اعصمني وطهرني ، واذهب ببليتي ، (ثم يقرأ آية الكرسي والمعوذتين ، وقل هو الله أحد ثم يقول بعد ذلك) : اللهم إني أسألك سؤال من اشتدت فاقته ، وضعفت قوته ، وكثرت ذنوبه ، سؤال من لا يجد لفاقته مغيثاً ، ولا لضعفه مقوياً ، ولا لذنبه غافراً غيرك ، ياذا الجلال والإكرام ، اسألك عملاً تحب به من عمل به ، ويقيناً تنفع به من استيقن به حق اليقين في نفاذ أمرك .

اللّهم صل على محمد وآل محمد ، واقبض على الصدق نفسي ، واقطع من الدنيا حاجتي ، واجعل في ما عندك رغبتي شوقاً إلى لقائك ، وهب لي صدق التوكل عليك ، أسألك من خير كتاب قد خلا ، وأعوذ بك من شر كتاب قد خلا ، أسألك خوف العابدين لك ، وعبادة الخاشعين لك ، ويقين المتوكلين عليك ، وتوكل المؤمنين عليك ، اللّهم اجعل رغبتي في مسألتي مثل رغبة أوليائك في مسائلهم ، ورهبتي مثل رهبة اوليائك واستعملني في

---

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء الثالث والخمسون .

مرضاتك عملاً لا أترك معه شيئاً من دينك مخافة أحد من خلقك .

اللَّهم هذه حاجتي فأعظم فيها رغبتي ، وأظهر فيها عذري ، ولقني فيها حجتي ، وعاف فيها جسدي ، اللَّهم من أصبح وله ثقة أو رجاء غيرك فقد أصبحت وأنت ثقتي ورجائي في الأمور كلها فاقض لي بخيرها عاقبةً ونجني من مضلات الفتن برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله المصطفى وعلى آله الطاهرين . . »[1] .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الجولة في رياض الصحيفة السجادية التي هي من أروع تراث الفكر الإسلامي .

---

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء الرابع والخمسون .

مؤلفاته
٢٠.
المناجيات الخمس عشرة

من المؤلفات القيمة للإمام زين العابدين عليه السلام «المناجيات الخمس عشرة» وهي من الارصدة الروحية في دنيا الإسلام، فقد عالج بها الإمام الكثير من القضايا النفسية، كما فتح بها آفاقاً مشرقة للاتصال بالله تعالى، فقد ناجاه بقلب مفعم بالأمل والرجاء، وتضرع إليه بتذلل وخشوع، وذاب أمام عظمته؛ ورجاه رجاء المخلصين والمنيبين، واتجه بقلبه ومشاعره، فلم يبصر غيره، فوقف يناجيه صاغراً، ذليلاً، منكسراً، يرجو العفو، ويطلب منه الغفران، وقد غمرت مناجاته قلوب المتقين والصالحين من شيعة أهل البيت عليهم السلام فراحوا يناجون بها الله في غلس الليل البهيم، وفي الأماكن المقدسة راجين منه تعالى أن تشملهم عنايته والطافه.

لقد شاعت نسبة هذه المناجيات للإمام زين العابدين عليه السلام، وقد دونها المحقق المجلسي في بحاره، وعدها العلماء الذين ألفوا في ملحقات الصحيفة السجادية من بنودها، كما ذكرها المحقق الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان، وقد نظر إليها العلماء باهتمام بالغ، فقد ترجمت إلى بعض اللغات منها اللغة الفارسية، ترجمها سرتيب رشدية، وطبعت في طهران، وقد خطت بخطوط أثرية مذهبة ومزخرفة، تعد من ذخائر الخط العربي وقد حفلت بها خزائن المخطوطات في مكتبات العالم الإسلامي، وتوجد منها

نسخة أثرية بخط رائع في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، تسلسل(٢٠٩٨)[٨] وفي ما يلي تلك المناجاة .

المناجاة الأولى :

وتعرف هذه المناجاة بمناجاة التائبين ، فقد أناب فيها الإمام إلى الله تعالى ، طالباً منه الرحمة والغفران ، وهذا نصها :

« إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلتي ، وجللني التباعد منك لباس مسكنتي ، وأمات قلبي عظيم جنايتي ، فاحيه بتوبة منك يا أملي وبغيتي ، ويا رجائي ومنيتي ، فوعزتك وجلالك ما أجد لذنوبي سواك غافراً ، ولا أرى لكسري غيرك جابراً ، وقد خضعت بالانابة أليك ، وعفوت بالاستكانة لديك فإن طردتني من بابك فبمن الوذ ؟ وإن رددتني عن جنابك فبمن اعوذ ؟ فوااسفاه من خجلتي وافتضاحي ، ووالهفاه من سوء عملي ، واجتراحي[١] اسألك يا غافر الذنب الكبير ، ويا جابر العظم الكسير أن تهب لي موبقات الجرائر ، وتستر علي فاضحات السرائر ، ولا تخلني في مشهد القيامة ، من برد عفوك ومغفرتك ، ولا تُعْرني من جميل صفحك وسترك ، إلهي ظلل علي ذنوبي غمام رحمتك ، وارسل علي عيوبي سحاب رأفتك ، إلهي : هل يرجع العبد الآبق إلا مولاه ؟ أم هل يجيره من سخطه أحد سواه ؟ إلهي : إن كان الندم على الذنب توبة فإني وعزتك من النادمين ، وإن كان الاستغفار من الخطيئة حطة فإني لك من المستغفرين ، لك العقبى حتى ترضى إلهي : بقدرتك علي تب علي ، بحلمك عني أعف عني ، وبعلمك بي أرفق بي ، إلهي أنت فتحت لعبادك باباً سميته التوبة ، فقلت : « توبوا إلى الله توبة نصوحاً » فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه ؟ إلهي إن كان قبح الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك إلهي ما أنا بأول من عصاك ، فتبت عليه ، وتعرض لمعروفك فجدت عليه ، يا مجيب المضطر ، يا كاشف الضر ، يا عظيم البر ، يا عليماً بما في السر ، يا جميل الستر استشفعت بجودك وكرمك

(١) الاجتراح : يقال اجترح الشيء اكتسبه ، ويستعمل هذا التعبير لسيئات الأعمال.

إليك ، وتوسلت بجنابك وترحمك لديك ، فاستجب دعائي ، ولا تخيب فيك رجائي وتقبل توبتي ، وكفر خطيئتي بمنك ورأفتك يا أرحم الراحمين . . » .

ومن المقطوع به الذي ليس فيه أدنى شك أن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يخالف الله تعالى طرفة عين طيلة حياته ، ولم يقترف أي ذنب ، وإنما كان في الرعيل الأول من هذه الأمة في هديه وورعه وتقواه ، وإنما كان يناجي الله تعالى بهذه المناجاة وأمثالها ليعلم الأمة ويرشدها إلى طريق الخير والصواب ، ويدعوها إلى التوبة لأنها تطهر الانسان مما اقترفه في حياته من آثام وذنوب ، وتمحو عنه سيآته وخطاياه ، وينال من الله المغفرة والرضوان .

المناجاة الثانية :

وتعرف بمناجاة الشاكين ، فقد شكا الإمام عليه السلام فيها نفسه سائلاً من الله الاصلاح الشامل لها ، وهذا نصها :

« إلهي : إليك أشكو نفساً بالسوء أمارة ، وإلى الخطيئة مبادرة ، وبمعاصيك مولعة ، ولسخطك متعرضة ، تسلك بي مسالك المهالك ، وتجعلني عندك أهون هالك ، كثيرة العلل ، طويلة الأمل ، إن مسها الشر تجزع ، وإن مسها الخير تمنع ، ميالة إلى اللهو واللعب ، مملوءة بالغفلة والسهو تسرع بي إلى الحوبة[1] وتسوفني بالتوبة .

إلهي اشكو أليك عدواً يضلني ، وشيطاناً يغويني ، قد ملأ بالوسواس صدري ، واحاطت هواجسه بقلبي ، يعاضدني إلى الهوى ، ويزين لي حب الدنيا ، ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى .

إلهي إليك أشكو قلبا قاسياً ، مع الوسواس متقلباً ، وبالرين[2] والطمع متلبساً ، وعينا عن البكاء من خوفك جامدة ، وإلى ما يسرها طامحة .

إلهي : لا حول لي ، ولا قوة إلا بقدرتك ، ولا نجاة لي من مكاره

---

(١) الحوبة : هي الاثم .

(٢) الرين : نكتة في القلب سوداء ، وغفلة .

الدنيا إلا يعصمك ، ونفاذ مشيئتك أن لا تجعلني لغير جودك متعرضاً ، ولا تصرني للفتن غرضاً ، وكن لي على الأعداء ناصراً ، وعلى المخازي والعيوب ساتراً ومن البلايا واقياً ، وعن المعاصي عاصماً برأفتك ورحمتك يا أرحم الراحمين . .» وتحدث الإمام عليه السلام - في هذه المناجاة - عن النفس الانسانية ، وامراضها واتجاهاتها الشريرة التي تصد الانسان عن ذكر الله ، وتلقيه في شر عظيم ، وكان من بين تلك الأمراض الخطيرة ما يلي :

(أ) المبادرة إلى الخطايا والمعاصي .

(ب) التعرض إلى سخط الله وغضبه .

(ج) طول الأمل الذي يحجب الانسان عن طاعة الله وذكره .

(د) الميل ألى اللهو واللعب .

(هـ) الغفلة عن ذكر الله .

(و) التسويف بالتوبة ، وعدم الاسراع إليها .

(ز) قسوة القلب ، وابتلاؤه بالوسوسة ، وتلبسه بالاطماع .

وهذه الأمراض تسلك بالانسان في المنعطفات ، وتجعله أداة طيعة بيد الشيطان الرجيم أعاذنا الله منه .

المناجاة الثالثة :

وتعرف هذه المناجاة بمناجاة الخائفين ، وقد أعرب الإمام عليه السلام عن عظيم خوفه من الله ، وهذا نصها .

« إلهي : أتراك بعد الإيمان بك تعذبني ؟ أم بعد حبي إياك تبعدني ؟ أم مع رجائي لرحمتك وصفحك تحرمني ؟ أم مع استجارتي بعفوك تسلمني ؟ حاشا لوجهك الكريم أن تخيبني ، ليت شعري للشقاء ولدتني أمي ؟ أم للعناء ربتني ؟ فليتها لم تلدني ، ولم تربني ، وليتني علمت أمن أهل السعادة جعلتني وبقربك وجوارك خصصتني ؟ فتقر بذلك عيني ، وتطمئن له نفسي .

إلهي : هل تسود وجودها خرت ساجدة لعظمتك أو تخرس السنة نطقت

بالثناء على مجدك وجلالتك ، أو تطبع على قلوب انطوت على محبتك ، أو تصم اسماعاً تلذذت بسماع ذكرك في إرادتك ، أو تغل اكفا ، رفعتها الآمال إليك رجاء رأفتك ، أو تعاقب أبداناً عملت بطاعتك حتى نحلت في مجاهدتك ، أو تعذب أرجلاً سعت في عبادتك ؟ إلهي لا تغلق على موحديك أبواب رحمتك ، ولا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى جميل رؤيتك .

إلهي : نفسي اعززتها بتوحيدك ، كيف تذلها بمهانة هجرانك ؟ وضميري انعقد على مودتك ، كيف تحرقه بحرارة نيرانك ؟ إلهي اجرني من اليم غضبك ، وعظيم سخطك ، يا حنان ، يا منان ، يا رحيم ، يا رحمن ، يا جبار ، يا قهار ، يا غفار ، يا ستار ، نجني برحمتك من عذاب النار ، وفضيحة العار إذا امتاز الأخيار من الأشرار ، وهالت الأهوال ، وقرب المحسنون وبُعد المسيئون ، ووفيت كل نفس ما كسبت ، وهم لا يظلمون . . » .

لقد فتح الإمام عليه السلام في هذه المناجاة باب المحاورة مع الله تعالى ، فقد حاوره بكل أدب وخضوع آملاً منه أن لا يعذب المؤمنين والموحدين ، وأن لا تمس النار أبدانهم ، حاشا أن يعذب تعالى الوجوه التي خرت ساجدة لعظمته ، والألسن التي تلهج بالثناء عليه ، والاسماع التي كانت تلتذ بسماع ذكره ، والأكف التي كانت ترفع بالدعاء إليه آملة منه الرأفة والرحمة ، إن العذاب إنما هو للعصاة والمجرمين من اعداء الله .

المناجاة الرابعة :

وتعرف هذه المناجاة بمناجاة الراجين ، وفيها يرجو نوال الله تعالى وألطافه عليه ، وهذا نصها :

« يا من إذا سأله عبد أعطاه ، وإذا أمل ما عنده بلغه مُناه ، وإذا أقبل عليه قربه وأدناه ، وإذا جاهره بالعصيان ستر على ذنبه ، وغطاه ، وإذا توكل عليه أحبه وكفاه .

إلهي : من الذي نزل بك ملتمساً قراك[1] فما قريته؟ ومن الذي أناخ ببابك مرتجياً نداك فما أوليته ؟ أيحسن أن أرجع عن بابك بالخيبة مصروفاً ، ولست أعرف سواك مولى ، بالاحسان موصوفاً ، كيف أرجو غيرك والخير كله بيدك ؟ وكيف أومل سواك ، والخلق والأمر لك ؟ أأقطع رجائي منك ، وقد أوليتني ما لم اسأله من فضلك أم تفقرني إلى مثلي ، وأنا اعتصم بحبلك ، يا من سعد برحمته القاصدون ، ولم يشق بنقمته المستغفرون ، كيف انساك ، ولم تزل ذاكري ؟ وكيف الهو عنك وأنت مراقبي ؟ .

إلهي : بذيل كرمك اعلقت يدي ، ولنيل عطاياك بسطت أملي فأخلصني بخالصة توحيدك ، واجعلني من صفوة عبيدك ، يامن كل هارب إليه يلتجيء ، وكل طالب إياه يرتجي ، يا خير موجود ، ويا اكرم مدعو ، ويا من لا يرد سأله ، ولا يخيب آمله ، يا من بابه مفتوح لداعيه وحجابه مرفوع لراجيه ، اسألك بكرمك أن تمن علي من عطائك ، بما تقر به عيني ، ومن رجائك بما تطمئن به نفسي ، ومن اليقين بما تهون به علي مصيبات الدنيا ، وتجلو به عن بصيرتي غشوات العمى برحمتك يا ارحم الراحمين . . » .

لقد اعرب الإمام عليه السلام في هذه المناجاة عن عظيم أمله بعفو الله ، وعن إيمانه الوثيق بسعة رحمة الله الشاملة لمن رجاه ، هو وغيره على حد سواء .

لقد انقطع الإمام العظيم إلى الله كأعظم ما يكون الانقطاع ، فلم يأمل في أموره وشؤونه أي أحد من المخلوقين معتقداً بأن الأمل بما في أيديهم إنما هو سراب ، وأن رجاءهم إنما هو عبث وخسران .

المناجاة الخامسة :

وتعرف هذه المناجاة بمناجاة الراغبين ، وقد رغب في ما عند الله ، وزهد في ما عند غيره .

« إلهي إن كان قلَّ زادي في المسير إليك ، فلقد حُسن ظني بالتوكل

---

(١) القرى : الضيافة .

عليك ، وإن كان جرمي قد أخافني من عقوبتك فإن رجائي قد أشعرني بالأمن من نقمتك وإن كان ذنبي قد عرضني لعقابك ، فقد آذنني حسن ثقتي بثوابك ، وإن أنامتني الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد نبهتني المعرفة بكرمك والآئك ، وإن أوحش ما بيني وبينك فرط العصيان والطغيان فقد آنستني بشرى الغفران والرضوان ، اسألك بسبحات وجهك ، وبأنوار قدسك ، وابتهل إليك بعواطف رحمتك ، ولطائف برك ، أن تحقق ظني بما أومله من جزيل اكرامك ، وجميل انعامك ، في القربى منك ، والزلفى لديك ، والتمتع بالنظر إليك ، وها أنا متعرض لنفحات روحك وعطفك ، ومنتجع غيث جودك ولطفك ، فارٌ من سخطك إلى رضاك ، هارب منك إليك ، راج أحسن ما لديك ، معول على مواهبك ، مفتقر إلى رعايتك .

إلهي : ما بدأت به من فضلك فلا تمحه ، وما وهبت لي من كرمك فلا تسلبه ، وما سترته علي بحلمك فلا تهتكه ، وما علمته من قبيح فعلي فاغفره ، إلهي استشفعت بك ، منك ، أتيتك طامعاً في احسانك ، راغباً في امتنانك ، مستسقياً وابل طولك[1] ، مستمطراً غمام فضلك ، طالباً مرضاتك ، قاصداً جنابك ، وارداً شريعة رفدك[2] ملتمسا سني[3] الخيرات من عندك ، وافداً إلى حضرة جمالك مريداً وجهك ، طارقاً بابك ، مستكيناً لعظمتك وجلالك ، فافعل بي ما أنت أهله من المغفرة والرحمة ، ولا تفعل بي ما أنا أهله من العذاب والنقمة ، برحمتك يا أرحم الراحمين . . » .

أدلى الإمام عليه السلام في هذه المناجاة بحسن ظنه بعفو الله ، وعظيم رجائه بكرمه ، وإيمانه بجميل انعامه ، وقد تمسك به ، وانقطع إليه ، راجياً عواطف رحمته ورأفته ، وقد شفعت هذه المناجاة بالتضرع والتذلل والخضوع أمام الله تعالى .

---

(١) الطَّول : الفضل والغنى واليسر .
(٢) الرفد : العطاء والصلة .
(٣) السنى : الرفعة .

المناجاة السادسة :

وتعرف بمناجاة الشاكرين ، وقد سجل فيها شكره لله تعالى على ما أولاه من جزيل الخير ، وفضائل النعم ، وقد جاء فيها بعد البسملة .

« إلهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك[1] وأعجزني عن إحصاء ثنائك فيض فضلك ، واشغلني عن ذكر محامدك ترادف عوائدك ، وأعياني عن نشر عوارفك توالي أياديك ، وهذا مقام من اعترف بسبوغ النعماء ، وقابلها بالتقصير ، وشهد على نفسه بالاهمال والتضييع ، وأنت الرؤوف الرحيم ، البر الكريم ، الذي لا يخيب قاصديه ، ولا يطرد عن فنائه آمليه ، بساحتك تحط رحال الراحلين ، وبعرصتك تقف آمال المسترفدين ، فلا تقابل آمالنا بالتخييب والأياس ، ولا تلبسنا سربال القنوط والابلاس[2] .

إلهي : تصاغر عند تعاظم آلائك شكري ، وتضاءل في جنب اكرامك إياي ثنائي ، ونشري ، جللتني نعمك من انوار الإيمان حللاً ، وضربت علي لطائف برك من العز كللاً ، وقلدتني مننك قلائدلا تحل ، وطوقتني أطواقاً لا تفل ، فآلاؤك جمة ، ضعف لساني عن احصائها ، ونعماؤك كثيرة قصر فهمي عن ادراكها ، فضلاً عن استقصائها ، فكيف لي بتحصيل الشكر ، وشكري إياك يفتقر إلى شكر ، فكلما قلت : لك الحمد ، وجب علي لذلك أن أقول : لك الحمد .

إلهي : فكما غذيتنا بلطفك ، وربيتنا بصنيعك ، فتمم علينا سوابغ النعم ، وادفع عنا مكاره النقم ، وآتنا من حظوظ الدارين أرفعها ، واجلها عاجلاً ، ولك الحمد على حسن بلائك ، وسبوغ نعمائك حمداً يوافق رضاك ، ويمتري العظيم من برك وندك يا عظيم ، يا كريم ، برحمتك يا أرحم الراحمين . . » .

لقد علمنا الإمام عليه السلام في هذه المناجاة كيف نشكر الله تعالى

---

(١) الطول : الفضل والغنى .

(٢) الابلاس : السكوت عند انقطاع الحجة .

على ما أولانا من جزيل النعم ، وما اسداه علينا من عظيم الألطاف ، وإن الانسان مهما بالغ في شكره فإنه عاجز وقاصر عن أداء الشكر .

المناجاة السابعة :

وتُعرف بمناجاة المطيعين لله تعالى ، وهذا نصها :

« اللَّهم ألهمنا طاعتك ، وجبنا معصيتك ، ويسر لنا بلوغ ما نتمنى من ابتغاء رضوانك ، واحللنا بحبوحة[1] جنانك ، وأقشع عن بصائرنا سحاب الارتياب ، واكشف عن قلوبنا أغشية المرية والحجاب ، وأزهق الباطل عن ضمائرنا ، وثبت الحق في سرائرنا ، فإن الشكوك والظنون لواقح الفتن، ومكدرة لصفوة المنائح والمنن ، اللهم احملنا في سفن نجاتك ومتعنا بلذيذ مناجاتك ، واوردنا حياض حبك ، وأذقنا حلاوة ودك وقربك ، واجعل جهادنا فيك ، وهمنا في طاعتك ، واخلص نياتنا في معاملتك ، فإنا بك ولك ، ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت إلهي اجعلني من المصطفين الأخيار ، والحقني بالصالحين الأبرار السابقين إلى المكرمات ، المسارعين إلى الخيرات ، العاملين للباقيات الصالحات ، الساعين إلى رفيع الدرجات ، إنك على كل شيء قدير وبالاجابة جدير ، برحمتك يا أرحم الراحمين . . . » .

لقد طلب الإمام عليه السلام من الله تعالى ، وتضرع إليه أن يلهمه طاعته ، ويجنبه عن معاصيه ، ويبلغه أغلى وأعز أمانيه من ابتغاء رضوانه ، والظفر برضائه ، والقرب منه ، وأن يخلص نيته في معاملته، ويجعله من المسارعين للخيرات ، والعاملين للباقيات .

المناجاة الثامنة :

وتعرف بمناجاة المريدين ، وهي من غرر مناجياته ، وهذا نصها « سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله ، وما أوضح الحق عند من هديته سبيله .

---

(١) البحبوحة من كل شيء : وسطه وخياره

إلهي فاسلك بنا سبل الوصول إليك ، وسيرنا في أقرب الطرق للوفود عليك ، قرب علينا البعيد ، وسهل علينا العسير الشديد وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون ، وبابك على الدوام يطرقون ، وإياك في الليل والنهار يعبدون ، وهم من هيبتك مشفقون ، الذين صفيت لهم المشارب ، وبلغتهم الرغائب ، وانجحت لهم المطالب ، وقضيت لهم من فضلك المآرب ، وملأت ضمائرهم من حبك ، ورويتهم من صافي شربك ، فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا ، ومنك أقصى مقاصدهم حصلوا ، فيا من هو على المقبلين عليه مقبل ، وبالعطف عليهم عائد مفضل ، وبالغافلين عن ذكره رحيم رؤوف ، وبجذبهم إلى بابه ودود عطوف ، أسألك أن تجعلني من أوفرهم عندك منزلاً ، وأجزلهم من ودك قسماً ، وأفضلهم في معرفتك نصيباً ، فقد انقطعت إليك همتي ، وانصرفت نحوك رغبتي ، فأنت لا غيرك مرادي ، ولك لا لسواك سهري وسهادي ، ولقاؤك قرة عيني ، ووصلك مُنى نفسي ، وإليك شوقي ، وفي محبتك ولهي ، وإلى هواك صبابتي، ورضاك بغيتي ، ورؤيتك حاجتي ، وجوارك طلبي ، وقربك غاية سؤلي ، وفي مناجاتك رَوحي وراحتي ، وعندك دواء علتي ، وشفاء غلتي ، وبرد لوعتي ، وكشف كربتي ، فكن أنيس وحشتي ، ومقيل عثرتي ، وغافر زلتي ، وقابل توبتي ، ومجيب دعوتي ، وولي عصمتي ، ومغني فاقتي ، ولا تقطعني عنك يا نعيمي وجنتي ، ويا دنياي وآخرتي يا أرحم الراحمين . . . » .

لقد انقطع الإمام عليه السلام - في هذه المناجاة - إلى الله تعالى ، وتعلقت به روحه وعواطفه وجميع مشاعره ، فلم يبصر غيره ، وقد طلب منه باخلاص ، أن يسلك به سبل الوصول إليه ، ويسيره في أقرب الطرق للوفود عليه ، ويلحقه بعباده الصالحين ، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

المناجاة التاسعة :

وتعرف بمناجاة المحبين ، وقد جاء فيها .

« إلهي : من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً ؟ ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً ؟ إلهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك ، واخلصته لودك ومحبتك ، وشوّقته إلى لقائك ، ورضّيته بقضائك ، ومنحته[1] بالنظر إلى وجهك ، وحبوته برضاك ، وأعذته من هجرك وقلاك[2] وبوأته مقعد الصدق في جوارك ، وخصصته بمعرفتك ، وأهلته لعبادتك وهيّمت قلبه لارادتك ، واجتبيته لمشاهدتك ، وأخليت وجهه لك ، وفرغت فؤاده لحبك ، ورغبته في ما عندك ، وألهمته ذكرك ، وأوزعته شكرك ، وشغلته بطاعتك ، وصيرته من صالح بريتك ، واخترته لمناجاتك ، وقطعت عنه كل شيء يقطعه عنك .

اللّهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك ، والحنين ، ودهرهم الزفرة والأنين ، وجباهم ساجدة لعظمتك ، وعيونهم ساهرة في خدمتك ، ودموعهم سائلة من خشيتك ، وقلوبهم متعلقة بمحبتك ، وأفئدتهم منخلعة من مهابتك ، يا من أنوار قدسه لابصار محبيه رائقة ، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة ، يأمن قلوب المشتاقين ، ويا غاية آمال العارفين ، اسألك حبك وحب من يحبك ، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك ، وأن تجعلك احب الي مما سواك ، وأن تجعل حبي إياك قائداً إلى رضوانك ، وشوقي إليك ذائداً عن عصيانك ، وأمنن بالنظر إليك علي ، وانظر بعين الود والعطف إلي ، ولا تصرف عني وجهك ، واجعلني من أهل الإسعاد والحظوة عندك ، يا مجيب يا أرحم الراحمين . . . » .

أعرب الإمام عليه السلام ـ في هذه المناجاة ـ عن خالص حبه ، وعميق وده إلى الله تعالى سائلاً منه أن يصطفيه لقربه ، ويشوقه للقائه ويفرِّغ فؤاده لحبه ، ويجعل أنسه في طاعته ، ويحبب إليه كل عمل يقربه إليه زلفى .

---

(١) لعلها ، ومتّعته .
(٢) القلا : البغض .

المناجاة العاشرة :

وتعرف بمناجاة المتوسلين ، وقد توسل وتضرع فيها إلى الله تعالى سائلاً الرحمة والرضوان .

« إلهي ليس لي وسيلة إليك إلا عواطف رأفتك ، ولا لي ذريعة إليك إلا عوارف رحمتك ، وشفاعة نبيك نبي الرحمة ، ومنقذ الأمة من الغمة فاجعلهما لي سبباً إلى نيل غفرانك ، وصيرهما لي وصلة إلى الفوز برضوانك ، وقد حل رجائي بحرم كرمك ، وحط طمعي بفناء جودك ، فحقق فيك أملي ، واختم بالخير عملي ، واجعلني من صفوتك الذين أحللتهم بحبوحة جنتك ، وبوأتهم دار كرامتك ، وأقررت أعينهم بالنظر إليك يوم لقائك ، وأورثتهم منازل الصدق في جوارك ، يا من لا يفد الوافدون على أكرم منه ، ولا يجد القاصدون أرحم منه ، يا خير من خلابه وحيد ، ويا أعطف من آوى إليه طريد ، إلى سعة عفوك مددت يدي ، وبذيل كرمك اعلقت كفي ، فلا تولني الحرمان ، ولا تبلني بالخيبة والخسران ، يا سميع الدعاء ، يا أرحم الراحمين . . » لقد توسل الإمام عليه السلام إلى الله تعالى ـ في هذه المناجاة ـ أن يرزقه عواطف رحمته ، وشفاعة نبيه (ص) ويصيرهما وسيلة للفوز برضوانه ومغفرته ، وأن يختم حياته المعطرة الكريمة بخير ، ويبوئه في الآخرة دار كرامته ، ويجعله من صفوة عباده المصطفين الأخيار .

المناجاة الحادية عشرة :

وتعرف بمناجاة المفتقرين ، وقد أبدي فيها الإمام فقره وفاقته إلى الله « إلهي : كسري لا يجبره إلا لطفك وحنانك ، وفقري لا يغنيه إلا عطفك واحسانك ، وروعتي لا يسكنها إلا أمانك ، وذلتي لا يعزها إلا سلطانك ، وأمنيتي لا يبلغنها إلا فضلك ، وخلتي لا يسدها إلا طولك ، وحاجتي لا يقضيها غيرك ، وكربي لا يفرجه سوى رحمتك ، وضري لا يكشفه غير رأفتك ، وعلتي لا يبردها إلا وصلك ، ولوعتي لا يطفئها إلا لقاؤك ، وشوقي إليك لا يبله إلا النظر إلى وجهك ، وقراري لا يقر دون دنوي منك ، ولهفتي لا يردها إلا

روحك ، وسقمي لا يشفيه إلا طبك ، وغمي لا يزيله إلا قربك ، وجرحي لا يبرئه إلا صفحك ، ورين قلبي لا يجلوه إلا عفوك ، ووسواس صدري لا يريحه إلا أمرك ، فيا منتهى أمل الآملين ، ويا غاية سؤل السائلين ، ويا أقصى طلبة الطالبين ، ويا أعلى رغبة الراغبين ، ويا ولي الصالحين ، ويا أمان الخائفين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، ويا ذخر المعدمين ، ويا كنز البائسين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا قاضي حوائج الفقراء والمساكين ، ويا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين لك تخضعي وسؤالي ، وإليك تضرعي وابتهالي ، اسألك أن تنلني من روح رضوانك ، وتديم علي نعم امتنانك ، وها أنا بباب كرمك واقف ، ولنفحات برك متعرض ، وبحبلك الشديد معتصم ، وبعروتك الوثقى متمسك .

إلهي ارحم عبدك الذليل ذا اللسان الكليل ، والعمل القليل ، وامنن عليه بطولك الجزيل ، واكنفه تحت ظلك الظليل يا كريم ، يا جميل ، يا أرحم الراحمين . . » .

لقد هام الإمام عليه السلام بحب سيده ومولاه خالق الكون وواهب الحياة ، فعقد جميع آماله عليه ، ورجاه في قضاء جميع أموره كأعظم ما يكون الرجاء .

المناجاة الثانية عشرة :

وتعرف بمناجاة العارفين وهذا نصها .

« إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك ، وعجزت العقول عن ادراك كنه جمالك ، وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك ، ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك .

إلهي : فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم ، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون ، ومن حياض المحبة بكأس

الملاطفة يكرعون ، وشرايع المصافاة يردون ، قد كشف الغطاء عن أبصارهم ، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم ، وضمائرهم ، وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم ، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم ، وعلت لسبق السعادة في الزهادة هممهم وعذب في معين المعاملة شربهم ، وطاب في مجلس الأنس سرهم ، وأمن في موطن المخافة سربهم ، واطمأنت بالرجوع إلى رب الأرباب أنفسهم ، وتيقنت بالفوز والفلاح أرواحهم ، وقرت بالنظر إلى محبيهم أعينهم ، واستقر بادراك السؤل ، ونيل المأمول قرارهم ، وربحت في بيع الدنيا بالآخرة تجارتهم إلهي ما الذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب ، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب ، وما أطيب طعم حبك وما أعذب شرب قربك ؟ فاعذنا من طردك وابعادك ، واجعلنا من أخص عارفيك ، وأصلح عِبَادك ، وأصدق طائفتك ، واخلص عُبَّادك ، يا عظيم ، يا جليل ، يا كريم ، يا منيل برحمتك ومنك ، يا أرحم الراحمين . . . » .

حقاً إن الإمام زين العابدين سيد الموحدين ، وزعيم العارفين بالله ، لم تكن عبادته لله تقليدية ، وإنما ناشئة عن كمال معرفته بالله تعالى .

لقد أعرب الإمام عليه السلام ـ في هذه المناجاة ـ عن قصر الألسنة عن بلوغ الثناء على الله ، وعجز العقول عن ادراك كنه جماله ، إذ كيف يحيط الممكن في ادراكه ، بمعرفة واجب الوجود ، ومبدع الكون .

المناجاة الثالثة عشرة :

وتعرف بمناجاة الذاكرين ، وقد أبدى فيها الإمام كمال الخضوع لله تعالى .

« إلهي : لولا الواجب من قبول أمرك لنزهتك من ذكري إياك ، على أن ذكري لك بقدري ، لا بقدرك ، وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أجعل محلاً

لتقديسك ، ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا ، وإذنك لنا بدعائك ، وتنزيهك وتسبيحك .

إلهي : فألهمنا ذكرك في الخلاء والملاء والليل والنهار ، والاعلان والاسرار ، وفي السراء والضراء ، وآنسنا بالذكر الخفي ، واستعملنا بالعمل الزكي ، والسعي المرضي ، وجازنا بالميزان الوفي .

إلهي بك هامت القلوب الوالهة ، وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة ، فلا تطمئن القلوب إلا بذكراك ، ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك ، أنت المسبح في كل مكان ، والمعبود في كل زمان ، والموجود في كل أوان ، والمدعو بكل لسان ، والمعظم في كل جنان ، واستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ، ومن كل راحة بغير أنسك ، ومن كل سرور بغير قربك ، ومن كل شغل بغير طاعتك .

إلهي : أنت قلت ، وقولك الحق : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً . ﴾[1] وقلت ، وقولك الحق : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾[2] فأمرتنا بذكرك ، ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا ، وتفخيماً واعظاماً ، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا فانجز لنا ما عدتنا يا ذاكر الذاكرين ، ويا أرحم الراحمين . » .

وتملكنا الرعشة ، ويأخذنا الذهول حينما نقرأ مناجاة الإمام عليه السلام ، فقد أعطى فيها صورة واضحة متميزة عن تضرعه ، وتذلله أمام الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء . . . فلم ير هذا الإمام العظيم لطاعته المذهلة لله أية أهمية ، وهو يلتمس من الله بكل خشوع أن يتكرم عليه بقبول عبادته .

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٤٢ .
(٢) سورة البقرة : آية ١٥١ .

المناجاة الرابعة عشرة :

وتُعرف بمناجاة المعتصمين ، فقد أبدى فيها اعتصامه ، وتمسكه بالله تعالى :

« اللَّهم يا ملاذ اللائذين ، ويا معاذ العائذين ، ويا منجي الهالكين ، ويا عاصم البائسين ، ويا راحم المساكين ، ويا مجيب المضطرين ، ويا كنز المفتقرين ، ويا جابر المنكسرين ، ويا مأوى المنقطعين ، ويا ناصر المستضعفين ، ويا مجير الخائفين ، ويا مغيث المكروبين ، ويا حصن اللاجئين ، إن لم أعذ بعزتك فبمن أعوذ ؟ وإن لم ألذ بقدرتك فبمن ألوذ ؟ وقد ألجأتني الذنوب إلى التشبث بأذيال عفوك ، وأحوجتني الخطايا إلى استفتاح أبواب صفحك ، ودعتني الإساءة إلى الإناخة بفناء عزك ، وحملتني المخافة من نقمتك ، على التمسك بعروة عطفك ، وما حق من اعتصم بحبلك أن يخذل ، ولا يليق بمن استجار بعزك أن يسلم أو يهمل .

إلهي فلا تُخْلِنا من حمايتك ، ولا تُعْرِنا من رعايتك ، وذدنا عن موارد الهلكة ، فإنا بعينك ، وفي كنفك ، ولك اسألك بأهل خاصتك ، من ملائكتك ، والصالحين من بريتك ، أن تجعل علينا واقية تنجينا من الهلكات وتجنبنا من الآفات ، وتكننا من دواهي المصيبات ، وأن تنزل علينا من سكينتك ، وأن تغشي وجوهنا بأنوار محبتك ، وأن تؤوينا إلى شديد ركنك ، وأن تحوينا في أكناف عصمتك برأفتك ورحمتك يا ارحم الراحمين . . » .

لقد علمنا الإمام عليه السلام ـ في مناجاته ـ كيف نلجأ إلى الله تعالى في المهمات والشدائد ؟ وكيف نطلب منه قضاء الحوائج ؟ فمن المؤكد أنه لا وسيلة لنا إلا بالتضرع إليه باخلاص ، والسؤال منه بأدب ، وأن لا ترى لأنفسنا أية قوة أو حول ، وأنه ليس هناك أي أحد إلا وهو مفتقر إليه تعالى .

المناجاة الخامسة عشرة :

وتعرف بمناجاة الزاهدين ، وهي من غرر مناجاته .

« إلهي : اسكنتنا داراً حفرت لنا حفر مكرها ، وعلقتنا بأيدي المنايا في حبائل غدرها ، فإليك نلتجيء من مكائد خدعها ، وبك نعتصم من الاغترار بزخارف زينتها ، فإنها المهلكة لطلابها ، المتلفة حُلاَّلَها[1] ، المحشوة بالآفات ، المشحونة بالنكبات .

إلهي : فزهدنا فيها ، وسلمنا فيها بتوفيقك وعصمتك ، وأنزع عنا جلابيب مخالفتك ، وتول أمورنا بحسن كفايتك ، وأوفر مزيدنا من سعة رحمتك ، وأجمِل صِلاَتِنا من فيض مواهبك ، واغرس في أفئدتنا أشجار محبتك ، واتمم لنا أنوار معرفتك ، وأذقنا حلاوة عفوك ، ولذة مغفرتك ، وأقرر أعيننا يوم لقائك برؤيتك ، وأخرج حب الدنيا من قلوبنا كما فعلت بالصالحين من صفوتك ، والأبرارِ من خاصتك ، برحمتك يا أرحم الراحمين ويا أكرم الاكرمين . . » .

وبهذا ينتهي بنا المطاف في مناجيات الإمام عليه السلام مع الخالق العظيم ، وهي تمثل روحانية الإمام ومدى اتصاله بالله ، وانقطاعه إليه .

المناجاة المنظومة :

ونسب السيد حسين النوري في الصحيفة السجادية الرابعة إلى الإمام عليه السلام مقطوعتين من المناجاة المنظومة وذكر أنه وجدهما بخط بعض العلماء .

الأولى :

ألم نسمع بفضلك يا مُنايا دعاءً من ضعيف مبتلاء[2]

---

(١) حلالها : أي : من حل بها .

(٢) هكذا وردت . وركاكة النظم ظاهرة ، فمن المستبعد نسبتها للإمام زين العابدين عليه السلام .

غـريقاً في بحـار الغم حزنـاً ... أسيـراً بـالـذنـوب وبـالخـطإ
أنـادي بـالتضـرع كـل يـوم ... مـجـداً بـالتبتـل والـدعـاء
لقـد ضاقت عليَّ الأرض طـراً ... وأهـل الأرض مـا عـرفـوا دوائي
فخـذ بيـديَّ إنـي مستجيـر ... بعفـوك يـا عظيم، ويـا رجـائي
أتيتـك بـاكيـاً فـارحم بكـائي ... حيـائي منـك أكثـر من خـطائي
ولـي همٌ وأنـت لكـشـف هـمي ... ولـي داء وأنـت دواء دائـي
وأيـقـظني الـرجاء فـقلت ربي ... رجـائي أن تـحـقـق لي رجائي
تفضـل سيـدي بـالعفـو عني ... فـإنـي فـي بـلاء مـن بـلاء

الثانية :

إليـك يـا رب قـد وجهتُ حاجاتي ... وجئت بـابـك يا ربـي بحـاجـاتي
أنت العليم بمـا يحوي الضميـر بـه ... يـا عـالم السـر عـلام الخفيـات
أقض الحـوائـج لي ربي فلست أرى ... سواك يا رب من قاضٍ لحاجاتي الخ

وهـذه المقطوعـة على هذا المنـوال ـ كسـابقتهـا ـ من الـركـة واختـلال الوزن ، والذي أره بكل تأكيد أن كلا المقطوعتين من الموضوعات على الإمام عليه السلام ، إذ كيف تنسب للإمام هذه الابيات المفككـة التي ليس فيها أيـة مسحـة أدبية أو بـلاغية ، وهـو صاحب الصحيفـة السجاديـة التي لم يؤثـر في الكلام العربي مثل بلاغتها وفصاحتها .

مؤلفاته

٣٠.

رسالة الحقوق

من المؤلفات المهمة في دنيا الإسلام « رسالة الحقوق » للإمام الأعظم زين العابدين عليه السلام ، فقد وضعت المناهج الحية لسلوك الانسان ، وتطوير حياته ، وبناء حضارته ، على أسس تتوفر فيها جميع عوامل الاستقرار النفسي ، ووقايته من الإصابة بأي لون من ألوان القلق والاضطراب ، وغيرهما مما يوجب تعقيد الحياة. لقد نظر الإمام الحكيم بعمق وشمول للانسان ، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقه ، ونفسه ، وأسرته ، ومجتمعه ، وحكومته ، ومعلمه وغيرذلك ، فوضع له هذه الحقوق ، والواجبات ، وجعله مسؤولاً عن رعايتها وصيانتها ليتم بذلك انشاء مجتمع إسلامي تسوده العدالة الاجتماعية والعلاقات الوثيقة بين ابنائه من الثقة والمحبة ، وغيرهما من وسائل التطور والتقدم الاجتماعي .

وفيما اعتقد أنه لم يسبق نظير لمثل هذه الحقوق التي شرعها الإمام العظيم ، سواء في ذلك ما شرعه العلماء في عالم الفكر السياسي أم الاجتماعي وغيرهما مما قننوه لحقوق الانسان ، وروابطه الاجتماعية ، وأصوله الاخلاقية ، وأسسه التربوية .

وعلى أي حال فإن الإمام عليه السلام ، قد كتب هذه الرسالة الذهبية

واتحف بها بعض أصحابه[1] وقد رواها العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبي صفية ، المعروف بأبي حمزة الثمالي[2] تلميذ الإمام عليه لسلام ، وقد رواها عنه بسنده المحدث الصدوق[3] وحجة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني[4] والحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني في « تحف العقول » وننقلها عنه ، وفي ما يلي النص الكامل لها :

عرض موجز للحقوق :

وقبل أن يدلي الإمام عليه السلام ببيان هذه الحقوق قدم عرضاً موجزاً لها قال :

« اعلم رحمك الله ، إن لله عليك حقوقاً محيطة بك ، في كل حركة تحركتها أو سكنة سكنتها ، أو منزلة نزلتها ، أو جارحة قلبتها ، وآلة تصرفت بها ، بعضها أكبر من بعض .

وأكبر حقوق الله عليك ، ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ، ومنه تفرع ، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك ، على اختلاف جوارحك ، فجعل لبصرك عليك حقاً ، ولسمعك عليك حقاً ، وللسانك عليك حقاً ، وليدك عليك حقاً ، ولرجلك عليك حقاً ، ولبطنك عليك حقاً ، ولفرجك عليك حقاً ، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال ، ثم جعل عز وجل لافعالك عليك حقوقاً ، فجعل لصلاتك عليك حقاً ، ولصومك عليك حقاً ، ولصدقتك عليك حقاً ، ولهديك عليك حقاً ، ولأفعالك عليك حقاً ، ثم تخرج الحقوق منك ، إلى غير ذلك من ذوي[5] الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً أئمتك ، ثم حقوق رعيتك ، ثم حقوق رحمك ، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق ، فحقوق أئمتك ثلاثة

---

(١) الخصال .

(٢) الكشي ، الخصال .

(٣) من لا يحضره الفقيه ، الخصال .

(٤) فلاح السائل للسيد علي بن طاووس .

(٥) ذي : تحف العقول : ١٨٤ .

أوجبها عليك : حق سائسك[1] بالسلطان ثم سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس أمام ، وحقوق رعيتك ثلاثة: أوجبها عليك حق رعيتك بالسلطان ، ثم حق رعيتك بالعلم ، فإن الجاهل رعية العالم ، وحق رعيتك بالملك من الأزواج ، وما ملكت من الإيمان ، وحقوق رحمك متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة ، فأوجبها عليك حق أمك ، ثم حق أبيك ، ثم حق ولدك ، ثم حق أخيك ثم الأقرب فالأقرب ، والأول فالأول ، ثم حق مولاك ، المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك ، ثم حق ذوي المعروف لديك ، ثم حق مؤذنك بالصلاة ، ثم حق إمامك في صلاتك ، ثم حق جليسك ثم حق جارك ، ثم حق صاحبك ، ثم حق شريكك ، ثم حق مالك ، ثم حق غريمك الذي تطالبه ، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك ، ثم حق خصمك ، المدعي عليك ، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه ، ثم حق مستشيرك ، ثم حق المشير عليك ، ثم حق مستنصحك ثم حق الناصح لك ، ثم حق من هو أكبر منك ، ثم حق من هو أصغر منك ، ثم حق سائلك ، ثم حق من سألته ، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرة بذلك بقول أو فعل، عن تعمد منه أو غير تعمد منه ، ثم حق أهل ملتك عامة ، ثم حق أهل الذمة ، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال ،وتصرف الاسباب فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ، ووفقه وسدده . . . » .

لقد احتوت هذه الفقرات المشرقة من كلام الإمام عليه السلام على عرض موجز للحقوق الأصيلة التي قننها عليه السلام للانسان المسلم .

تفاصيلها :

أما تفاصيل هذه الحقوق الرائعة فلنستمع إلى الإمام عليه السلام يحدثنا عنها .

١ ـ حق الله :

« فأما حق الله الأكبر فإنك تعبده ، لا تشرك به شيئاً ، فإذا فعلت ذلك

---

(١) السائس : القائم بالأمروالمدبر له .

باخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ، ويحفظ لك ما تحب منهما . . » إن من أعظم حقوق الله تعالى على عباده ، أن يعبدوه باخلاص ، ولا يشركوا بعبادته أحداً ، فإن في ذلك تطهيراً لقلوبهم من الزيغ ، وتحريراً لعقولهم وأفكارهم من الرق والتبعية ، أما عبادة غير الله من الأصنام والأوثان فإنها ذل وعبودية ، وقضاء على كرامة الانسان ، وعزته ، والقاء له في حضيض من الانحطاط ما له من قرار .

وقد ضمن الله تعالى لمن عبده بحق أن يكفيه أمور آخرته ودنياه .

٢ ـ حق النفس :

« وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله ، فتؤدي إلى لسانك حقه ، وإلى سمعك حقه ، وإلى بصرك حقه ، وإلى يدك حقها ، وإلى رجلك حقها ، وإلى بطنك حقه ، وإلى فرجك حقه ، وتستعين بالله على ذلك . . . » .

وعرض الإمام عليه السلام إلى حق النفس على الانسان ، وأن عليه حقوقاً وأهمها أن يستوفيها في مرضاة الله وطاعته ، ولا يجعل للشيطان عليها سبيلاً ، وبذلك ينقذها من المخاطر والمهالك ، وينجيها من شر عظيم ، وذكر الإمام أن لكل جارحة في بدن الانسان حقاً عليه ، ولنستمع إلى حديثه التالي مفصلاً تلك الحقوق .

٣ ـ حق اللسان :

« وأما حق اللسان فاكرامه عن الخنى ، وتعويده على الخير ، وحمله على الأدب ، واجمامه[1] إلا لموضع الحجة والمنفعة للدين والدنيا ، واعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة ، التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها وبعد

---

(١) اجمامه : أي امساكه .

شاهد العقل والدليل عليه ، وتزين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . . . » .

إن اللسان من أهم الجوارح في بدن الانسان ، كما أنه من أخطرها علي حياته ، فباقراره واعترافه في حقوق الناس وأموالهم يدان ، وقد قال الفقهاء : اقرار المرء على نفسه جائز ـ أي نافذ ـ كما أن الانسان إنما يعز أو يهان بمنطقة فإن صدر منه خير احترم ، وإن صدر منه شر حقر ، وقد دعا الإمام الحكيم الانسان ألى السيطرة على لسانه ، والزامه بمراعاة الحقوق التالية :

(أ) إكرامه عن الخنى ـ أي الفحشاء ـ لأنها مما توجب سقوط الانسان ومهانته .

(ب) تعويده على مقالة الخير ، وما ينفع الناس ولا يضرهم .

(ج) حمله على التلفظ بالأدب ، والكلم الطيب ، الذي يرفع إلى الله تعالى .

(د) اجمامه وسكوته إلا لموضع الحاجة من الأمور الدينية أو الدنيوية .

(هـ) اعفاؤه ومنعه من الخوض في فضول القول الذي لا يعود عليه ولا على الناس بخير .

هذه بعض الأمور التي ينبغي للانسان المسلم أن يحمل لسانه عليها ومن المؤكد أنها ترفع شأنه ، وتعزز مكانته .

٤ ـ حق السمع :

« وأما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيراً ، أو تكسب خلقاً كريماً ، فإنه باب الكلام إلى القلب ، يؤدي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر ، ولا قوة إلا بالله . . » .

إن جهاز السمع هو الأداة الفعالة في تكوين شخصية الانسان ، وبناء سلوكه ، وذلك بما ينقله من المسموعات التي تنطبع في دخائل الذات وقرارة النفس ، ومن حقه على الانسان أن يجعله بريداً لنقل الآداب الكريمة ، والفضائل الحسنة ، والمزايا الحميدة ليتأثر بها ، وتكون من صفاته وخصائصه .

٥ ـ حق البصر :

« وأما حق بصرك فغضه عما لا يحل لك ، وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً أو تستفيد بها علماً فإن البصر باب الاعتبار » إن للبصر حقاً على الانسان ، وهو حجبه عن النظر إلى ما حرمه الله الذي هو مفتاح الولوج في اقتراف الآثام ، فينبغي للمسلم أن يغض بصره عما لا يحل له ، وأن ينظر إلى مواضع العبر ليستفيد منها في بناء شخصيته ، كما أنه ينبغي له أن يستفيد ببصره علماً يهذب به نفسه ، وينفع به مجتمعه .

٦ ـ حق الرجلين :

« وأما حق رجليك فأن لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك ، ولا تجعلهما مطيتك في الطريق المستخفة بأهلها فيها ، فإنها حاملتك ، وسالكة بك مسلك الدين[1] ، والسبق لك ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

خلق الله الرجلين ليمشي بهما الانسان إلى مواطن الرزق ، فيكد ويعمل ليعيش هو وأفراد اسرته ، ومن حقهما عليه أن يسعى بهما إلى طريق الخير والصلاح ، وليس له أن يسعى بهما إلى الحرام كالوشاية بمؤمن ، أو سرقة انسان ، وغير ذلك مما حرمه الله .

٧ ـ حق اليد :

« وأما حق يدك فأن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك ، فتنال بما تبسطها

---

(١) الصحيح : فانهما حاملتاك وسالكتان بك . . .

إليه من الله العقوبة في الآجل ، ومن الناس بلسان اللائمة ، في العاجل ولا تقبضها مما افترضه الله عليها ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما لا يحل لها ، وبسطها إلى كثير مما ليس عليها ، فإذا هي قد عقلت ، وشرفت في العاجل وجب لها حسن الثواب في الآجل . . . » .

وعرض الإمام عليه السلام لحق اليدين على الانسان ، ومن حقهما أن لا يبسطهما في ما حرمه الله تعالى من نهب أموال الناس ، والاعتداء عليهم أو يعين بهما ظالماً على ظلمه ، فإنه بذلك يستحق العقاب في دار الآخرة كما يستحق اللوم والعتاب من الناس في دار الدنيا ، فالواجب عليه أن يوقرهما بالالتزام بما أمر الله .

٨ ـ حق البطن :

« وأما حق بطنك فأن لا تجعله وعاءً لقليل من الحرام ، ولا لكثير ، وأن تقتصد له في الحلال ، ولا تخرجه من حد التقوية إلى حد التهوين ، وذهاب المروءة ، وضبطه إذا همَّ بالجوع والظمأ، فإن الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ، ومثبطة ، ومقطعة عن كل بر وكرم ، وأن الري المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومذهبة للمروة . . . » وأدلى الإمام عليه السلام في هذه الفقرات بحقوق البطن على الانسان ، والتي منها .

(أ) عدم التغذية بالطعام الحرام فإن له كثيراً من المضاعفات السيئة كقساوة القلب ، اللامبالاة الموجبة الانحراف عن الطريق القويم .

(ب) الاعتدال في الأكل ، والاقتصاد في تناول الطعام الحلال .

(ج) النهي عن الشبع الموجب للتخمة ، فإنها تسبب الاصابة بالكسل ، والابتعاد عن البر والكرم ، والخلق النبيل ، كما أنها تعطل جميع القوى العقلية ، بالإضافة إلى ما تحدثه من الاضرار الصحية كالاصابة بمرض السكر ، وضغط الدم ، والسمنة وغيرها .

٩ ـ حق الفرج :

« وأما حق فرجك فحفظه مما لا يحل لك ، والاستعانة عليه بغض البصر ، فإنه من أعون الأعوان ، وكثرة ذكر الموت ، والتهدد لنفسك بالله ، والتخويف لها به ، وبالله العصمة والتأييد ، ولا حول ولا قوة إلا به . . . » .

تتركز الحياة الجنسية في الإسلام على العفة والفضيلة ، وصيانة النفس من اقتراف الزنا والفحشاء ، أما الطرق الوقائية التي تحجب الانسان عن هذه الجريمة فهي كما أدلى بها الإمام :

(أ) غض البصر عن المحارم فإن النظر هو العامل الأول للوقوع في الحرام ، وقد عبر عنه في بعض الاخبار بزنى العين .

(ب) الاكثار من ذكر الموت فإنه يقضي على هيجان الشهوة الجنسية .

(ج) تهديد النفس بالله العظيم ، والتخويف من عقابه ، فإنه من عوامل القضاء على جريمة الزنا .

« حقوق الافعال »

وبعد ما تحدث الإمام عليه السلام عن حقوق الجوارح على الانسان أخذ في بيان حقوق الأفعال ، وهي :

١٠ ـ حق الصلاة :

« فأما حق الصلاة فأن تعلم أنها وفادة إلى الله ، وأنك قائم بها بين يدي الله ، فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل ، الراغب ، الراهب ، الخائف ، الراجي ، المسكين ، المتضرع ، المعظم من قام بين يديه ، بالسكون والاطراق وخشوع الاطراف ، ولين الجناح ، وحسن المناجاة له في نفسه ، والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت به خطيئتك ، واستهلكتها ذنوبك ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

أما الصلاة فإنها من أعظم الطقوس الدينية ، وأهمها في الإسلام ، وهي قربان كل تقي ـ حسبما ورد الحديث ـ وهي الوفادة إلى الله تعالى ، ومن حقها على المسلم أن يعلم المصلي أنه قائم بين يدي الله الملك الجبار ، خالق السموات والأرض ، وواهب الحياة ، وعليه أن يتجه بجميع مشاعره وعواطفه نحو الله فيقف أمامه موقف الذليل ، الراغب في ما عند الله ، والخائف من عقابه والراجي لمغفرته ورضوانه ، والمسكين الذي يرجو رفده ، وعليه أن يصلي بسكينة ووقار ، خاشع الاطراف ، حسن المناجاة ، لا يشغل فكره بأي شأن من شؤون الدنيا ، وعليه أن يسأل الله أن ينقذه من التبعات والخطيئات ، وفك رقبته من النار .

١١ ـ حق الصوم :

« وأما حق الصوم فأن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك، وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك ، ليسترك به من النار ، وهكذا جاء في الحديث « الصوم جنة[1] من النار » فإن سكنت أطرافك في حجبها رجوت أن تكون محجوباً ، وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها ، وترفع جنبات الحجاب ، فتطلع على ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة والقوة الخارجة عن حد التقية لله ، لم تأمن أن تخرق الحجاب ، وتخرج منه ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

وأما الصوم فهو من العبادات المهمة في الإسلام ، وفي الحديث أنه جنة من النار، وتترتب عليه كثير من الفوائد الصحية والاجتماعية والاقتصادية ، والأخلاقية ، والنفسية ، والتي منها تقوية فعالية الإرادة ، وتنشيطها والتي بها يحقق الانسان أهم ما يصبو إليه في هذه الحياة . . . وقد ذكر المعنيون في البحوث الإسلامية فوائد كثيرة للصوم ، كما ألفت بعض الكتب في فوائده .

وعلى أي حال فقد تناول الإمام في حديثه ما ينبغي للصائم أن يقوم به في اثناء صومه ، فقد ذكر أنه ينبغي له أن لا يقتصر في صومه على الامساك عن الطعام والشراب ، وإنما عليه أن يمسك لسانه عن الكذب وقول الباطل ،

---

(١) أي : وقاية وحصن .

ويمسك سمعه عن سماع الغيبة ، وفرجه مما لا يحل له ، وبطنه عن تناول الحرام ليكون بذلك بمنجىً من عذاب الله وعقابه .

١٢ ـ حق الصدقة :

« وأما حق الصدقة فأن تعلم أنها ذخرك عند ربك ، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الاشهاد ، فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سراً ، أوثق بما استودعته علانية ، وكنت جديراً أن تكون اسررت إليه أمراً أعلنته ، وكان الأمر بينك وبينه فيها سراً على كل حال ، ولم يستظهر عليه في ما استودعته منها باشهاد الاسماع والابصار عليه بها ، كأنها أوثق في نفسك لا كأنك لا تثق به في تأدية وديعتك إليك ، ثم لم تمتن بها على أحد لأنها لك ، فإذا أمتننت لم تأمن أن تكون بها على تهجين[1] حالك منها إلى من مننت بها عليه ، لأن في ذلك دليلاً على أنك لم ترد نفسك بها ، ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحد ، ولا قوة إلا بالله . . . » أكد الإمام عليه السلام على الصدقة ، واعتبرها ذخراً عند الله للمتصدق وهو إنما يقدمها لنفسه ، فإنه يجدها عنده حاضرة في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، كما أكد عليه السلام على ضرورة الصدقة في السر ، وأن تكون خالية من المن ، لأنها في الحقيقة له فكيف يمن بها على المتصدق ؟ ونظراً لأهمية الصدقة في السر ، فقد كان الإمام يعول مائة بيت في يثرب ، وهم لا يعلمون من هو الذي يعيلهم ، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في البحوث السابقة .

١٣ ـ حق الهدي :

« وأما حق الهدي فأن تخلص بها الإرادة ألى ربك ، والتعرض لرحمته وقبوله ، ولا تريد عيون الناظرين دونه ، فإذا كنت كذلك لم تكن متكلفاً ولا متصنعاً ، وكنت إنما تقصد إلى الله ، واعلم أن الله يراد باليسير ، ولا يراد بالعسير ، كما أراد بخلقه التيسير ، ولم يرد بهم التعسير ، وكذلك التذلل أولى بك من التدهقن لأن الكلفة والمؤونة في المتدهقنين ، فأما التذلل والتمسكن

(١) التهجين : التقبيح والتحقير .

فلا كلفة فيهما ، ولا مؤونة عليهما ، لأنهما الخلقة ، وهما موجودان في الطبيعة ، ولا قوة لا بالله . . . » .

وعرض الإمام عليه السلام في هذه الفقرات إلى حق الهدي ، وهو ما يذبحه حجاج بيت الله الحرام في مكة أو في منى من الانعام ، وقد أكد على أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى غير مشفوع بأي داع من الدواعي الفاسدة كالرياء وطلب السمعة ، فإن الله تعالى لا يتقبله ، وعرض الإمام عليه السلام إلى أن اللّه تعالى انما يُتقرب إليه باليسير من الأعمال لا بالعسير ، فإن لم يشرع أي تكليف حرجي ، ثم أنه عليه السلام فرع على ذلك بأن التذلل أولى من التصدي للزعامة لأنها تحتاج إلى الجهد والكلفة والعناء أما من لا يتصدى إليها فإنه في غنى عن ذلك .

« حقوق الأئمة »

١٤ ـ حق الأئمة :

« فأما حق سائسك بالسلطان فان تعلم أنك جُعلت له فتنة ، وأنه ابتلي فيك ، بما جعله الله له عليك من السلطان ، وأن تخلص له في النصيحة ، وأن لا تماحكه[١] وقد بُسطت يده عليك ، فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه ، وتذلل وتلطف لاعطائه من الرضى ما يكفه عنك ، ولا يضر بدينك ، وتستعين عليه في ذلك بالله ، ولا تعازه[٢] ولا تعانده فإنك إن فعلت ذلك عققته وعققت نفسك[٣] فعرضتها لمكروهه ، وعرضته للهلكة فيك ، وكنت خليقاً أن تكون معيناً له على نفسك ، وشريكاً له في ما أتى إليك، ولا قوة إلا بالله . . » .

وألقى الإمام عليه السلام ـ في هذه الكلمات ـ نظرة على الشؤون

---

(١) لا تماحكه : أي لا تخاصمه والمماحكة : النقاش في ما لا طائل تحته .
(٢) لا تعازه : أي لا تعارضه في العزة .
(٣) عققت نفسك : أي أذيتها والعقوق : نكران الجميل .

السياسية قبل أن يتحدث عن الحقوق فنظر إلى حقوق الأئمة والحاكمين على الرعايا ، ويرى الإمام أن الرعايا جعلوا فتنة للملوك والأمراء والولاة ، وذلك بسبب السلطة التي هي من أهم عوامل الفتنة والإغراء ، أما الحقوق الملقاة على الرعايا لملوكهم وامرائهم فهي أولاً : الاخلاص للسلطة الشرعية ، وبذل المزيد من النصيحة لها حتى تتمكن من القيام بأداء واجباتها تجاه الرعية ، من العمران ، واشاعة الأمن والرخاء ، وتطوير البلاد في جميع مجالاتها ، ومن الطبيعي أنه إذا شاع فيها القلق والاضطراب ، وعمت فيها الفتن فإنها لا تتمكن من أداء مسؤولياتها وواجباتها .

ثانياً : عدم مخاصمة السلطة لأن المخاصمة تسبب الهلاك والدمار الشاملين .

ثالثاً : التلطف مع السلطة واحترامها بما لا يتنافى مع الدين .

رابعاً : عدم معاندة السلطة ، وعدم الخروج على إرادتها لأن ذلك مما يسبب الاضرار البالغة للحكومة وللشعب .

هذه بعض الحقوق التي ينبغي على المواطنين مراعاتها تجاه السلطة الشرعية وهي مما توجب اتحاد الشعب مع حكومته .

١٥ ـ حق المعلم :

« وأما حق سائسك بالعلم فالتعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع إليه ، والاقبال عليه ، والمعونة له على نفسك ، في ما لا غنى عنه ، بأن تفرغ له عقلك ، وتحضره فهمك ، وتذكي له قلبك ، وتجلي له بصرك ، بترك اللذات ونقص الشهوات ، وأن تعلم أنك في ما ألفي إليك رسوله إلى من لقيك من أهل الجهل فلزمك حسن التأدية عنه إليهم ، ولا تخنه في تأدية رسالته ، والقيام بها عنه إذا تقلدتها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . . . » .

إن المعلم هو صانع الفكر ، والحضارة ، وله الأيادي البيضاء على الانسانية عامة ، وعلى المتعلم خاصة ، وقد أشاد الإمام عليه السلام

بمكانته ، وأثبت له الحقوق التالية على المتعلم ، وجعله مسؤولاً عن رعايتها ، والقيام بها ، وهي .

١ ـ تعظيمه ، وتبجيله بكل ألوان التعظيم والتبجيل ، وذلك لما له من عظيم الفضل على المتعلم .

٢ ـ توقير مجلسه ، واستعمال الحشمة فيه .

٣ ـ حسن الاستماع لمحاضراته ، والاقبال عليها .

٤ ـ تفريغ العقل ، وتحضير الفهم لوعي دروسه ، وفهمها ، ومن الطبيعي أن التلميذ إذا لم يقبل على استاذه ، فإنه لا ينتفع بحضوره في مجلس الدراسة .

٥ ـ ترك اللذات والشهوات فإنهما شرطان أساسيان إلى تحصيل العلوم ـ خصوصاً العلوم الدينية ـ فإن من يقبل على اللذات لا يحصل غالباً على أي شيء من العلوم .

٦ ـ ومن الحقوق الاساسية للمعلم أن ينشر المتعلم المعارف والعلوم التي تلقاها من استاذه لأنه بذلك قد كتب الاستمرار لرسالة استاذه .

١٦ ـ حق المالك :

« وأما حق سائسك بالملك فنحوٌ من سائسك بالسلطان إلا أن هذا يملك ما لا يملكه ذاك، تلزمك طاعته في ما دق وجل منك إلا أن تخرجك من وجوب حق الله ، ويحول بينك وبين حقه ، وحقوق الخلق ، فإذا قضيته رجعت إلى حقه ، فتشاغلت به ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

والشيء المؤكد أن أئمة أهل البيت عليهم السلام لو تولوا قيا ة الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرة لقضوا على الرق ، ولم يبق له أي أثر في دنيا الوجود وقد تقدم في البحوث السابقة عتق الإمام زين العابدين عليه السلام بصورة مستمرة ، ليس الغرض منها إلا القضاء على الرق ، وانقاذ الانسان من

العبودية ، كما أن معاملة الأئمة عليهم السلام للارقاء كأبنائهم باللطف والرحمة والرأفة ، لا تجعل الرق يحمل سمة العبودية ، والذل .

وعلى أي حال فقد تعرض الإمام عليه السلام إلى حق المالك على رقه ، فأوجب طاعته إلا أن يدعو مولاه إلى معصية الله فلا طاعة له .

١٧ ـ حقوق الرعية :

« فأما حقوق رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنك إنما استرعيتهم بفضل قوتك عليهم ، فإنه إنما أحلهم محل الرعية لك ضعفهم ، وذلهم ، فما أولى من كفاكه ضعفه وذله ، حتى صيره رعية ، وصير حكمك عليه نافذاً ، لا يمتنع منك بعزة ولا قوة، ولا يستنصر في ما تعاظمه منك إلا بالله ، بالرحمة والحياطة[١] ، والأناة، وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضله هذه العزة والقوة التي قهرت بها ، أن تكون لله شاكراً ، ومن شكر الله أعطاه فيما[٢] أنعم عليه ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

لقد نظر الإمام العظيم عليه السلام إلى الحكومات القائمة في عصره فرآها قائمة على القهر والغلبة ، ولم تستند لانتخاب شعوبها فرضخت للظلم ، والذل ولم تمتنع بعزة ولا قوة من السلطان ، وقد أوصى الإمام أولئك الحكام برعاية الشعوب والرحمة بها ، والحياطة لشؤونها ، والاناة في التصرف في أحوالها ، كما أوصاهم أن يذكروا ما أعطاهم الله من فضله فيشكروه بالاحسان إلى الرعية والرفق بها .

١٨ ـ حق المتعلمين :

« وأما حق رعيتك بالعلم فأن تعلم أن الله قد جعلك لهم في ما آتاك من العلم ،وولاك من خزانة الحكمة فإن أحسنت فيما ولاك الله من ذلك ، وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه في عبده الصابر المحتسب الذي إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الأموال التي في يديه ، كنت راشداً ، وكنت لذلك آملاً معتقداً ، وإلا كنت له خائناً ، ولخلقه ظالماً ، ولسلبه عزه متعرضاً . . . » .

---

(١) الحماية والصيانة .

(٢) وردت هكذا ، والأصح : مما .

لقد حث الإمام العظيم عليه السلام العلماء على نشر العلم وبذله للمتعلمين ، وجعل ذلك حقاً عليهم ، وهم مسؤولون عن رعايته ، فإن الله تعالى فيما رزقهم من العلم والحكمة ، قد جعلهم خزنة عليها ، فإن بذلوه إلى المتعلمين فقد قاموا بواجبهم وأدوا رسالتهم ، وإلا كانوا خونة وظالمين ، وتعرضوا لنقمة الله وسخطه .

١٩ ـ حق المملوكة :

« وأما حق رعيتك بملك النكاح فأن تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً ، وأنساً وواقية ، وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه ، ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه ، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ، ويكرمها ويرفق بها ، وإن كان حقك عليها أغلظ ، وطاعتك بها الزم في ما أحببت وكرهت ، ما لم تكن معصية ، فإن لها حق الرحمة ، والمؤانسة ، وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لا بد من قضائها ، وذلك عظيم ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

وأوصى الإمام عليه السلام من يملك وطء امرأة بملك اليمين أن يقابلها بالرأفة والإحسان ، ويقوم برعايتها ، وليعلم أن ما استحله منها إنما هو نعمة من الله عليه ، فاللازم عليه رعاية تلك النعمة ، ورعايتها رعاية كاملة .

٢٠ ـ حق المملوك :

« وأما حق رعيتك بملك اليمين فأن تعلم أنه خلق ربك ، ولحمك ودمك وأنك تملكه[1] لا أنت صنعته دون الله ، ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً ، ولا أجريت له رزقاً ، ولكن الله كفاك ذلك بمن سخره لك ، وأئتمنك عليه ، واستودعك إياه لتحفظه فيه ، وتسير فيه بسيرته فتطعمه مما تأكل ، وتلبسه مما تلبس ، ولا تكلفه ما لا يطيق ، فإن كرهته خرجت إلى الله منه ، واستبدلت به ، ولم تعذب خلق الله ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

---

(١) في رواية « وأنك لم تملكه » .

لقد نظر الإمام العظيم إلى المملوك نظرة مستمدة من جوهر الإسلام وواقعه ، فالمملوك كالحر قد صنعه الله ، وخلق له السمع والبصر ، وأجرى له الرزق ، كما صنع ذلك للحر ، وليس للمالك أن يتجبر أو يتكبر عليه ، وليس له أن يرهقه ، أو يحمله فوق طاقته ، وإنما عليه أن يعامله بالحسنى ، فيطعمه مما يأكل ، ويلبسه مما يلبس ، وينظر إليه كما ينظر إلى أفراد عائلته ، وبهذا فقد حفظ الإسلام للرق مكانته ، ونفى عنه كل منقصة أو حزازة .

« حقوق الرحم »

ووجه الإمام عليه السلام نظره صوب الارحام ، فأدلى بحقوقهم .

٢١ ـ حق الأم :

« فحق أمك أن تعلم أنها حملتك ، حيث لا يحمل أحد أحداً ، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحداً ، وأنها وقتك بسمعها وبصرها ، ويدها ورجلها وشعرها وبشرها ، وجميع جوارحها ، مستبشرة بذلك ، فرحة موبلة[1] محتملة لما فيه مكروهها ، والمها ، وثقلها وغمها حتى دفعتها عنك يد القدرة ، وأخرجتك إلى الأرض ، فرضيت أن تشبع وتجوع هي ، وتكسوك وتعرى ، وترويك وتظمأ ، وتظلك وتضحى ، وتنعمك ببؤسها ، وتلذذك بالنوم بأرقها ، وكان بطنها لك وعاءً ، وحجرها لك حواءً[2] وثديها لك سقاءاً ، ونفسها لك وقاءً ، تباشر حر الدنيا وبردها لك ، ودونك ، فتشكرها على قدر ذلك ، ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه . . . » .

ما أعظم حقوق الأم ، وما أكثر ألطافها وآياديها على ولدها ، فهي صانعة حياته ولولا عواطفها وحنانها لما عاش ، ولما استمرت له الحياة ، فقد تعاهدته بروحها منذ تكوينه ، وتحملت اعباء الحمل واخطار الولادة ، وبعد ولادته تذوب في سبيله ، وتبذل جميع طاقاتها للحفاظ عليه ، والسهر من

---

(١) موبلة : أي مواظبة ومستمرة .

(٢) الحواء : ما يحتوي الشيء ويحيط به .

أجله ، وتبقى تخدمه باخلاص ، وترعاه بعطف وحنان ، إلى أن يكبر ويأخذ طريقه في الحياة ، فذا فارقها أو نأى عنها فكأن الحياة قد فارقتها ونظم محمد بن الوليد الفقيه عواطفها وعواطف الأب في هذه الأبيات .

لو كان يدري الإبن أية غصة ... يتجرع الأبوان عند فراقه
أم تهيج بوجده حيرانة ... وأب يسح الدمع من آماقه
يتجرعان لبينه غصص الردى ... ويبوح ما كتماه من اشواقه
لرثى لأم سُل من أحشائها ... وبكى لشيخ هام في آفاقه
ولبدل الخلق الأبي بعطفه ... وجزاهما بالعذب من أخلاقه[1]

ما أعجز الانسان عن أداء حقوق أمه ، ولو قدم لها جميع الخدمات والمبرات لما أدى أبسط شيء من حقوقها .

٢٢ ـ حق الأب :

« وأما حق أبيك فتعلم أنه أصلك ، وأنك فرعه ، وأنك لولاه لم تكن ، فمهما رأيت في نفسك ما يعجبك[2] فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه ، واحمد الله واشكره على قدر ذلك ، ولا قوة إلا بالله . . . » أما حق الأب على ولده فعظيم جداً ، فهو أصله ولولاه لم يكن ، ويجب عليه رعاية حقوقه ، والقيام بشؤونه ، وما يحتاج إليه لاسيما عند كبره وعجزه فإنه يتأكد عليه تقديم جميع المساعدات والخدمات ليؤدي بذلك بعض حقوقه .

٢١ ـ حق الولد :

« وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ، ومضاف إليك ، في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وإنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب ، والدلالة على ربه ، والمعونة على طاعته فيك وفي نفسه فمثاب على ذلك ، ومعاقب ، فاعمل في أمره عمل

---

(١) معجم البلدان ٣/٤ .

المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا ، المعذر إلى ربه في ما بينه وبينه بحسن القيام عليه ، والأخذ له منه ولا قوة إلا بالله . . . » .

إن الولد إنما هو امتداد لحياة أبيه ، واستمرار لوجوده ، فهو بعضه بل هو كله يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الإمام الزكي الحسن عليه السلام : ووجدتك بعضي ، بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو اصابك أصابني ، وكأن الموت لو أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي . . » .

وتلقي التربية الإسلامية العبء الكبير على الأب في تربية ابنه ، وعليه أن يغرس في أعماقه النزعات الكريمة والصفات الشريفة ، ويعوده على العادات الحسنة ويجنبه الرذائل ، ويقيم له الأدلة على الخالق العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء ، فإن قام بذلك فقد أدى واجبه نحو ابنه ونحو المجتمع بأسره لأن الانسان الصالح لبنة في بناء المجتمع ، وإن لم يقم بذلك فهو مسؤول أمام الله تعالى ، ومعاقب على ذلك .

٢٤ ـ حق الأخ :

« وأما حق أخيك فتعلم أنه يدك التي تبسطها ، وظهرك الذي تلتجىء إليه ، وعزك الذي تعتمد عليه ، وقوتك التي تصول بها ، فلا تتخذه سلاحاً على معصيته ، ولا عدة للظلم بحق الله[1] ولا تدع نصرته على نفسه ، ومعونته على عدوه ، والحول بينه وبين شياطينه ، وتأدية النصيحة إليه ، والاقبال عليه في الله ، فان انقاد لربه ، واحسن الاجابة له ، وإلا فليكن الله آثر عندك ، وأكرم عليك منه . . » .

أما الأخ فهو يد لأخيه ، وعز ومنعة وقوة له ، وهو سنده في الملمات والشدائد ، وقد ذكر الإمام عليه السلام له من الحقوق ما يلي .

١ ـ أن لا يتخذه سلاحاً على معاصي الله .

---

(١) في نسخة « للظلم لخلق الله » .

٢ ـ أن لا يستعين به على ظلم الناس ، والاعتداء عليهم بغير حق .

٣ ـ أن لا يدع نصرته على نفسه ، وذلك بأن يرشده ألى سبل الخير، ويهديه إلى طرق الرشاد .

٤ ـ أن يعينه على عدوه إبليس ، فيحذره منه ، ويخوفه من عقاب الله لئلا يغويه ويصده عن الطريق القويم .

٥ ـ أن يمنحه النصيحة في أمور آخرته ودنياه ، فإن انقاد للحق فذاك ، وإلا فليعرض عنه ، ولا يتصل به مع اعلان للعصيان ، وحربه لله .

٢٥ ـ حق المنعم بالولاء :

« وأما حق المنعم عليك بالولاء فتعلم أنه أنفق فيك ماله ، وأخرجك من ذل الرق ، ووحشته إلى عز الحرية ، وأنسها ، وأطلقك من أسر الملكة ، وفك عنك حلق العبودية ، وأوجدك رائحة العز ، وأخرجك من سجن القهر ، ودفع عنك العسر ، وبسط لك لسان الانصاف ، وأباحك الدنيا ، فملكك نفسك ، وحل أسرك ، وفرغك لعبادة ربك ، واحتمل بذلك التقصير في ماله ، فتعلم أنه أولى الخلق بك بعد أولي رحمك في حياتك وموتك ، واحق الخلق بنصرك ومعونتك ، ومكافأتك في ذات الله فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك . . . » إن للمولى المنعم على عبده بالعتق حقاً كبيراً ، فقد فك عنه الاغلال ، وانقذه من ذل العبودية ، وأطعمه عز الحرية ، فله عليه الآيادي البيضاء ، والواجب عليه أن يقابله بالشكر الجزيل فينصره ويعينه ، ويكافئه في ذات الله وفاءً لجميله ومعروفه .

٢٦ ـ حق المولى :

«وأما حق مولاك ، الجارية عليه نعمتك، فأن تعلم أن الله جعلك حامية عليه ، وواقية وناصراً ، ومعقلاً ، وجعله لك وسيلة، وسبباً بينك وبينه ، فبالحري أن يحجبك عن النار فيكون في ذلك ثواب منه في الآجل ويحكم لك بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رحم مكافأة لما أنفقته من مالك عليه ،

وقمت به من حقه بعد انفاق مالك ، فإن لم تخفه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

ودعا الإمام عليه السلام المولى إلى مراعاة حقوق أرقائه ، فإن الله قد جعله عليهم وكيلاً وحامية عليهم فاللازم عليه مراعاة حقوقهم ، ومعاملتهم معاملة كريمة ، والاحسان إليهم بكل ما يتمكن ، فإن فعل ذلك وقام به ، فإن الله يجازيه على ذلك ، ويجعل احسانه إليهم وقاية له من النار .

٢٧ ـ حق صاحب المعروف :

« وأما حق ذي المعروف عليك ، فأن تشكره وتذكر معروفه ، وتنشر له المقالة الحسنة ، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه ، فانك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية ، ثم إن أمكن مكافأته بالفعل كافأته وإلا كنت مرصداً له ، موطناً نفسك عليها[1] . . . »

تبنى الإسلام بصورة إيجابية الدعوة إلى الإحسان ، وشكر المحسن وتشجيعه على هذه الصفة الرفيعة الهادفة إلى إيجاد التضامن بين المسلمين وخلق مجتمع أفضل تتوفر فيه جميع عناصر القوة .

لقد حث الإمام عليه السلام على شكر المحسن ، واذاعة فضله وإحسانه تكريماً للفضيلة بين الناس ، كما حث على الاخلاص له في الدعاء ، ومكافأته بالافعال .

٢٨ ـ حق المؤذن :

« وأما حق المؤذن فأن تعلم أنه مذكرك بربك ، وداعيك إلى حظك ، وأفضل أعوانك على قضاء الفريضة التي افترضها الله عليك ، فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك ، وإن كنت في بيتك متهماً لذلك ، لم تكن لله في أمره متهماً ، وعلمت أنه نعمة من الله عليك ، لا شك فيها فأحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال ، ولا قوة إلاّ بالله . . . » .

---

(١) الضمير في « عليها » : عائد إلى المكافأة .

أما المؤذن للإعلام بدخول الصلاة فله الفضل على المسلمين لأنه يعلمهم بدخول وقت الصلاة التي هي من أهم الفرائض الدينية في الإسلام ، وهو يستحق بذلك الشكر والتقدير ، لأنه يهيئهم لأداء هذه الفريضة الكبرى والخروج من عهدتها .

٢٩ ـ حق إمام الجماعة :

« وأما حق إمامك في صلاتك فأن تعلم أنه قد تقلد السفارة في ما بينك وبين الله ، والوفادة إلى ربك ، وتكلم عنك ، ولم تتكلم عنه ، ودعا لك ، ولم تدع له ، وطلب فيك ، ولم تطلب فيه ، وكفاك هم المقام بين يدي الله ، والمسألة له فيك ، ولم تكفه ذلك ، فإن كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك ، وإن كان آثماً لم تكن شريكه فيه ، ولم يكن لك عليه فضل ، فوقى نفسك بنفسه ، ووقى صلاتك بصلاته فتشكر له على ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . . . » .

أما إمام الجماعة فله الفضل الكبير على المؤتمين به ، وذلك لما يترتب من الثواب الجزيل على الجماعة ، فقد تضافرت الأخبار باستحبابها المؤكد وأنه كلما ازداد عدد المصلين جماعة ازداد ثوابهم ، وتضاعف أجرهم ، ومن المعلوم أن ما يظفر به المأموم من الثواب الجزيل إنما هو بسبب إمام الجماعة الذي تقلد السفارة في ما بين المأموم وبين الله تعالى ، ومضافاً لذلك فإن الإمام ينوب عن المأموم في قراءة الفاتحة والسورة ، وبذلك فقد تحمل عنه اعباء القراءة في حين أن المأموم لم ينب عنه في شيء ، ولهذه الجهة وغيرها فقد كان للإمام الفضل الكبير على المأمومين .

٣٠ ـ حق الجليس :

« وأما حق الجليس فأن تلين له كنفك[1] وتطيب له جانبك ، وتنصفه

---

(١) الكنف : الجانب .

في مجاراة اللفظ ، ولا تغرق في نزع اللحظ أذا لحظت ، وتقصد في اللفظ إلى افهامه إذا نطقت ، وإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار ، ولا تقوم إلا بأذنه ، ولا قوة إلا بالله . . . » ما أروع النظام الاجتماعي الذي خططه الإسلام فقد رعى فيه جميع الشؤون الاجتماعية والفردية ، وقارب فيه ما بين العواطف والمشاعر ، وقضى فيه على جميع ألوان الحزازات التي تباعد بين المسلمين ، وتفرق جماعتهم ، وكان من بين ما سنه الإسلام في هذا المجال حقوق الجليس ، وقد رعى فيها الآداب رعاية كاملة وهي حسب ما أعلنها الإمام عليه السلام كما يلي .

١ ـ أن يلين الجليس جانبه لجليسه ، ولا يستعمل معه الغلظة والشدة التي تنفر منها الطباع .

٢ ـ أن يطيب له جانبه ، وذلك بتوقيره وتكريمه .

٣ ـ انصافه إذا خاض معه الحديث ، ولا يظهر التكبر والاستعلاء عليه .

٤ ـ عدم المبالغة في أمره .

٥ ـ أذا وجه له الكلام فليقصد به افهامه .

٦ ـ إذا جاء بعده فهو بالخيار في القيام ، ولكن إذا جاء قبله فليستأذن منه إذا أراد القيام .

ومن الطبيعي أن هذه الآداب لو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لسادت المحبة والوئام في ما بينهم .

٣١ ـ حق الجار :

« وأما حق الجار فحفظه غائباً ، وكرامته شاهداً ، ونصرته ومعونته في الحالين جميعاً ، لا تتبع له عورة ، ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها ، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلف ، كنت لما علمت حصنا حصيناً ، وستراً ستيراً ، لو بحثت الألسنة عنه لم تتصل إليه لانطوائه عليه . لا تستمع عليه من حيث لا يعلم ، لا تسلمه عنه شديدة ، ولا تحسده عند نعمة ، تقيل

عثرته ، وتغفر زلته ، ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك ، ولا تخرج أن تكون سلماً له ، ترد عنه الشتيمة ، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة ، وتعاشره معاشرة كريمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . . . » .

واهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالجار ، وأوصى برعايته ، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « وأوصانا رسول الله صلى الله عليه وآله بالجار حتى ظننا أنه سيورثه » وقد تضافرت الأخبار عن أئمة الهدى عليهم السلام بالوصاية ، والعناية في أموره ، وذلك لايجاد التضامن الاجتماعي بين المسلمين ، وبناء مجتمع إسلامي تسوده المحبة والألفة ، ولا ثغرة فيه للخلاف والشقاق بين ابنائه، وقد أعلن الإمام زين العابدين عليه السلام له من الحقوق ما يلي :

١ ـ أن يحفظ الجار جاره في حال غيابه ، وذلك بالحفاظ على أمواله ، وعرضه ، ومنع إيصال أي مكروه له .

٢ ـ تكريمه في حال حضوره .

٣ ـ نصرته ومعونته في حال حضوره وغيابه .

٤ ـ عدم التتبع لأية عورة أو منقصة له .

٥ ـ ستر أي سوءةٍ تبدو منه ، وعدم نشرها وإذاعتها بين الناس .

٦ ـ عدم تسليمه إذا نزلت به شدة أو ألمت به كارثة بل يقف إلى جانبه ، ويساعده في ما نزل به .

٧ ـ عدم حسده إذا انعم الله عليه نعمة .

٨ ـ إقالة عثراته ، ومغفرة زلاته .

٩ ـ الحلم عنه إذا بدرت منه بادرة سوء ، وعدم مقابلته بالمثل .

١٠ ـ صد من يشتمه أو يذكره بسوء .

١١ ـ عدم التصديق لمن ينقل عنه كلمة السوء ليلقي بينهما العداوة والبغضاء .

١٢ ـ معاشرته معاشرة كريمة .

وهذه الحقوق التي أعلنها الإمام عليه السلام توجب وحدة المسلمين ، وعدم تصدع شملهم ، وإشاعة المودة والألفة بينهم .

٣٢ ـ حق الصاحب :

« وأما حق الصاحب فان تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً ، وإلا فلا أقل من الانصاف ، وأن تكرمه كما يكرمك ، وتحفظه كما يحفظك ، ولا يسبقك في ما بينك وبينه إلى مكرمة ، فإن سبقك كافأته ، ولا تقصر به عما يستحق من المودة ، تلزم نفسك نصيحته ، وحياطته ، ومعاضدته على طاعة ربه ، ومعونته على نفسه في ما لا يهم به من معصية ربه .

ثم تكون عليه رحمة ، ولا تكون عليه عذاباً ، ولا قوة إلا بالله . . . »

وعرض الإمام عليه السلام إلى حقوق الصاحب على صاحبه ، وهي .

١ ـ أن تقوم المصاحبة على الفضل والمعروف .

٢ ـ أن يحفظ كل منهما صاحبه .

٣ ـ أن تقوم المصاحبة على المودة والحب والاخاء .

٤ ـ أن يسدي كل صاحب لصاحبه النصيحة .

٥ ـ أن يعضد كل منهما صاحبه على طاعة الله تعالى ، والتجنب عن معاصيه .

٦ ـ أن تكون الصحبة رحمة ونعمة لا عذاباً ونقمة .

٣٣ ـ حق الشريك :

« أما حق الشريك فإن غاب كفيته ، وإن حضر ساويته ، ولا تعزم على حكمك دون حكمه ، ولا تعمل برأيك دون مناظرته ، وتحفظ عليه ما له ،

وتنفي عنه خيانته في ما عزَّ وهان ، فإنه بلغنا « إن يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا ، ولا قوة إلا بالله » .

وتبتني الشركة المالية في الإسلام على تنمية المال ، ونشر روح الأمانة بين الشريكين وليس لكل واحد منهما الاستبداد في التصرف في المال من دون إذن صاحبه ، وإنما عليه أن يستشيره في جميع شؤون المال المشترك من البيع والنقل وغير ذلك ، كما أن على كل منهما القيام بحفظ المال ، وعدم خيانته أو اهماله ، وإن فرط أحدهما فيه فيترتب عليه الحكم التكليفي وهو العقاب ، بالإضافة إلى الحكم الوضعي وهو الضمان .

٣٤ ـ حق المال :

« وأما حق المال فأن لا تأخذه إلا من حله ، ولا تنفقه إلا في حله ، ولا تحرفه عن مواضعه ، ولا تصرفه عن حقائقه ، ولا تجعله إذا كان من الله إلا إليه ، وسبباً إلى الله ، ولا تؤثر به على نفسك من لعله لا يحمدك ، وبالحري أن لا يحسن خلافته في تركتك ، ولا يعمل فيه بطاعة ربك ، فتكون معيناً له على ذلك ، وبما أحدث في مالك ، أحسن نظراً لنفسه ، فيعمل بطاعة ربه ، فيذهب بالغنيمة ، وتبوء بالإثم والحسرة والندامة مع التبعة ، ولا قوة ألا بالله . . . » أما حق المال في الإسلام فان لا يأخذه المسلم إلا من الطرق المشروعة كالكسب الحلال ، أما أخذه من الطرق المحرمة كالربا ، والغش ، والتكسب في الاعيان المحرمة كبيع الخمر وصنعه أو أكل أموال الناس بالباطل كالرشوة ، وأمثالها ، فإن ما يأخذه باق على ملك صاحبه ، مضافاً إلى الإثم والعقاب عند الله ، وبذلك فقد بنى الإسلام اقتصاده الخلاق على أحدث الوسائل التي لا توجب تكدس الأموال عند فئة من الناس ، وحرمان بقية الشعب منها ، ثم أن الإمام عليه السلام دعا إلى إنفاق المال في الوسائل المحللة التي يثاب عليها ، وينال بها رضا الله كإنشاء المستشفيات ودور الولادة ، ومعاهد التعليم ، وتأسيس المكتبات العامة ، وما شاكل ذلك من المشاريع التي ينتفع بها الناس ، أما إذا لم ينفقه وأدخره لو رثته فإن انفقوه في

معصية الله فإثمه عليه لاعانته إياهم على الإثم والحرام ، وإن أنفقوه في طاعة الله فقد ذهبوا بالغنيمة ، وباء بالحسرة وبالخسران .

٣٥ ـ حق الغريم[١] :

« وأما حق الغريم المطالب لك فإن كنت موسراً أوفيته وكفيته ، ولم ترده ، وتمطله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « مطل الغني ظلم » وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول ، وطلبت منه طلباً جميلاً ، ورددته عن نفسك رداً لطيفاً ، ولم تجمع عليه ذهاب ماله ، وسوء معاملته ، فإن ذلك لؤم ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

وعرض الإمام عليه السلام إلى حق الدائن على المدين ، وأنه يجب على المدين أن يوفي دينه إن كان موسراً ، وليس له المماطلة لأنها نوع من أنواع الظلم وهو محرم في الإسلام ، وإن كان معسراً فعليه أن يقدم للدائن أطيب القول وأحسنه ، ويعتذر منه ويخبره بعجزه ، وعدم قدرته على الوفاء ، أما مقابلته بالكلمات النابية والألفاظ الرخيصة فإنه سد لباب المعروف ولون من ألوان اللؤم الذي هو من أحقر الصفات وأمقتها عند الله .

٣٦ ـ حق الخليط :

« وأما حق الخليط فأن لا تغره ، ولا تغشه ، ولا تكذبه ، ولا تغفله ، ولا تخدعه ، ولا تعمل في انتقاصه، عمل العدو الذي لا يبقى على صاحبه ، وأن اطمأن إليك استقصيت له على نفسك ، وعلمت أن غبن المسترسل رباً ولا قوة إلا بالله . . . » .

أما الخليط وهو الشريك في المال المختلط فقد ذكر له الإمام عليه السلام حقوقاً وهي :

١ ـ أن لا يغر صاحبه فيما إذا باع المال عليه .
٢ ـ أن لا يغش المال إذا باعه عليه .
٣ ـ أن لا يكذبه في ما يدعيه .

---

(١) الدائن إجمالاً ، وتأتي أحياناً بمعنى المديون .

٤ ـ أن لا يغفله في أي شأن من شؤون المبيع بل لا بد أن يكون على علم به .

٥ ـ أن لا يخدعه في المعاملة التي بينه وبينه .

٦ ـ إذا فوض إلى صاحبه أموره فعليه أن يبذل قصارى جهوده في النصيحة وإن غبنه فإن ذلك نوع من أنواع الربا الذي يمقته الله .

٣٧ ـ حق المدعي :

« وأما حق الخصم المدعي عليك ، فن كان ما يدعي عليك حقاً لم تنفسخ في حجته ، ولم تعمل في إبطال دعوته ، وكنت خصم نفسك له ، والحاكم عليها والشاهد له بحقه دون شهادة الشهود ، فإن ذلك حق الله عليك ، وإن كان ما يدعيه باطلاً رفقت به ، وورعته ، وناشدته بدينه ، وكسرت حدته عنك بذكر الله ، وألقيت حشو الكلام ولغطه الذي لا يرد عليك عادية عدوك ، بل تبوء باثمه ، وبه يشحذ عليك سيف عداوته لأن لفظة السوء تبعث الشر ، والخير مقمعة للشر ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

وتحدث الإمام عليه السلام في هذه الفقرات عن حق المدعي على المدعى عليه وأن الواجب يحتم على المدعى عليه إن كانت الدعوى حقاً أن يعطي الحق للمدعي ولا يظلمه لأن الله له بالمرصاد ، وهو الحاكم بين عباده بالحق ، وإن كانت الدعوى باطلة واقعاً فعليه أن يرفق به تأدباً ، ويعظه ويذكره الدار الآخرة ، ولا يقابله بالغلظة والشدة لعله يرتدع عن غيه ، وينتهي عن باطله .

٣٨ ـ حق المدعى عليه :

« وأما حق الخصم المدعى عليه ، فإن كان ما تدعيه حقاً اجملت في مقاولته بمخرج الدعوى ، فإن للدعوى غلظة في سمع المدعى عليه ، وقصدت قصد حجتك بالرفق ، وأمهل المهلة ، وأبين البيان ، وألطف اللطف ، ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعته بالقيل والقال فتذهب عنك حجتك ، ولا يكون لك في ذلك دَرَكٌ ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

لقد نظر الإمام عليه السلام إلى المدعي ، فإنه إذا كان على حق في دعواه ، فأوصاه أن يتجنب الكلمات النابية مع خصمه ، ويقابله بالكلمات الطيبة ، ويتجنب القيل والقال لأنهما لا يجديان شيئاً ، ولا يرجعان حقاً بل ربما تذهب حجته ، ويضيع حقه .

٣٩ ـ حق المستشير :

« وأما حق المستشير ، فإن حضرك له وجه رأي ، جهدت له في النصيحة ، وأشرت عليه بما تعلم أنك لو كنت مكانه عملت به ، وذلك ليكن منك في رحمة ولين ، فإن اللين يؤنس الوحشة ، وإن الغلظ يوحش موضع الأنس ، وإن لم يحضرك له رأي ، وعرفت له من تثق برأيه ، وترضى به لنفسك دللته عليه ، وأرشدته إليه لم تأله[1] خيراً ، ولم تدخره نصحاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . . . » .

أما حق المستشير على المشير ، فإن عليه أن يخلص له في النصيحة ، ويجهد نفسه في اسداء الرأي المصيب ، وأن يؤدي نصيحته له بلين لا شدة فيه ، فإن الشدة تنفر منها الطباع وتستوحش منها القلوب ، وإن لم يحضر رأي ينتفع به المستشير ، فإن عرف من يثق برأيه فيدله عليه ، ويرشده له ، وبذلك يكون قد أسدى إليه خيراً ومعروفاً .

٤٠ ـ حق المشير :

« وأما حق المشير عليك فلا تتهمه في ما يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك ، فإنما هي الآراء ، وتصرف الناس فيها واختلافهم . فكن عليه في رأيه بالخيار إذا اتهمت رأيه ، فأما تهمته فلا تجوز لك ، إذا كان عندك ممن يستحق المشاورة ، ولا تدع شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه ، وحسن وجه مشورته ، فإذا وافقك حمدت الله ، وقبلت ذلك من أخيك بالشكر ، والارصاد بالمكافأة في مثلها إن فزع إليك ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

---

(١) لم تأله : أي لم تقصر .

أما حق المشير على المستشير فإن عليه أن لا يتهمه في رأيه ، ولا يزهد في نصيحته ، وإذا اتهمه في رأيه فإنه غير ملزم بالأخذ به ، وهو على كل حال ملزم بشكره ومكافأته على اسداء النصيحة له .

٤١ ـ حق المستنصح :

« وأما حق المستنصح فإن حقه أن تؤدي إليه النصيحة على الحق الذي ترى له إنه يحمل ، ويخرج المخرج الذي يلين على مسامعه ، وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله ، فإن لكل عقل طبقة من الكلام يعرفه ، ويجتنبه ، وليكن مذهبك الرحمة ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

أما حق المستنصح على الناصح فإن عليه أن يرشده إلى الصواب ، ويهديه إلى الحق والرشاد ، وأن تكون نصيحته مشفوعة بالكلام الطيب ، وليس له أن يخاطبه بكلام فوق مستواه الفكري ، فإن نصيحته تذهب أدراج الرياح .

٤٢ ـ حق الناصح :

« وأما حق الناصح فأن تلين له جناحك ، ثم تشرئب له قلبك[1] ، وتفتح له سمعك ، حتى تفهم عنه نصيحته ، ثم تنظر فيها ، فإن كان وفق فيها للصواب حمدت الله على ذلك ، وقبلت منه ، وعرفت له نصيحته ، وإن لم يكن وفق لها فيها رحمته ، ولم تتهمه ، وعلمت أنه لم يألك نصحاً إلا أنه أخطأ إلا أن يكون عندك مستحقاً للتهمة ، فلا تعبأ بشيء من أمره على كل حال ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

أما حق الناصح على المستنصح فهو أن يلين له جناحه تكريماً وتعظيماً له ، ويتوجه إليه بقلبه وسمعه ليعي نصيحته ، ويتدبر ما فيها ، فإن كانت وفقاً للصواب حمد الله على ذلك ، وإن خالفت الواقع فليس له أن يتهمه في شيء لأنه لم يألُ جهداً في نصيحته إلا أنه أخطأ في ذلك ، وليس عليه حرج أو بأس .

---

(١) الأصح : بقلبك .

٤٣ ـ حق الكبير :

« وأما حق الكبير فإن حقه توقير سنه ، واجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل في الإسلام بتقديمه فيه ، وترك مقابلته عند الخصام ولا تسبقه إلى طريق ، ولا تؤمه في طريق[1] ولا تستجهله ، وإن جهل عليك تحمَّلت وأكرمته بحق إسلامه مع سنه ، فإنما حق السن بقدر الإسلام ، ولا قوة إلا بالله . . » .

من الآداب الاجتماعية التي سنها الإسلام من أجل بناء مجتمع أصيل احترام الشيخ الكبير إذا كان من أهل الفضل والسابقة في الإسلام أما مظاهر تكريمه حسب ما ذكره الإمام عليه السلام فهي :

١ ـ ترك مقابلته والرد عليه في المسائل التي تمنى بالجدل والخصام .

٢ ـ إذا سارامعاً فلا يسبقه إلى الطريق .

٣ ـ أن لا يتقدم عليه في الطريق .

٤ ـ إذا خفيت على الشيخ مسألة فلا يظهر جهله فيها .

٥ ـ إذا اعتدى الشيخ عليه فيتحمل اعتداءه ، ويكرمه من أجل كبره وإسلامه .

٤٤ ـ حق الصغير :

« أما حق الصغير فرحمته ، وتثقيفه ، وتعليمه ، والعفو عنه ، والستر عليه ، والرفق به ، والمعونة له ، والستر على جرائر حداثته ، فإنه سبب للتوبة ، والمداراة ، وترك مماحكته ، فإن ذلك أدنى لرشده . . . » .

وأعلن الإمام عليه السلام حقوقاً للصغير على الكبير ، وهي من ركائز التربية الإسلامية وهي :

١ ـ الرحمة بالصغير ، والعطف عليه ، وعدم مقابلته بالشدة والقسوة

---

(١) لا تؤمه في طريق : أي لا تتقدمه في الطريق .

لأنهما يوجبان انحرافه ، وخلق العقد النفسية فيه .

٢ ـ تثقيفه ، وتعليمه ، وفتح آفاق المعرفة أمامه لينهل منها .

٣ ـ الرفق به لأنه مما يوجب استجلابه .

٤ ـ إعانته في ما يحتاج إليه .

٥ ـ الستر على جرائر حداثته ، وعدم نشرها لأن ذلك يوجب اقلاعه عنها .

٦ ـ مداراته ، وترك مخاصمته ، فإن ذلك أدنى لرشده .

وهذه الأمور التي أعلنها الإمام عليه السلام مما توجب صلاح النشء وتهذيبهم .

٤٥ ـ حق السائل :

« وأما حق السائل فاعطاؤه إذا تهيأت صدقة ، وقدرت على سد حاجته ، والدعاء له في ما نزل به ، والمعاونة له على طلبته ، وإن شككت في صدقه ، وسبقت إليه التهمة ، ولم تعزم على ذلك لم تأمن من أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدك عن حظك ويحول بينك وبين التقرب إلى ربك ، وتركته بستره ، ورددته رداً جميلاً ، وإن غلبت نفسك في أمره ، وأعطيته على ما عرض في نفسك منه ، فإن ذلك من عزم الأمور . . . » .

وحث الإمام عليه السلام على البر بالسائل ، واسعافه ، وسد حاجته تحقيقاً للتكافل الاجتماعي في الإسلام ، وابعاداً لشبح الفقر والمجاعة عن المسلمين ، هذا فيما إذا علم صدق السائل ، وإن شك المسؤول في أمر الفقير واتهمه ، بالكذب في اظهار الفقر ، فإنه ليس من المستبعد أن تكون هذه التهمة من كيد الشيطان ومكره ليحرم المسؤول من الثواب الجزيل الذي أعده الله تعالى للمتصدقين ، وإن خالف المسؤول هذا الوهم فأعطى الفقير فإن ذلك من عزم الأمور .

٤٦ ـ حق المسؤول :

« وأما حق المسؤول : فحقه إن أُعطي قبل منه ما أعطى بالشكر له ، والمعرفة لفضله ، وطلب وجه العذر في منعه ، واحسن به الظن واعلم أنه إن منع فما له منع ، وإن ليس التثريب في ماله ، وإن كان ظالماً فإن الانسان لظلوم كفار . . » وعرض الإمام عليه السلام إلى حق المسؤول على السائل ، وإن من أوليات حقوقه أن يقابله السائل بالشكر والدعاء له فيما إذا أكرمه واعطاه ، وأن يحسن به الظن فيما إذا منعه ، كما أن من يمنع السائل مع القدرة والتمكن على عطائه فإنه قد حجب ماله عن نفسه ، وحرمها منه لأن الله قد أعد للمتصدقين أجزل الثواب .

٤٧ ـ حق السار :

« وأما حق من سرك الله به وعلى يديه ، فإن كان تعمدها لك حمدت الله أولاً ثم شكرته على ذلك بقدره في موضع الجزاء ، وكافأته على فضل الابتداء ، وارصدت له المكافأة ، وإن لم يكن تعمدها حمدت الله وشكرته ، وعلمت أنه منه ، توحدك[1] بها ، وأحببت هذا إذا كان سبباً من أسباب نعم الله عليك ، وترجو له بعد ذلك خيراً ، فإن أسباب النعم بركة حيث ما كانت ، وإن كان لم يعتمد ، ولا قوة إلا بالله . . . » .

إن من يبادر إلى دخال السرور على أخيه فهو من خيار الناس ، وقد طرق أخاه بالمعروف ، وأسدى إليه يداً بيضاء ، وإن الواجب يقضي عليه بأن يقوم بشكره ، ويذكر احسانه والطافه عليه ، ويكافئه على معروفه تشجيعاً لهذه المكرمة ، وشكراً للمعروف .

٤٨ ـ حق من اساء القضاء :

« وأما حق من ساءك القضاء على يديه بقول أو فعل ، فإن كان تعمدها ، كان العفو أولى بك ، لما فيه من القمع وحسن الأدب ، مع كثير أمثاله من الخلق فإن الله يقول : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ـ

(١) اختصك .

إلى قوله ـ من عزم الأمور ﴾[1] وقال عز وجل : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾[2] هذا في العمد ، فإن لم يكن عمداً لم تظلمه بتعمد الانتصار منه ، فتكون قد كافأته في تعمد على خطأ ، ورفقت به ، ورددته بالطف ما تقدر عليه ، ولا قوة إلا بالله . . »

وتعرض الإمام عليه السلام إلى القضاة ، وأنهم إذا جاروا على أحد بقول أو فعل ، وكان ذلك عن عمد ، فالأولى العفو والصفح عنهم عملاً بالآداب الإسلامية الرفيعة التي حثت على العفو عن المسيء ، وعدم مؤاخذته ، أما إذا صدرت الاساءة منهم عن خطأ فلا ينبغي مؤاخذتهم لأنهم لم يتعمدوا الظلم والجور .

٤٩ ـ حق أهل الملة :

« وأما حق أهل ملتك عامة فاضمار السلامة ، ونشر جناح الرحمة ، والرفق بمسيئهم وتألفهم ، واستصلاحهم ، وشكر محسنهم إلى نفسه ، وإليك ، فإن احسانه إلى نفسه إحسانه إليك ، إذ كف عنك أذاه ، وكفاك مؤونته ، وحبس عنك نفسه ، فعمهم جميعاً بدعوتك ، وانصرهم جميعاً بنصرتك ، وأنزلهم جميعاً منازلهم ، كبيرهم بمنزلة الوالد ، وصغيرهم بمنزلة الولد ، وأوسطهم بمنزلة الأخ ، فمن أتاك تعاهدته بلطف ورحمة ، وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه . . » .

إن للمسلمين حقوقاً عامة ، على كل مسلم أن يقوم برعايتها ، وهي حسب ما أعلنها الإمام عليه السلام كما يلي :

١ ـ على كل مسلم أن يضمر في دخيلة نفسه السلامة والمودة والإخاء لجميع المسلمين .

٢ ـ أن ينشر لهم جناح الرحمة ، فلا يستعلي ، ولا يستكبر على أي واحدٍ منهم .

---

(١) سورة الشورى : ٤١ .

(٢) سورة النحل : آية ١٢٦ .

٣ ـ أن يرفق بمسيئهم ، ولا يقسو عليه لأن في ذلك اصلاحاً له .

٤ ـ أن يعمل على تآلفهم ووحدتهم واجتماع كلمتهم .

٥ ـ أن يشكر محسنهم على إحسانه ، ويشجعه على هذه الظاهرة الكريمة التي تعود فائدتها على الجميع .

٦ ـ أن يقوم بنصرتهم إذا دهمهم عدو .

٧ ـ أن ينزل الكبير منهم بمنزلة والده ، وصغيرهم بمنزلة ولده ، وأوسطهم بمنزلة أخيه . . . ومن المؤكد أن هذه الحقوق لو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لكانوا يداً واحدة ، وما أختلفت لهم كلمة ، ولا تشتت لهم شمل ، وما طمعت فيهم أمم العالم .

٥٠ ـ حق أهل الذمة :

« وأما حق أهل الذمة فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله ، وتفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده ، وتكلهم إليه في ما طلبوا من أنفسهم ، وأجبروا عليه ، وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك في ما جرى بينك وبينهم من معاملة ، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله ، والوفاء بعهده ، وعهد رسول الله صلى عليه وآله حائل فإنه بلغنا أنه قال : « من ظلم معاهداً كنت خصمه » فاتق الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . . . » .

فهذه خمسون حقاً محيطا بك ، لا تخرج منها في حال من الأحوال يجب عليك رعايتها والعمل في تأديتها ، والاستعانة بالله جلّ ثناؤه على ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والحمد لله رب العالمين . . » .

ورعى الإسلام أهل الذمة ، وهم اليهود والنصارى من الذين دخلوا في ذمة الإسلام فإنه يعاملهم كما يعامل المسلمين في التمتع بالحرية والرخاء والأمن والاستقرار ، وقد أعلن الإمام عليه السلام أن لهم من الحقوق ما يلي :

١ ـ أن يتقبل فيهم ما قننه الله وشرعه لهم من أحكام .

٢ ـ الوفاء بحقوقهم التي جعلها الله لهم .

٣ ـ الحكم فيهم بما أنزل الله .

٤ ـ حرمة ظلمهم ، وعدم جواز الاعتداء عليهم بغير حق .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن رسالة الحقوق التي هي من أثرى الكتب الإسلامية فهي ـ على إيجازها ـ قد وضعت المناهج الحية لاسعاد المسلمين ، واصلاحهم .

مؤلفاته

٤ـ
كتاب علي بن الحسين

من مؤلفات الإمام زين العابدين عليه السلام كتاب اسمه « كتاب علي بن الحسين» وقد فُقد هذا الكتاب كما فُقد غيره من أمهات الكتب الإسلامية، وقد عثرنا على قطعة يسيرة منه نقلها عنه الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام قال: وجدنا في (كتاب علي بن الحسين) ﴿ألآ إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾إذا أدوا فرائض الله ، وأخذوا سنن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتورعوا عن محارم الله ، وزهدوا في عاجل زهرة الحياة الدنيا ، ورغبوا في ما عند الله، واكتسبوا الطيب من رزق الله، لا يريدون به التفاخر، والتكاثر ثم انفقوا في ما يلزمهم من حقوق واجبة ، فأولئك الذين بارك الله لهم في ما اكتسبوا ، ويثابون على ما قدموا لآخرتهم[1] . .

لقد أشادت هذه الكلمات بأولياء الله تعالى ، وحددت معالم شخصياتهم ، وهي .

(أ) اداء فرائض الله .
(ب) الأخذ بسنن النبي صلى الله عليه وآله .
(ج) الورع عن محارم الله .
(د) الزهد في الدنيا .

---

(١) ناسخ التواريخ : ٩٤٧/١ ، معالم العبر للنوري .

(هـ) الرغبة في ما عند الله .

(و) اكتسابهم للطيب والحلال من الرزق .

(ز) انفاقهم للحقوق المالية الواجبة في الإسلام من الزكاة والخمس وغيرهما ، ومن الطبيعي أن من اتصف بهذه الصفات من المؤمنين فهو من أولياء الله الذين بارك فيهم ، واعد لهم في دار الآخرة جنة الفردوس يتبوَّؤون فيها حيث ما شاؤوا .

ديوان شعر منسوب للإمام :

ونُسب للإمام زين العابدين عليه السلام ديوان من الشعر حافل بالنصائح والمواعظ وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الإمام أمير المؤمنين بخط السيد احمد بن الحسين الجزائري ، وقع الفراغ من كتابتها يوم الثلاثاء ٢٦/رجب/سنة (١٣٥٨ هـ) وقد استنسخها عن نسخة بخط السيد محمد بن السيد عبد الله الشوشتري المتوفي سنة (١٢٨٣ هـ) .

ونشره الدكتور حسين علي محفوظ في مجلة البلاغ العدد الثامن من السنة الأولى (ص ٢٤) وقال في تقديمه له : « ينسب إلى السجاد عليه السلام (٣٨٧) بيتاً من الشعر جمعها شيخنا المرحوم محمد علي التبريزي المدرس المتوفي سنة (١٣٧٣هـ) من كتاب التحفة المهدية المطبوع في تبريز سنة (١٣٥٧ هـ) وهو القسم الثاني من ديوان المعصومين الذي سماه الدر المنثور ، وقد أهدى إلي صديقنا الباحث الفاضل الكريم مرتضى المدرس الجهار وهو نزيل طهران قبل أربعة عشر عاماً نسخة خطية من شرح ديوان السجاد عليه السلام مكتوبة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري فيه ٢٩ مقطوعة من بحر الوافر ذوات خمسة أبيات مرتبة على الهجاء عدتها ١٤٥ بيتاً ، وإذا صح أن ينسب شيء من الشعر إلى الإمام فالظن كل الظن أن في المضامين إليه من المنظوم ما هو قيد كلماته ، ونظم معانيه ، واتباع منهجه ، ودليل سيرته ، واقتداء بهداه . . » .

ونحن لا يخالجنا أدنى شك في عدم صحة نسبة هذا الديوان إلى الإمام زين العابدين عليه السلام لا لتهافت معانيه ، وإنما لركة الكثير من الفاظه ،

والذي يقرأ الصحيفة السجادية ، وما أثر عنه من غرر الحكم والآداب يجد أن الإمام قد استعمل أفخم الالفاظ وأعذبها ، وأكثرها جاذبية للقارىء ، فقد كان عليه السلام من أفصح بلغاء الأمة العربية على الاطلاق وتعد صحيفته السجادية من مناجم كتب البلاغة في الإسلام ، مضافاً إلى عدم النص عليه في المصادر القديمة ، والذي أذهب إليه بلا تردد ولا شك أنه ليس من نظم الإمام عليه السلام . . . وانا ننقل بعض القطع من هذا الديوان للتدليل على ما ذكرناه .

- أ -

تبارك ذو العلى والكبرياء ... تفرد بالجلال وبالبقاء
وسوى الموت بين الخلق طراً ... فكلهم رهائن للفناء
ودنيانا وإن ملنا إليها ... فطال بها المتاع إلى انقضاء
ألا أن الركون على غرور ... إلى دار الفناء من العناء
وقاطنها سريع الظعن عنها ... وان كان الحريص على الثواء

- ب -

يحول عن قريب من قصور ... مزخرفة إلى بيت التراب
فيُسلم فيه مهجوراً فريداً ... أحاط به شحوب الاغتراب
وهولُ الحشر افظع كل أمر ... إذا دُعي ابن آدم للحساب
وألفى كل صالحة أتاها ... وسيئة جناها في الكتاب
لقد آن التزود إن عقلنا ... وأخذ الحظ من باقي الشباب

- ت -

فعقبى كل شيء نحن فيه ... من الجمع الكثيف إلى الشتات
وما حزناه من حل وحرم ... يوزع في البنين وفي البنات
وفي من لم نؤهلهم بفلس ... وقيمة حبة قبل الممات
وتنسانا الأحبة بعد عشر ... وقد صرنا عظاماً بالية
كأنا لم نعاشرهم بود ... ولم يك فيهم خل مؤات

- ث -

لمن يا أيها المغرور تحوي ... من المال الموفر والأثاث
ستمضي غير محمود فريداً ... ويخلو بعل عرسك بالتراث
ويخذلك الوصي بلا وفاء ... ولا اصلاح أمر ذي التياث
لقد أوقرتَ وزراً مرجحنا[1] ... يسد عليك سبل الانبعاث
فمالك غير تقوى الله حرز ... ولا وزر ومالك من غياث

- ج -

تعالج بالتطبب كل داء ... وليس لداء دينك من علاج
سوى ضرع إلى الرحمن محض ... بنية خائف ويقين راج
وطول تهجد بطلاب عفو ... بليل مدلهم الستر داج
واظهار الندامة كل وقت ... على ما كنت فيه من اعوجاج
لعلك أن تكون غداً حظياً ... ببلغة فائز وسرور ناج

والديوان كله على هذا الغرار من الركة ، ومن المؤكد أنه ليس من نظم الإمام عليه السلام ، وإنما نظمه بعض المعجبين بمواعظه ونصائحه وحكمه ، فنسبه إليه ، على أني أجزم أن الناظم لا يجيد النظم ، فقد صاغ أغلب الأبيات بألفاظ ركيكة ليس فيها من حسن الديباجة ، وجمال الاسلوب شي يذكر .

من آثاره المخطوطة :

وذكر الدكتور حسين على محفوظ أن للإمام زين العابدين عليه السلام مصاحف تنسب إلى خطه الشريف توجد في مكاتب شيراز وقزوين واصفهان ومشهد[2] .

---

(١) في الأصل : (وفدت وزر) وما اثبتناه الأصح ، إن لجهة المعنى والسياق العام . أولجهة استقامة الوزن .
(٢) مجلة البلاغ العدد السابع السنة الأولى (ص ٥٩) .

مدرسته .. تلاميذه وأصحابه

وأصيب العالم الإسلامي في عصر الإمام عليه السلام بركود فكري ، وتدهور خطير في حياته العلمية والثقافية ، فقد عمدت الحكومة الأموية بشكل رسمي إلى محاربة العلم وإماتة الوعي حتى يستمر لها البقاء طويلاً على كرسي الحكم ، ونهب ثروات الأمة والتحكم في مصيرها .

من المؤكد أنه لم يكن في عصر الإمام أي ظل للعلوم الإسلامية وغيرها من مكونات العقل البشري ، ومنمياته ، وقد رأى الإمام زين العابدين عليه السلام ذبول الحياة الفكرية ، وما مُنيت به الأمة من الجهل فانبرى إلى تأسيس مدرسته الكبرى التي انضم أليها جمهرة كبيرة من رجال العلم والتشريع الذين سنتحدث عن تراجمهم .

وعلى أي حال فلم تعرف الأمة ـ في ذلك العصر ـ عائدة أعظم ، ولا أنفع من عائدة الإمام زين العابدين عليه السلام عليها ، وذلك بما أسس في ربوعها من مدرسته العلمية ، وبما فتح لها من آفاق الفكر والعلم والعرفان . . . وقبل أن نتحدث عن مدرسته ، وتلاميذه ، نعرض لبعض شؤونه العلمية .

تفرغه لنشر العلم :

لقد رأى الإمام العظيم أن في نشر العلم واجباً رسالياً ، ومسؤولية

اسلامية فاتجه إليه ، كما وجد فيه سلواناً لنفسه التي كانت مترعة بالهموم والآلام ، يقول الشيخ أبو زهرة : « انصرف - أي الإمام - إلى العلم والدراسة والفحص لأنه وجد في ذلك غذاء قلبه ، وسلوان نفسه ، وصرفا لها عن الهم الدائم ، والألم الواصب ، ولذلك طلب الحديث واتجه إليه »[1].

لقد تفرغ الإمام لنشر العلم بين المسلمين حتى شغله عن كل ما سواه[2] فقد كان همه الوحيد تثقيف المسلمين ، وتهذيب طباعهم ، وتأديبهم بآداب الشريعة الإسلامية السمحاء ليحملوا بعده مشاعل الفكر والنور .

اشادته بفضل العلم :

كان عليه السلام يشيد بفضل العلم ، ويحث على طلبه ، وقد قال : « لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج ، وخوض اللجج إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال إن أمقت عبد إلي الجاهل ، المستخف بحق أهل العلم ، التارك للاقتداء بهم ، وإن أحب عبيدي إلي ، التقي ، الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء ، التابع للحكماء . . »[3] .

أرأيتم الإمام كيف مجد العلم ، وحث على طلبه ، فقد آمن ، عليه السلام ، بأن لا حياة للأمة إلا بنشر العلم وإشاعته بين أبنائها .

تشجيعه للحركة العلمية :

وقام الإمام زين العابدين عليه السلام بدور مهم بتشجيع الحركة العلمية ، فكان على ما هو عليه من الجلالة وسمو الذات يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فأنكر عليه نافع بن جبير ، وقال له : غفر الله لك ، أنت سيد الناس ، تأتي حتى تجلس مع هذا العبد ؟ !!

---

(١) الإمام زيد : (ص ٢٤) .
(٢) حلية الأولياء : ٣/ ١٣٥ .
(٣) أصول الكافي : ١/ ٣٥ المحجة البيضاء ١/ ٢٦ .

فأجابه الإمام :

« إن العلم يُبْتَغَى ، ويؤتى ، ويطلب من حيث كان . . »[1] .

إنه ليس من الإسلام في شيء أن تحول الفوارق الزائفة من الأخذ بالعلم والانتفاع من حملته أيما كانوا .

تكريمه لطلاب العلوم :

وكان الإمام عليه السلام يحتفي بطلبة العلوم ، ويكرمهم ، ويرفع منزلتهم ، ويقول المؤرخون : إذا جاء طالب علم رحب به ، وقال له: مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام كان أبي إذا نظر إلى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم إليه ، وقال : مرحباً بكم أنتم ودايع العلم ، ويوشك إذا أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين[2] .

آداب المتعلمين :

ووضع الإمام عليه السلام آداباً للمتعلمين كان منها قوله : «من ضحك ضحكة مجَّ من العلم مجة »[3] واستدل ابن جماعة بهذا الحديث على عدم جواز ضحك التلميذ بين يدي استاذه[4] تأدباً وتكريماً له .

حقوق المعلم :

وشرع الإمام عليه السلام أروع الحقوق ، وأكثرها آصالة بما لم تقنن مثلها منظمات التربية والتعليم . قال عليه السلام :

« وحق سائسك بالتعلم التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن

---

(١) تاريخ دمشق : ١٤٦/٣٦ ، تهذيب الكمال : م ٧/ق ٢/ورقة ٣٣٥ صفة الصفوة : ٥٥/٢ .
(٢) الدر النظيم : (ص١٧٣) الأنوار البهية (ص ١٠٣) .
(٣) سير أعلام النبلاء ٣٨/٤ تذكرة الحفاظ : ٧١/١ الحلية : ١٣٤/٣ .
(٤) تذكرة السامع : (ص ٩٨) .

الاستماع إليه ، والاقبال عليه ، وأن لا ترفع عليه صوتك ، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء ، حتى يكون هو الذي يجيب ، ولا تحدث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً ، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه ، وتظهر مناقبه ، ولا تجالس عدوه ، ولا تعادي له ولياً ، فإذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه لله عز وجل لا للناس . . » .

لقد وضع الإمام عليه السلام البرامج الرفيعة لحقوق المعلم على تلاميذه تلك الحقوق التي يجب أن تقابل بالوفاء والعرفان ، فقد اسدى إليهم الآيادي البيضاء فأخرجهم من ظلمات الجهل إلى واحات المعرفة والحضارة ونمى عقولهم ، وأضاء أفكارهم فيجب أن يقابل بجميع أنواع الفضل والمعروف والاحسان .

ثواب المتعلم :

وتحدث الإمام عليه السلام عن الثواب الجزيل الذي يمنحه الله تعالى لطالب العلم قال : « طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجلاً على رطب ، ولا يابس من الأرض إلا سبحت له إلى الأرضين السابعة »[1] .

مجانية التعليم :

وكان الإمام عليه السلام يرى ضرورة نشر العلم واشاعته بين الناس مجاناً وعدم جواز أخذ الأجرة عليه ، وقال عليه السلام في ذلك :

« من كتم علماً أو أخذ عليه أجراً رفداً فلا ينفعه أبداً . . »[2] .

إن مما امتاز به الإسلام على بقية الأديان ، والمذاهب الاجتماعية أنه آمن بالعلم إيماناً مطلقاً ، ويرى لزوم طلبه على كل مسلم ومسلمة ، ويكره

---

(١) الإمام زين العابدين : (ص ٢٣) .

(٢) الحلية ٣/ ١٤٠ وفي جمهرة الأولياء ٢/ ٧٣ « من كتم علماً أو أخذ عليه أجراً قسراً فلا منفعة بعلمه أبداً » .

أخذ الأجرة عليه ، خصوصاً في تعليم القرآن الكريم، فقد روى اسحاق ابن عمار قال : سألت زين العابدين عليه السلام أن لنا جاراً يكتب ـ أي يعلم الاطفال القراءة والكتابة ـ فقال له : مره إذا دُفع إليه الغلام أن يقول لأهله : إنما اعلمه الكتاب والحساب ، واتجر بتعليم القرآن[1] حتى يطيب له كسبه[2] .

أما معاش المعلم فإن الدولة مسؤولة عنه ، ويجب أن تقوم بالانفاق عليه ، حتى يستغني عما في أيدي الناس .

تواضع المعلم :

وحث الإمام عليه السلام الأسرة التعليمية على التواضع ، ونكران الذات ، وعدم التكبر على الناس فقد قال لبعض المعلمين :

« فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تتجبر عليهم زادك الله من فضله ، وإن أنت منعت علمك ، وأخرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقاً على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه ، ويسقط من القلوب محلك[3] .

مركز مدرسته :

واتخذ الإمام عليه السلام الجامع النبوي مركزاً لمدرسته ، ومعهداً له ، فكان في بهوه يلقي محاضراته وبحوثه على العلماء والفقهاء ، وقد تناولت علم الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والفلسفة ، وعلم الكلام ، وقواعد السلوك والأخلاق ، وقد ألمحنا إلى بعضها في البحوث السابقة ، يقول المؤرخون : أنه كان في كل جمعة يلقي خطاباً عاماً على الناس يعظهم فيه ويزهدهم في الدنيا ، ويرغبهم في الآخرة ، وكان الناس يحفظون كلامه ويكتبونه[4] ومن الجدير بالذكر أن مجلسه كان لا يخلو من المذاكرات والفوائد

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعل الصحيح ولا اتجر بتعليم القرآن . وان ثبت الأصل ، فإن الاتجار يكون ـ والحالة هذه ـ ، مع الله .

(٢) الاستبصار ٣/٦٦ .

(٣) مكارم الأخلاق (ص ١٤٣) .

(٤) روضة الكافي مخطوط .

العلمية ، يقول عبد الله بن الحسن بن الحسن أن أمي فاطمة بنت الحسين كانت تأمرني أن أجلس إلى خالي علي بن الحسين ، فما جلست إليه قط إلا قمت بخير قد أفدته إما خشية لله أو علم قد استفدته منه[1] .

احتفاف العلماء به :

واحتف العلماء الفقهاء والقراء بالإمام عليه السلام لا يفارقونه في حضر أو سفر فكان إذا أراد السفر إلى بيت الله الحرام رافقه زهاء ألف عالم وقارىء[2] وهم يسجلون فتاواه وما يلقيه عليهم من العلوم وغرر الحكم والآداب .

تلاميذه وأصحابه :

وتخرج من مدرسة الإمام مجموعة كبيرة من كبار العلماء والفقهاء من الذين نشروا العلم والعرفان في العالم الإسلامي ، ونعرض لتراجمهم وتراجم أصحابه ، وفيما احسب أن عرض ذلك من متممات البحث عن شخصيته .

- أ -

١ ـ ابان بن أبي عياش :

عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد، قال ابن الغضا يرى: إنه تابعي روى عن آنس بن مالك ، وروى عن علي بن الحسين ، ضعيف لا يلتفت إليه ، وينسب أصحابنا وضع كتاب سليم بن قيس إليه[3] ، وقال أحمد بن حنبل أنه متروك الحديث ترك الناس حديثه منذ دهر[4] .

٢ ـ أبان بن تغلب :

ابن رباح ، أبو سعيد البكري الجريري، كان من كبار العلماء ، ومن

---

(١) اعيان الشيعة : ث ١/٤/٣٤٠ .
(٢) البحار .
(٣) معجم رجال الحديث : ١/١٨ .
(٤) تهذيب التهذيب : ١/٩٨ .

أعلام الفكر في الإسلام ، وقد نافح عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وحفظ علومهم وتراثهم فكان السادن الأمين لفقههم ، ونعرض ـ بإيجاز ـ لبعض شؤونه :

ولادته ونشأته :

كانت ولادته بالكوفة ، ولم تعين المصادر التي بأيدينا سنة ولادته ، وكانت نشأته بالكوفة التي هي عاصمة أهل البيت (ع) وكانت تعج مجالسها وأنديتها بذكر مآثرهم وفضائلهم ، وقد تغذى أبان بحبهم والولاء لهم ، حتى صار من خيار الشيعة ومن أعلام علمائهم ، وقد درس العلوم الإسلامية في الجامع الأعظم الذي كان من أهم المعاهد والمدارس الدينية في ذلك العصر .

مكانته العلمية :

كان أبان من أبرز علماء المسلمين وأنبههم في ذلك العصر ، ويقول المترجمون له أنه كان مقدماً في كل فن من العلوم في القرآن والحديث ، والأدب واللغة والنحو[1] .

ومما يدلل على سمو مكانته العلمية أنه إذا قدم إلى يثرب تفوضت إليه الحلق العلمية ، وأخليت له سارية النبي (ص)[2] ويحف به الفقهاء والعلماء للاستفادة من ثرواته العلمية .

رواياته عن الأئمة :

وكان أبان من سدنة علوم الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، فقد روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام ، وروى عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام وروى عن الإمام الصادق عليه السلام[3] وقد روى عنه ثلاثين ألف

---

(١) معجم رجال الحديث : ١/ ٢٠ .
(٢) المعجم : ١/ ٢٢ .
(٣) رجال الطوسي .

حديث وقد قال عليه السلام لأبان بن عثمان : إن أبان بن تغلب روى عني ثلاثين ألف حديث فاروها عنه[1] وروى سليم بن أبي حية قال : كنت عند أبي عبد الله (ع) فلما أردت أن أفارقه ودعته ، وقلت : أحب أن تزوِّدني ، فقال : ائت أبان بن تغلب فإنه قد سمع مني حديثاً كثيراً ، فما روى لك فاروه عني[2] .

اعتزاز الأئمة به :

كان أبان موضع اعتزاز الأئمة وفخرهم وذلك لما يملكه من ثروات علمية بالإضافة لما يتمتع به من التقوى والورع والتحرج في الدين ، وكان إذا وفد على الإمام الصادق عليه السلام قابله بمزيد من العناية والتكريم فكان يصافحه ويعتنقه ، ويرحب به ، ويؤمر له بوسادة[3] وكان الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام يقول له :

« إجلس في مسجد المدينة ، وافت الناس ، فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك . . »[4] .

ودل هذا الحديث على اجتهاد ابان ، وأنه أهل للفتيا بين الناس كما دل على اعتزاز الإمام به ، وقال له الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام :

« جالس أهل المدينة فإني أحب أن يروا في شيعتنا مثلك . . »[5] لقد اعتز الأئمة عليهم السلام بهذا العالم العظيم الذي حوى علومهم وسار على منهجهم ، واقتدى بسيرتهم .

وثاقته :

وأجمع المترجمون لأبان على وثاقته وأمانته وصدقه في نقل الحديث ،

---

(١) المعجم : ٢٢/١ .
(٢) المعجم : ٢٢/١ .
(٣) المعجم : ٢٢/١ .
(٤) معجم الآداب : ١٠٨/١ .
(٥) معجم رجال الحديث : ٢١/١ .

ولم يجرحه أحد من هذه الجهة ، ولكن جماعة جرحوه لحبه أهلَ البيت عليهم السلام فقد قال الجوزجاني : إنه زائغ مذموم المذهب مجاهر[1] وقال الذهبي : إنه شيعي جلد ، لكنه صدوق ، فلنا صدقه ، وعليه بدعته ، وأضاف قائلاً : كيف ساغ توثيق مبتدع ، وحد الثقة العدالة ، والاتقان ؟ فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة ؟

وجوابه أن البدعة على ضربين : فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف ، فهذا كثير في التابعين ، وتابعيهم ، مع الدين والورع والصدق ، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة ، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلوفيه والحط من أبي بكر وعمر والدعاء إلى ذلك ، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة[2] ولا يحمل هذا الرأي أي طابع من الموضوعية ، فإن التحقيق العلمي يقضي بقبول قول الثقة الصادق الذي يتحرج من الكذب ، ولا اعتبار بالنزعات العقائدية في ذلك .

ولاؤه لأهل البيت :

وأنعم الله على أبان بمعرفته وولائه لأهل البيت عليهم السلام ، وقد حفظ علومهم وآدابهم ، واجتهد في فقههم ، وراح يفتي الناس به ، ويحل مشاكلهم على ضوئه كما راح يتحدث في أندية الكوفة ومجالسها بفضائلهم ، ويحاج ويناظر خصومهم وأعداءهم ، في وقت كان من يذكرهم بخير يتعرض لأشق الوان المحن والخطوب فقد جهد الأمويون على التنكيل وانزال أقسى العقوبات بمن يحبهم ويواليهم ولكن أبان قد وطن نفسه على ذلك لأن حبه لهم لم يك عاطفياً ، وإنما كان قائماً على الفكر والدليل ، فالكتاب والسنة قد فرضا على المسلمين الولاء لهم ، وجعلت ذلك جزءاً من الإسلام لا ينفك عنه .

وعلى أي حال فقد كان أبان شديد الولاء لأهل البيت وكان يرى فضل

---

(١) معجم رجال الحديث : ١/٢١ .

(٢) ميزان الاعتدال : ١/٥ ـ ٦ .

الصحابة ، وسمو منزلتهم بمدى اتصالهم بالعترة الطاهرة فقد روى عبد الرحمن بن الحجاج قال : كنا في مجلس ابان بن تغلب فجاء شاب فقال له :

« يا أبا سعيد اخبرني كم شهد مع علي بن أبي طالب من أصحاب النبي (ص) ؟ . . » .

وأدرك أبان مراده فأجابه : وكأنك تريد أن تعرف فضل علي بمن تبعه من أصحاب رسول الله (ص) ؟ . .

وأسرع الشاب قائلاً :

« هو ذلك . . » .

فأجابه ابان جواب العارف بحق الإمام عليه السلام قائلاً :

« والله ما عرفنا فضلهم ـ أي الصحابة ـ إلا باتباعهم إياه »[1] حقاً لقد كان الإمام أمير المؤمنين رائد الحكمة والعدالة في الإسلام هو المقياس الذي تعرف به قيم الرجال ، فمن أخلص له فهو على جانب كبير من الفضل ، ومن عاداه فقد انحرف عن الحق ، ومال عن القصد .

ومن مظاهر ولاء أبان للسادة الأطهار من عترة النبي (ص) أنه مر على قوم فأخذوا يعيبون عليه لأنه يروي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام فسخر منهم وقال :

« كيف تلوموني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلا قال : قال رسول الله (ص) »[2] .

إن روايته عن الإمام الباقر (ع) كانت تتصل بالرواية عن النبي (ص) وهي أوثق الروايات وأصحها سنداً .

مؤلفاته :

وألف أبان مجموعة من الكتب دلت على سعة علومه ومعارفه ، وهذه بعضها :

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر : ١٩٢/٢ .

(٢) حياة الإمام محمد الباقر : ١٩٣/٢ .

١ ـ تفسير غريب القرآن : ذكر شواهده من الشعر، وجاء فيما بعد ، عبد الرحمن ابن محمد الأزدي الكوفي فجمع من كتاب ابان ومحمد بن السايب الكلبي ، وابن رواق بن عطية كتاباً واحداً .

٢ ـ الفضائل[١] ولعله عرض فيه لفضائل أهل البيت عليهم السلام .

٣ ـ الأصول في الرواية على مذهب الشيعة[٢] .

وفاته :

توفي هذا العملاق العظيم سنة (١٤١ هـ) وكان موته خسارة كبرى للإسلام ، وقد حزن عليه الإمام الصادق ، وراح يقول بأسىً وحزن :

« أما والله لقد أوجع قلبي موتُ أبان . »[٣] .

وقال أبو البلاد :

« عض ببظر أم رجل من الشيعة في أقصى الأرض وأدناها بموت ابان لا تدخل مصيبته عليه . . »[٤] .

رحم الله ابان فقد ناضل وجاهد جهاد الابطال في سبيل الحق وأعلاء كلمة الله ، وكان موته من أعظم النكبات التي رزيء بها الدين في عصره .

٣ ـ ابراهيم بن أبي حفصة .

مولى بني عجل عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[٥] .

٤ ـ ابراهيم بن بشير :

---

(١) فهرست ابن النديم ، فهرست الطوسي (ص ٤٢) .
(٢) فهرست ابن النديم .
(٣) معجم الأدباء ١٠٨/١ .
(٤) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٥٧/٣ .
(٥) رجال الطوسي .

الانصاري المدني ، عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[١] .

٥ ـ ابراهيم بن عبد الله :

ابن معبد بن العباسي بن عبد المطلب بن عبد مناف عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٢] .

٦ ـ ابراهيم بن محمد .

ابن علي بن أبي طالب بن الحنفية المدني عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٣] .

٧ ـ ابراهيم بن يزيد .

النخعي ، الكوفي ، يكنى أبا عمران توفي سنة (٩٠٦ هـ) مولى ، وكان أعور ، هكذا ذكر الشيخ[٤] وقد نقم عليه جماعة لأنه قال : لم يكن أبو هريرة فقيهاً[٥] .

٨ ـ احمد بن حمويه .

عدة الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[٦] .

٩ ـ اسحاق بن عبد الله .

ابن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب المدني عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٧] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) ميزان الاعتدال : ١/ ٧٥ .
(٦) رجال الطوسي .
(٧) رجال الطوسي .

١٠ ـ اسحاق بن عبد الله .

ابن أبي طلحة المدني عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد كما عده من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام[١] .

١١ ـ اسحاق بن يسار .

المدني مولى قيس بن مخرمة ، والد محمد بن اسحاق صاحب الواقدي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام كما عده من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام[٢] .

١٢ ـ اسماعيل بن أمية .

عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٣] .

١٣ ـ اسماعيل بن رافع .

المدني عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام [٤] وقال الذهبي : إنه مدني معروف ، نزل البصرة ، وحدث عن المقبري والقرطبي ، وعنه وكيع ومكي وطائفة ، وضعفه احمد ويحيى وجماعة ، وقال الدار قطني وغيره أنه متروك الحديث ، وقال ابن عدي : أحاديثه كلها مما فيه نظر[٥] .

١٤ ـ اسماعيل بن عبد الخالق :

عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام ، وقال : إنه عاش إلى أيام أبي عبد الله الصادق عليه السلام[٦] قال النجاشي : إنه وجه من

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) ميزان الاعتدال : ١/٢٢٧ .
(٦) رجال الطوسي .

وجوه أصحابنا وفقيه من فقهائنا ، وهو من بيت الشيعة ، عمومته : شهاب ، وعبد الرحيم ، ووهب ، وأبوه عبد الخالق كلهم ثقات ، روى عن أبي جعفر ، وأبي عبد الله (ع) وأضاف أن له كتاباً[1] .

١٥ ـ اسماعيل بن عبد الرحمن :

ابن أبي كريمة السدى الكوفي . ذكره الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام كما عده من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام وقال : إنه أبو محمد القرشي المفسر الكوفي[2] .

١٦ ـ اسماعيل بن عبد الله :

ابن جعفر بن أبي طالب تابعي عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام كما عده من أصحاب الباقر عليه السلام[3] .

١٧ ـ افلح بن حميد :

الرواسي ، الكلابي ، الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام ، وقد روى عنه ، كما روى عنه المبارك[4] .

١٨ ـ أيوب بن الحسن :

ابن علي بن أبي رافع مولى رسول الله (ص) واسم أبي رافع أسلم عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[5] .

١٩ ـ أيوب بن عايذ :

الطائي ، البختري عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[6].

---

(١) رجال النجاشي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) معجم رجال الحديث : ٣/٢٢١ .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) رجال الطوسي .

٢٠ ـ برد الاسكاف :

عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[١] قال النجاشي : إنه مولى مكاتب ، له كتاب يرويه ابن أبي عمير[٢] .

٢١ ـ بشر بن غالب :

الأسدي الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٣] وعده البرقي من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والحسنين والسجاد (ع)[٤] .

٢٢ ـ بكر بن أوس :

أبو المنهل الطائي ، البصري عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٥] .

٢٣ ـ بكير بن عبد الله :

ابن الأشج ، عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٦] .

ـ ت ـ

ـ ث ـ

٢٤ ـ ثابت بن أسلم :

البناني ، القرشي ، تابعي ، سمع أنس ، وعده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٧] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) النجاشي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال البرقي .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) رجال الطوسي .
(٧) رجال الطوسي .

٢٥ ـ ثابت بن أبي صفية :

هو أبو حمزة الثمالي العالم الجليل ، والورع التقي ، الذي تربى بآداب أهل البيت عليهم السلام ، وحمل علومهم ومعارفهم ونلمح ألى بعض شؤونه وأحواله :

نشأته :

نشأ أبو حمزة في الكوفة التي كانت مركزاً للتشيع والولاء لأهل البيت عليهم السلام ، وقد أخذ علومه من مشايخها الذين كانوا يحملون علوم أهل البيت وفقههم ، وقد صار من أبرز علمائها ومشايخها وزهادها[١] .

وثاقته :

واجمع المترجمون له على وثاقته ، وعدالته ، وصدق حديثه ، وأنه كسلمان الفارسي في زمانه حسبما يقول الإمام الصادق عليه السلام[٢] وجرحه ابن معين لتشيعه وولائه لأهل البيت عليهم السلام[٣] الذين فرض الله مودتهم على المسلمين .

مكانته العلمية :

كان من أبرز علماء عصره في الحديث والفقه وعلوم اللغة وغيرها ، وقد روى عنه ابن ماجة في كتاب الطهارة[٤] وكانت الشيعة ترجع إليه في الكوفة ، وذلك لاحاطته بفقه أهل البيت عليهم السلام :

مؤلفاته :

ألف مجموعة من الكتب في مختلف العلوم ، تدلل على غزارة

---

(١) الكنى والألقاب : ١٣٢/٢ .
(٢) النجاشي .
(٣) ميزان الاعتدال : ٣٦٣/١ تهذيب التهذيب : ٧/٢ .
(٤) تهذيب التهذيب : ٨/٢ .

علمه ، ومن بينها ما يلي :

١ ـ كتاب « النوادر » .

٢ ـ كتاب « الزهد »[١] .

٣ ـ كتاب « تفسير القرآن »[٢] .

٤ ـ روايته لرسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام[٣] .

٥ ـ روايته لدعاء السحر المعروف بدعاء ابي حمزة[٤] يرويه عن الإمام الأعظم زين العابدين عليه السلام .

رواياته عن الأئمة :

وروى طائفة كبيرة من الاحاديث عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام فقد روى عن الإمام زين العابدين (ع) والإمام موسى بن جعفر عليه السلام[٥] كما روى عن أبي رزين الأسدي ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وروى عنه أبو أيوب ، وأبو سعيد المكاري وابن رئاب ، وابن محبوب ، وابن مسكان ، وابان بن عثمان وغيرهم[٦] .

وفاته :

توفي هذا العالم الجليل سنة (١٥٠ هـ)[٧] وقد خسر المسلمون بفقده علماً من اعلام الفكر والجهاد في عصره .

٢٦ ـ ثابت بن عبد الله :

ابن الزبير ، بن العوام ، بن أسد بن خويلد بن عبد العزى القرشي ،

---

(١) فهرست الطوسي .
(٢) فهرست الطوسي .
(٣) تحف العقول .
(٤) ألكنى والألقاب .
(٥) الكشي .
(٦) معجم رجال الحديث : ١٦٢/٢١ .
(٧) رجال الطوسي .

عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[1] .

٢٧ ـ ثابت بن هرمز :

الفارسي ، أبو المقدام ، العجلي ، الحداد ، مولى بن عجل ، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[2] وقال النجاشي : روى نسخة عن علي بن الحسين عليه السلام رواها عنه ابنه عمرو بن ثابت[3] وعده العلامة من البترية[4] وقد قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام في البترية : إنهم أضلوا كثيراً ممن ضل من هؤلاء ، وأنهم ممن قال الله عز وجل : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾[5] وقال الإمام الصادق عليه السلام : « لو أن البترية صف واحد بين المشرق والمغرب ما أعز الله بهم ديناً »[6] ووثقه أحمد ابن معين ، وابن حبان[7] ولعل توثيقهم له أنه من البترية .

٢٨ ـ ثوير بن أبي فاختة :

الكوفي ، مولى أم هانىء ، وقيل : مولى زوجها جعدة[8] عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين (ع) ومن أصحاب الإمام الباقر (ع)[9] روى ثوير قال : خرجت حاجا فصحبني عمرو بن ذر القاضي ، وابن قيس الماصر والصلت بن مهرام ، وكانوا إذا نزلوا قالوا : انظر الآن فقد حررنا أربعة آلاف مسألة نسأل أبا جعفر عنها عن ثلاثين كل يوم ، وقد قلدناك ذلك فقال ثوير : فغمني ذلك ، حتى إذا دخلنا المدينة فافترقنا ، فنزلت أنا على أبي

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) النجاشي .
(٤) الخلاصة .
(٥) الكشي .
(٦) الكشي .
(٧) تهذيب التهذيب : ١٦/٢ .
(٨) تهذيب التهذيب : ٣٦/٢ .
(٩) رجال الطوسي .

جعفر عليه السلام ، فقلت له : جعلت فداك إن ابن ذر ، وابن قيس الماصر ، والصلت صحبوني ، وكنت أسمعهم يقولون : قد حررنا أربعة آلاف مسألة ، نسأل أبا جعفر (ع) عنها ، فغمني ذلك ، فقال أبو جعفر : ما يغمك من ذلك ؟ فإذا جاؤوا فأذن لهم ، فلما كان من غدٍ ، دخل مولى لأبي جعفر عليه السلام ، فقال : جعلت فداك أن بالباب ابن ذر ، ومعه قوم ، فقال لي أبو جعفر (ع) يا ثوير قم فائذن لهم ، فقمت فأدخلتهم ، فلما دخلوا سلموا وقعدوا ، ولم يتكلموا ، فلما طال ذلك أقبل أبو جعفر يستفتيهم الأحاديث ، وهم لا يتكلمون ، فلما رأى ذلك أبو جعفر قال لجارية له يقال لها سرحة : هاتي الخوان ، فلما جاءت به فوضعته ، قال أبو جعفر : الحمد لله الذي جعل لكل شيء حداً ينتهي إليه ، حتى أن لهذا الخوان حداً ينتهي إليه ، فبادر ابن ذر قائلاً :

« ما حده ؟ » .

« إذا وضع ذكر الله ، وإذا رفع حُمد الله . . » .

وأمرهم الإمام بتناول الطعام ، وأمر الإمام الجارية أن تسقيه الماء فجاءته بكوز من أدم[٣] فقال (ع) : الحمد لله الذي جعل لكل حداً ينتهي إليه ، وسارع ابن ذر قائلاً :

« ما حده ؟ » .

« حده أن يذكر اسم الله عليه إذا شرب ، ويحمد الله إذا فرغ ولا يشرب من عند عروته ، ولا من كسر إن كان فيه . . » ولما فرغوا من تناول الطعام أقبل عليهم الإمام فجعل يستفتيهم الأحاديث وهم صامتون من هيبته ، والتفت عليه السلام إلى ابن ذر فقال له :

« ألآ تحدثنا ببعض ما سقط إليكم من حديثنا ؟ » .

« بلى ، يا ابن رسول الله ، قال رسول الله (ص) : « إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله وأهل بيتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا . . » .

---

(١) الادم : الجلد .

قال الإمام أبو جعفر : يا ابن ذر ، فإذا لقيت رسول الله (ص) فقال : ما خلفتني في الثقلين ؟ فماذا تقول له : ؟ . . » .

وأجهز ابن ذر ، وراح يقول :

« أما الأكبر - يعني الكتاب - فمزقناه ، وأما الأصغر - يعني العترة الطاهرة - فقتلناه . . » .

فقال أبو جعفر :

« إذن تصدقه يا ابن ذر ، لا والله لا تزول قدم يوم القيامة حتى تسأل عن ثلاثة : عن عمره فيما أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما انفقه ، وعن حبنا أهل البيت . . » .

وخرج القوم من دار الإمام فأمر (ع) غلامه متابعتهم يسمع ما يقولون ، ورجع الغلام فقال للإمام : سمعتهم يقولون لابن ذر : على هذا خرجنا معك ؟ فقال : ويلكم اسكتوا ما أقول : إن رجلاً يزعم أن الله يسألني عن ولايته ، وكيف أسأل رجلاً يعلم حد الخوان ، وحد الكوز[1] . .

٢٩ - توير بن يزيد :

الشامي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[2] روى عن خالد بن سعدان ، وروى عنه عبد الرحمن بن محمد العرزي[3] .

- ج -

٣٠ - جابر بن محمد :

ابن أبي بكير عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[4] .

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر : ٢/٢٢٣ - ٢٢٥ .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) معجم رجال الحديث : ٣/٤١٣ .
(٤) رجال الطوسي .

٣١ ـ جعفر بن ابراهيم :

الجعفري ، الهاشمي المدني ، ذكره الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[١] .

٣٢ ـ جعفر بن اياس :

أبو بشر النضري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد (ع)[٢] .

٣٣ ـ جعفر بن محمد :

ابن علي بن الحسين ، الصادق ، عليه السلام ، هو العقل المفكر في الإسلام ، والمجدد لهذا الدين ، والسادن لشريعة جده سيد المرسلين وهو الذي نشر جميع العلوم وأرسى قواعدها وأصولها ، ولم تقتصر علومه ومعارفه على علوم الشريعة الإسلامية ، وإنما شملت علوم الفلسفة والكلام والطب والكيمياء والفيزياء والتشريع وعلم الفلك ويعتبر عند علماء الغرب الدماغ المفكر للانسانية ، كما يعتبر عند علماء المسلمين المعجزة الكبرى للإسلام ، أما استيفاء البحث عن شؤونه فيستدعي وضع موسوعة عنه ومنه تعالى نستمد التوفيق للتشرف بالبحث عن حياته ، وقد عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[٣] وروى عنه كثيراً من الاحاديث .

٣٤ ـ جعيد همدان :

عده البرقي من أصحاب الإمام الحسن (ع) ومن أصحاب الإمام السجاد[٤] وقال : أنه كان من أصاب رسول الله (ص)[٥] روى عن الإمام علي بن الحسين (ع) وروى عنه عمران بن أعين (ع) .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال البرقي .
(٥) معجم رجال الحديث : ٣/ .

٣٥ ـ جهم الهلالي :

الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[١] .

-ح-

٣٦ ـ الحارث بن جارود :

التميمي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٢] .

٣٧ ـ الحارث بن الفضيل :

المدني . عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٣] .

٣٨ ـ حبيب بن أبي ثابت :

أبو يحيى ، الأسدي ، الكوفي ، تابعي ، كان فقيه الكوفة ، عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[٤] وكذلك عده البرقي[٥] روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعن علي بن الحسين (ع) وروى عنه عامر بن السمط وغيره[٦] توفي سنة (١١٩ هـ)[٧] .

٣٩ ـ حبيب بن حسان :

ابن أبي الأشرس، الأسدي ، مولاهم، روى عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام وعن أبي جعفر ، وعن أبي عبد الله الصادق (ع)[٨] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال البرقي .
(٦) معجم رجال الحديث ٤/ .
(٧) رجال الطوسي .
(٨) رجال الطوسي .

٤٠ ـ حبيب بن المعلى :

السجستاني، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[١] وقال الكشي: إنه كان شارياً ثم دخل في هذا المذهب، وكان من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام منقطعاً إليهما[٢].

٤١ ـ خديم بن سفيان :

الأسدي الكوفي من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام عده الشيخ في رجاله[٣].

٤٢ ـ خديم بن شريك :

الأسدي، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٤].

٤٣ ـ الحر بن كعب :

الأزري الكوفي عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٥].

٤٤ ـ حسان العامري :

عده البرقي من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٦].

٤٥ ـ الحسن بن رواج:

البصري، عده الشيخ من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[٧].

---

(١) رجال الطوسي.
(٢) رجال الكشي.
(٣) رجال الطوسي.
(٤) رجال الطوسي.
(٥) رجال الطوسي.
(٦) رجال البرقي.
(٧) رجال الطوسي.

٤٦ ـ الحسن بن علي :

ابن أبي رافع ، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[١] .

٤٧ ـ الحسن بن عمارة :

الكوفي ، عامي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٢] وعده البرقي من أصحاب الباقر والصادق عليها السلام[٣] .

٤٨ ـ الحسن بن محمد :

ابن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام . عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٤] .

٤٩ ـ الحسين بن علي :

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، من أولاد الإمام زين العابدين (ع) قال عنه المفيد : كان فاضلاً ، ورعاً ، روى حديثاً كثيراً عن أبيه علي بن الحسين (ع) وعمته فاطمة بنت الحسين (ع) وأخيه أبي جعفر (ع)[٥] وقال الإمام الباقر (ع) فيه: وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً[٦] .

توفي بالمدينة (١٥٧ هـ) ودفن بالبقيع ، وكان له من العمر أربع وسبعون سنة[٧] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال البرقي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) الأرشاد .
(٦) حياة الإمام محمد الباقر ١/ .
(٧) معجم رجال الحديث : ٦/٤٤ .

٥ ـ الحصين بن عمرو :

الهمداني ، الكوفي ، المشعاري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] .

٥١ ـ حطان بن خفان :

أبو جبيرة ، الجرمي . عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد (ع)[٢] .

٥٢ ـ حفص بن عمر :

الأنصاري ، الكوفي . عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد (ع)[٣] .

٥٣ ـ الحكم بن عتيبة :

أبو محمد الكندي ، الكوفي ، عده البرقي من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٤] وكذلك عده الشيخ ، وأضاف أنه من البترية[٥] وذكر الكشي طائفة من الاخبار تدل على جرحه وذمه ، وأنه من المنحرفين والضالين ، فقد روى أبو بصير قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : إن الحكم بن عتيبة ، وسلمة وكثير النوا ؛ وأبا المقدام ، والثمار « يعني سالماً » ضلوا كثيراً ممن ضل من هؤلاء ، وأنهم ممن قال الله عز وجل : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين﴾[٦] وقد دلت هذه الرواية على أن الحكم كان من مراكز الضلال في ذلك العصر ، وكان من العاملين على افساد العقيدة الإسلامية وانحراف المسلمين عن طريق الحق .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال البرقي .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) الكشي .

وقد وثقه ابن حجر ، وأثنى عليه ، وذكر كلمات كثيرة تشيد به[1] وأكبر الظن أن ابن حجر إنما وثقه لانحرافه عن أهل البيت (ع) الذين هم الثقل الأكبر في الإسلام بعد القرآن الكريم حسبما نص عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

٥٤ ـ حكيم بن جبير :

ابن مطعم ، بن عدي بن عبد مناف القرشي المدني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[2] وذكر الاستاذ الخوئي أنه روى عن علي بن الحسين عليه السلام ، وروى حنان بن سدير عن أبيه عنه [3].

٥٥ ـ حكيم بن حكم :

ابن عباد بن حنيف الأنصاري. روى عن الإمام علي بن الحسين والإمام أبي جعفر والإمام الصادق عليهم السلام ، وكان من أصحاب السجاد[4] .

٥٦ ـ حكيم بن صهيب :

الصيرفي ، الكوفي ، أبو سدير .عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ، كما عده من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام[5] .

٥٧ ـ حميد بن نافع :

ألهمداني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[1] .

---

(١) تهذيب التهذيب : ٢/٤٣٤ .
(٢) معجم رجال الحديث ٦/١٨٧ .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .

٥٨ ـ حميد بن مسلم :

الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] ولعله هو الذي روى بعض احداث كارثة كربلاء ، وكان مع أصحاب ابن سعد .

- خ -

٥٩ ـ خشرم بن بسار :

المدني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٢] .

- د -

٦٠ ـ داود :

الصرمي ، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٣] .

- ر -

٦١ ـ رباح بن عبيدة :

الهمداني ، عده الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٤] .

٦٢ ـ ربيعة بن أبي عبد الرحمن :

روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام ، وروى عنه الفضيل بن عثمان[٥] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) معجم رجال الحديث ٧/ ١٧٩ .

٦٣ ـ ربيعة بن عثمان :

استاذ أبي حنيفة. عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] قال ابن حجر : ربيعة بن عثمان بن عبد الله بن الهدير التميمي أبو عثمان المدني ، أرسل عن سهل بن سعد ، وروى عن زيد بن أسلم ، وعابر ابن عبد الله بن الزبير وغيرهم قال أبو حاتم : أنه منكر الحديث ، يكتب حديثه وقال النسائي : ليس به بأس ، قال الواقدي : مات سنة (١٥٤ هـ) وهو ابن سبع وسبعين سنة[٢] .

٦٤ ـ رزين بن عبيد :

السلولي ، الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[٣] .

٦٥ ـ رشيد الهجري :

إنه بطل من أبطال الإسلام ، وعلم من أعلام الجهاد ، ومناضل صلب عن مبادئه وعقيدته ، ومن ألمع الرساليين في الإسلام ، اختص بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، واخلص له ، وقد احتفى به الإمام ، وأحبه لما رأى فيه من وفور الإيمان ، ومزيد العقل ، وقد أخبره بما يجري عليه من الظلم والطغيان من الباغي الأثيم عبيد الله بن زياد ، فقد قال له :

« يا رشيد كيف صبرك إذا أرسل إليك دعي بني أمية ، فقطع يديك ورجليك ولسانك ؟ . . » .

واستقبل رشيد النبأ بمزيد من الاطمئنان والرضا فقال للإمام : « يا أمير المؤمنين ، آخر ذلك إلى الجنة ؟ . . » .

وبادر الإمام قائلاً له :

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) تهذيب التهذيب : ٣/٢٥٩ .
(٣) رجال الطوسي .

« يا رشيد أنت معي في الدنيا والآخرة . . »[1] .

وقد علمه الإمام علوماً كثيرة ، وعهد إليه بما يجري على الأمة من الظلم والفساد ، في عهد الأمويين ، ويقول المؤرخون أنه لُقِّنَ علم البلايا والمنايا[2] وقد خرج معه إلى بستان البرني وكان معه جماعة من اصحابه فجلس تحت نخلة ، فأمر البرني بنخلة فلقط منها بعض الرطب فقدم أليهم ، وبهر رشيد بجودة الرطب ، فأخبره الإمام بأن سيصلب على جذعها ، فكان يختلف إليها طرفي النهار يسقيها ، ويتعهدها حتى قطع سعفها ، فأيقن عند ذلك بدنو أجله المحتوم[3] وبعد ما رزئت الأنسانية بفقد رائدها الإمام أمير المؤمنين اختص رشيد بالإمام الحسين (ع) وبعد كارثة كربلاء اختص بالإمام علي بن الحسين ، عليه السلام[4] .

في ذمة الخلود :

وتتبع ابن مرجانة شيعة الإمام أمير المؤمنين بعد قتله سبط رسول الله (ص) وقد أخبر بمكانة رشيد عند أهل البيت (ع) فأمر بالقاء القبض عليه فجيء به مخفوراً إلى الطاغية فلما مثل عنده تميز الطاغية غيظاً وصاح به .

« تبرأ من علي . . » .

« لا أتبرأ » .

« بأي ميتة قال لك أن تموت ؟ . . » .

« اخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا ابرأ ، فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ، ولساني . . » .

وورم أنف الطاغية ، وراح يقول (أمام) جلاوزته :

---

(١) رجال الكشي .
(٢) الكشي .
(٣) الكشي .
(٤) رجال الطوسي .

« والله لأكذبن قوله فيك . . . » .

وأمر به أن يشد على الجذع الذي أخبر الإمام بأنه يصلب عليه ، وتقطع يداه ورجلاه ويترك لسانه ، فأسرعت السيدة ابنته فأخذت أعضاءه لتواريها مع جثته في التراب ، وقالت له :

« يا أبت هل تجد ألماً مما أصابك ؟ . . » .

فأجابها ، وهو غير حافل بالآمه ، بأنه لم يصبه أي ألم إلا كالزحام بين الناس ، واجتمعت الجماهير حوله وهي تنظر إليه وقد أخذه نزيف الدم ، وجعل يخاطبهم قائلاً :

« ايتوني بصحيفة ودواة لأملي عليكم ما يكون إلى يوم الساعة » وأخذ من على منبره وهو يحدث الناس بما سيجري عليهم من الجور والاضطهاد في ظل الحكم الأموي ، وأسرعت المباحث إلى ابن زياد فقالوا له :

« ماصنعت ؟ . . . قطعت يديه ورجليه ، وهو يحدث الناس بالعظائم . . » .

وأمر الطاغية بقطع لسانه وصلبه على ذلك الجذع فنفذ فيه ذلك[1] وانتهت بذلك حياة هذا المصلح العظيم على يد أقذر انسان وأحط مخلوق ، وقد رفع رشيد راية الجهاد ، والاصلاح الاجتماعي ، فثار على الظلم والطغيان .

ـ ذ ـ

٦٦ ـ زياد بن سوقة :

الجريري ، الكوفي من الموالي ، عده الشيخ من اصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[2] وعده البرقي من أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام[3] وقد وقع في اسناد جملة من الروايات تبلغ تسعة عشر مورداً[4] .

---

(١) الكشي .
(٢) رجالالطوسي .
(٣) رجال البرقي .
(٤) معجم رجال الحديث : ٣٠٩/٧ .

٦٧ ـ زيد بن أسلم :

العدوي ، المدني ، مولى عمر بن الخطاب ، كان يجالسه الإمام زين العابدين عليه السلام كثيراً[١] وكان من الفقهاء المشهورين ، قال مالك بن عجلان : ما هبت أحداً قط هيبتي زيد بن اسلم ، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث ، وقد توفي قبل خروج محمد بن عبد الله بن الحسن[٢] .

٦١ ـ زيد بن الحسن :

ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٣] ذكره ابن حبان في الثقات ، وأنه كان من سادات بني هاشم وكان يتولى صدقات رسول الله (ص) بالمدينة ، وكتب عمر بن عبد العزيز في شأنه إلى عامله في يثرب « أما بعد : فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم «وذو سنهم»[٤] قال الشيخ المفيد: كان زيد جليل القدرة كريم الطبع ، طريف النفس ، كثير البر ، ومدحه الشعراء ، وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله[٥] وهناك بعض الروايات الموضوعة تحط من شأنه ، وأنه عارض الإمام الباقر عليه السلام وسعى في قتله في زمن عبد الملك بن مروان وعلق على هذه الرواية الإمام الخوئي بقوله : « إن الرواية مرسلة غير قابلة للتصديق فإن عبد الملك لم يبق إلى زمان وفاة الباقر عليه السلام جزما فالرواية مفتعلة[٦] .

٦٩ ـ زيد بن علي :

ابن الإمام الحسين عليه السلام عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٧] وكان على جانب عظيم من العلم والتقوى قال الشيخ

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) تهذيب التهذيب : ٣/٣٩٥ ـ ٣٩٧ .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) تهذيب التهذيب : ٣/٤٠٦ .
(٥) الارشاد .
(٦) معجم رجال الحديث : ٧/٣٤١ .
(٧) رجال الطوسي .

المفيد : كان زيد بن علي بن الحسين عين أخوته بعد أبي جعفر (ع) وأفضلهم ، وكان عابداً ، ورعاً ، فقيهاً ، سخياً، شجاعاً ، ظهر بالسيف يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويطلب بثارات الحسين عليه السلام[1] .

وقد تحدثنا عن سيرته ، وأدبه ، وعلمه ، وشهادته ، في كتابنا حياة الإمام الباقر عليه السلام، فلا حاجة لإعادة البحث في ذلك .

٧٠ ـ زيد العمى :

البصري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[2] .

- س -

٧١ ـ سالم بن أبي الجعد :

الأشجعي ، الكوفي ، يكنى أبا اسماء ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[3] ووثق الاستاذ الخوئي المعروفين من أسرة سالم ، وقال : إنه روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وروى عنه الأعمش[4] .

٧٢ ـ سالم بن أبي حفصة :

مولى بن عجل ، كوفي ، روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام وعن الإمام أبي جعفر الباقر (ع) وعن الإمام الصادق عليه السلام وله كتاب[5] روى الكشي فيه روايات تدل على انحرافه وضلاله فكان مما رواه بسنده عن أبي عبيدة الحذاء أنه قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام أن سالم بن أبي حفصة يقول لي : ما بلغك أنه من مات وليس له إمام كانت ميتته

---

(١) الارشاد .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) معجم رجال الحديث .
(٥) النجاشي .

ميتة جاهلية ؟ فقلت له : بلى ، فقال : من أمامك ؟ فقلت له : أئمتي آل محمد (ص) فقال : والله ما اسمعك عرفت إماماً فانبرى الإمام أبو جعفر قائلاً :

« ويح سالم ، وما يدري سالم ما منزلة الإمام ؟ منزلة الإمام أعظم ، وأفضل مما يذهب إليه سالم ، والناس أجمعون »[1] واختفى سالم أيام الحكم الأموي ، وظل قابعاً في منزله خوفاً من جورهم ، فلما بويع لأبي العباس السفاح خرج من الكوفة محرماً ، وهو يلبي « لبيك قاصم بني أمية لبيك » وظل يلبي بذلك حتى أناخ راحلته بمكة المكرمة ، توفي سنة (١٣٨ هـ) في حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام[2] .

٧٣ ـ سالم مولى عمر :

ابن عبد الله ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[3] .

٧٤ ـ سدير بن حكيم :

ابن صهيب الصيرفي ، الكوفي يكنى أبا الفضل من الموالي . عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[4] روى الصدوق عن حنان ابن سدير ، عن أبيه قال : دخلت أنا وأبي وجدي وعمي حماماً في المدينة ، وإذا رجل في بيت المسلخ ، فقال لنا : ممن القوم ؟ فقلنا : مرحباً بكم يا أهل الكوفة ، وأهلاً ، أنتم الشعار دون الاثار ، ثم قال : وما يمنعكم من الأزار ؟ فإن رسول الله (ص) قال: «عورة المؤمن على المؤمن حرام» . فلما خرجنا من الحمام سألنا عن الرجل في المسلخ فإذا هو علي بن الحسين ، ومعه ابنه محمد بن علي[5] روى عن الإمام زين العابدين وأبي جعفر وأبي عبد الله

---

(١) الكشي .
(٢) النجاشي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) من لا يحضره الفقيه .

عليهم السلام وعن حكيم بن جبير ، وروى عنه أبو طالب وأبو الوفاء وابنه حنان وغيرهم[1] .

٧٥ ـ السري بن عبد الله :

ابن الحارث ، بن العباس بن عبد المطلب ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[2] .

٧٦ ـ سعد بن حكيم :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[3] .

٧٧ ـ سعد بن أبي سعيد :

لقبه المقبري ، لأنه كان يسكن المقابر ، ذكره ابن قتيبة من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام حسبما نص عليه الشيخ[4] .

٧٨ ـ سعد بن طريف :

الحنظلي ، الاسكاف ، مولى بني تميم ، الكوفي. عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[5] قال النجاشي : روى سعد عن الأصبغ بن نباتة وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ، وكان قاضياً ، له كتاب « رسالة أبي جعفر » إليه[6] .

٧٩ ـ سعيد بن جبير :

أبو محمد مولى بني والبة ، أصله من الكوفة ، نزل مكة ، تابعي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام[7] وهو من أعلام المجاهدين ،

---

(١) معجم رجال الحديث .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) النجاشي .
(٧) رجال الطوسي .

والمناضلين عن الإسلام ، والمدافعين عن حقوق الضعفاء والمحرومين ، ونعرض ، بإيجاز ، لبعض شؤونه .

مكانته العلمية :

كان سعيد من أبرز علماء عصره ، وكان يسمي جهبذ العلماء . . وما على الأرض إلا وهو محتاج إلى علمه[١] قال ابن كثير : كان سعيد من أئمة الإسلام في التفسير والفقه ، وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح[٢] .

تقواه وصلاحه :

كان سعيد في طليعة المتقين في عصره ، وكان ملازماً لتلاوة القرآن الكريم ، وكان يجلس في الكعبة المكرمة ، ويتلو القرآن فلا ينصرف حتى يختمه[٣] وكان كثير الخشية من الله ، وكان يقول : إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته ، وتحملك على طاعته ، فتلك هي الخشية النافعة[٤] .

خروجه مع ابن الأشعث :

ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على حكومة الحجاج رأى سعيد وجماعة من القراء أن واجبهم الشرعي يقضي بتأييد ابن الأشعث والخروج معه للإطاحة بحكم الطاغية المجرم الحجاج بن يوسف الثقفي الذي لم يبق حرمة لله إلا انتهكها ولا جريمة إلا اقترفها ، وقد مادت الأرض من جوره وظلمه ، وفساده ، ولما فشلت ثورة ابن الأشعث هرب سعيد إلى أصبهان ، وكان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين: مرة للعمرة ، ومرة للحج ،

---

(١) مناقب ابن شهر اشوب .
(٢) البداية والنهاية : ٩٨/٩ .
(٣) البداية والنهاية : ٩٨/٩ .
(٤) البداية والنهاية : ٩٩/٩ .

وربما دخل الكوفة متخفياً في بعض الأحيان وكان يلتقي بالناس ، ويحدثهم بشؤونهم الدينية والعلمية[1] .

شهادته :

وألقت شرطة الحجاج وجلاوزته القبض على سعيد بن جبير الذي كان من عمالقة الفكر والعلم في الإسلام ، وجيء به مخفوراً إلى الطاغية المجرم الحجاج بن يوسف ، فلما مثل عنده صاح به .

« أنت شقي بن كسير ؟ . . » .

فأجابه بمنطق الحق قائلاً :

« أمي كانت أعرف باسمي ، سمتني سعيد بن جبير . . . » .

وأراد الطاغية أن يتخذ وسيلة رسمية لاهراق دمه فقال له :

« ما تقول في أبي بكر وعمر ،هما في الجنة أو في النار ؟ . . » .

فرد عليه سعيد بمنطقة الفيَّاض قائلاً :

« لو دخلت الجنة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها ، وإن دخلت النار ورأيت أهلها لعلمت من فيها . . . » .

ولم يجد الطاغية منفذاً يسلك فيه ، فراح يقول له :

« ما قولك في الخلفاء ؟ . . » .

فأجابه جواب العالم الخبير :

« لست عليهم بوكيل . . . » .

فقال الخبيث المجرم :

« أيهم أحب إليك . . » .

وقد أراد بذلك أن يستدرجه لعله أن يذكر الإمام أمير المؤمنين عليه

---

(١) البداية والنهاية : ٩٨/٩ .

السلام بخير فيتخذ من ذلك سبباً إلى التنكيل به ، ولم يخف على سعيد ذلك فقال له :

« أرضاهم لخالقه . » .
« أيهم أرضى للخالق ؟ . . » .
« علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم .
« أبيت أن تصدقني . . » .
« لم أحب أن أكذبك . . »[1] .

وأمر الطاغية جلاديه بضرب عنقه ، فضربوا عنقه ، فسقط رأسه إلى الأرض ، فهلل ثلاثاً أفصح بالأولى ، ولم يفصح بالثانية والثالثة[2] وانتهت بذلك حياة هذا العالم العظيم الذي وهب حياته لنشر العلم والفضيلة بين الناس ، وقد فجع المسلمون بقتله لأنهم فقدوا الرائد لحياتهم العلمية ، ونقل عمرو بن ميمون عن أبيه أنه لما سمع بمقتل سعيد أندفع قائلاً بحزن :

« لقد مات سعيد بن جبير ، وما على ظهر الأرض إلا وهو محتاج إلى علمه . . »[3] .

وكانت شهادته في شهر شعبان سنة (٩٥ هـ) وهو ابن (٤٩ سنة)[4] وقد فزع الحجاج من قتله فكان يراه في منامه وهو يأخذ بمجامع ثوبه ، ويقول له : يا عدو الله فيم قتلتني ؟ وقد ندم الطاغية المجرم على قتله له فكان يقول : مالي ولسعيد ابن جبير[5] وقبله ندم معاوية بن هند على قتل حجر بن عدي الصحابي العظيم .

٨٠ ـ سعيد بن الحارث :

---

(١) الكشي .
(٢) ابن الأثير : ١٣/٤ .
(٣) تهذيب التهذيب : ١٢/٤ .
(٤) تهذيب التهذيب : ١٣/٤ .
(٥) تأريخ ابن الأثير : ١٣/٤ .

المدني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[1] .

٨١ ـ سعيد بن عثمان :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[2] .

٨٢ ـ سعيد بن مرجانة :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[3] وكذلك عده البرقي[4] وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : انه كان من أفاضل أهل المدينة ، توفي سنة (٩٦ هـ)[5] .

٨٣ ـ سعيد بن المرزبان :

البقال الكوفي ، الأعور ، مولى حذيقة ، قال أبو داود إنه كان من أقرأ الناس ، وقال العقيلي : وثقه وكيع ، وضعفه ابن عيينه ، وجرحه قوم آخرون[6] ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[7] .

٨٤ ـ سعيد بن المسيب :

ابن حزن ، أبو محمد ، المخزومي ، عده الشيخ ممن روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام[8] وقال بعض مترجميه إنه أحد أعلام الدنيا ، وسيد التابعين ، قال ابن عمر : لو رأى رسول الله (ص) هذا لسره[9] ونعرض بإيجاز لبعض شؤونه .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال البرقي .
(٥) تهذيب التهذيب ٤/٧٨ .
(٦) تهذيب التهذيب ٤/٧٩ .
(٧) رجال الطوسي .
(٨) رجال الطوسي .
(٩) شذرات الذهب ١/١٠٢ .

مكانته العلمية :

كان من أجل علماء عصره ، وأكثرهم دراية في علم الحديث قال مكحول : طفت الأرض كلها في طلب العلم ، فما لقيت أعلم من سعيد بن المسيب[1] وقال علي بن المدين : «لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه»[2] وكان من أحفظ الناس لأحكام عمر وأقضيته ، وكان عبد الله بن عمر يسأله عن شأن عمره وأمره[3] وقال فيه الإمام زين العابدين (ع) : سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار ، وأفصحهم في زمانه[4] .

حكمه :

وأثر عن سعيد بن المسيب كثير من الحكم نقتطف منها ما يلي :

قال : لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالانكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة ، وقال : ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء ، وقال : ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية الله تعالى ، وقال كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله ، وقال : من استغنى بالله افتقر الناس إليه ، وقال : الدنيا نذلة ، وهي إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ، ووضعها في غير سبيلها ، وقال : أنه ليس من شريف ولا عالم ، ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه[6] هذه بعض حكمه وهي تكشف عن نظرته الصائبة للحياة .

تعظيمه للإمام :

كان سعيد يبجل الإمام زين العابدين عليه السلام ، ويعظمه ، وكان

---

(١) تهذيب التهذيب ٤/٨٤ .
(٢) تهذيب التهذيب ٤/٨٥ .
(٣) تهذيب التهذيب ٤/٨٦ البداية والنهاية ٩/١٠٠ .
(٤) الكشي .

يقول : ما ريأت قط أفضل من علي بن الحسين ، وما رأيته قط إلا مقت نفسي[1] وقد ألمحنا في البحوث السابقة إلى شذرات من كلامه تدل على تعظيمه واجلاله واكباره للإمام عليه السلام .

الاختلاف في وثاقته :

واختلف الرواة في وثاقته فقد ذهب جمهور منضم إلى عدالته ، ووثاقته واستندوا في ذلك إلى ما روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام من أنه كان من ثقات الإمام زين العابدين عليه السلام[2] كما استندوا في ذلك إلى تعظيمه للإمام ، وإشادته بفضله ، وتقدمه على جميع المسلمين بعلمه وورعه وتقواه مما يدلل على معرفته الكاملة بالإمام وذهابه إلى إمامته .

أما القادحون له ، فقد استدلوا في ذلك إلى ما روي من امتناعه من الصلاة على جثمان الإمام زين العابدين بعد وفاته[3] إلا أن هذه الرواية مرسلة كما يقول الاستاذ الخوئي[4] ومما أتهم به أنه كان أعلم الناس بحديث أبي هريرة وزوج ابنته ، وهذا لا يصلح للحط من شأنه ، ويقول الاستاذ الخوئي : إن الصحيح هو التوقف في أمر الرجل لعدم تمامية سند المدح والقدح . . . ولقد أجاد المجلسي حيث اقتصر على نقل الخلاف في حال الرجل من دون ترجيح[5] .

٨٥ ـ سلام بن المستنير :

الجعفي ، الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين وأصحاب الإمام أبي جعفر محمد الباقر (ع)[7] روى عن الإمام الباقر ،

---

(١) تأريخ اليعقوبي ٣/٤٦ .
(٢) اصول الكافي ١/ .
(٣) الكشي .
(٤) معجم رجال الحيث : ٨/١٣٧ .
(٥) معجم رجال الحديث : ٨/١٤١ .
(٦) رجال الطوسي .
(٧) رجال البرقي .

وروى عنه أبو جعفر الأحول[1] .

٨٦ ـ سلمة بن ثبيط :

« ابن شريط ، ابن انس ، أبو فراس ، الأشجعي الهمداني الكوفي عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العادين عليه السلام[2] .

٨٧ ـ سلمة بن دينار :

يكنى أبا حازم ، الأعرج ، الأفرز ، التمار المدني القاص ، مولى الأسود ابن سفيان المخزومي ، روى عن جماعة منهم سهل بن سعد الساعدي ، وأبي أمامة بن سهل ، وسعيد بن المسيب ، وابن عمرو وغيرهم ، وثقه أحمد وأبو حاتم ، والعجلي والنسائي ، وقال ابن خزيمة ثقة لم يكن في زمانه مثله ، وقال ابن سعد كان يقضي في مسجد المدينة ، بعث إليه سليمان ابن عبد الملك الزهري في أن يأتيه فقال للزهري : إن كان له حاجة فليأت ، وأما أنا فما لي إليه حاجة[3] وقد عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام [4] .

٨٨ ـ سلمة بن كهيل :

أبو يحيى الحضرمي ، عَدَّه الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[5] واتهم بأنه من اعلام البترية ، فقد روى الكشي بسند عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام « لو أن البترية صف واحد ما بين المشرق ما أعز الله بهم ديناً » والبترية هم أصحاب كثير النوا ، والحسن بن صالح بن يحيى ، وسالم ابن أبي حفصة ، والحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل ، وأبي المقدام ثابت الحداد، وهم الذين دعوا إلى ولاية الإمام أمير المؤمنين (ع)

---

(١) معجم رجال الحديث .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) تهذيب التهذيب : ٤/١٤٤ .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) الكشي .

ثم خلطوها بولاية أبي بكر وعمر يثبتون لهما إمامتهما ، ويبغضون عثمان وطلحة والزبير وعائشة ، ويرون الخروج مع بطون ولد علي بن أبي طالب يذهبون في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويثبتون لكل من ولد على (ع) عند خروجه الامامة[1] . وروي الكشي بسنده عن عذافر الصيرفي ، قال : كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر (ع) فجعل يسأله وكان أبو جعفر له مكرماً ، فاختلفا في شيء فقال أبو جعفر لابنه : قم يا بني فاخرج كتاب علي . فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً ففتحه ، وجعل ينظر حتى أخرج المسألة ، فقال أبو جعفر هذا خط علي (ع) واملاء رسول الله ، وأقبل على الحكم وقال : يا أبا محمد اذهب أنت وسلمة - يعني سلمة بن كهيل - وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً ، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل[1] .

٨٩ - سليم بن قيس :

الهلالي ، العامري ، الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام أمير المؤمنين (ع) ومن أصحاب الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، ومن أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[2] وعده البرقي من الأولياء من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[3] وهو صاحب الكتاب المشهور المعروف بكتاب سليم بن قيس) وهو من السابقين في التأليف في العالم الإسلامي ، وقد ذكر فيه كثيراً من الأحداث المؤلمة التي جرت في ذلك العصر ، وقد قرأ ابان ابن عياش الكتاب على الإمام زين العابدين عليه السلام ، فقال (ع) صدق سليم رحمة الله عليه هذا حديث نعرفه[4] وقد تكلم الاستاذ الخوئي عن هذا الكتاب ، وفنّد التهم التي واجهت هذا الكتاب[5] .

---

(١) الكشي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال البرقي .
(٤) الكشي .
(٥) معجم رجال الحديث ٨/٢٢٢ - ٢٢٨ .

٩٠ ـ سلمان بن أبي المغيرة :

العبسي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] .

٩١ ـ سليمان أبو عبد الله :

ابن سليمان ، العبسي ، الكوفي عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام [٢] .

٩٢ ـ سماك بن حرب :

الذهلي ، أبو المغيرة ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٣] روى عن جابر بن سمرة ، والنعمان بن بشير ، وأنس بن مالك وغيرهم ، قال ابن عدي : ولسماك حديث كثير إن شاء الله ، وهو من كبار تابعي أهل الكوفة ، وأحاديثه حسان ، وهو صدوق لا بأس به[٤] .

ـ ش ـ

٩٣ ـ شرحبيل بن سعد :

مولى ، أنصاري ، مولى بني حنظلة عدة الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٥] وقد روى عن زين بن ثابت ، وأبي رافع ، وأبي سعيد ، والحسن بن علي ، وغيرهم كما روي عنه عكرمة ، قال ابن المديني : قلت لسفيان بن عيينة : كان شرحبيل بن سعد يفتي ؟ قال : نعم ولم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه ، ذكره ابن حبان في الثقات وقال : مات سنة (١٢٣ هـ)[٦] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) تهذيب التهذيب ٦/٢٣٣ ـ ٢٣٤ .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) تهذيب التهذيب ٤/٣٢٠ .

٩٤ ـ شيبة بن نعامة :

الضبي ، البصري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] .

ـ ص ـ

٩٥ ـ صالح بن أبي حسان :

المدني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٢] روى عن عبد الله بن حنظلة الراهب ، وسعيد بن المسيب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن أبي قتادة ، وروى عنه ابن أبي ذئب وخالد بن الياس ، وبكير بن الأشج ، ذكره ابن حبان في الثقات[٣] .

٩٦ ـ صالح بن خوان :

ابن جبير ، الانصاري ، المدني عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٤] روى عن أبيه ، وخاله ، وسهل وعبد الله ، وثقه النسائي ، وقال ابن سعد : أنه كان قليل الحديث[٥] .

٩٧ ـ صالح بن كيسان :

المدني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٦] كان معلماً ومؤدباً لابناء عمر بن عبد العزيز ، قال مصعب الزبيري : كان جامعاً من الحديث والفقه والمروة ، ووثقه النسائي ، وقال الحاكم مات صالح ابن كيسان وهو ابن مائة ونيف وستين سنة[٧] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) تهذيب التهذيب : ٤/ ٣٨٥ .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) تهذيب التهذيب : ٤/ ٣٨٧ .
(٦) رجال الطوسي .
(٧) تهذيب التهذيب : ٤/ ٣٩٩ .

٩٨ ـ صفوان بن سليم :

الزهري ، المدني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] وعده ابن حجر من الفقهاء وأنه روى عن ابن عمر وأنس وأبي بسرة الغفاري وغيرهم ، وذكر عند أحمد فقال : هذا رجل يستسقى بحديثه ، وينزل القطر من السماء بذكره ، ووثقه العجلي والنسائي[٢] .

٩٩ ـ صهيب أبو حكيم :

الصيرفي ، الكوفي ، تابعي عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٣] روى عن ميثم التمار خبر صلبه ، وهو أحد السبعة الذي حملوا جنازته بعد صلبه[٤] .

ـ ص ـ

١٠٠ ـ الضحاك بن عبد الله :

المشرقي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام (ع) .

١٠١ ـ الضحاك بن مزاحم :

الخراساني ، أصله من الكوفة ، تابعي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٥] روى عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وغيرهم وثقه ابن معين ، وأبو زرعة ، اشتهر بتفسير القرآن الكريم ، كانت وفاته سنة (١٠٦ هـ)[٦] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) تهذيب التهذيب ٤/ .
(٣) رجال الطوسي :
(٤) معجم رجال الحديث ٨/ .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) رجال الطوسي .
(٧) تهذيب التهذيب ٤ .

ـ ط ـ

١٠٢ ـ طارق بن عبد الرحمن :

الأحمسي ، الكوفي ، البجلي ، عده الشيخ من اصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] روى عن عبد الله بن أبي أوفى ، وسعيد بن المسيب وزيدبن وهب ، وسعيد بن جبير وغيرهم ، وثقه ابن معين والعجلي وقال أبو حاتم : لا بأس به، يكتب حديثه، يشبه حديثه حديث مخارق ، وقال النسائي ليس به بأس[٢] .

١٠٣ ـ طاووس بن كيسان :

أبو عبد الرحمن اليماني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٣] قال ابن حجر : إنه من أبناء الفرس ، كان ينزل الجند ، وقيل هو مولى همدان ، وقيل اسمه ذكوان ، ولقبه طاووس ، روى عن العبادلة الأربعة وأبي هريرة وعائشة ، وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، وغيرهم ، قال ابن حبان : كان من عباد أهل اليمن ، ومن سادات التابعين ، وكان قد حج أربعين حجة ، وكان مستجاب الدعوة ، توفي (١٠١ هـ) وقيل غير ذلك[٤] وقد روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام بعض مناجاته في بيت اللّه الحرام ، وله أحاديث معه المحنا إليها في البحوث السابقة .

١٠٤ ـ طلحة بن عمرو :

المدني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٥] .

١٠٥ ـ طلحة بن النضر :

المدني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٦] .

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) تهذيب التهذيب ٥/٥ .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) تهذيب التهذيب .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) رجال الطوسي .

١٠٦ - ظالم بن عمرو :

يكنى أبا الأسود الدؤلي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] كان من ألمع علماء عصره ، وهو المؤسس الأول لعلم النحو بعد أن علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قواعده وأصوله ، وكان من الشعراء الموهوبين فمن شعره قوله :

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك في الدلاءِ
تجيء بملئها طورا وطوراً تجيء بحمأة وقليل ماء

وكان من البلغاء النابهين ، ومن كلماته الرائعة وصيته لابنه « يا بني إذا كنت في قوم فحدثهم على قدر سنك ، وفاوضهم على قدر محلك ، ولا تتكلمن بكلام من هو فوقك ، فيستثقلوك ، ولا تنحط إلى من دونك فيحتقروك ، فإذا وسع الله عليك فأبسط ، وإذا أمسك عليك فأمسك ، ولا تجاود الله فان الله أجود منك ، واعلم أنه لا شيء كالاقتصاد ، ولا معيشة كالتوسط ، ولا عز كالعلم ، إن الملوك حكام الناس ، والعلماء حكام الملوك ، ثم انشأ يقول :

العيش لا عيش إلا ما اقتصدت فإن تسرف وتبذر لقيت الفقر[٢] والعطبا
والعلم زين وتشريف لصاحبه فاطلب ، هُديت ، فنون العلم والأدبا

إلى أن قال :

العلم كنز وذخر لا نفاد له نعم القرين إذا ما صاحب صحباً
قد يجمع المرء شيئاً[٣] ثم يسلبه عما قليل فيلقى الذل والحربا

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) وردت في الأصل : « الفر » ، والصحيح ما اثبتناه .
(٣) لم ترد في الأصل ، وقد اثبتت لاستقامة المعنى والوزن .

وحـامـل العلم مغبـوط بـه أبـداً ولا يحـاذر منـه الفـوت والسلبـا
يـا جامـع العلم نعم الذخـر تجمعـه لا تـعـدلـن بـه دراً ولا ذهـبـاً

وكـان من أشد النـاس ولاءً وإخلاصـاً ومحبة لـلإمام أميـر المؤمنين عليه السـلام ، وقـد حـاول معـاويـة أن يصـرفـه عن ذلـك فلم يفلح ، وقـد تـوفي بالطاعون الجارف في البصرة سنة (٦٩ هـ)[١] .

-ع-

١٠٧ ـ عامر بن السمط :

يكنى أبـا يحي ، عده الشيـخ من أصحاب الإمـام زين العـابـدين عليـه السـلام[٢] روى عن الإمام زين العـابدين (ع) ، وروى عنـه صفوان الجمـال كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام[٣] .

١٠٨ ـ عامر بن وائلة :

الكنـاني ، يكنى أبـا الـطفيـل ، عـده الشيـخ من أصحـاب الإمـام زين العابدين عليه السلام وأضاف أنه كان من خواص أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٤] وكان شاعراً موهوباً ومن شعره :

ويـدعونني شيخـاً وقـد عشت حقبـة وهـن مـن الأزواج نـحـوي نـوازع
ومـا شـاب رأسي من سنين تتـابعت عـلي ولكـن شيبتـني الـوقـائـع

وقد خرج مع المختار طالباً بدم سيد الشهداء ، وكان يقول : ما بقي من السبعين غيري وينشد هذا البيت :

---

(١) الكنى والألقاب ١/٩ ـ ١٠ .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) معجم رجال الحديث ١٩٨/٩ .
(٤) رجال الطوسي .

وبقيت سهمـاً في الكنانـة واحداً سيُرمى به أو يكسر السهم كاسره

وكان دوماً ينشد هذا البيت :

وإن لأهـل الـحـق لا بـد دولـة على النـاس إيَّـاهـا أرجِّي وأرقب

وكان الإمام الصادق عليه السلام يستشهد بهذا البيت ويقول : أنا والله ممن يرجي ويرقب . . . وأراد الطاغية المجرم الحجاج قتله لولائه لأهل البيت عليهم السلام إلا إنه نجا منه لأنه كانت له يد على عبد الملك بن مروان[١] .

عبد الغفار بن القاسم :

يكنى أبا مريم ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٢] قال النجاشي : روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ثقة . له كتاب يرويه عدة من أصحابنا[٣] .

١٠٩ ـ عائذ الأحمسي :

ابن حبيب ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٤] .

١١٠ ـ العباس بن عيسى :

روى عن الإمام علي بن الحسين ، وروى عنه الفضل بن سليمان[٥] .

١١١ ـ عبد الرحمن بن القصير :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٦] .

---

(١) معجم رجال الحديث .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) النجاشي .
(٤) رجالالطوسي .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) رجال الطوسي .

١١٢ ـ عبد الله البرقي :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] .

١١٣ ـ عبد الله بن أبي بكر :

ابن عمرو بن حزم الانصاري المدني ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ، توفي بالمدينة سنة (١٢٦ هـ)[٢] .

١١٤ ـ عبد الله بن أبي مليكة :

المخزومي ، المكي عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٣] .

١١٥ ـ عبد الله بن جعفر :

المدني عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٤] .

١١٦ ـ عبد الله بن حارث :

روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام ، وروى عنه ابنه اسحاق[٥] .

١١٧ ـ عبد الله بن دينار :

مولى عمر بن الخطاب ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٦] .

١١٨ ـ عبد الله بن ذكوان :

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) رجال الطوسي .

أبو الزناد عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[1] قال ابن حجر : إنه مولى رملة ، وقيل عائشة بنت شيبة بن ربيعة ، وقيل مولى عائشة بنت عثمان ، وقيل إن أباه كان أخا أبي لؤلؤة قاتل عمر ، روى عن أنس ، وعائشة بنت سعيد ، وأبي إمامة بن سهل بن حنيف ، وسعيد بن المسيب وغيرهم ، قال ابن المديني لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم منه ومن ابن شهاب ، ويحيى بن سعيد وبكير بن الأشبح ، قال الليث : عن عبد ربه بن سعيد رأيت أبا الزناد دخل مسجد النبي (ص) ومعه من الأتباع مثل ما مع السلطان ، وعده ابن حبان في الثقات ، وقال : كان فقيهاً صاحب كتاب ، قال خليفة وغيره : توفي سنة (١٣٠ هـ) وهو ابن ٦٦ سنة[2] .

١١٩ ـ عبد الله بن زبيد :

الهاشمي ، مولى آل علي عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[3] .

١٢٠ ـ عبد الله بن سعيد :

ابن أبي هند ، المدني عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[4] قال ابن حجر : روى عن أبيه ، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف وسعيد بن المسيب ، وغيرهم ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطىء وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث مات سنة « ست أو سبع وأربعين »[5] .

١٢١ ـ عبد الله بن شبرمة :

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) تهذيب التهذيب .
(٣) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) تهذيب التهذيب .

الضبي الكوفي ، يكنى أبا شبرمة ، كان قاضياً لأبي جعفر على سواد الكوفة وكان شاعراً ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[1] وكان منحرفاً عن أهل البيت (ع) وكان يعتمد في فتواه على القياس ولا يرجع إلى أئمة الهدى الذين هم سدنة علم النبي (ص) فقد قيل للإمام أبي جعفر (ع) إن رجلاً تزوج بجارية صغيرة أرضعتها امرأته ، ثم أرضعتها امرأة له اخرى فقال ابن شبرمة : حرمت عليه الجارية وامرأتاه ، فقال أبو جعفر (ع) : اخطأ ابن شبرمة حرمت عليه الجارية وامرأته التي أرضعتها أولاً فأما الأخيرة فلم تحرم عليه كأنها رضعت ابنتها[2] قال ابن المبارك : جالسته حيناً ولا أروى عنه[3].

١٢٢ ـ عبد الله بن شريك :

العامري ، روى عن الإمام زين العابدين والإمام أبي جعفر عليهما السلام ، وكان يكنى أبا المحجل ، وكان عندهما وجيهاً مقدماً[4] وكان في أوائل أمره من أصحاب المختار ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما ولينه النسائي ، قال ابن عيينة : جالسنا عبد الله بن شريك وهو ابن مائة سنة[5] .

١٢٣ ـ عبد الله بن عطاء :

ابن أبي رباح عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[6] وروى الكليني بسنده عنه قال : أرسل إلى أبو عبد الله (ع) وقد أسرج له بغل وحمار ، فقال لي : هل لك أن تركب معنا إلى ما لنا ، قال : قلت : نعم قال : أيهما أحب إليك أن تركب ؟ قلت : الحمار فقال : إن

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) فروع الكافي الجزء الخامس باب النوادر في الرضاع .
(٣) ميزان الاعتدال : ٢/٤٣٨ .
(٤) معجم رجال الحديث .
(٥) تهذيب التهذيب .
(٦) رجال الطوسي .

الحمار أرفقهما لي قال : إنما كرهت أن أركب البغل وأن تركب أنت الحمار ، قال : فركب الحمار وركبت البغل ثم سرنا حتى خرجنا من المدينة فبينما هو يحدثني إذ انكب على السرج ملياً فظننت أن السرج آذاه أو ضغطه ثم رفع رأسه ، قلت : جعلت فداك ما أرى السرج إلا وقد ضاق عنك فلو تحولت على البغل فقال (ع) : كلا[1] .

١٢٤ ـ عبد الله بن علي :

ابن الحسين بن الإمام أمير المؤمنين عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد . عليه السلام[2] قال السيد ابن المهنا : ولقب عبد اللّه بن علي بن الحسين « الباهر » لجماله ، قالوا : ما جلس مجلساً إلا بهر جماله وحسنه من حضر ، وولي صدقات النبي (ص) وأمه أم أخيه محمد الباقر (ع) وتوفي وهو ابن سبع وخمسين سنة ، وولي صدقات أمير المؤمنين (ع)[3] .

١٢٥ ـ عبد الله بن عبيدة :

الزهري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام .

١٢٦ ـ عبد الله بن المستورد :

المدني ، الهاشمي مولى الإمام زين العابدين عده الشيخ من أصحابه (ع)[4] .

١٢٧ ـ عبد الله بن محمد :

ابن محمد بن عمر بن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عده الشيخ عن الإمام زين العابدين عليه السلام[5] .

---

(١) معجم رجال الحديث .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) عمدة الطالب .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .

١٢٨ ـ عبد الله بن محمد :

الجعفي عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] .

١٢٩ ـ عبد الله بن هرمز :

المكي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٢] .

١٣٠ ـ عبد المؤمن بن القاسم :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٣] قال النجاشي : قد روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ثقة هو وأخوه ، وهو أخو أبي مريم عبد الغفار بن القاسم وقيس بن فهد ، وأضاف أنه توفي أخو أبي مريم عبد الغفار بن القاسم وقيس بن فهد ، وأضاف أنه توفي سنة (١٤٧ هـ) وهو ابن إحدى وثمانين سنة له كتاب يرويه جماعة منهم سفيان بن ابراهيم بن فريد الحارثي[٤] .

١٣١ ـ عبد الله بن عطاء :

ابن أبي رباح ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٥] .

١٣٢ ـ عبيد الله بن أبي الجعد :

يقال له عبيد النخعي أخو سالم مولاهم كوفي عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٦] .

١٣٣ ـ عبيد الله بن أبي الوشيم :

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) النجاشي .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) رجال الطوسي .

الكوفي ، ويقال : عبيد الجنابي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[1] .

١٣٤ ـ عبيد الله بن عبد الرحمن :

ابن موهب المدني عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[2] .

١٣٥ ـ عبيد الله بن مسلم :

العمري ، الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[3] .

١٣٦ ـ عبيد الله بن المغيرة :

العبسي ، الكوفي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[4] .

١٣٧ ـ عقبة بن بشير :

الأسدي ، عده الشيخ من أصحاب الإمام السجاد والإمام أبي جعفر (ع)[5] .

١٣٨ ـ علي بن ثابت :

من أصحاب الامام زين العابدين عليه السلام حسب ما ذكره الشيخ[6] .

١٣٩ ـ عمران بن ميثم :

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) رجال الطوسي .

التمأر عده الشيخ في أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[1] قال النجاشي : أنه مولى ثقة روى عن الإمام أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام[2] .

١٤٠ ـ عيسى بن علي :

عده الشيخ في أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[3] .

ـ غ ـ

ـ ف ـ

١٤١ ـ فرات بن الأحنف :

العبدي ، يرمى بالغلو والتفريط في القول عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[4] قال ابن الغضائري : فرات بن أحنف كوفي روى عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام ـ كما زعموا ـ غال كذاب ، لا يرتفع به ولا بذكره[5] .

١٤٢ ـ الفرزدق :

شاعر العرب الأكبر عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام [6] وقد انتصر للإمام زين العابدين عليه السلام حينما أنكر معرفته هشام بن عبد الملك ، فقد انبرى الفرزدق بقصيدته الرائعة إلى تعداد مآثر الإمام وذكر فضائله ، فورم أنف هشام وانتفخت أوداجه فأمر بسجنه ، وسنعرض لذلك في البحوث الآتية .

١٤٣ ـ فليح بن أبي بكر :

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) النجاشي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) معجم رجال الحديث ١٣ / ٣٧٥ .
(٦) رجال الطوسي .

الشيباني ، عده البرقي في أصحاب الإمام زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام[1] روى عن الإمام علي بن الحسين ومحمد بن علي (ع) وعن جابر ، وروى عنه حنان بن سدير[2] .

- ق -

١٤٤ ـ القاسم بن عبد الرحمن :

أبو القاسم ، عده الشيخ في أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[3] .

١٤٥ ـ القاسم بن عوف :

الشيباني ، عده البرقي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[4] وقال الشيخ الطوسي : أنه كان يختلف بين علي بن الحسين ومحمد بن الحنفية[5] وروى الكشي بسنده عنه قال : كنت أتردد بين علي بن الحسين ، ومحمد بن الحنفية ، وكنت آتي هذا مرة ، وهذا مرة ، قال : ولقيت علي بن الحسين (ع) فقال لي : يا هذا إياك أن تأتي أهل العراق فتخبرهم انا استودعناك علماً ، فإنا والله ما فعلنا ذلك ، وإياك أن تترأس بنافيضعفك الله ، وإياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً ، واعلم أنك أن تكن ذنباً في الخير خير لك من أن تكون رأساً في الشر ، واعلم أنه من يحدث عنا بحديث سألناه يوماً فإن حدث صدقاً كتبه الله صديقاً ، وإن حدث وكذب كتبه كذاباً ، وإياك أن تشد راحلة ترحلها فإنما ههنا يطلب العلم ، وعرض عليه السلام بعد ذلك إلى الاشادة بفضل ولده الإمام أبي جعفر (ع) ودلل على إمامته[6] .

---

(١) رجال البرقي .
(٢) معجم رجال الحديث ١٣ / ٣٧١ .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال البرقي .
(٥) رجال الطوسي .
(٦) الكشي .

١٤٦ ـ القاسم بن محمد :

ابن أبي بكر ، كان من سادات التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة . . وكان أفضل أهل زمانه ، روى عن جماعة من الصحابة ، وروى عنه جماعة من كبار التابعين ، قال يحيى بن سعيد : ما أدركنا أحداً نفضله على القاسم بن محمد . . توفي سنة (١٣١ هـ) وقيل غير ذلك[١] .

ـ ك ـ

١٤٧ ـ كنكر :

يكنى أبا خالد الكابلي ، قيل اسمه وردان عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٢] روى الكشي بسنده عن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهراً ، وما كان يشك في أنه إمام حتى أتاه ذات يوم فقال له : جعلت فداك إن لي حرمة ومودة وانقطاعاً فاسألك بحرمة رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) إلا أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه ؟ قال : فقال : يا أبا خالد حلفتني بالعظيم، الإمام علي بن الحسين عليه السلام علي وعليك وعلى كل مسلم ، فاقبل أبو خالد لما ان سمع ما قاله محمد بن الحنفية فجاء إلى علي بن الحسين (ع) فلما استأذن عليه فأخبر أن أبا خالد بالباب فأذن له فلما دخل عليه دنا منه ، قال : مرحباً يا كنكر ما كنت لنا بزائر ما بدا لك فينا ؟ فخر أبو خالد ساجداً شاكراً لله تعالى مما سمع من علي بن الحسين (ع) فقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت إمامي فقال له علي(ع) وكيف عرفت إمامك يا أبا خالد ؟ قال : إنك دعوتني باسمي الذي سمتني أمي التي ولدتني ، وقد كنت في عمياء من أمري ولقد خدمت محمد بن الحنفية دهراً من عمري ، ولا أشك إلا وأنه إمام حتى إذا كان قريباً سألته بحرمة الله ، وبحرمة رسوله ، وبحرمة أمير المؤمنين فارشدني إليك ،

(١) وفيات الأعيان : ٣/٢٢٤ .
(٢) رجال الطوسي .

وقال : هو الإمام علي وعليك وعلى جميع خلق الله ، ثم أذنت لي فجئت فدنوت منك سميتني باسمي الذي سمتني أمي فعلمت أنك الإمام الذي فرض الله طاعته على كل مسلم[1] وقد اتصل بالإمام (ع) وأخذ من علومه حتى عد من ثقاته :

١٤٨ ـ كيسان بن كليب :

يكنى أبا صادق عده الشيخ من أصحاب الإمام الحسن الزكي عليه السلام ، ومن أصحاب الإمام سيد الشهداء الحسين (ع) ومن أصحاب الإمام زين العابدين (ع) ومن أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام[2] .

ـ ل ـ

ـ م ـ

١٤٩ ـ مالك بن عطية :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[3] قال النجاشي : مالك بن عطية الأحمسي أبو الحسين البجلي الكوفي ، ثقة روى عن أبي عبد الله (ع) له كتاب يرويه جماعة[4] وفد على الإمام الصادق (ع) فقال له : إني رجل من بجيلة ، وأنا أدين للّهِ عز وجل بأنكم موالي ، وقد يسألني بعض من لا يعرفني فيقول لي : ممن الرجل ؟ فأقول له أنا رجل من العرب ثم من بجيلة ، فعلي في هذا إثم حيث لم أقل إني مولى لبني هاشم ؟ فقال : لا أليس قلبك وهواك منعقداً على أنك من موالينا ؟ فقلت : بلى والله ، فقال : ليس عليك في أن تقول أنا من العرب ، إنما أنت من العرب في النسب[5] .

---

(١) الكشي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) النجاشي .
(٥) معجم رجال الحديث : ١٤/١٧٨ .

١٥٠ ـ محمد بن جبير :

ابن مطعم عده الشيخ في أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[١] وهو أحد الخمسة الذين دانوا بإمامته (ع)[٢] وعده ابن شهر اشوب من رجاله[٣] .

١٥١ ـ محمد بن شهاب :

الزهري عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ، وأضاف أنه عدو[٤] وقد نسبه الشيخ إلى جده الأعلى فأنه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله شهاب[٥] ، ولا بدلنا من وقفة قصيرة للبحث عنه :

١ ـ ولادته :

كانت ولادة الزهري سنة (٥٠ هـ) وأما ما قيل من أن سنه وسن الإمام واحد فليس بصحيح ، فإن الإمام أكبر منه بثلاث عشرة سنة[٦] .

٢ ـ نشأته :

نشأ في يثرب نشأة علمية ، وقد اتصل بالإمام عليه السلام ، وأخذ الكثير من علومه ، كما اتصل بغيره من أبناء الصحابة .

٣ ـ مكانته العلمية :

هو أحد الأعلام من أئمة الإسلام حسب ما يقول ابن حجر وابن كثير[٧] ، قال الليث : ما رأيت عالماً أجمع من ابن شهاب ، ولا أكثر علماً منه لو

---

(١) رجال الطوسي .
(٢) الكشي .
(٣) المناقب .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) تهذيب التهذيب : ٩/٤٤٥ البداية والنهاية : ٩/٣٤٠ .
(٦) تهذيب التهذيب : ٧/٣٠٧ .
(٧) البداية والنهاية : ٩/٣٤٠ .

سمعته بحدث في الترغيب لقلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الانسان لقلت : لا يعرف إلا هذا وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعاً جامعاً . . . وروى الليث عن الزهري أنه قال : ما نشر أحد من الناس الناس هذا العلم نشري ، ولا بذله بذلي[1] .

٤ ـ سخاؤه :

كان محمد من أسخياء العرب ، وقد قال فيه عمر وبن دينار : ما رأيت أحداً انص للحديث من الزهري ، ولا أهون من الدينار والدرهم عنده وما الدراهم والدنانير عنده إلا بمنزلة البعر[2] وفيه يقول فايد بن أقرم :

زر ذا واثن على الكريم محمد ... واذكر فواضله على الأصحاب
وإذا يقال من الجواد بماله ... قيل الجواد محمد بن شهاب
أهل المدائن يعرفون مكانه ... وربيع ناديه على الاعراب
يشري وفاء جفانه ويمدها ... بكسور انتاج وفتق لباب[3]

وقد عاتبه على اسرافه رجاء بن حياة ، فقال له : لا آمن أن يحبس هؤلاء القوم ـ يعني بني أمية ـ ما بأيديهم عنك فتكون قد حملت على أمانيك فوعده الزهري بالاقلال وعدم الاسراف ، فمر به بعد ذلك ، وقد وضع موائد الطعام ، وهي حافلة بالعسل وغيره ، فقال له رجاء : يا أبا بكر ما هذا الذي فارقتنا عليه ؟ فقال له الزهري : أنزل فان السخي لا تؤدبه التجارب ، وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى بقوله :

له سحائب جود في أنامله ... أمطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول في العسران أيسرت ثانية ... أقصرت عن بعض ما أعطي وما أهب
حتى إذا عاد أيام اليسار له ... رأيت أمواله في الناس تنتهب[4]

---

(١) تهذيب التهذيب : ٤٤٩/٩ .
(٢) البداية والنهاية : ٣٤٢/٩ .
(٣) البداية والنهاية : ٣٤٢/٩ .
(٤) البداية والنهاية : ٣٤٤/٩ .

اتصاله ببني أمية :

وكان الزهري وثيق الصلة بالأمويين ، وكانوا يغدقون عليه الأموال الطائلة لأنه قد سار في ركابهم ، ودافع عن مظالمهم ، وقد قضى عنه هشام مرة من الديون التي عليه ثمانين ألف درهم[1] وقد وفد على عبد الملك بدمشق فأكرمه وقضى دينه، وفرض له في بيت المال[2] ، فأخلص لهم كأعظم ما يكون الاخلاص ، وكان من أصلب المدافعين عنهم .

مع الإمام زين العابدين :

وكان الزهري من المعجبين بالإمام زين العابدين عليه السلام ، وقد روى المؤرخون طائفة من الكلمات القيمة التي أشاد بها بفضل الإمام وغزارة علمه ، وفقهه ، وقد ألمحنا إليها في البحوث السابقة .

تفريج الإمام عنه :

وفرج الإمام عليه السلام عن الزهري هماً وقع فيه ، فقد روى المؤرخون أنه حينما كان عاملاً لبني أمية عاقب رجلاً فمات الرجل في العقوبة ، فخرج الزهري هائماً على وجهه ، وتوحش ودخل إلى غار ومكث فيه عدة سنين ، وحج الإمام زين العابدين (ع) إلى بيت الله فأتاه الزهري ، فقال له الإمام : إني أخاف عليك من قنوطك ـ أي قنوطك من رحمة الله ـ ما لا أخاف عليك من ذنبك فابعث بدية مسلمة إلى أهله ، وأخرج إلى أهلك ، ومعالم دينك . . . وفرح الزهري وراح يقول له :

« فرجت عني يا سيدي، الله اعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء ، وتركه ، وانصرف إلى أهله[3] فقد أنقذه الإمام من هم مقيم كاد يودي بحياته .

---

(١) البداية والنهاية : ٣٤٣/٩ .

(٢) البداية والنهاية : ٣٤١/٩ .

(٣) المناقب ، وقريب منه في العقد الفريد : ١٢٧/٥ .

رسالة الإمام إليه :

١ ـ وكتب الإمام للزهري الرسالة التالية وهي من مفاخر الوثائق السياسية في الإسلام فقد نعى عليه اتصاله ببني أمية ، وخدمته لهم ، وحذره من عذاب الله وعقابه لأنه سار في ركابهم وهذا نصها :

« كفانا الله وإياك من الفتن ، ورحمك من النار ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك ، فقد أثقلتك نعمُ الله بما أصح من بدنك ، وأطال من عمرك ، وقامت عليك حجج الله بما حملك من كتابك ، وفقهك فيه من دينك، وعرفك من سنة نبيه محمد (ص)، فرض لك في كل نعمة أنعم بها عليك وفي كل حجة احتج بها عليك الفرض ، فما قضى إلا ابتلى شكرك في ذلك، وأبدى فيه فضله عليك ، فقال : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾[1] .

فانظر أي رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها ؟ وعن حججه عليك كيف قضيتها ؟ ولا تحسبن الله قابلاً منك بالتعذير ولا راضياً منك بالتقصير ، هيهات هيهات ليس كذلك أخذ على العلماء في كتابه أذ قال ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ﴾[2] واعلم أن أدنى ما كتمت ، واخف ما احتملت إن آنست وحشة الظالم ، وسهلت له طريق الغي بدنوك منه حين دنوت ، وإجابتك له حين دعيت ، فما أخوفني أن تكون تبوء باثمك غداً مع الخونة ، وأن تسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة ، إنك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك ، ودنوت ممن لم يرد على أحدٍ حقاً ، ولم تَرُدَّ باطلاً حين أدناك ، وأحببت من حاد الله ، أو ليس بدعائه إياك حين دعاك، جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى

---

(١) سورة ابراهيم : آية ٧ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٨٧ .

بلاياهم ، وسلما إلى ضلالتهم ، داعياً إلى غيهم ، سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم ، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من اصلاح فسادهم ، واختلاف الخاصة والعامة أليهم . فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك ، وما أيسر ما عمروا لك ، فكيف ما خربوا عليك ؟ فانظر لنفسك ، فإنه لا ينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب رجل مسؤول .

وانظر كيف كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً ، فما أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون : سيغفر لنا﴾[1] إنك لست في دار مقام ، أنت في دار قد آذنت برحيل ، فما بقاء المرء بعد قرنائه طوبى لمن كان في الدنيا على وجل ، يا بؤس لمن يموت وتبقى ذنوبه من بعده .

احذر فقد نبئت ، وبادر فقد أجلت ، إنك تعامل من لا يجهل ، وإن الذي يحفظ عليك لا يغفل ، تجهز فقد دنا منك سفر بعيد ، وداو ذنبك فقد دخله سقم شديد ، ولا تحسب أني أردت توبيخك وتعنيفك ، وتعييرك ، لكني أردت أن ينعش الله ما قد فات من رأيك ، ويرد إليك ما عزب من دينك ، وذكرت قول الله تعالى في كتابه : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾[2] .

أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب[3] انظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت ، أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه، أم هل تراهم ذكرت خيراً علموه ، وعلمت شيئاً جهلوه ، بل حظيت بما حل من حالك في صدور العامة ، وكلفهم بك إذ صاروا يقتدون برأيك ،

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٦٨ .

(٢) سورة الذاريات : آية ٥٥ .

(٣) القرن الأعضب : هو الشاة المكسورة القرن.

ويعملون بأمرك ، إن احللت أحلوا ، وإن حرمت حرموا ، وليس عندك ولكن أظهرهم عليك رغبتهم في ما لديك ذهاب علمائهم ، وغلبة الجهل عليك وعليهم ، وحب الرئاسة وطلب الدنيا منك ، ومنهم ، أماترى ما أنت فيه من الجهل والغرة وما الناس فيه من البلاء والفتنة قد ابتليتهم وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا ، فتاقت نفوسهم إلى أن يبلغوا من العلم ما بلغت ، أو يدركوا به مثل الذي أدركت ، فوقعوا منك في بحر لا يدرك عمقه ، وفي بلاء لا يقدر قدره ، فالله لنا ولك وهو المستعان .

أما بعد : فأعرض عن كل ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في اسمالهم[1] لاصقة بطونهم بظهورهم ليس بينهم وبين الله حجاب ، ولا تفتنهم الدنيا ، ولا يفتنون بها ، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ مع كبر سنك « ورسوخ علمك وحضور أصلك ، فكيف سلم الحدث في سنه ، الجاهل في علمه ، المأفون في رأيه[2] والمدخول في عقله إنا لله وإنا إليه راجعون ، على من المقول ؟ وعند من المستعتب ؟ نشكو إلى الله بثنا ، وما نرى فيك ، ونحتسب عند الله مصيبتنا بك .

فانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً ؟ وكيف اعظامك لمن جملك بدينه في الناس جميلاً ؟ وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيراً ، وكيف قربك أو بعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً ذليلاً؟ ما لك لا تنتبه من نعستك وتستقيل من عثرتك فتقول : والله ما قمت لله مقاماً واحداً أحييت به له ديناً أو أمت له فيه باطلاً ، فهذا شكرك من استحملك ، ما أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه : ﴿ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾[3] استحملك كتابه ، واستودعك علمه

---

(١) الأسمال : جمع سمل ـ بالتحريك ـ الثوب الخلق البالي .

(٢) المأفون في رأيه : هو ضعيف الرأي والفاسد العقل .

(٣) سورة مريم : آية ٥٩ .

فاضعتها ، فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام »[1] لا أعرف وثيقة سياسية أروع من هذه الوثيقة ، فقد حفلت بما يلي :

أولاً : إنها نعت على الزهري اتصاله بالأمويين مع سمو مكانته العلمية .

ثانياً : انها حرمت الاتصال بالحكم الأموي الجائر ، وإن تأييده والعمل في جهازه إنما هو تأييد للظلم والجور ومحاربة لله ورسوله .

ثالثاً : ان استقطاب الأمويين للزهري وهو من أبرز علماء عصره قد جعلوه جسراً يعبرون عليه لظلم الرعية وسلب ثرواتها ، والحكم فيها بغير ما أنزل الله .

رابعاً : إن انضمام الزهري للأمويين قد جلبوا بذلك قلوب الجهال ، وسيطروا على عواطفهم ، وأضافوا الشرعية على حكمهم الجائر .

خامساً : إن ما استفاده الزهري من أموال الأمويين وهباتهم الوفيرة التي أغدقوها عليه لا يقاس بما سلبوه منه ، فقد سلبوا دينه وكرامته .

سادساً : إن انضمام الزهري للأمويين قد اغرى بذلك ناشئة المسلمين بطلب العلم لينالوا ما ناله ، وبذلك يكون طلب العلم لا لله وإنما للاتصال بالهيئة الحاكمة والظفر بخيراتها وهباتها .

سابعاً : إنها ذكرت الزهري بألطاف الله ، ونعمه عليه ، وحذرته من عذابه ونقمته . . هذه بعض البنود التي احتوت عليها هذه الرسالة الذهبية .

رواياته عن الإمام :

وروى الزهري كوكبة من الأخبار عن الإمام زين العابدين عليه السلام ، يتعلق بعضها في أحكام الشريعة ، وبعضها في آداب السلوك ومحاسن الأخلاق ، وبعضها في شؤون الإمام وأحواله ، وقد ألمحنا إليها في البحوث السابقة .

---

(١) تحف العقول (ص ٢٧٤ ـ ٢٧٧) .

إتهامه بالعداوة لأهل البيت :

ونص الشيخ الطوسي في رجاله على أن الزهري من مبغضي أهل البيت عليهم السلام ، وذكر ذلك غير واحد من الاعلام إلا أن المصادر التي بأيدينا التي نقلت الكثير من شؤونه وأحواله لم تذكر أي بادرة تدل على عدائه لهم ، وقال السيد الخوئي : وبما ذكرنا يظهر أن نسبة العداوة إليه على ما ذكره الشيخ لم تثبت بل الظاهر عدم صحتها[1] .

وفاته :

توفي الزهري سنة (١٢٣ هـ) وقيل غير ذلك[2] .

١٥٢ ـ محمد بن علي :

ابن الحسين[4] هو الإمام الباقر باقر علوم الأولين والآخرين عده الشيخ ممن روى عن أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام[3] وقد كان سلام الله عليه من أعلام الدنيا ، وممن صنع تأريخ الأمة الإسلامية ، وفجر في ربوعها ينابيع العلم والحكمة وقد تشرفت ـ والحمد لله ـ بالبحث عن سيرته المشرقة التي هي امتداد ذاتي لسيرة آبائه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فلا نرى حاجة للبحث عنه ومن أراد الاطلاع فليطلب: (حياة الإمام الباقر: جزئين).

١٥٣ ـ محمد بن عمر :

ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين (ع) وأضاف وقيل ليس له رواية عنه[4] وقال ابن شهر اشوب : اساء ابوه عمر إلى الإمام علي بن الحسين ، ودخل محمد بعد ذلك على

---

(١) معجم رجال الحديث ١٦/٢٠٢ .
(٢) تهذيب التهذيب ٩/٤٥٠ .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .

الإمام واكب عليه يقبله ، فقال (ع) له : يا ابن عم لا تمنع لي قطيعة أبيك أن أصل رحمك ، فقد زوجتك ابنتي خديجة[1] .

١٥٤ ـ محمد بن قيس :

الأنصاري ، عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[2] .

١٥٥ ـ مسلم بن علي :

ابن بطين عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[3] .

١٥٦ ـ معروف بن خربوذ :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[4] وعده الكشي أنه أحد الجماعة الذين أجمعت العصابة ـ يعني الشيعة ـ على تصديقهم والانقياد لهم بالفقه[5] روى عن الإمام علي بن الحسين والإمام أبي جعفر عليهما السلام ، وعن أبي الطفيل ، والحكم بن المستورد ، وروى عنه خفان بن سدير ، والربيع المسلي وعبد الله بن سنان وغيرهم[6] وقد ذكره ابن حبان في الثقات[7] .

١٥٧ ـ منذر الثوري :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[8] قال ابن حجر : المنذر بن يعلي الثوري ، أبو يعلي الكوفي روى عن محمد بن

---

(١) المناقب .
(٢) رجالا لطوسي .
(٣) رجال الطوسي .
(٤) رجال الطوسي .
(٥) الكشي .
(٦) معجم رجال الحديث : ١٨/٢٦٥ .
(٧) تهذيب التهذيب : ١٠/٢٣١ .
(٨) رجال الطوسي .

علي بن أبي طالب ، والربيع بن خيثم وسعيد بن جبير وغيرهم ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل الكوفة ، وقال : كان ثقة قليل الحديث[١] .

١٥٨ ـ المنهال بن عمرو :

الأسدي ، عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ومن أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٢] روى عن الإمام علي بن الحسين والإمام أبي جعفر والإمام أبي عبد الله عليهم السلام[٣] وقد وثقه ابن معين والنسائي وغيرهما[٤] .

١٥٩ ـ المنهال بن عمرو :

الطائي ، التقى بالإمام زين العابدين عليه السلام بالشام حينما حُمل أسيراً إلى طاغية بني أمية يزيد بن معاوية ، فقال له : كيف أمسيت يا ابن رسول الله ؟ فقال (ع) له : ويحك كيف أمسيت ؟ أمسينا فيكم كهيئة بني اسرائيل في آل فرعون يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم[٥] .

١٦٠ ـ ميمون البان :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ، كما عده من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق (ع)[٦] .

١٦١ ـ ميمون القداح :

عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٧] وكان كثير الاتصال بالأئمة الطاهرين عليهم السلام فاهماً لكلامهم ومقاصدهم فقد روى

---

(١) تهذيب التهذيب : ١٠/٣٠٤ .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) معجم رجال الحديث : ١٩/١٠ .
(٤) تهذيب التهذيب : ١٠/٣٢٠ .
(٥) معجم أخبار الرجال : ١٩/١١ .
(٦) رجال الطوسي .
(٧) رجال الطوسي .

سلام ابن سعيد المخزومي قال : بينما أنا جالس عند أبي عبد الله (ع) إذ دخل عباد بن كثير عابد أهل البصرة، وابن شريح فقيه أهل مكة، وعند أبي عبد الله (ع) ميمون القداح مولى أبي جعفر (ع) فسأله عباد ابن كثير ، فقال : يا أبا عبد الله في كم ثوب كفن رسول الله (ص) ؟ قال : في ثلاثة أثواب : ثوبين صحاريين، وثوب حبرة ، وكان في البرد قلة ، فكأنما أزور عباد بن كثير من ذلك ، فقال أبو عبد الله : أن نخلة مريم إنما كانت عجوة ، ونزلت من السماء فما نبت من أصلها كان عجوة ، وما كان من لقاط فهو لون ، فلما خرجوا من عنده ، قال عباد بن كثير لابن شريح : والله ما أدري ما هذا المثل الذي ضربه لي أبو عبد الله ، فقال ابن شريح : هذا الغلام ـ يعني ميمون القداح ـ يخبرك فإنه منهم ، فسأله ، فقال ميمون : أما تعلم ما قال لك : ؟ قال : لا والله ، قال : إنه ضرب لك مثل نفسه فأخبرك أنه ولد من ولد رسول الله (ص) وعلم رسول الله عندهم ، فما جاء من عندهم فهو صواب ، وما جاء من عند غيرهم فهو لقاط[1] .

- و -

- هـ -

- ي -

١٦٢ ـ يحيى بن أم الطويل :

المطعمي عده الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[2] كان يحيى على جانب عظيم من الإيمان ، ويكفي في سمو شأنه ما قاله الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام : ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة : أبو خالد الكابلي ، ويحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم ثم أن الناس لحقوا وكثروا[3] وقد طلبه الطاغية المجرم الحجاج بن يوسف الثقفي فجيء به إليه ، فأمره بلعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فأبى، فأوعز إلى

(١) معجم أخبار الرجال : ١٤١/١٩ .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) الكشي .

جلاديه بقطع يديه ورجليه وقتله ففعلوا به ذلك[1] ومضى شهيداً منافحاً عن عقيدته ودينه .

ـ الكنى ـ

١٦٣ ـ أبو مريم :

ومن أصحاب الإمام الذين عرفوا بالكنية أبو مريم وهو بكر بن حبيب[2] ولم يعثر على شيء من ترجمته .

النساء

١٦٤ ـ أم البر :

من النساء التي روت عن الإمام زين العابدين عليه السلام السيدة الفاضلة أم البر أو قيل هي حبابة الوالبية[3] .

وإلى هنا ينتهي بنا الحديث عن أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ورواة حديثه، وتلامذته، الذين كانوا يشكلون الهيئة العلمية في ذلك العصر ، فقد استمدوا من علوم الإمام (ع) طاقات كبيرة كانت من أهم الأسباب في نهضة العالم الإسلامي ، وتطور حياته العلمية في تلك العصور .

---

(١) الكشي .
(٢) رجال الطوسي .
(٣) رجال الطوسي .

الجـــزء الثـالث

ملوك عصره

أما البحث عن الملوك الذين عاصرهم الإمام زين العابدين عليه السلام فإنه ـ حسب الدراسات الحديثة ـ أمر ضروري ، لأنه يكشف عن برامج السياسة العامة التي انتهجها أولئك الملوك ، ومن المؤكد أن الحياة بجميع شعبها تتأثر وتتكيف بمجريات الأحداث السياسية كما لها التأثير المباشر على السلوك العام لكل مواطن حسب ما قرره علماء النفس .

أما الملوك الذين عاصرهم الإمام عليه السلام فكانوا من الأسرة الأموية الذين كانوا بحكم قوانين الوراثة والتربية من المحيين لأفكار الجاهلية وتقاليدها ، ومن ثم فقد جهد الكثيرون منهم على قمع التطور الإسلامي ، وأماتة الوعي الديني بين المسلمين ، ونتحدث ـ بايجاز ـ عن بعض شؤونهم واتجاهاتهم .

معاوية :

وأول الملوك الذين عاصرهم الإمام زين العابدين عليه السلام هو معاوية بن أبي سفيان ، فقد كان الإمام في أيام حكمه في غضارة العمر وريعان الشباب فشاهد تلك السياسة السوداء التي انتهجها معاوية تجاه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، والتي كان يرمي من ورائها إلى استئصال العترة

الطاهرة ، والتصفية الجسدية لشيعتهم والمؤمنين بحقهم ، بالإضافة إلى ما نشره من الخوف والارهاب في جميع انحاء العالم الإسلامي لارغام المسلمين على الذل والعبودية ، ونلمح ـ بايجاز ـ إلى بعض شؤونه .

أبواه :

وقبل أن نعرض لشؤون معاوية نتحدث بسرعة عن أبويه ليتبين لنا أن حقده على الإسلام قد تلقاه بالوراثة عن أبويه اللذين اترعت نفساهما بروح الجاهلية والعداء لجميع القيم الانسانية .

أما أبوه أبو سفيان فقد كان من ألدِّ أعداء النبي (ص) ومن أكثرهم بغضاً له ، فقد سخر هذا العجل الجاهلي جميع امكانياته لاخماد الدعوة الإسلامية والقضاء عليها في مهدها ، فأشعل فتيل الحرب ، وقاد الجيوش في واقعة بدر إلا أن الله تعالى نصر نبيه ، وأعز دينه ، وكتب الخيبة والخسران لأبي سفيان، الذي ولى منهزماً يجر رداء الخيبة وقد منيت قواته بالاندحار والهزيمة.

وأما أمه هند فقد مليء قلبها الخبيث بالحقد والكراهية للنبي العظيم (ص) وبعد الهزيمة الساحقة التي مُني بها جيش أبي سفيان في واقعة بدر نخر الحزن قلبها على من فقدته من أسرتها فأخذت تحرض الصغير والكبير والرجل والمرأة على الطلب بالثأر ، والاستعداد للحرب ، حتى كانت واقعة أحد التي انتصر فيها أبو سفيان ، فأدركت بذلك ثأرها ، فقد استشهد حمزة عم النبي (ص) وسبعون بطلاً من أبطال الإسلام ، وكادت تنطوي بذلك رسالة الإسلام لولا لطف الله وفضله ، فقد نجا النبي (ص) وذلك بدفاع بطل الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عنه ووقايته له بنفسه . . . ورجع أبو سفيان إلى مكة ، منتصراً ، ومعه هند وهي مثلوجة القلب قريرة العين ، قد مثلت بجثمان الشهيد العظيم حمزة ، وقد أدركت بذلك ثأرها ، وشفت أحقادها .

فتح مكة :

وبعدما عاد النبي (ص) إلى يثرب بعد واقعة أحد، أخذ يجمع قواه،

ويتهيأ لفتح مكة التي هي المركز الوحيد للقوى المعادية له ، وقد استطاع بنصر الله وتأييده أن يحتل مكة ، ويفتحها بلا إراقة دماء ، وقد أصدر عفواً عاماً مَثَّلَ رحمة الإسلام ورأفته وكرامته ، ولم يتبع النبي (ص) الأعراف الدولية التي تقضي بإبادة القوى المعادية له ، والتي أعلنت الحرب عليه وإنما شملهم جميعاً برحمته ، وممن ناله العفو أبو سفيان وأفراد أسرته ، وقد قبعوا في زوايا الذل والخمول ينظر إليهم المسلمون بعين الهوان لأنهم أعداء الإسلام وخصومه المندحرون .

وكان معاوية بعد فتح مكة طليقاً من طلقاء يوم الفتح ، وكان صعلوكاً لا مال له يمشي حافياً تحت ركاب علقمة بن وائل الحضرمي[1] وقد استشارت امرأةُ النبيَّ (ص) من الزواج بمعاوية فنهرها، قائلاً لها إنه صعلوك .

وعلى أي حال فقد انطوت نفوس الأمويين عامة بالحقد والعداء للإسلام لأنه أذلهم ، وقضى على مجدهم ، ووترهم ، وظلوا يتربصون به الدوائر ، ويبغون له الغوائل ، ويكيدون له في غلس الليل ، وفي وضح النهار ، وفي الحديث الشريف « لو لم يبق من بني أمية إلا عجوز درداء[2] لبغت دين الله عوجاً »[1] .

صفاته النفسية :

أما صفات معاوية وعناصره النفسية فهي كما يلي :

القسوة :

لم يعرف قلب معاوية الرأفة ، ولا الرحمة ، وانما كان قاسياً وملوثاً بجميع الجرائم فهو الذي سلط زبانيته الارهابيين وعلى رأسهم بسر بن أبي أرطاة على رقاب المسلمين ، وعهد إليه بقتل كل من دان بدين الإمام أمير

---

(١) المحاسن والمساويء : للبيهقي ١/ ٢٩ .

(٢) الدرداء : (مؤنث : أدرد) : التي لا أسنان لها ، اشارة إلى تقدمها في العمر .

المؤمنين الذي هو دين الله ، وقد أشاع هذا الباغي اللئيم القتل والإعدام ، وتوصل في إجرامه إلى قتل النساء والاطفال فقد قتل طفلين لعبيد الله بن العباس ، كانا كالبدرين في نضارتهما وبهائهما ، وقد قالت له إحدى السيدات : إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل النساء والأطفال لسلطان سوء .

الخيانة :

ومن الصفات البارزة في معاوية الخيانة ، فلم يؤمن هذا الجاهلي بالوفاء بالعهد ، ولا بغيره من القيم الإنسانية ، وكان من خيانته العظمى أنه أعطى الإمام الزكي الحسن بن علي عليه السلام شروطاً وأعلن ـ بلا حياء ـ أمام الجماهير إنها تحت قدميه لا يفي بواحدة منها ، وقد عرف بهذا الخلق الجاهلي الذي يمثل الوقاحة، والصلافة، وعدم الحياء، وصفاقة الوجه .

الكذب :

وكان معاوية كذاباً أشراً ، لم يألف الصدق ، فقد كذب على أهل الشام وأغراهم بأنه أقرب الناس إلى النبي العظيم ، وإنه لا وارث له سواه ، كما كذب على أهل الشام، فأدعى أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي قتل عثمان بن عفان ، وأنه المطالب بدمه ، كما كذب عليهم فادعى بأن الإمام هو الذي قتل الصحابي العظيم عمار بن ياسر في صفين، ومن ولعه بالكذب وتبنيه اياه أقام معملاً من الكذب على الله ورسوله ، فقد أقام لجاناً من الوضاعين لانتحال الحديث تارة في فضل الصحابة وأخرى في الحط من شأن أهل البيت عليهم السلام . . . لقد تربى معاوية على الكذب ، واتخذه منهجاً لحياته ودستوراً لدولته .

الغدر :

ومن صفات معاوية الغدر ، فقد غدر بجماعة من المسلمين في طليعتهم ريحانة رسول الله (ص) وسبطه الإمام الحسن عليه السلام فقد جعله ولي عهده ألا أنه نكث بما عاهد عليه فدس له سماً قاتلاً على يد عامله

مروان بن الحكم الذي أغرى زوجته جعدة بنت الأشعث فناولته زوجها الامام الحسن (ع) فلم يلبث سبط الرسول إلا قليلاً حتى لحق بالرفيق الأعلى .

هذه بعض صفات معاوية ، ومن المؤكد أنه لم يتحل بأية صفة كريمة ، ولا بأية نزعة شريفة .

صفات منتحلة :

ووصف معاوية بالدهاء ، والحلم ، وحسن السياسة ، وهي صفات منتحلة أضفاها عليه المرتزقة من باعة الضمير ، ووعاظ السلاطين ، وقد فند الإمام زين العابدين عليه السلام هذه المزاعم فقد بلغه مقالة نافع بن جبير في معاوية من أنه كان يسكنه الحلم ، وينطقه العلم ، فرد عليه ذلك قائلاً :

« كذب ، بل كان يسكته الحصر ، وينطقه البطر . . »[1] .

فلو كان عنده ذرة من الحلم لما قتل الصحابي العظيم حجر بن عدي ورفقاءه المؤمنين ، من رواد الشهادة في الإسلام ، ولو كان متصفا بالحلم لما قتل الصحابي الجليل عمر بن الحمق الخزاعي ، ولو كان عنده مسكة من الحلم وحسن السياسة والتدبير لما فرض ابنه السكير يزيد ملكاً على المسلمين ، فاخلد لهم الويلات والخطوب .

ومما اضفوا عليه من النعوت المختلفة أنه كان كاتباً للوحي ، وكيف يأتمن الرسول (ص) على كتابة ما أوحي إليه من رب العالمين مثل هذا الانسان الجاهلي الذي لم يصقل الإسلام فكره ، ولم يلج في ضميره أي بصيص من نور الهداية والحق ، وإنما بقي ملوثاً بأفكار الجاهلية السوداء لقد أضفى عليه هذه النعوت عملاؤه والمرتزقة من وعاظ السلاطين ، وهو عند من يقرأ سيرته بامعان وتجرد يجده ارهابياً محترفاً لا علاقة له بالمثل الكريمة ، والصفات الخيرة .

---

(١) اعيان الشيعة : ٢٦/٥ .

فرضه حاكماً على دمشق :

والشيء المؤلم الذي يحز في النفس ، والذي لا نجد له تأويلاً ، ولا تبريراً أنه فرضه حاكماً على المسلمين ، ليصلي بهم ، ويحكم بينهم بما أنزل الله ، ويتولى جباية زكاتهم وخراجهم ، وهو ليس أهلاً لذلك ، مع العلم أن الإسلام قد احتاط كأشد ما يكون الاحتياط في تولية الولاة ، بل وسائر الموظفين ، فاشترط دراسة حياتهم ، والتمعن في سيرتهم وفي اتجاهاتهم وميولهم ، فمن كان تقياً ، زكياً شريفاً في نفسه ، وقومه عالماً بشؤون الإدارة والحكم ، يرشح للوظيفة في جهاز الدولة ، وأما من كان متهماً في دينه ومنحرفاً في سلوكه ، ووضيعاً في نفسه وحسبه ، فإن توظيفه في أي منصب من مناصب الدولة ، إنما هو خيانة للإسلام ، ومفسدة للمسلمين .

أما تعيين معاوية حاكماً على دمشق التي هي من أهم المراكز الحساسة في العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، فلم يكن خاضعاً لدراسة حياته والنظر في أعماله ، وأنما كان خاضعاً للأهواء السياسية ، ولا علاقة له بأي حال بمصلحة الأمة ، ومن المؤسف جداً أن الخليفة الثاني قد قربه وبالغ في تسديده ، وتأييده ، تتواتر لديه الأخبار بأنه يلبس الحرير والديباج ، ويستعمل أواني الذهب والفضة ، ويبتعد في سلوكه عن الاحكام الإسلامية فيقول معتذراً عنه : ذاك كسرى العرب ، وواعجباً هل في الإسلام كسروية أو قيصرية ؟ وإنما الذي يعرفه الجميع عن الإسلام أنه قام بدور إيجابي في إلغاء العنصريات ، وتبنى المساواة بين جميع أبنائه ، وجعل الامتياز بالتقوى والعمل الصالح الذي من أهمه خدمة المجتمع الإسلامي والسهر على تطوره وتقدمه .

أيام حكومته :

وآلت الدولة الإسلامية إلى معاوية بعد أحداث رهيبة استعملت فيه الدبلوماسية الأموية جميع ألوان المكر والخداع للوصول إلى الحكم ، والظفر بخيرات البلاد ، وقد ساندتها الرأسمالية القرشية والعربية حفظاً على مصالحها الخاصة التي فقدتها أيام حكومة الإمام أمير المؤمنين (ع) رائد

العدالة الاجتماعية في الأرض ، يقول نيكلسون : اعتبر المسلمون انتصار بني أمية ، وعلى رأسهم معاوية انتصاراً للارستقراطية الوثنية التي ناصبت الرسول العداء ، والتي جاهدها الرسول حتى قضى عليها ، وصبر معه المسلمون على جهادها ومقاومتها حتى نصرهم الله ، فقضوا عليها وأقاموا على انقاضها دعائم الإسلام ، ذلك الدين السمح الذي جعل الناس سواسية في السراء والضراء ، وازال سيادة رهط كانوا يحتقرون الفقراء ، ويستذلون الضعفاء ، ويبتزون الأموال »[1] لقد امتحن المسلمون كأشد ما يكون الامتحان وأقساه أيام حكومة معاوية فقد أغرق البلاد بالمحن السود ، والأحداث الجسام ، فتحدى بصورة سافرة ، إرادة المسلمين ، وعمل على إذلالهم ، وسلب حرياتهم ومنعهم من كل حق تقره الأعراف الدولية والانسانية ، ومن بين المناهج الظالمة التي أصر على تنفيذها تجاه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم الذين هم مصدر الوعي والفكر في الإسلام ما يلي :

أبعاد المسلمين عن آل البيت :

وسلك هذا الأموي الظلوم كل وسيلة رخيصة لاطفاء نور آل محمد (ص) والحيلولة بينهم وبين الأمة ، وحرمانها من التمتع بآدابهم وسموا اخلاقهم ، فقد أشاع جواً من الارهاب الفظيع على كل من ذكر مناقبهم ومآثرهم أو اتصل بهم ، كما أعلن رسمياً سب الإمام أمير المؤمنين الذي هو المركز الأعلى في الفكر الإسلامي ، وقد تسابق إلى سبه على أعواد المنابر ، وفي خطب الجمعة المرتزقة ووعاظ السلاطين ، لقد كانت سيرة الإمام عليه السلام تطارد معاوية ، وتلاحقه في قصوره ، فقد أشاعت التمرد على الظلم والجور ، وفتحت آفاقاً كريمة للوعي السياسي والديني .

تصفية الشيعة :

وقضت سياسة معاوية السوداء بتصفية العناصر الموالية لآل البيت عليهم السلام ، واستئصال شأفتهم ، واقتلاعهم من الجذور ، فقد كتب إلى جميع

(١) تاريخ الإسلام ١/٢٧٨ .

عماله وولاته بمطاردة كل من يحب عترة رسول الله (ص) وقتلهم ، وقطع رواتبهم من الدولة ، ومصادرة أموالهم ، وزجهم في ظلمات السجون وقام الجلادون ، والارهابيون من عماله بتنفيذ ذلك ، وعم الخوف والرعب شيعة أهل البيت ، وبلغ الحال أنه ليقال للرجل زنديق أو ملحد خير من أن يقال له أنه يحب عترة النبي (ص) ويتولاهم لأنه بذلك يكون عرضة للقتل والتنكيل ، وقد أعدم كوكبة من أعلام الإسلام أمثال حجر بن عدي ورشيد الهجري ، وعمر بن الحمق الخزاعي ، ونظراءهم من عمالقة الأحرار ، ولا ذنب لهم سوى الولاء لأهل البيت عليهم السلام .

ولاته وعماله :

واستعمل معاوية على الاقطار الإسلامية عصابة من الخونة والمجرمين أمثال زياد بن أبيه ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص ، وبسر بن أبي ارطاة ، وأمثالهم من المنحرفين ، الذين لا يفقهون إلا القتل والتدمير ، والاعتداء على الناس ، وقد أعلن اللقيط زياد بن أبيه عن سياسته السوداء التي ساس بها العراق ، أنه يأخذ البريء بالسقيم ، والمقبل بالمدبر ، ويعاقب على الظنة والتهمة ، وقد أحال الحياة في العراق - في عصره - إلى جحيم لا يطاق ، وترك الناس يقول بعضهم لبعض : (انج سعد ، فقد هلك سعيد) .

لقد اغرقوا البلاد الإسلامية بالمحن والخطوب ، وتركوا الإرهاب والذعر مخيمين على حياة الناس .

فرضه ليزيد حاكماً :

وختم معاوية حياته بأفظع جريمة سوداء ، وذلك بفرضه لخليعه المهتوك يزيد حاكماً وسلطاناً من بعده على رقاب المسلمين يعيث في دينهم ودنياهم ، ويحكم فيهم باحكام الجاهلية الأولى ، وقد حول هذا المجرم الخطير الحياة في العالم الإسلامي إلى جحيم لا يطاق ، وارتكب من الفظائع ، ما سود به وجه التاريخ العربي والإسلامي .

انطباعات عن معاوية :

وأدلى فريق من المسلمين في عصر معاوية عن انطباعاتهم السيئة عنه وفي ما يلي بعضهم .

١ ـ ابن عباس :

أعلن المفكر الإسلامي الكبير عبد اللّه بن عباس عن رأيه في معاوية قال : « ليس في معاوية خصلة تقربه من الخلافة . . »[١] .

٢ ـ صعصعة بن صوحان :

والتقى المجاهد الكبير صعصعة بن صوحان العبدي بمعاوية في أيام حكومته ، فقال له :

« أي الخلفاء رأيتموني ؟ . . » .

فأجابه صعصعة بشجاعة نادرة قائلاً :

« أنّى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً ، ودانهم كبراً ، واستولى باسباب الباطل كذباً ومكراً . أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى ، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله (ص) وإنما أنت طليق ، وابن طليق أطلقكما رسول الله (ص) أنى تصلح الخلافة لطليق ؟ . . »[٢] .

٣ ـ المغيرة بن شعبة :

ونقم عليه صديقه وشريكه في آثامه المغيرة بن شعبة ، فقد دخل عليه فسمع منه حديثاً يقدح فيه بالنبي العظيم ، فخرج منه متذمراً ، وقال لولده : إني جئت من عند أخبث الناس ، ونقل له حديثه[٣] .

---

(١) المسعودي هامش ابن الأثير ٦/٧ .

(٢) المسعودي هامش ابن الأثير ٦/٧ .

(٣) مروج الذهب ٢/٣٤٢ .

٤ ـ سمرة بن جندب :

وممن نقم عليه المنافق الكذاب سمرة بن جندب ، وذلك حينما عزله عن ولاية البصرة ، فقال : لعن الله معاوية ، والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية لما عذبني أبداً[١] . .

وبهذا ننهي الحديث عن معاوية ، والناظر في سياسته يجدها قد تفجرت بكل ما خالف كتاب الله وسنة نبيه ، من قتل الأحرار ، ومطاردة المصلحين ، وهتك الأعراض وغير ذلك من الجرائم والموبقات .

حكومة يزيد :

وكان أعظم خطر واجهته الأمة الإسلامية في ذلك العصر حكومة يزيد الذي هو من أنكر الصفحات التأريخية ، ومن أبعد الملوك عن الإسلام روحاً وهدفاً ومعنى ، فقد أخلد للمسلمين المصاعب والمشاكل والقاهم في شر عظيم .

لقد كان هذا الطاغية الفاجر مستهتراً بجميع القيم والأعراف ، ومنساقاً وراء شهواته وملذاته ، وقد وصفه المسعودي بقوله : « كان يبادر بلذته ، ويجاهر بمعصيته ويستحسن خطأه ، ويهون الأمر على نفسه في دينه إذا صحت له دنياه . . »[٢] ويقول فيه بولس سلامة :

وترفق بصاحب العرش مشغو ... لاً عن الله بالقيان الملاح
ألف « الله أكبر » لا تساوي بين ... كفي يزيد نهلة راح

لقد أثكل المسلمين بما ارتكبه من الأحداث الجسام التي هزت الضمير الانساني ، والتي لا ينساها المسلمون على امتداد التأريخ ، فقد قتل سبط رسول الله (ص) وريحانته ، وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (ع) وأباد العترة الطاهرة من أهل بيته ، كما أباح مدينة النبي (ص) واستباح البيت الحرام ، وسنذكر احداثه بالتفصيل .

---

(١) الطبري ١٥٧/٦ الطبعة الأولى .
(٢) التنبيه والاشراف (ص ٢٦٤) .

حكومة معاوية بن يزيد :

تقلد معاوية بن يزيد أزمة الحكم وهو في غضارة العمر وريعان الشباب إلا أنه كان يملك رصيداً من الورع والتقوى ، فنظر لآخرته اكثر مما نظر لدنياه ، فقد رأى جده معاوية ، وقد نازع بغير حق خليفة رسول الله (ص) ووصيه ، وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ورأى أباه يزيد وقد اقترف أفظع الجرائم بقتله عترة النبي (ص) وإباحته للمدينة المنورة ، وغير ذلك من الاحداث الجسام ، فزهده ذلك في السلطان وكرهه كأشد ما تكون الكراهة في الحكم ، فعزم على خلع نفسه ، والتخلي عن المسؤولية أمام الله والأمة ، فجمع المسؤولين ، وقادة الجيش وسائر الطبقات من أهل الشام ، وخطب فيهم خطاباً بليغاً ومؤثراً أعلن فيه عن استقالته من رئاسة الدولة ، فقد قال فيه بعد حمد الله والثناء عليه ، والصلاة على النبي العظيم :

« أيها الناس ما أنا بالراغب في الأئتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم ، وإني لأعلم أنكم تكرهوننا أيضاً لأنا بلينابكم ، وبليتم بنا ، إلا أن جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره ، لقرابته من رسول الله (ص) وعظم فضله ، وسابقته ، أعظم المهاجرين قدراً ، وأشجعهم قلباً ، وأكثرهم علماً ، وأولهم إيماناً ، وأشرفهم منزلة ، وأقدمهم صحبة، ابن عم رسول الله (ص) وصهره وأخاه، زوجه ابنته فاطمة ، وجعله لها بعلاً باختياره لها ، وجعلها له زوجة باختيارها له ، أبا سبطيه سيدي شباب أهل الجنة ، وأفضل هذه الأمة، تربية الرسول، وابني فاطمة البتول، من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية ، فركب جدي معه ما تعلمون ، وركبتم معه ما لا تجهلون ، حتى انتظمت لجدي الأمور ، فلما جاءه القدر المحتوم ، واخترمته أيدي المنون بقي مرتهناً بعمله ، فريداً في قبره ، ووجد ما قدمت يداه ، ورأى ما ارتكبه ، واعتداه ، ثم انتقلت الخلافة ألى يزيد أبي ، فتقلد أمركم لهوى كان أبوه فيه ، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله واسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد (ص) فركب هواه ، واستحسن خطاه ، وأقدم على أقدم من

جرأته على الله ، وبغيه على من استحل حرمته من أولاد رسول الله (ص) فقلت مدته ، وانقطع أثره ، وضاجع عمله ، وصار حليف حفرته ، ورهين خطيئته ، وبقيت أوزاره وتبعاته ، وحصل على ما قدم ، وندم حيث لا ينفعه الندم ، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه ، فليت شعري ماذا قال : وماذا قيل له ؟ هل عوقب بإساءته ، وجوزي بعمله ، وذلك ظني . . » واستعبر باكياً ، وأطال بكاءه ونحيبه ثم التفت إلى الجمهور قائلاً : « وصرت أنا ثالث القوم ، والساخط علي أكثر من الراضي وما كنت لأتحمل آثامكم ، ولا يراني الله جلت قدرته متقلداً أوزاركم ، والقاء تبعاتكم ، فشأنكم أمركم فخذوه ، ومن رضيتم به عليكم ، فولوه ، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام . . . »[1] .

ودلل هذا الخطاب على وعيه الديني المتكامل ، فقد كشف النقاب عن جده وأبيه ، وإنهما كانا منحرفين عن الطريق القويم ، ولا أكاد أعرف خطاباً سياسياً تركز على الحق والواقع ، ويقظة الضمير ، والتجرد من الانانية والزهد في الدنيا مثل هذا الخطاب الذي ينم عن نفس مترعة بالفضائل والمثل الكريمة .

واضطرب الأمويون كأشد ما يكون الاضطراب ، وماجوا في الفتنة ، وهرعوا إلى معلم معاوية فاتهمه بأنه الذي علمه محبة آل البيت عليهم السلام فدفنوه حياً[2] وسادت الفوضى في جميع انحاء الشام ، وفي ذلك يقول الشاعر :

إني أرى فتنة تغلي مراجلها والملك بعد أبي ليلي لمن غلبا

وقد انهدم بذلك ملك آل أبي سفيان على يد معاوية بن يزيد الذي هو أنبل أموي عرفه التاريخ .

---

(١) حياة الحيوان للدميري ١/٦١ ـ ٦٢ ، النجوم الزاهرة ١/١٦٤ .
(٢) حياة الحيوان ١/٦٢ .

مروان بن الحكم :

يا لمهزلة الزمن ! يـا لسخريـة الأقدار !! امثـل مروان بن الحكم الـوزغ ابن الوزغ طريد رسول الله (ص) يكـون خليفة على المسلمين ، ويسنـد إليه هـذا المنصب الخطيـر ؟ !! إن تردي الأوضـاع الفكريـة ، والاجتماعيـة وندرة الوعي الديني ، هو الذي جر على المسلمين هذه المآسي والخطوب ، وصير هذا الباغي حاكماً عليهم .

لقد كان مروان عنصراً مدمرا من عناصر الباطل والنفـاق ، وهو صـاحب المواقف المخزية ، والمعادية للإسلام، وكان ـ فيمـا اجمع عليـه المؤرخون ـ ماكراً خبيثاً ، ومبغوضاً عند جميع المسلمين ، حتى لقبوه بخيط بـاطل ، وقـد ظـل في زمن النبي (ص) وحكومـة الشيخين منفياً مـع أبيـه إلى الـطائف قـد نهشهم الجوع والفقر ، فلما آل الأمر إلى عثمـان دعاهم إلى يثـرب ، وأدناهم ووهبهم الثراء العريض ، وقد وثق عثمان بمروان فاستوزه ، وفوض إليـه جميع الشؤون السياسية ، مع العلم أنه لم يكن له رأي سياسي مصيب أو فكر أصيل حتى يحتضنـه أو يفوض إليـه جميع شؤونـه ، ولكن العصبية القبليـة هي التي دفعتـه إلى ذلـك ، فقـد حمـل بني أميـة وآل أبي معيط على رقبتـه ، ووهبهم أموال المسلمين ، وخصهم بالمناصب العالية في الدولة ،وقد خلق منهم أسرة رأسمالية خطيرة ، قد استولت على مقدرات البلاء ، وأصبـح من الصعب جداً الحد من نفوذهم ، والقضاء على هيمنتهم .

وعلى أي حال فقد كان مروان أيام خلافة عثمان هـو الحاكم المـطلق يتصرف في شؤون الـدولة حيثمـا شاء ، وقـد أصرت الـطلائع الثـورية التي انبثقت من الأقـاليم الإسلاميـة على عثمان في اقصـاء مروان عن جهـاز الدولـة ، وإبعاده عنه ، فلم يستجب لذلك ، وأصر على التمسك به ، فلم يجـد الثوار بُـداً من قتله فقتلوه تلك القتلة الشنيعـة التي دللت على مـدى نقمتهم على عثمـان ، واحتقارهم اياه .

وأجمع المسلمون ـ بعد مقتل عثمان ـ على مبايعـة الإمام أميـر المؤمنين رائـد العدالـة الاجتمـاعيـة في الأرض ، وكـانت بيعتـه عـامـة، وقـد أظهـرت

المهرجانات الشعبية التي أقيمت في يثرب وغيرها من سائر المدن الإسلامية مدى الابتهاج والسرور عند عموم المسلمين ببيعة الإمام عليه السلام الأمر الذي لم يحدث مثله في بيعة الخلفاء .

وفزعت القوى الرأسمالية القرشية كأشد ما يكون الفزع حينما بايع المسلمون الإمام أمير المؤمنين (ع) وذلك خوفاً على أموالهم التي اختلسوها من الشعب أيام حكومة عثمان ، والتي سيصادرها الإمام عليه السلام ، وعقدوا الاجتماعات ، وتداولوا الآراء ، فاجمع رأيهم على المطالبة بدم عثمان واتهام الإمام بأنه يأوي قتلته ، واعلنوا العصيان المسلح ، وقد تذرعوا بالسيدة عائشة ، فأتخذوها واجهة لهم لاغراء الغوغاء الذين تلونهم حال الدعاية كيفما شاءت ، والذين هم بلية هذا الشرق على امتداد التاريخ ، وعلى أي حال فقد اسندوا لعائشة زعامة الحركة ، وقيادة القوات المسلحة ، وقد انضم عموم الأمويين وعلى رأسهم مروان إلى المتمردين ، وقد زحفوا إلى البصرة ، وقاموا باحتلالها ، وخف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بجيشه للقضاء على هذا التمرد ، وبعد معركة رهيبة ذكرها المؤرخون اندحرت قوات عائشة ، وألقي القبض عليها ، كما ألقي القبض على أعضاء قيادتها البارزين ، وفي طليعتهم مروان ، فتوسط الحسنان إلى أبيهما في اطلاق سراحه فعفا الإمام عنه ، فهرب مع أفراد أسرته إلى الشام التي هي معقل الامويين وظل مقيماً مع ابن عمه معاوية، وسار معه في جيشه لمحاربة السلطة الشرعية وبعد الأحداث الرهيبة ، والخطوب السود التي مُني بها المسلمون نال معاوية الخلافة بحد السيف تارة ، وبالمكيدة أخرى ، وقد نصب والياً على يثرب مروان ، عدة مرات ، ولما هلك معاوية ، وتقلد يزيد أزمة الحكم ، كان مروان في طليعة المؤيدين لحكومة يزيد ، وهو الذي أشار على الوليد الوالي على يثرب باعتقال الإمام عليه السلام إلا أنه رفض إجابته ، وبعد هلاك يزيد ، واستقالة معاوية الثاني من الخلافة كان مروان مصمماً على البيعة لابن الزبير إلا أن عبيد الله بن زياد منعه عن ذلك[1] لأنه لم يكن يحلم بها إذ ليس له

(١) مروج الذهب : ٣/٣١ .

ماض جيد أو أية خدمة اسداها إلى المسلمين حتى يستحق هذا المنصب الخطير .

وعلى أي حال فقد رشح الحصين مروان للخلافة ، وزعم أنه رأى في منامه أن قنديلاً معلق في السماء ، وأن من يلي الخلافة يتناوله ، فلم يتناوله أحد إلا مروان[1] ، وقص رؤياه على أهل الشام فاستجابوا له ، وانبرى روح بن زنباع فخطب في أهل الشام قائلاً :

« يا أهل الشام هذا مروان بن الحكم شيخ قريش ، والمطالب بدم عثمان ، والمقاتل لعلي بن أبي طالب يوم الجمل ، ويوم صفين ، فبايعوا الكبير »[2] وتسابق الانتهازيون والغوغاء إلى مبايعة مروان ، وهو أول حاكم للدولة المروانية التي عانى المسلمون في ظلالها الجور ، والفقر والحرمان .

اختفاء الشيعة :

وفي أيام حكومة مروان اختفى الشيعة خوفاً على أرواحهم وأموالهم يقول المسعودي : فاستخفى المؤمنون ، وكانت الشيعة تطلب في أقطار الأرض تهدر دماؤهم وأموالهم ، وأظهروا لعن أمير المؤمنين عليه السلام على منابرهم[3] .

سبه للإمام أمير المؤمنين :

وكان مروان ولعاً بسب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فكان يسبه على المنابر في كل جمعة حينما كان والياً على يثرب[4] وقد اعرب من السبب الذي دعاه إلى ذلك حينما التقى بالإمام زين العابدين عليه السلام فبادر مروان قائلاً :

---

(١) تاريخ ابن الأثير : ٣٢٧/٣ .
(٢) تاريخ اليعقوبي : ٣/٣ .
(٣) اثبات الوصية : (ص ١٦٨) .
(٤) حياة الإمام الباقر : ١٦/٢ .

« ما كان في القوم أدفعَ عن صاحبنا ـ يعني عثمان ـ ، من صاحبكم ، يعني علياً ـ » فقال الإمام :

« فما بالكم تسبونه على المنابر ؟ . . » .

وبادر مروان قائلاً :

« إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك . . »[1] .

إن انتقاص الإمام أمير المؤمنين وتشويه واقعه المشرق جزء لا يتجزأ من السياسة الأموية التي تركزت على الكذب والخداع والتضليل .

موضوعات :

وحفل التاريخ العربي ، والسنة الإسلامية بكثير من الموضوعات التي تعمد واضعوها التنكر للحق حفظاً لمصالحهم الضيقة ، ومن بين الموضوعات ما ذكرته بعض الروايات من أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان على صلة وثيقة بمروان ، وفي ما يلي ذلك .

١ ـ ذكر الذهبي[2] وابن حجر[3] أن الإمام زين العابدين (ع) قد روى عن مروان بن الحكم بعض الأحاديث النبوية، وهذا القول لا يمكن تصديقه بوجه لأن مروان لم يُعْنَ بالأحاديث النبوية ، ولا بالسنة الإسلامية ، فقد كان منصرفاً إلى الشؤون السياسية ، وتدعيم الحكم لبني أمية ، وزيادة ثرواته التي يختلسها من بيت مال المسلمين .

٢ ـ روى ابن سعد أن مروان بعث إلى الإمام زين العابدين عليه السلام رسولاً ، فقال له : إن أباك الحسين قد سأل مروان أن يقرضه أربعة آلاف دينار ، وفي ذلك الوقت لم تكن حاضرة عنده ، وقد تيسر له هذا المبلغ فإن أرادها بعثها إليه ، فطلبها الإمام منه ، وبقيت عنده فلم يكلمه فيها أحد من

---

(١) نهج البلاغة ١٣/ ٢٢٠ .

(٢) تاريخ الإسلام ٢/ورقة ٢٦٦ مصور في مكتبة السيد الحكيم .

(٣) تهذيب التهذيب : ٧/ ٣٠٤ .

بني مروان حتى قام هشام بن عبد الملك فطلبها منه ، فاحضرها الإمام فوهبها هشام له[٤] وهذه الرواية واضحة الوضع ، فإن الإمام الحسين عليه السلام أبي الضيم كان يزدري مروان ويحتقره ، وذلك لاستهتار مروان بسب الإمام أمير المؤمنين وانتقاصه وهو الذي أشار على والي المدينة أن يقتل الحسين إن لم يبايع يزيداً ، ومع هذا العداء القائم بينهما كيف يخضع الإمام الحسين عليه السلام ، ويطلب منه قرضاً ؟ ثم كيف يستقرض الإمام زين العابدين عليه السلام منه هذا المبلغ مع توتر العلاقات بينه وبين بني أمية الذين فجعوه بقتل أبيه ؟

٣ ـ من الموضوعات ما ذكره بعض الرواة أن مروان بن الحكم عرض على الإمام زين العابدين عليه السلام أن يتزوج ببعض النساء ليرزقه الله ذرية تكون امتداداً لذرية الحسين (ع) الذين أبادتهم سيوف الأمويين ، فقال له الإمام إنه لا يملك المبلغ الذي يتزوج به فأقرضه مروان مائة ألف ، فأخذها وتزوج ببعض النساء ، ولما حضرت الوفاة مروان أوصى ابناءه بعدم أخذ المال من علي بن الحسين، وعلق الذهبي على هذه الرواية بقوله : أن مروان لم يمت حتف أنفه ، وإنما خنقته زوجته أم خالد زوجة يزيد ، فمتى كان يملك وعيه في حال وفاته حتى أوصى بهذا المال إلى علي بن الحسين[١] .

هلاك مروان :

ولم تطل خلافة مروان ، فقد بقي على كرسي الحكم حفنة من الأشهر ، وقد أخبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن مدة خلافته بأنها كلعقة الكلب أنفه[٢] وقد انطوت بهلاكه صفحة من صفحات الخيانة والاثم والباطل .

عبد الملك بن مروان :

وآلت الخلافة الإسلامية التي هي ظل الله في الأرض إلى جبار عنيد من جبابرة بني أمية هو عبد الملك بن مروان ، وكان قد بويع له في حياة أبيه ،

---

(١) الطبقات الكبرى : ٥/٢١٥ .

(٢) سير اعلام النبلاء : ٤/٢٣٨ مصور .

فلما هلك أبوه جددت له البيعة بدمشق ومصر[1] ويقول الرواة : إنه كان قبل أن يلي الخلافة يظهر النسك والعبادة وذلك لاغراء العامة ، وتمهيد أرضية لحكومته ، ولما بُشر بالملك كان بيده المصحف الكريم فاطبقه ، وقال : هذا آخر العهد بك ، أو قال : هذا فراق بيني وبينك[2] وصدق في ما قال : فقد فارق كتاب الله وأحكام الإسلام منذ اللحظة الأولى من حكومته ، وساس المسلمين سياسة سوداء ، وسلط عليهم ذئاب البشرية فنشروا الجور والظلم والارهاب .

لقد كان عبد الملك طاغية جباراً لا يبالي ما صنع ـ على حد تعبير المنصور الدوانيقي[3] ـ وهو القائل : لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه[4] واسمعوا ما يقول : إني لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم[5] أرأيتم كيف يعامل الرعية ويقسو عليها ؟ إنه لا يداويها بالرحمة والاحسان ، وإنما يداويها بالبطش والجور والظلم التي هي من عوامل استمتاعه النفسي ، بل ومن عناصره ، وذاتياته . . . وقد اسرف في سفك الدماء بغير حق فنشر الثكل والحزن والحداد في بيوت المسلمين ، وقد قالت له أم الدرداء : بلغني أنك شربت الطلى ـ يعني الخمر ـ بعد العبادة والنسك ، فقال لها : إي والله ، والدماء شربتها[6] لقد شرب من دماء المسلمين حتى ارتوى ، واراق من دمائهم انهاراً .

ويضاف إلى جبروته وبطشه وظلمه أنه كان بخيلاً حتى سمي « رشح الحجارة »[7] وقد عانت الأمة في أيام حكمه الجوع والفقر والحرمان ونعرض ـ بايجاز ـ لبعض مظالمه ، وإلى مواقفه من الإمام زين العابدين عليه السلام .

---

(١) تاريخ ابن كثير : ٨/ ٢٦٠ .
(٢) تاريخ ابن كثير : ٨/ ٢٦٠ .
(٣) النزاع والتخاصم للمقريزي : (ص ٨) .
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي : (ص ٢١٩) .
(٥) الذهب المسبوك للمقريزي : (ص ٢٩) .
(٦) تاريخ الطبري .
(٧) تاريخ القضاعي : (ص ٧٢) .

ولايته للحجاج :

وصب عبد الملك على المسلمين وابلاً من العذاب الأليم ، وأحال حياتهم ألى جحيم لا يطاق فقد سلط عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي الذي هو أقذر ارهابي عرفته البشرية في جميع مراحل تاريخها ، وقد منحه صلاحيات واسعة النطاق ، فجعله يتصرف في أمور الدولة حسب رغباته وميوله التي لم تكن تخضع بأي حال لمنطق القانون ، وإنما تخضع لمنطق البطش والاستبداد ، فكان يعدم ويسجن ويطارد المواطنين لا من أجل حفظ النظام ، وإنما من أجل التشهي ورغباته النفسية ، وقد خلق جواً من الازمات السياسية لم يشاهد مثلها في قسوتها ومرارتها ، ونتحدث بايجاز عن بعض مظاهر ظلمه .

سفكه للدماء :

لقد سفك هذا الطاغية الجبار دماء المسلمين بغير حق ، يقول الدَّميري : « كان الحجاج لا يصبر عن سفك الدماء ، وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره »[١] وقد أحصي من قتلهم صبراً سوى من قتل في حروبه فكانوا مائة وعشرين ألفاً[٢] وقيل مائة وثلاثون ألفاً[٣] وقد اعترف رسمياً بسفكه للدماء بغير حق ، فكان يقول : والله ما اعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دم مني[٤] وقد وضع سيفه في رقاب القراء والعباد والعلماء لأنهم أيدوا ثورة ابن الأشعث ، ومن جملة من قتلهم صبراً العالم الكبير سعيد بن جبير وهو أحد اعلام الشيعة ، وقد أبَّنه الحسن البصري بقوله : والله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات ، وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون لعلمه[٥] .

---

(١) حياة الحيوان : ١/١٦٧ .
(٢) تهذيب التهذيب : ٢/٢١١ تيسير الوصول : ٤/٣١ .
(٣) حياة الحيوان : ١/١٧٠ .
(٤) طبقات ابن سعد : ٦/٦٦ .
(٥) حياة الحيوان : ١/١٧١ .

استهانته بالنبي :

وكان الحجاج من ألد أعداء النبي (ص) ومن أحقدهم عليه ، وكان يفضل عبد الملك على النبي العظيم (ص) فقد خاطب الله تعالى أمام الناس قائلاً : أرسولك أفضل ـ يعني النبي ـ أم خليفتك ـ يعني عبد الملك[١] ـ وكان ينقم ويسخر من المسلمين الذين يزورون قبر النبي (ص) ويقول : تباً لهم إنما يطوفون باعواد ورمة بالية ، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ، ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله[٢]؟ لقد فضل هذا الجلف عبد الملك على الرسول العظيم الذي بعثه الله رحمة للعالمين وكما استهان هذا الانسان الممسوخ بالنبي (ص) فقد استهان بالبقية الباقية من أصحابه ، ويقول المؤرخون : أنه عمل على اذلالهم[٣] فقد ختم على أعناقهم وأيديهم[٤] .

عداؤه لآل البيت :

وكان هذا المجرم الخبيث من أحقد الناس على آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وقد كتب إلى عبد الملك إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين ، فلم يستجب له عبد الملك ، وكتب إليه : « أما بعد : فجنبني دماء بني هاشم ، واحقنها فإني رأيت آل أبي سفيان لما ولغوا فيها لم يلبثوا[٥] أن أزال الله عنهم الملك . . » .

ولما علم الإمام عليه السلام بذلك شكر عبد الملك ، واثنى عليه[٦] ويقول المؤرخون أن خير وسيلة للتقرب للحجاج هي انتقاص الإمام أمير المؤمنين فقد أقبل إليه بعض المرتزقة من أوغاد الناس ، وهو رافع عقيرته قائلاً : « أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني علياً ، وإني فقير بائس ، وأنا

---

(١) رسائل الجاحظ (ص ٢٩٧) النزاع والتخاصم للمقريزي : (ص ٢٧) .
(٢) شرح النهج ٢٤٢/١٥ .
(٣) خلاصة الذهب المسبوك للأربلي (ص ٩) .
(٤) تاريخ الخلفاء (ص ٢٢١) .
(٥) في الأصل : يثبتوا ، والأصح ما أثبتناه .
(٦) الخرايج والجرايح من مخطوطات مكتبة السيد الحكيم تسلسل ٢٣١ .

إلى صلة الأمير محتاج . . »

فسر الحجاج بذلك ، وقال له : للطف ما توسلت به ، فقد وليتك موضع كذا »[1] وروى هشام الكلبي قال : أدركت بن أود[2] وهم يعلمون أبناءهم وحرمهم سب علي بن أبي طالب ، وفيهم رجل من رهط عبد الله بن ادريس بن هانىء فدخل على الحجاج بن يوسف ، فكلمه بكلام ، فاغلظ له الحجاج في الجواب فرد عليه قائلاً : « لا تقل هذا أيها الأمير ، فلا لقريش ، ولا لثقيف منقبة يعتدون بها إلا ونحن نعتد بمثلها . . » .

وبهر الحجاج فقال ما مناقبكم ؟ .

فانبرى الرجل قائلاً : ما ينقص عثمان ، ولا يذكر بسوء في نادينا قط .

ورفع الحجاج عقيرته قائلاً : هذه منقبة .

فقال الرجل : وما رؤي منا خارجي قط .

قال الحجاج : وهذه منقبة .

واندفع الرجل يعدد مآثر قومه قائلاً : « وما شهد منا مع أبي تراب مشاهده إلا رجل واحد فأسقطه ذلك عندنا ، وأخمله ، فما له عندنا قدر ولا قيمة » وسر الحجاج بذلك فقال : « هذه منقبة . . » .

وقال الرجل : « وما أراد منا رجل قط أن يتزوج امرأة إلا سأل عنها هل تحب أبا تراب ، وتذكره بخير ، فإن قيل إنها تفعل ذلك اجتنبها فلم يتزوجها . . » .

قال الحجاج : « هذه منقبه . . » .

قال الرجل : « وما وُلد فينا ذكر فسُمي علياً ، ولا حسناً ولا حسيناً ، ولا وُلدت فينا جارية فسميت فاطمة . . » .

قال الحجاج : « هذه منقبة . . » .

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي : ٢/٣٣٦ .

(٢) بنوأود : هم جي من بني سعد .

قال الرجل : « ونذرت منا امرأة حين أقبل الحسين ألى العراق أن قتله الله أن تنحر عشر جزر ، فلما قُتل وفت بنذرها . . » .

وابتهج الحجاج بهذه المنقبة فقال : وهذه منقبة . »

قال الرجل : « ودعي رجل منا إلى البراءة من علي ولعنه ، فقال : نعم وأزيدكم حسناً وحسيناً » .

وأسرع الحجاج قائلاً : « هذه منقبة والله . . » .

وقال الرجل : « وقال لنا أمير المؤمنين عبد الملك : أنتم الشعار دون الدثار ، وأنتم الأنصار بعد الأنصار . . » .

قال الحجاج : « هذه منقبة . . »[1] .

وحسب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فخراً ومجداً أنه لا يبغضه إلا من لا عهد له بالشرف والفضيلة أمثال الحجاج بن يوسف من الممسوخين .

هدمه للكعبة :

ومن جرائم هذا الطاغية وموبقاته اعتداؤه على البيت الحرام الذي جعله الله أمنا للناس ، فقد حاصره ستة أشهر وسبع عشر ليلة حينما استجار به ابن الزبير ، وقد أمر برمي الكعبة المشرفة فرميت من جبل أبي قبيس بالمنجنيق ، وكان قومه يرمونها ويرتجزون .

خطَّارة مثل الفنيق المزبد نرمي بها أعواد هذا المسجد[2]

ولم يرجُ هذا الطاغية وقاراً لبيت الله الحرام فقد انتهك حرمته ، وقبله يزيد بن معاوية لم يقم له أي حرمة .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٦/١١٩ ـ ١٢٠ وينسبها بعض المؤرخين إلى مسلم بن عقبة .
(٢) تهذيب ابن عساكر : ٤/٥٠ .

إعادة الإمام للحجر :

ولما هدم الحجاج الكعبة المشرفة ، وأراد عمارتها كان العلماء والقضاة يضعون الحجر الأسود في مكانه فلا يستقر ، فاقبل الإمام زين العابدين عليه ، وقد أحيط بهالة من التعظيم ، فأخذ الحجر فوضعه في مكانه فاستقر وعلت أصوات الناس بالتكبير[1] .

سجون :

واتخذ هذا الأرهابي المحترف سجوناً لا تقي من حر ولا برد ، وكان يعذب المساجين بأقسى ألوان العذاب وأشده ، فكان يشد على يد السجين القصب الفارسي المشقوق، ويجر عليه، حتى يسيل دمه يقول المؤرخون: أنه مات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة منهن ست عشرة الفاً مجردات ، وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد[2] واحصي في سجنه ثلاثة وثلاثون ألف سجين ، لم يحبسوا في دين ولا تبعة[3] وكان يمر على أهل السجن فيقول لهم : « اخسأوا فيها ولا تكلمون »[4] شبههم بأهل النار ، وشبه نفسه بالخالق العظيم عتواً وتكبراً .

هلاكه :

وانتقم الله من هذا المجرم الخبيث الذي أغرق البلاد بالمحن والخطوب فقد أصابته الأكلة في بطنه ، وسلط الله عليه الزمهرير فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة ناراً ، وتدنى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها وأخذت الآلام منه مأخذاً عظيماً فشكا ما هو فيه إلى الحسن البصري ، فقال له : قد كنت نهيتك أن تتعرض للصالحين فلججت ، فقال له : يا حسن لا اسألك أن تسأل الله أن يفرج عني ، ولكن اسألك أن تسأله أن يعجل قبض

---

(١) الصراط المستقيم ٢/١٨١ لزين الدين العاملي .
(٢) حياة الحيوان : ١/١٧٠ .
(٣) معجم البلدان : ٥/٣٤٩ .
(٤) تهذيب التهذيب : ٢/٢١٢ .

روحي ، ولا يطيل عذابي[1] وظل الجلاد الخبيث يعاني آلام الموت وشدة النزع حتى هلك ، ومضت روحه الخبيثة إلى جهنم مقرنة بالاصفاد ، وقد انكسر بموته باب الجور ، وانحسرت روح الظلم ، فاهون به هالكاً ومفقوداً ، ولما بلغ هلاكه الحسن البصري قال : اللّهم أنت أمته ، فأمت سنته ، أتانا اخيفش قصير البنان ، والله ما عرق له عذار في سبيل الله قط ، فمن كفره وكبره ، أن قال : بايعوني ، وإلا ضربت أعناقكم[2] . وقال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها ، وجئنا بالحجاج لغلبناهم[3] وقال الشعبي : لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم[4] لقد تلقى المسلمون نبأ وفاة هذا المجرم الخبيث بمزيد من الافراح ، وكانت لعناتهم تلاحقه من يوم هلاكه حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ظلم الولاة للرعية :

وسلط عبد الملك على العالم الإسلامي شرار خلق الله فاشاعوا الجوروالظلم ، وقد استعمل على يثرب هشام بن اسماعيل المخزومي فأساء السيرة ، وجار في الأحكام ، وتحامل على آل النبي (ص)[5] كما تعرض للفقيه سعيد بن المسيب فضربه ستين سوطاً ظلماً وعدواناً ، وطاف به[6] وقد عج المواطنون بالشكوى إلى عبد الملك فلم يجدوا الاستجابة بل وجدوا اللوم والتقريع ، وقد شكا النمري إليه ما حل بقومه من الظلم والاضطهاد ونهب الأموال ، قال في قصيدة له :

أما الفقير الذي كابت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد[7]

---

(١) وفيات الأعيان ٦/٣٤٧ .
(٢) تهذيب التهذيب ٢/٢١٣ .
(٣) الكامل لابن الأثير ٤/١٣٣ .
(٤) تحفة الأنام للفاخوري (ص ٩٣) .
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٤٠ .
(٦) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٧ .
(٧) الحلوبة : هي الناقة التي لها لبن ، السبد: الوبر ، والمعنى أنه لم يترك لهم شيئاً ، فقد صادر جميع أموالهم .

واختل ذو المال والمثرون قد بقيت على القلاقل من أموالهم عقد[1]
فإن رفعت بهم رأساً نعشتهم وإن لقوا مثلها من قابل فسدوا[2]

ومعنى هذا الشعر أن السلطة قد صادرت أقوات الفقراء ، وسلبتهم جميع ثرواتهم، ولم تترك لهم حتى وبر الأبل، وكذلك اعتدت على الأغنياء فعطلت نمو أموالهم ، والشاعر يستعطف عبد الملك لينعش قومه ، ويرفع عنهم المظالم ، وان لم ينجدهم فإنهم سوف يهلكون .

الإمام وعبد الملك :

أما شؤون الإمام عليه السلام مع عبد الملك بن مروان فهي كما يلي .

معه في الطواف :

كان عبد الملك يطوف بالبيت الحرام ، والإمام عليه السلام يطوف أيضاً ، وقد أحيط بهالة من الاكبار من قبل الحجاج ، فسأل عنه عبد الملك فقيل له : هذا علي بن الحسين فاستدعاه ، فقال له :

« يا علي بن الحسين ، إني لست قاتل أبيك ، فما يمنعك من المسير إلي ؟ » .

فلم يعن به الإمام وأجابه :

« إن قاتل أبي أفسد بما فعله ، دنياه ، عليه ، وأفسد أبي عليه آخرته ، فإن أحببت أن تكون هو فكن . . » .

وانحط كبرياء عبد الملك ، وراح يقول :

« كلاَّ ولكن سر إلينا لتنال من دنيانا . . . » .

وامتنع الإمام عليه السلام من إجابته[3] .

---

(١) اختل : افتقر ، القلاقل : الاضطرابات . وقد وردت في الأصل ـ الثلاثل ـ والصحيح ما أثبتناه .
(٢) طبقات ابن سلام (ص ٤٤١) .
(٣) اثبات الهداة ٥/٢٢٩ .

عبد الملك يطلب سيف النبي :

وبلغ عبد الملك أن سيف رسول الله (ص) عند الإمام زين العابدين عليه السلام ، فبعث يستوهبه ، ويسأله الحاجة ، فامتنع الإمام من إجابته فكتب إليه عبد الملك يتهدده ، ويتوعده بقطع رزقه من بيت المال ، فأجابه الإمام عليه السلام .

« أما بعد : فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون ، والرزق من حيث لا يحتسبون ، وقال جل ذكره : ﴿إن الله لا يحب كل خوان فخور﴾ فانظر أينا أولى بهذه الآية والسلام . . »[1] .

إنكاره على الإمام :

كان لعبد الملك عين بالمدينة يكتب إليه بجميع ما يحدث فيها ، وقد اعتق الإمام عليه السلام جارية ثم تزوج بها ، فكتب إليه بذلك ، وقد استغلَّ عبد الملك هذه الحادثة فأنكر على الإمام ذلك ، وكتب له :

« أما بعد : فقد بلغني تزويجك مولاتك ، وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش ، من تمجد به في الصهر ، وتستنجبه في الولد ، فلا لنفسك نظرت ، ولا على ولدك أبقيت والسلام . . » .

وتحمل هذه الرسالة روح الجاهلية وتقاليدها التي تحرم على العربي أن يتزوج بغير العربية ؛ فأجابه الإمام بمنطق الإسلام بالرسالة التالية « أما بعد : فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي ، وتزعم أنه قد كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر ، واستنجبه في الولد ، وأنه ليس فوق رسول الله (ص) مرتقى في مجد ، ولا مستزاد في كرم ، وإنما كانت ملك يميني خرجت مني بأمر إراده الله عز وجل ، التمست فيه ثوابه ، ثم ارتجعتها على سنته ، ومن كان زكياً في دين الله فليس يخل به شيء من أمره ، وقد رفع الله

---

(١) اعيان الشيعة : ٤/ق ٢/ ٩٨٠ .

بالإسلام الخسيسة وتمم به النقيصة، وأذهب اللوم، فلا لوم على امريء مسلم إنما اللوم لوم الجاهلية والسلام . . »[1] .

وتبنى الإسلام بصورة إيجابية وفعالة الغاء العنصريات ، وسائر الحواجز التي تفرق بين أبناء المجتمع الإسلامي ، وتخلق الأنانية والكراهية بينهم ، وقد بنى تنظيم الأسرة على المساواة في الإسلام لا على الأحساب والأنساب ، ولم يع عبد الملك هذا الواقع المشرق ، فراح ينكر على الإمام عليه السلام لأنه تزوج بأمة مسكينة بعد أن اعتقها ، فأي ضيرٍ أو لوم عليه ، إنما اللوم لوم الجاهلية وعاداتها العفنة ، ويقول المؤرخون : إن عبد الملك لما قرأ رسالة الإمام عليه السلام بهر بها وقال :

« إن علي بن الحسين يتشرف من حيث يتضعِ الناس . . »[2] .

رسالة من الإمام لعبد الملك :

وبعث الإمام عليه السلام رسالة إلى عبد الملك دعاه فيها إلى تقوى الله ، ولزوم طاعته ، وهذا نصها :

« أما بعد : فانك أعز ما تكون بالله ، وأحوج ما تكون إليه ، فإن عززت به فاعف له ، فإنك به تقدر ، وإليه ترجع ، والسلام . . »[3] .

وهذه الرسالة ـ على إيجازها من أبلغ الرسائل العربية ، وقد حفلت بأمر بالغة الأهمية وهي :

١ ـ الدعوة إلى تقوى الله التي هي السبب في العز والمجد ، وليس الملك والسلطان سببين لذلك .

٢ ـ إن عبد الملك مهما أوتي من ملك فهو أحوج ما يكون لله لأنه تعالى

---

(١) اعيان الشيعة : ٤/ق ٢/ ٤٧٩ ، وقريب منها في العقد الفريد ٧/ ١٢١ .

(٢) العقد الفريد : ٧/ ١٢١ .

(٣) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ص ٢١٧) بهجة المجالس وأنس المجالس: ٢/ ٣٢١ـ ٣٢٢ .

هو القادر على أن ينزع الملك عنه .

٣ ـ الدعوة إلى العفو عن المقترفين لبعض الذنوب تقرباً إلى الله الذي إليه يرجع أمر العباد .

اعتقال الإمام :

وشاع علم الإمام عليه السلام وزهده وورعه وتقواه في جميع انحاء العالم الإسلامي ، وتحدثت الأندية بفضائله ومآثره ، ونقل ذلك إلى عبد الملك فانتفخ سحره ، وتميز من الغيظ والحقد ، فأمر بالقاء القبض عليه ، وحمله إلى دمشق، وقد جرت منقبة له في سفره، فقد روى الزهري لنا ذلك قال : شهدت علي بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام ، فأثقله حديداً ، ووكل به حفاظاً في عدة وجمع ، فاستأذنتهم في التسليم عليه ، والتوديع له ، فأذنو إلي فدخلت عليه وهو في قبة ، والقيود في رجليه ، والغل في يديه[1] فبكيت ، وقلت له : وددت أني مكانك ، وأنت سالم ، فقال : يا زهري اتظن أن هذا مما ترى علي وفي عنقي يكربني ؟ أما لو شئت ما كان ، فإنه وإن بلغ بك وبأمثالك ليذكرني عذاب الله ثم أخرج يديه من الغل ، ورجليه من القيد ، ثم قال : يا زهري لاجزت معهم على ذا منزلتين من المدينة ، قال : فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به ، يطلبونه بالمدينة فما وجدوه ، فكنت في من سألهم عنه ، فقال لي بعضهم : إنا لنراه متبوعاً ، أنه لنازل ، ونحن حوله لا ننام نرصده ، إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا الحديد ، قال الزهري : فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته ، فقال لي : إنه قد جاء في يوم فقده الأعوان ، فدخل علي ، فقال : ما أنا وأنت ؟ فقلت : أقم عندي ، فقال : لا أحب ، ثم خرج ، فوالله فقد امتلأ ثوبي منه خيفة ، قال الزهري : فقلت : يا أمير المؤمنين ليس على بن الحسين حيث تظن أنه مشغول بنفسه ، فقال : حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به[2] .

---

(١) وفي رواية : والغل في عنقه .

(٢) كفاية الطالب (ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩) جامع كرامة الأولياء ٢/١٥٦ ، شرح شافية أبي فراس ورقة =

إن الله تعالى يجري الكرامات والمناقب على يد أوليائه ، تعزيزاً لهم وتعظيماً لشأنهم ، ودعماً للقوى الروحية .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الأحداث التي جرت للإمام عليه السلام مع عبد الملك بن مروان .

هلاك عبد الملك :

ومرض عبد الملك مرضه الذي توفي فيه ، ولم تجده معالجة أطبائه ، فقد أخذ يدنو إليه الموت سريعاً ، وكان فيما يقول المؤرخون قلقاً مضطرباً تراوده اعماله المنكرة ، وما اقترفه من الظلم والجور وسفك الدماء بغير حق ، فكان يضرب على رأسه ، ويقول : وددت أني اكتسبت قوتي يوماً بيوم ، واشتغلت بعبادة ربي عز وجل وطاعته[1] .

وعهد بالملك من بعده إلى ولده الوليد ، وأوصاه بالارهابي السفاح الحجاج خيراً ، وقال له : « وانظر الحجاج فأكرمه ، فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر وهو سيفك يا وليد ، ويدك على من ناواك ، فلا تسمعن فيه قول أحد وأنت إليه أحوج منه إليك ، وادع الناس إذا متُ إلى البيعة فمن قال : برأسه هكذا ، فقل : بسيفك هكذا . . »[2] .

ومثلت هذه الوصية اندفاعاته نحو الشر حتى في الساعات الأخيرة من حياته ، فقد أوصى بالسفاح الأثيم الحجاج خيراً ، وهو الذي أغرق البلاد في المحن والخطوب وأشاع الثكل والحزن والحداد بين المسلمين ، كما أوصى بالقتل لكل من تحدثه نفسه بعدم الرضا بالحكم الأموي ، ولم يبق بعد هذه الوصية إلا لحظات حتى وافته المنية[3] وكانت وفاته في يوم الاربعاء في

= ١٠٤ الجزء الثاني ، تاريخ دمشق ١٤٨/٣٦ ، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ٤٣/٢ - ٤٤ ، بحر الانساب ورقة ٤٢ البحار ١٢٣/٤٦ ، اعيان الشيعة ق ٢٣٥/٤/١ ، حلية الأولياء وغيرها .

(١) البداية والنهاية : ٦٨/٩ .

(٢) تأريخ الخلفاء للسيوطي : (ص ٢٢٠) .

(٣) حياة الإمام محمد الباقر : ٤٠/٢ .

النصف من شوال سنة (٨٦ هـ)[١] وقد سئل عنه الحسن البصري ، فقال : ما أقول في رجل كان الحجاج سيئة من سيئاته[٢] .

الوليد بن عبد الملك :

وتقلد الوليد أزمة الملك في اليوم الذي توفي أبوه عبد الملك ، ووصفه المسعودي بأنه كان جباراً عنيداً، ظلوماً غشوماً[٢] ، وكن يغلب عليه اللحن، وقد خطب في الجامع النبوي فقال: يا أهل المدينة ـ بالضم ـ «فأهل» منادى مضاف والقاعدة النحوية تقتضي النصب، وخطب يوماً فقال: يا ليتها كانت القاضية ، وضم التاء ، فقال عمر بن عبد العزيز : عليك واراحتنا منك ، وعاتبه أبوه على إلحانه ، وقال : أنه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم ، فجمع أهل النحو ، ليعلموه، ودخل بيتاً فلم يخرج منه ستة أشهر، ثم خرج منه ، وهو أجهل منه يوم دخل[٣] وقد طعن عمر بن عبد العزيز في حكومته ، وقال كلمته المشهورة فيه :

« إنه ممن أمتلأت الأرض به جوراً . . »[٤] .

وفي عهد هذا الطاغية الجبار استشهد العالم الإسلامي الكبير سعيد بن جبير على يد الجلاد الممسوخ الحجاج بن يوسف ، وكان قتله من الأحداث الجسام التي رُوع بها المسلمون .

وولى هذا الطاغية على يثرب صالح بن عبد الله المري ، وكتب إليه باخراج العلوي الحسن بن الحسن من السجن ، وضربه خمسمائة سوط ، فاخرجه إلى المسجد ليضربه أمام الناس ، ولما سمع الإمام زين العابدين عليه السلام بذلك خف إليه مسرعاً ودنا منه ، وقال له :

---

(١) البداية والنهاية : ٦٨/٩ .
(٢) مروج الذهب : ٩٦/٣ .
(٣) تأريخ ابن الأثير : ١٣٨/٤ .
(٤) تأريخ الخلفاء : (ص ٢٢٣) .

« يا ابن العم ادع بدعاء الكرب يفرج الله عنك . . » .

« ما هو ؟ . . » .

قل : « لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان الله رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين . . » .

وجعل الحسن يردد هذا الدعاء، ويدعو الله باخلاص، فصرف الله عنه، فلم ينفذ الوالي ما أمر به ، واشفق عليه ، وكتب إلى الوليد ابن عبد الملك بشأنه ، فأمره بالأفراج عنه[1] .

ويقول المؤرخون : أن الوليد كان من أحقد الناس على الإمام زين العابدين عليه السلام ، وكان يرى أنه لا يتم له الملك والسلطان مع وجود الإمام عليه السلام فدس له السم[2] وسنذكر ذلك في نهاية المطاف .

وعلى أي حال فإن الوليد هو آخر من عاصرهم الإمام من ملوك الأمويين .

موقف الإمام :

أما موقف الإمام عليه السلام مع ملوك عصره فكان يتسم بالكراهية والبغض لهم وذلك لفساد اعمالهم ، وسوء سياستهم ، وانحرافهم عن الطريق القويم ، ولكنه في نفس الوقت كان يأمل عزة الإسلام ، وانتصار جيوشه على جيوش الكفر والإلحاد لترتفع راية الله عالية خفاقة في الأرض .

دعاؤه لأهل الثغور :

وهو من الأدعية الجليلة التي تنم عن سمو الإمام عليه السلام ، وعظيم ملكاته التي لم تخضع لأية رغبة نفسية سوى ما يتصل منها بالحق ، ولنستمع

---

(١) الاتحاف بحب الاشراف (ص ٧٦) .

(٢) الدر النظيم : (ص : ١٨٢) .

إلى هذا الدعاء الجليل الذي كان يدعو به لأهل الثغور .

« اللَّهم صل على محمد وآله ، وحصن ثغور المسلمين بعزتك ، وأيد حماتها بقوتك ، وأسبغ عطاياهم من جدتك[1] اللهم صل على محمد وآله ، وكثر عدتهم واشحذ[2] اسلحتهم ، واحرس حوزتهم ، وامنع حومتهم[3] والف جمعهم ، ودبر أمرهم ، وواتر بين ميرهم[4] وتوحد بكفاية مؤنهم[5] واعضدهم بالنصر[6] وأعنهم بالصبر[7] والطف بهم في المكر[8] اللهم صل على محمد وآله ، وعرفهم ما يجهلون ، وعلمهم ما لا يعلمون ، وبصرهم ما لا يبصرون .

اللَّهم صل على محمد وآله ، وأنسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخداعة الغرور ، وامح عن قلوبهم خطرات المال الفتون ، واجعل الجنة نصب أعينهم ، ولوح[9] منها لابصارهم ما اعددت فيها من مساكن الخلد، ومنازل الكرامة ، والحور الحسان ، والأنهار المطردة[10] بأنواع الأشربة ، والأشجار المتدلية بصنوف الثمر حتى لا يهم أحد منهم بالادبار، ولا يحدث نفسه عن قرنه بفرار . . » لقد حفل هذا المقطع بالدعاء لحرس الإسلام وحماته المرابطين بالثغور الذين يقفون سداً منيعاً يمنع تسرب العدو إلى الديار الإسلامية، فقد دعا لهم بالعزة والتأييد، وكثرة العدد، ونفوذ أسلحتهم في رقاب الاعداء كما دعا لهم بالالفة وتدبير الأمور ، واتصال ميرهم ، وكفاية مؤونتهم ليكونوا في استقرار ، وغنى ، ودعا لهم بالنصر فيما إذا التحموا مع

---

(١) الجدة : الغنى .
(٢) اشحذ : أي اجعلها سريعة النفوذ في رقاب اعدائك .
(٣) الحومة : الجماعة :
(٤) وواتر بين ميرهم : أي اجعل أطعمتهم متصلة بعضها ببعض .
(٥) وتوحد بكفاية مؤنهم : أي اكفهم وحدك حتى لا يحتاجون إلى غيرك .
(٦) واعضد لهم بالنصر : أي كن لهم عضداً في نفرك .
(٧) واعنهم بالصبر : أي اعنهم بالصبر على اعدائك .
(٨) والطف بهم في المكر : أي في المكر على اعدائك .
(٩) ولوح : أي اشر لهم .
(١٠) الانهار المطردة : أي الجارية .

اعدائهم وأن ينسيهم الله ذكر الدنيا ، وخطرات المال التي تمنع من الصمود أمام الاعداء ، وأن يجعل الله الجنة أمام أعينهم حتى يقاتلوا بصدق واخلاص .

إن هذه البنود المشرقة من دعاء الإمام عليه السلام تدلل على خبرته الواسعة بفنون الحرب ، وإحاطته بالأساليب النفسية التي تكتب للمجاهد النجاح في حرب الأعداء ، ولنستمع إلى مقطع آخر من هذا الدعاء الجليل .

« اللَّهم اقلل بذلك عدوهم ، واقلم عنهم أظفارهم[1] وفرق بينهم وبين أسلحتهم ، واخلع وثائق افئدتهم ، وباعد بينهم وبين أزودتهم[3] وحيرهم في سبلهم[4] وضللهم عن وجههم ، واقطع عنهم المدد ، وانقص منهم العدد واملأ افئدتهم الرعب ، واقبض أيديهم عن البسط ، واخزم[5] ألسنتهم عن النطق ، وشرد بهم من خلفهم ، ونكل بهم من وراءهم ، واقطع بخزيهم أطماع من بعدهم .

اللَّهم عقِّم أرحام نسائهم ، ويبِّس أصلاب رجالهم ، واقطع نسل دوابهم وأنعامهم[6] لا تأذن لسمائهم في قطر ، ولا لأرضهم في نبات ، اللهم وقو بذلك مِحالَّ أهل الإسلام ، وحصن به ديارهم ، وثمر به أموالهم ، وفرغهم عن محاربتهم لعبادتك[7] وعن منابذتهم للخلوة بك ، حتى لا يعبد في بقاع الأرض غيرك ، ولا تعفر لأحد منهم جبهة دونك . . . » .

وحفلت هذه البنود بالدعاء الخالص على القوى المعادية والمحاربة للإسلام فقد سأل الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يقلل جيوشهم ، ولا

---

(١) تقليم أظفارهم : كناية عن كسر شوكتهم ، وتقليل قوتهم .
(٢) واخلع وثائق أفئدتهم : أي اخلع الوثائق التي تحكم قوتهم من وفرة السلاح وكثرة العدد .
(٣) الأزودة : جمع زاد .
(٤) السبل : الطرق .
(٥) اخذم : أي اخرس السنتهم .
(٦) يراد بالدواب الفرس ونحوه وبالانعام الابل والبقر والغنم .
(٧) وفرغهم عن محاربتهم : أي تكبت الاعداء وتخذلهم حتى يتمكن المسلمون من عبادتك

يجمع لهم كلمة ، ويباعد بينهم وبين أسلحتهم، ويملأ قلوبهم خوفاً ورعباً من المسلمين ، كما سأل من الله تعالى أن يخرس السنتهم عن النطق ، ويلحق بهم الهزيمة الماحقة التي تجعلهم نكالاً للعالمين ، ودعا على رجالهم ونسائهم بالعقم لأنهم لا يلدون إلا الكفار والمارقين، وسأل الله أن يدمر حياتهم الاقتصادية حتى لا يقووا على محاربة المسلمين، ثم دعا للمسلمين بالقوة والمنعة والعزة ليتفرغوا لعبادة الله تعالى ، وطاعته ، ولنستمع إلى مقطع آخر من هذا الدعاء الشريف .

« اللهم اغز بكل ناحية من المسلمين على من بإزائهم من المشركين ، وامددهم بملائكة من عندك مردفين ، حتى يكشفوهم[١] إلى منقطع التراب[٢] قتلاً في أرضك وأسراً ، أو يقروا بأنك أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت ، وحدك لا شريك لك ، اللهم واعمُم بذلك اعداءك في أقطار البلاد من الهند والروم والخزر[٣] والحبش والنوبة[٤] والزنج والسقالبة[٥] والديالمة وسائر أمم الشرك الذين تخفى اسماؤهم وصفاتهم ، وقد احصيتهم بمعرفتك وأشرفت عليهم بقدرتك ، اللهم اشغل المشركين بالمشركين ، عن تناول أطراف المسلمين ، وخذهم بالنقص عن تنقصهم[٦] وثبطهم بالفرقة عن الاحتشاد عليهم ، اللهم أخل قلوبهم من الأمَنَةِ ، وأبدانهم من القوة، وأذهل قلوبهم عن الاحتيال[٧] وأوهن اركانهم عن منازلة الرجال ، وجبنهم عن مقارعة الابطال ، وابعث عليهم جنداً من ملائكتك ببأس من بأسك كفعلك يوم بدر ، تقطع به دابرهم ، وتحصد به شوكتهم ، وتفرق به عددهم . . . » ويحكي هذا المقطع عن مدى حرص الإمام عليه السلام واهتمامه بانتصار الإسلام على المشركين

---

(١) حتى يكشفوهم : أي حتى يهزموهم .

(٢) منقطع التراب : هو أقاصي الأرض .

(٣) الخزر : قسم من الترك ، سموا بذلك لضيق أعينهم .

(٤) الحبش والنوبة قسم من السودان .

(٥) السقالبة : قريبون من بلاد المغرب .

(٦) خذهم بالنقص عن تنقصهم : المراد هو أخذ المشركين بالنقص في عددهم حتى لا يتمكنوا من تنقيص المسلمين .

(٧) عن الاحتيال : أي لا يحتالوا على المسلمين .

فهو يسأل من الله أن يمدَّ المسلمين بملائكة مردفين ليهزموا الكفار إلى أقاصي الأرض ، ويوقعوا فيهم القتل والأسر والدمار ، أو يرجعوا إلى منطق الفكر والعقل فيقروا ويعترفوا بوحدانية الله خالق الكون وواهب الحياة .

ويأخذ الإمام عليه السلام بالدعاء على القوى الكافرة المنتشرة في بقاع الأرض ، فهو يدعو عليهم بالذل والضعف والهوان ، وأن ينشر بينهم العداوة والبغضاء حتى لا تجتمع لهم كلمة على محاربة الإسلام ، كما دعا عليهم أن يخلي الله قلوبهم من الأمن ، وأبدانهم من القوة ويوهن أركانهم عن منازلة المسلمين ، وأن يمد المسلمين بملائكة مردفين لنصرهم كما مدهم في يوم بدر ليحصد بهم شوكة المشركين ، ويفرق جمعهم وعددهم ، ولنستمع إلى مقطع آخر من هذا الدعاء الجليل .

« اللهم وامزج مياههم بالوباء ، وأطعمتهم بالأدواء ، وارم بلادهم بالخسوف وألح عليها بالقذوف[1] وافرعها[2] بالمحول[3] واجعل ميرهم[4] في أحصِّ أرضك[5] وأبعدها عنهم ، وامنع حصونها منهم ، أصبهم بالجوع المقيم ، والسقم الأليم ، اللهم وايما غاز غزاهم من أهل ملتك ، أو مجاهد جاهدهم من اتباع سنتك ليكون دينك الأعلى ، وحزبك الأقوى ، وحظك الأوفى فلقه اليسر[6] وهيء له الأمر[7] وتوله بالنجح ، وتخير له الأصحاب ، واستقوله الظهر[8] وأسبغ عليه في النفقة ، ومتعه بالنشاط ، وأَطْفِ عنه حرارة الشوق ، وأجره من غم الوحشة[9] وأنسه ذكر الأهل والولد

---

(١) والح عليها بالقذوف : أي كرر على بلادهم بقذف الدمار والخراب .
(٢) افرعها : أي فرقها .
(٣) المحول : الجدب والقحط .
(٤) ميرهم : جمع ميرة ، وهي الطعام .
(٥) في أحصِّ ارضك : أي في أخلاها من العشب والنبات .
(٦) فلقه اليسر : أي يسر له أموره .
(٧) هيء له الأمر : أي هيء له أموره في جهاده لأعداء الإسلام .
(٨) واستقوله الظهر : أي قوظهره .
(٩) غم الوحشة : أي حزنها .

وَأُثْرُ له[1] حسن النية، وتولَّه بالعافية، وأصحبه السلامة ، وأعفه من الجبن، وألهمه الجرأة ، وارزقه الشدة[2] وأيده بالنصر ، وعلمه السير والسنن ، وسدده في الحكم[3] واعزل عنه الرياء ، وخلصه من السمعة ، واجعل فكره وذكره وظعنه[4] واقامته ، فيك ولك، فإذا صافَّ عدوك وعدوه[5] فقللهم في عينه، وصغر شأنهم في قلبه ، وأدل له منهم[6] ولا تدلهم منه[7] فإن ختمت له بالسعادة ، وقضيت له بالشهادة فبعد أن يجتاح[8] عدوك بالقتل ، وبعد أن يجهد[9] بهم الأسر ، وبعد أن تأمن اطراف المسلمين ، وبعد أن يولي عدوك مدبرين[10] . . . » .

حفل هذا المقطع من دعاء الإمام عليه السلام بما يلي .

أولاً : الدعاء على القوى المحاربة للإسلام ، والباغية عليه فقد دعا عليها بالوباء، المسمى في هذا العصر بـ « الكوليرا » وهو ينتشر عن طريق الماء فيصاب بهذا الوباء كل من شربه ، وقد كشف الإمام في دعائه هذه الحقيقة العلمية ، كما دعا عليهم بأن تلوث أطعمتهم بالجراثيم ليصابوا بالأمراض حتى لا يقووا على محاربة الإسلام ، وسأل الله أن يبتليهم بالخسوف والزلزال المدمرين ، ويصيبهم بالجدب والقحط ، ويقلل أطعمتهم حتى يكونوا بأسوأ حال .

ثانياً : الدعاء بالعزة والمنعة والنصر لكل من جاهد في سبيل

---

(١) وأُثْر له : أي اختر له .
(٢) وارزقه الشدة : أي الشدة على اعداء الله .
(٣) سدده في الحكم : يعني أن يحكم بالحق والعدل .
(٤) ظعنه : أي ظعنه : أي : سفره ، من الظعينة ، : الناقة يُرْتَحلُ عليها ، أو ، المرأة في هودجها .
(٥) فإذا صاف عدوك وعدوه : أي التقيا ووقف كل منهما في صفٍ مقابل الصف الآخر استعداداً للحرب .
(٦) وأدل له منهم : أي غَلِّبه عليهم بأن يأخذ الدولة منهم .
(٧) ولا تدلهم منه : أي لا تأخذ الدولة منه إليهم .
(٨) يجتاح : أي يكتسح .
(٩) يجهد : أي يتعب .
(١٠) مدبرين : أي منهزمين .

الإسلام ، واعلاء كلمة الله ، ودحر القوى المعادية للإسلام ، فقد دعا لهم الإمام عليه السلام بالنجاح ، والقوة ، والنشاط ، والعافية ، والشجاعة ، والجرأة ، والشدة على الاعداء ، ولم يترك الإمام عليه السلام ظاهرة من ظواهر الخير إلا سأل الله تعالى أن يضفيها ويسبغها عليهم ، ولنستمع بعد هذا الفصل الأخير من دعائه .

« اللَّهم : وايما مسلم خلف غازياً[1] أو مرابطاً في داره ، أو تعهد خالفيه في غيبته ، أو أعانه بطائفة من ماله ، أو أمده بعتاد ، أو شحذه[2] على جهاد ، أو اتبعه في وجهه دعوة[3] أو رعى له من ورائه حرمة فأجر له مثل أجره وزناً ، بوزن ، ومثلاً بمثل ، وعوضه من فعله عوضاً حاضراً يتعجل به نفع ما قدم ، وسرور ما أتى به إلى أن ينتهي به الوقت إلى ما أجريت له من فضلك .

اللَّهم : وايما مسلم أهمه أمر الإسلام ، واحزنه تحزب أهل الشرك عليهم فنوى غزواً ، أو همَّ بجهاد فقعد به ضعف أو ابطأت به فاقة ، أو أخره عنه حادث ، أو عرض له دون إرادته مانع ، فاكتب اسمه في العابدين ، وأوجب له ثواب المجاهدين ، واجعله في نظام الشهداء والصالحين .

اللَّهم صل على محمد عبدك ورسولك ، وآل محمد صلاةً عالية على الصلوات مشرفة فوق التحيات ، صلاة لا ينتهي أمدها ولا ينقطع عددها كأتم ما مضى من صلواتك على أحد من أوليائك ، إنك المنان الحميد ، المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد . . . »[4] لقد دعا الإمام عليه السلام لكل من صار خليفة لغاز أو مرابط ، أو تعاهد عيالهم في حال غيابهم ، أو أعانهم بمالٍ أو أمدهم بعتاد ، أو ساقهم إلى جهاد ، فقد دعا لكل من قام بذلك أن يجزل الله له المزيد من الثواب ، ويؤجره كما يؤجر المرابطين ، والغازين ، كما دعا عيه السلام لكل مسلم اهتم بأمر الإسلام وحزن لتحزب المشركين على حربه ،

---

(١) خلف غازياً : أي صار خليفة لمجاهد .

(٢) شحذه : أي ساقه .

(٣) أو اتبعه في وجهه دعوة : أي دعا له امام وجهه بالنصر والتوفيق وغير ذلك .

(٤) الصحيفة السجادية : الدعاء السادس والعشرون .

فنوى غزوهم ، أو اهتم بالجهاد إلا أنه ألم به عارض فأقعده عن ذلك ، فقد دعا له الإمام عليه السلام أن يجعل الله ثوابه كثواب المجاهدين ، وأجره كأجرهم ، ويكون في سلك الشهداء وعداد الصالحين .

إلى هنا وينتهي بنا الحديث عن الملوك الذين عاصرهم الإمام عليه السلام .

عصر الامام

ليس هناك عصر من العصور الإسلامية - فيما احسب - قد مُني بالاضطراب السياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، مثل عصر الإمام زين العابدين عليه السلام . فقد ارتطم بالفتن ، والأحداث الجسام مما جعله يفقد روح الاستقرار والطمأنينة ويعيش في دوامة من القلق والاضطراب ، كما كان كل فرد من أبناء المجتمع يعيش على أعصابه تساوره الهموم والالآم ، وقد فقد الأمل في الحياة الكريمة فقد أمعن الحكم الأموي في نشر الظلم والاضطهاد ، وارغام الناس على ما يكرهون .

ونتحدث - بإيجاز - عن معالم الحياة العامة في عصر الإمام عليه السلام ، وعن الأحداث والمشاكل السياسية التي داهمت المسلمين ، والتي عانوا منها أمر الفتن والخطوب ، كما نتحدث عن معالم الحياة الاقتصاديه والاجتماعية ، وغيرها فإن البحث عن ذلك من متممات الحديث عن حياة الإمام عليه السلام وفي ما يلي ذلك .

الحياة السياسية :

أما الحياة السياسية في عصر الإمام عليه السلام فقد كانت قلقة ومضطربة كأشد ما يكون القلق والاضطراب ، فقد خيم الذعر والخوف على الناس ،

وفقدوا جميع ألوان الأمن والاستقرار ، مما سبب تفكك المجتمع ، وشيوع الازمات السياسية الحادة ، وفيما اعتقد أن السبب الأول والأخير يعود في ذلك إلى فساد الحكم الأموي ، فقد اتجه بجميع أجزته إلى محاربة الاصلاح الاجتماعي ونشر الفساد في الأرض ، وهذا ما سنعرض له بصورة موضوعية بعيدة عن التحيز في البحوث التالية :

طبيعة الحكم الأموي :

أما الحكم الأموي فقد سبب للمسلمين الكثير من المشاكل والخطوب ، وأخلد لهم الفتن والمصاعب ، وألقاهم في شر عظيم ، أما طبيعة ذلك الحكم ، والمظاهر البارزة فيه ، فهي :

الاستبداد :

لقد استبد الأمويون في حكمهم الشعوب الإسلامية ، فلم يكن هناك قانون تسير عليه الدولة ، وإنما كان هناك حكم تسيره عواطف الملوك ، واهواء وزرائهم ، ورغبات حاشيتهم ، يقول العلايلي : « إن نظام الحكم في عهد ملوك الأمويين لم يكن إلا ما نسميه في لغة العصر بنظام الأحكام العرفية ، هذا النظام الذي يهدر الدماء ، ويرفع التعارف على المنطق القانوني ، ويهدد كل أمرىء في وجوده ، وفي هذا العصر إذا كان يتخذ في ظروف استثنائية ، ولحالات خاصة يراد بها الارهاب ، واقرار الأمن ، فقد كان في العهد الأموي هذا النظام السائد ، وفي الحق أنه لا يمكننا أن نسمي هذا سلطة قضائية البتة ، بل ننكر بكل قوة أن يكون في العصر الأموي سلطة قضائية بالمعنى الصحيح إلا في فترات لا تلبث حتى يكون التباين طاغياً ، وأكبر الشواهد على هذا أن الخليفة أو حكومته تأتي ما تهوى بدون أن تتخذ لمآتيها شكليات قانونية على الأقل مما يشعر باحترام السلطة . . »[1] .

لقد أصبح الاستبداد السياسي الظاهرة البارزة في الحكم الأموي ، فقد

---

(١) الإمام الحسين (ص ٣٣٩) .

اتخذ الأمويون لهم منهجاً خاصاً في الحكم ، انهارت بسببه قواعد العدل السياسي والاجتماعي .

الجبروت :

وظاهرة أخرى من المظاهر البارزة في الحكم الأموي ، وهي الجبروت والكبرياء عند الحكام ، فقد استعلوا على الرعية ، واحتقروا الضعفاء ، واستهانوا بالفقراء ، وكانوا يرون أنهم وحدهم مصادر القوة في البلاد لا الشعب ، وأنهم الذين يضعون من شاؤوا ، ويرفعون من شاؤوا يقول معاوية : (نحن الزمان نضع من نشاء ، ونرفع من نشاء » ومعنى ذلك أنه ليس للخدمات الوطنية والاجتماعية التي يسديها الأحرار والمصلحون لبلادهم أية قيمة في رفع كيانهم ، وسمو مكانتهم اجتماعياً ، وإنما الذي يرفع ويضع - في العرف الأموي - هي السلطة وحدها .

وصور الوليد بن يزيد جبروت الأمويين وطغيانهم بهذه الأبيات .

فدع عنك ادِّكارك آل سعدى ... فنحن الأكثرون حصى ومالاً
ونحن المالكون الناس قسراً ... نسومهم المذلة والنكالا[1]
ونوردهم حياض الخسف ذلاً ... وما نألوهم إلا خبالاً

لقد فخر الوليد بنفسه وأسرته ، واعتز وافتخر على الناس بما يلي :

أولاً : أنهم اكثر الناس أموالاً ، وهي التي سرقوها من بيت مال المسلمين .

ثانياً : إنه تحدث عن سياستهم الهوجاء للناس ، وأنهم يحكمون كما يلي :

(أ) إنهم يسومون الناس المذلة والهوان ، من دون أن تكون لأي أحد كرامة أو حرية أو اختيار في أي أمر من الأمور .

(ب) إنهم يوردون الرعية حياض الخسف والذل ، ولا يوردونهم موارد الشرف والكرامة .

---

(١) وردت في الأصل : والهوانا ، وليس هذا بمعقول ، وما أثبتناه ، أو ما يشبهه - الصحيح .

(ج) إنهم لا يألون الشعوب المحكومة بقوة الحديد إلا خبالاً ، فأي جبروت أعظم من هذا الجبروت ؟ وأي كبرياء أعظم من هذا الكبرياء ؟

اقصاء الحريات العامة :

واقصيت الحريات العامة في العهود الأموية من الشعوب الإسلامية ، فلم يعد لها أي ظل على واقع الحياة ، خصوصاً حرية الفكر والرأي ، فلم يكن باستطاعة أي فرد من المواطنين أن يدلي بفكرته ، وبما يدين به ، وبالأخص في ما يتعلق بالولاء لأئمة أهل البيت عليهم السلام ، فقد كان الاتهام بالكفر والزندقة والالحاد أهون من الاتهام بالولاء لهم وقد علقت في الساحات العامة في الكوفة مجموعة من جثث رجال الفكر والعلم في الإسلام قد صلبوا لحبهم الإمام، أمير المؤمنين عليه السلام كميثم التمار ورشيد الهجري ، وأمثالهما .

اقصاء الإسلام :

وتنكر الأمويون للإسلام ، فاقصوا جميع نظمه ومبادئه عن المسلمين ، ولم يعد لأحكام القرآن أي وجود في دوائرهم وأجهزتهم، يقول نيكلسون : « كان الأمويون طغاة مستبدين لانتهاكهم قوانين الإسلام وشرائعه ، وامتهانهم لمثله العليا ، ووطئها بأقدامهم . . »[1] لقد أقبرت المبادىء والنظم الإسلامية ، وجاهر أكثر ملوكهم بالكفر والالحاد ، وانتقاص النبي العظيم (ص) خصوصاً يزيد بن معاوية وهو القائل :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[2]

نشر الظلم :

وانتشر الظلم والجور في كافة انحاء البلاد الإسلامية ، وشاع الارهاب والاضطهاد، وكان الناس يقولون في أيام زياد بن أبيه : «أنجُ سعد فقد هلك سعيد» ،

---

(١) الإمام الحسين (ص ٦٤) .

(٢) من قصيدة لابن الزبعري .

وكان ذلك جزءاً من السياسة الأموية ، وعنواناً لطبيعة حكمهم الذي شذ عن أبسط القواعد الدولية .

سياسة التفريق والاختلاف :

وتبنت السياسة الأموية تفريق المجتمع ، وخلق الصراع والتناحر ما بين المسلمين ، وذلك بايجاد النعرات العنصرية والقبلية بين الشعوب الإسلامية ، فقد أوجدت الصراع ما بين اليمانية والنزارية اللذين هما من أقوى الأسر العربية عدة وعدداً، كما خلقت الصراع ما بين العرب والموالي، وبذلك فقد بعدت هذه السياسة جملة وتفصيلاً عن هدي الإسلام الذي يشدد على وحدة المسلمين ، ونشر المحبة والوئام فيما بينهم .

وبهذا العرض الموجز ننهي الحديث عن طبيعة الحكم الأموي الذي شذ في تصرفاته عن مصالح الشعوب الإسلامية ، وتنكر لجميع حقوقها .

الثورات الداخلية :

وتفجرت السياسة الأموية ببركان مدمر من الظلم والجور عصف بأمن الأمة واستقرارها ورخائها، فانطلقت القوى الخيرة كالمارد الجبار في ثورات رهيبة متلاحقة ، وهي تنادي بحقوق المجتمع ، وتدعو إلى تحقيق العدل الاجتماعي بين الناس ، ومن بين هذه الثورات ما يلي :

ثورة الإمام الحسين :

وهي من أهم الثورات العالمية التي غيرت مجرى التاريخ ، وهي لا تزال حية ، تفيض بالعطاء لجميع الأمم والشعوب لنيل حريتها وكرامتها واستقلالها ، وقد الهبت عواطف الأحرار والمصلحين والهمتهم دروس التضحية في الدفاع عن كرامة الأمة ، وتحقيق أهدافها ، وقضاياها المصيرية .

لقد تفاعلت هذه الثورة العظيمة الخالدة مع عواطف الناس ،

وأحاسيسهم ، وذلك لأنها اخلصت للحق كأعظم ما يكون الاخلاص فلم تنشد أية مصلحة، أو أي هدف مادي يؤول أمره إلى التراب ، وإنما كانت تنشد كرامة الانسان ، وانقاذ المجتمع من ذلك الحكم الأسود الذي أحال الحياة إلى جحيم لا يطاق .

وقد تكلمنا في البحوث السابقة عن هذه الثورة العظيمة ، وما جرى فيها على الإمام زين العابدين عليه السلام من ضروب المحن ، وأنواع الخطوب التي لا تطاق .

ثورة المدينة :

وهي من الثورات الرهيبة التي كوت قلوب المسلمين ، وهزت مشاعرهم وعواطفهم ، وتأتي في الأهمية بعد كارثة كربلاء التي اخلدت المآسي للمسلمين . . . ولا بدلنا من وقفة قصيرة للتحدث عنها .

أسباب الثورة :

أما أسباب هذه الثورة العارمة ، ودوافعها فهي كما يلي :

١ ـ إن الأكثرية الساحقة من أهالي يثرب كانت تضمر الحقد والعداء لبني أمية ، وتقف من حكمهم موقف المعارضة ، فالانصار كانوا يعادون بني أمية ، وهم الذين أجهزوا على عثمان وقتلوه ، وبايعوا علياً ، ونصروه ، وكانوا يرون أن الأسرة النبوية أولى بقيادة الأمة وزعامتها من غيرهم ، وكان على رأس الانصار المجاهد الكبير أبو ايوب الانصاري ، وقد شهد مع الإمام أمير المؤمنين صفين ، كما شهد معه سبعون من الأنصار ، وكان الأمويون يعلمون ببغض الانصار لهم ، فقد أرسل يزيد بن معاوية إلى كعب بن جعيل الشاعر المعروف أن يهجو الأنصار فامتنع من اجابته ، وقال له : أرادي إلى الشرك بعد الإيمان ؟ لا اهجو قوماً نصروا رسول الله (ص) ، ولكن ادلك على غلام منا نصراني ، فدله على الأخطل ، فهجا الأنصار ، وعبد الرحمن بن حسان بقصيدة قال فيها :

ذهبت قريش بالمكارم كلها والؤم تحت عمائم الأنصار[1]

ويضاف إلى الأنصار الأسر التالية التي كانت تحقد على الأمويين .

(أ) الأسرة النبوية ، وترى أنها أحق بالخلافة من الأمويين .

(ب) أسرة الزبير .

(ج) أسرة أبي بكر .

(د) أسرة عمر .

وهذه الأسر كانت حاقدة على الأمويين، وتتآمر عليهم، وتعمل جاهدة في وضح النهار وفي غلس الليل على الإطاحة بالحكم الأموي .

٢ ـ ومن أهم أسباب الثورة في يثرب ما جرى على آل النبي (ص) من القتل والتنكيل ، وسبي حرائر الرسالة وعقائل الوحي ، فقد الهبت المشاعر والعواطف ، وحفزت الجماهير إلى اعلان نقمتها ، وسخطها على الحكم الأموي ، ومما زاد في هيجان الرأي العام ، واندفاعه للثورة لوعة السيدات من بني هاشم ، وندبتهن للإمام الحسين (ع) بأشجى ندبة ، فقد اندفعت إحدى السيدات وهي تخاطب المسلمين ، قائلة :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد منقلبي منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

لقد عملت اللوعة على أهل البيت (ع) ، على ايقاظ الجماهير في يثرب، واندفاعها بحماس بالغ إلى اعلان العصيان المسلح على الحكم الأموي .

٣ ـ ومن أسباب الثورة خلاعة يزيد ، وتجاهره بالفسق والفجور، واعلانه ارتكاب الموبقات والمعاصي، وقد رأى الاخيار والمتحرجون في دينهم أن الخروج على حكومة يزيد واجب شرعي ، وأنهم مسؤولون أمام الله تعالى عن سكوتهم ، وقد أدلى بذلك أحد زعماء الثورة عبد الله بن حنظلة

---

(١) العقد الفريد : ٣/ ١٤٠ .

يقول : « والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء . . إنه رجل ينكح الأمهات والبنات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً[1] ، ويقول المنذر بن الزبير وهو من اعلام الثورة : «إنه ـ أي يزيد ـ قد أجازني بمائة ألف ، ولا يمنعني ما صنع بي ، أن أخبركم خبره ، والله إنه ليشرب الخمر ، والله أنه ليسكر حتى يدع الصلاة . . »[2] .

إن هذه العوامل ـ فيما أحسب ـ من أهم الأسباب في ثورة المدينة على حكومة يزيد .

طرد حاكم المدينة :

واجمع رأي الثوار على طرد الحاكم العام في يثرب ، وسائر بني أمية ، وتشكيل حكومة موقتة يديرها اعضاء الثورة ، وكان الحاكم عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وهو فتى مغرور ، لم تحنكه التجارب ، ولم تهذبه الأيام وجعل الناس يرمونه ، ويرمون الأمويين بالحجارة[3] .

التجاء مروان إلى الإمام :

وفزع مروان كأشد ما يكون الفزع من الثورة لأنه كان عنصراً مدمراً من عناصر التخريب والفساد ، وقد خاف على نسائه من الاعتداء عليهن من قبل الثوار ، فالتجأ إلى عبد الله بن عمر طالباً منه أن يحميهن ، فرفض ابن عمر اجابته، والتاع مروان ، واندفع يقول: قبح الله امرأً كهذا[4] ، وخف مسرعاً إلى الإمام زين العابدين عليه السلام الذي هو من معدن الرحمة والرأفة ، فعرض عليه الأمر فأجابه (ع) إلى ذلك ، فضم نساء الأمويين إلى حرمه ، وقد خرج بهم إلى ينبع ، ثم أن عائشة بنت عثمان زوجة مروان خرجت إلى الطائف ،

(١) طبقات ابن سعد .
(٢) الطبري : ٤/٣٦٨ .
(٣) طبقات ابن سعد : ٥/٤٧ .
(٤) الأغاني : ١/٢٤ .

فمرت بالإمام زين العابدين (ع) فخاف عليها ، فارسل معها ولده عبده الله محافظاً عليها ، وبقي معها حتى انتهت الواقعة ، ويقول المؤرخون : إن الإمام عليه السلام قد كفل اربعمائة امرأة مع أولادهن وحشمهن ، وضمهن إلى عياله ، إلى أن خرج مسلم بن عقبة من المدينة وأقسمت واحدة منهن إنها ما رأت في دار أبيها من الراحة والعيش الهنيء مثل ما رأته في دار الإمام علي بن الحسين[1] .

انتداب مسلم بن عقبة للحرب :

وانتهت الأنباء إلى دمشق بخلع أهالي يثرب لحكومة يزيد ، وطردهم لعامله ، فاضطرب الطاغية يزيد، وخاف من انتشار الثورة وامتدادها إلى بقية المناطق الإسلامية ، فانتدب أخطر مجرم ارهابي ، وهو مسلم بن عقبة لحرب أهالي مدينة النبي (ص) وقد وصفه الفخري بأنه أحد جبابرة العرب وأنه كان شيخاً كبيراً لما ندبه يزيد لحرب ، ويحدثنا صاحب (العقد) عن شكله بأن كان اعور أفغر ، ثائر الرأس، كانما يقلع رجليه من وحل إذا مشى ويقول المستشرق دوزي : إنه كان لا يؤمن بالله ، ولا بالإسلام ، وكان مريضاً ، فلما أسند إليه يزيد قيادة الجيش غره السرور ، وقد قال له يزيد : إن شئت أن أعفيك ، فإني أراك مدنفاً منهوكاً ، فقال له الخبيث : نشدتك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله[2] .

وقد زوده الطاغية يزيد بهذه الوصية الجهنمية التي تحمل الكفر والالحاد فقد قال له : « إذا قدمت المدينة ، فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك حرباً فالسيف ، السيف ، ولا تبقي عليهم ، وأنهبها عليهم ثلاثاً ، وأجهز على جريحهم ، واقتل مدبرهم . »[3] .

واعرب في هذه الوصية عن نزعاته الشريرة التي تحمل الحقد على الانسان ، والتي تستلذ بالإساءة إليه .

---

(٣) الإمام زين العابدين لاحمد فهمي : (ص ٦٤) .
(٢) معاوية بن أبي سفيان لعمر أبو النصر: (ص ٢٦٦) .
(٣) التنبيه والاشراف للمسعودي : (ص ٢٦٣) .

زحف الجيوش للحرب :

وزحفت جيوش الضلال بقيادة الارهابي مسلم بن عقبة إلى احتلال مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت قطع الجيش تمر بيزيد ، وهو واقف على نشز من الأرض يحييها ، وقد أحاط به كبار المسؤولين وقادة الفرق في جيشه ، وأنشأ يقول :

أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى ... وانحطت الرايات من وادي القرى
اجمع سكران من القوم ترى ... أم جمع يقظان نفى عنه الكرى ؟[1]

ويعرض في هذا الشعر إلى ما أعلنه زعماء المعارضة في أمره من أنه مدمن على شرب الخمر ، وأنه لا يفيق من السكر ، ويقول لهم إن هذه الجيوش التي ساقها لحربهم هل هي منبعثة عن سكران ، أم عن يقظان قد نفى عنه الكرى ؟

محاصرة المدينة :

وسارت جيوش يزيد تطوي البيداء لا تلوي على شيء، حتى انتهت إلى يثرب ، ففرضت عليها حصارا ، وقام المدنيون فحفروا الخندق الذي حفره رسول الله (ص) يوم الأحزاب ، وقال شاعرهم يخاطب يزيد :

إن بالخندق المكلل بالمجـ ... ـد لضربا يبدي عن النشوات
لست منا ، وليس خالك منا ... يا مضيع الصلوات للشهوات
فإذا ما قتلتنا فتنضر ... واشرب الخمر واترك الجمعات[2]

احتلال المدينة :

ولم تتمكن قوات يزيد من احتلال المدينة إلا أن عبد الملك بن مروان خف بايعاز من أبيه إلى مسلم بن عقبة فدله على عورات البلد ، وبذلك

---

(١) التنبيه والاشراف (ص ٢٦٣) .
(٢) التنبيه والاشراف (ص ٢٦٣) .

استطاع أن يلج بجيوشه إلى داخل البلد ، وقد التحم الجيشان في معركة دامية ، استشهد فيها البطل الإسلامي الكبير عبد الله بن حنظلة مع ابنائه ونخبة من أبناء المهاجرين ، والأنصار ، وقد فقدت المدينة في هذه الواقعة ثمانين من أصحاب النبي (ص) حتى لم يبق بها بدري ، كما فقدت سبعمائة من قريش ، والأنصار ، وعشرة آلاف من سائر الناس[1] .

مآسٍ وفظائع :

واقترف الارهابي المجرم مسلم بن عقبة جميع الموبقات والجرائم، وقد هتك حرمة مدينة النبي (ص) فكان يسميها فتنة[2] والرسول (ص) سماها طيبة ، وقد أباحها لجيشه الآثم فراح يمعن في قتل الأبرياء من الأطفال والشيوخ والنساء ، وهتك الأعراض ، وأخذ البيعة لمن بقي من الناس على أنهم خول وعبيد ليزيد بن معاوية[3] يفعل بهم ما يشاء ، وقد وصف السيد أمير علي الهندي هذه الحادثة ، وعلق عليها بقوله : « وقد استشهد في تلك المعركة التي كانت وبالاً على الإسلام ، من نواح عديدة زهرة أهل المدينة من الفرسان ، ومن خيرة أصحاب رسول الله (ص) وهكذا أباح الأمويون المدينة، ودنسوها ، ذلك البلد الذي آوى الرسول مدة حياته، والذي كان مهبط رسالته ، كما قاسى أهلها الذين آووا الرسول ، وبذلوا أنفسهم دونه في ساعة العسرة أقسى ألوان العذاب ، وأشد أنواع الفظائع ، التي لم يكن لها مثيل في التاريخ سوى التي ارتكبها كونستابل الفرنسي ، وما يماثلها من ضروب الوحشية التي قام بها اللوثريون من أنصار جورج فرند سيرنج عند حصار رومة .

ولا غرو فقد حول جند يزيد الجامع إلى اصطبل لخيولهم ، وهدموا الحرم ، والأماكن المقدسة لسلب ما فيها من أثاث ومتاع ، وهكذا شاء القدر أن تنتصر الوثنية، ولو مرة ضد الإسلام، تلك الوثنية التي أخذت ثأرها من

---

(١) تاريخ الطبري ٧/٥ ـ ١٢ .
(٢) مروج الذهب ٣/١٧ .
(٣) أبو الفداء ١/٢٠٦ .

الإسلام في هذه المرة على ما يقوله مؤرخ أوروبي . . وهكذا رد للإسلام ما أظهره نحوهم من رحمة ورفق ساعة انتصاره عليهم .

وأما خيرة أهل المدينة فمنهم من قُتل ، ومنهم من فر لينجو بحياته إلى بعض الأقطار النائية، وأما القليل منهم ممن ظل بالمدينة فقد أصبحوا سبايا وعبيداً ليزيد بن معاوية ، ومن أبى منهم كان يكوى بالنار على رقبته ليوسم بتلك السمة المخزية »[1] .

الإمام مع مسلم بن عقبة :

وأوجس الإمام زين العابدين عليه السلام خيفة من هذا المجرم الدنس ، فقد رأى حرمة المدينة المنورة قد انتهكت ، ودماء المسلمن أريقت بغير حق ، وكان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء : « رب كم من نعمة انعمت بها علي ، قلَّ لك عندها شكري ، وكم من بلية ابتليتني بها قلّ عند بلائي بها صبري ، فلا تخذلني ياذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ، ياذا النعماء التي لا تحصى عدداً صلِّ على محمد وآل محمد، وادفع عني شره، فإني أدرأ بك في نحره، واستعيذ بك من شره . . »[2] .

ولما غزا هذا المجرم الخبيث مدينة النبي (ص) كان الإمام عليه السلام قد فزع إلى قبر جده رسول الله (ص) مستجيراً به ، فألقي عليه القبض ، وجيء به إلى الطاغية ، فلما رآه ارتعدت فرائصه ، من هيبته ، وقام إليه تكريماً وقال له : سلني حوائجك فاخذ يتشفع بمن حكم عليه بالإعدام فأجابه إلى ذلك ، ولما انصرف عنه قيل للإمام رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت : ؟ قال : قلت :

« اللَّهم رب السموات السبع ، وما أظللن، والأرضين السبع ، وما أقللن ، ورب العرش العظيم ، رب محمد وآله الطاهرين ، أعوذ بك من

---

(١) معاوية بن أبي سفيان (ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦) .
(٢) بهجة الأبرار للقاني .

شره ، وأدرأ بك في نحره ، اسألك أن تؤتيني خيره ، وتكفيني شره » .

وقيل للطاغية السفاح رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه ، فلما أتى إليك رفعت منزلته ؟ فقال : ما كان ذلك لرأي مني ، ولكن قد مليء قلبي منه رعباً[1] ولم يبايع الإمام ليزيد كما لم يبايع علي بن عبد الله بن العباس فقد انبرى الحصين بن نمير ، فقال : لا يبايع ابن اختنا إلا ما بايع عليه علي بن الحسين على أنه ابن عم أمير المؤمنين ، وإلا فالحرب بيننا ، فأعفي عن البيعة ، وفي ذلك يقول علي بن عبد الله معتزاً باخواله الذين حموه من هذا الطاغية :

أبى العباس قوم بني قصي ... وأخوالي الملوك بنو وليعة
هم منعوا ذماري يوم جاءت ... كتائب مسرف وبنو اللكيعة
أراد بي التي لا عز فيها ... فحالت دونه أيدٍ منيعة[2]

الرؤوس بين يدي يزيد :

وأمر الطاغية المجرم مسلم بن عقبة بحز رؤوس الشهداء من ابناء يثرب فحزت ، وبعثها هديةً إلى الطاغية يزيد بن معاوية ، فلما وضعت بين يديه سُر بذلك سروراً بالغاً ، وجعل يتمثل بقول ابن الزبعرى يوم أحد :

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل[3]
لأهلو واستهلوا فرحاً ... ولقالوا : يا يزيد لا تشل[4]

وقبلها استشهد بهذا الشعر ، وترنم به حينما وضع رأس ريحانة رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام بين يديه ، لقد تمنى حضور الأحلاف من آبائه الذين حصدت رؤوسهم سيوف المسلمين ليروا أنه أخذ بثأرهم ، واستوفاه من النبي (ص) ومن المسلمين وبهذا ينتهي بنا

---

(١) مروج الذهب : ٣/١٨
(٢) الكامل للمبرد ١/٢٢٢ ، الكامل لابن الأثير .
(٣) الأسل : الرماح .
(٤) سيرة ابن هشام : ٣/١٤٣ ابن سلام (ص ٨٩) .

الحديث عن واقعة الحرة التي هي من أعظم الكوارث وأقساها في دنيا الإسلام ، وقد تركت في نفس الإمام زين العابدين عليه السلام اللوعة والأسى والحزن ، فقد نظر بأسى بالغ مدينة جده الرسول صلى الله عليه وآله ، وقد عاث فيها فساداً جيش يزيد ، وتركها واحة موحشة قد ملئت بيوتها بالثكل والحزن والحداد .

ثورة التوابين :

وندمت الشيعة في الكوفة أشد الندم وأقساه على تركهم نصرة الإمام الحسين عليه السلام ، فهم الذين كاتبوه ، وتضرعوا إليه لينقذهم من جور الأمويين وظلمهم ، حتى إذا استجاب لهم تركوه نهباً للسيوف والرماح ولم ينبروا لمناصرته والذب عنه .

لقد أخذت الشيعة تتلاوم فيما بينها ، وقد شعرت بهول الفاجعة وفداحة الرزء ، فأخذوا يفكرون في وسيلة عملية يكفرون بها عن ذنبهم العظيم ، فلم يجدوا وسيلة تمحو عنهم الذنب سوى الإندفاع إلى الثورة ، والمطالبة بدم الإمام الحسين عليه السلام ، وقد رفعوا شعارهم المعروف .

« يا لثارات الحسين . . » .

وقد ألهب هذا الشعار الحماس في نفوس الشيعة ، بل وفي نفوس الساخطين على الحكم الأموي ، ونعرض ـ بايجاز ـ إلى هذه الثورة التي تحمل سمة التشيع والتي هي أول ثورة قامت بها الشيعة على الصعيد الخارجي ، وفي ما يلي ذلك .

المؤتمر الأول للتوابين :

وعقد التوابون أول مؤتمر لهم في منزل الصحابي الجليل شيخ الشيعة سليمان بن صرد الخزاعي ، وقد ألقيت في هذا المؤتمر عدة كلمات من قبل زعماء الحركة أبدوا فيها ندمهم وأسفهم لخذلهم الإمام الحسين عليه السلام ، وأنهم يستوجبون سخط الله إذا لم يطلبوا بثأره ، وكان عدد المجتمعين أكثر من

مائة رجل من فرسان الشيعة ووجهائهم[1] وكان ذلك في سنة إحدى وستين هجرية[2] وهي السنة التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام .

مقررات المؤتمر :

واتخذ المؤتمر بالاجماع عدة قرارات بالغة الأهمية ، دلت على نضوج وعيهم السياسي ، وهي :

(أ) انتخاب الزعيم سليمان بن صرد الخزاعي زعيماً للحركة ، وقائداً عاماً للثورة وقد أنيطت به وضع الخطط السياسية والعسكرية ، ومراسلة المناطق التي تضم الشيعة في العراق وخارجه .

(ب) اخفاء الحركة ، والتكتم في امرها ، وإحاطتها بكثير من السرية خوفاً من اطلاع السلطة عليها .

(ج) جمع الأموال والتبرعات من قبل الشيعة لشراء الأسلحة والمعدات الحربية ، وقد تبرع خالد بن سعد بجميع ما يملك ، وجعله تحت تصرف الثورة[3] كما تبرع أبو المعتمر الكناني بمثل ذلك[4] وقد عينوا عبد اللّه بن وال التميمي لجمع الأموال ، وشراء الأسلحة بها[5] .

(د) تحديد وقت الثورة : واتفق اعضاء المؤتمر على أن يكون خروجهم في غرة ربيع الآخر سنة (٦٥ - هـ) وأن السنوات الأربع تكون فترة تأهب واستعداد للثورة .

(هـ) أن تكون النخيلة هي الموطن الذي يجتمعون فيه ، ومنه تنطلق الثورة على الأمويين .

---

(١) الطبري : ٢/١/٤٩٩ .
(٢) الطبري : ٢/١/٥٠٦ .
(٣) تأريخ ابن الأثير : ٣/٣٣٣ .
(٤) تأريخ ابن الأثير : ٣/٣٣٣ .
(٥) تأريخ ابن الأثير : ٣/٣٣٣ .

إعلان الثورة :

ولما حل الوقت المتفق عليه خرج التوابون من الكوفة وكانوا زهاء أربعة آلاف[1] وتلاقوا في النخيلة ، واجتمعوا وهم بأكمل عدة ، وذلك في سنة (٦٥ هـ) وهي السنة التي هلك فيها الطاغية الفاجر يزيد ابن معاوية ، وقد انطلق الجيش إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام فأقاموا فيه يوماً وليلة ، وهم يصلون على الإمام العظيم ، ويستغفرون له ، ويبكون ويتضرعون ، ويعلنون ندمهم وتوبتهم إلى الله من خذلانهم لسبط النبي (ص) وريحانته ، ثم انصرفوا عن القبر الشريف ، وهم يؤدون القسم للأخذ بثأره ، وكان عبد الله بن عوف الأحمر يلهب نفوس الجيش حماساً بشعره الثوري ، وكان يخاطب قطعات الجيش بقوله :

صحوت وودعت الصبا والغوانيا ... وقلت لأصحابي : أجيبوا المناديا
وقولوا له ـ إذ قام يدعو إلى الهدى ... وقبل الدعا ـ : لبيك لبيك داعياً

ثم يمضي الشاعر إلى الوتر الحساس الذي يثير عزائم النفوس ، وهو الحديث عن مصرع الإمام العظيم فيقول :

فاضحى حسين للرماح دريئة ... وغودر مسلوباً لدى الطف ثاويا
فياليتني إذا ذاك كنت شهدته ... فضاربت عنه الشانئين الأعاديا
سقى الله قبراً ضمن المجد والتقى ... بغربية الطف الغمام الغواديا

ويوجه الشاعر خطابه إلى الأمة قائلاً :

فيا أمة تاهت وضلت سفاهة ... انيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا[2]

وقد الهب هذا الشعر عواطف التوابين ، ودفعهم إلى النضال لمناجزة قوى البغي والضلال .

---

(١) التنبيه والاشراف (ص ٣١١) .
(٢) مروج الذهب ٣/ ٣٨٠ .

في عين الوردة :

وسارت كتائب التوابين تطوي البيداء لا تلوي على شيء ، وكان يقدمهم عبد الله ابن عوف ، وهو يرتجز بهذا الرجز .

خرجن يلمعن بنا ارسالا عوابساً يحملننا أبطالاً
نريد أن نلقي بها الاقيالا القاسطين الغدر الضُّلّالا
وقد رفضنا الوُلْدَ والأموالا والخفرات البيض والحجالا
نرضي به ذا النعم المفضالا (١)

ويمثل هذا الرجز الحماسة ، والاندفاع الشديد إلى الحرب الذي كان مسيطراً على التوابين ، وهم في طريقهم إلى محاربة الظالمين ، الغادرين الضالين وأنهم يرجون من وراء ذلك رضا الله تعالى .

وانتهت كتائب التوابين إلى عين الوردة ، فأقامت فيها ، وقد زحفت جيوش أهل الشام بقيادة المجرم عبيد الله بن زياد إلى محاربتهم ، وقد التحمت معها التحاماً رهيباً ، وجرت بين الفريقين أعنف المعارك ، وأشدها ضراوة ، وأبدي التوابون من البسالة والصمود ما يعجز عنه الوصف ، واستشهد في تلك المعارك قادة التوابين ، كسليمان بن صرد ، والمسيب بن نجبة ، وعبد الله بن سعد وغيرهم ، ورأى التوابون أن لا قدرة لهم على مناجزة أهل الشام ، فتركوا ساحة القتال ، ورجعوا في غلس الليل البهيم إلى الكوفة ، ولم تتعقبهم جيوش أهل الشام ، وقد ترك استشهاد القادة من التوابين اللوعة والأسى في نفوس الشيعة ، وقد رثاهم الشاعر الكبير أعشى همدان بقصيدة ، ذكر فيها ما أبدوه من البسالة والصمود أمام جيش أهل الشام ، وفي ما يلي بعض أبياتها :

توجه من دون الثنية سائراً إلى ابن زياد في الجموع الكتائب
فساروا وهم من بين ملتمس التقى وآخر مما جرَّ بالأمس تائب

---

(١) مروج الذهب ٣/٣٨ الطبري ٢/١/٥٤٨ .

فلاقوا بعين الوردة الجيش فاضلاً ... عليهم فحيوهم ببيض قواضب
فجاءهم جمع من الشام بعده ... جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أبيدت جموعهم ... ولم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا ... تعاورهم ريح الصبا والجنائب
وأضحى الخزاعي الرئيس مجدلاً ... كأن لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بني شمخ وفارس قومه ... جميعاً مع التيمي هادي الكتائب
وعمرو بن عمرو وابن بشر وخالد ... وبكر وزيد والحليس بن غالب
ابوا غير ضرب يفلق الهام وقعةً ... وطعن بأطراف الأسنة صائب
فيا خير جيش للعراق وأهله ... سقيتم روايا كل اسحم ساكب
فلا تبعدوا فرساننا وحماتنا ... إذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
فإن تقتلوا فالقتل اكرم ميتة ... وكل فتى يوماً لاحدى النوائب
وما قتلوا حتى أصابوا عصابة ... محلين حوراً كالليوث الضوارب[1]

ورسم أعشى همدان في هذه اللوحة الفنية صورة رائعة عن التوابين وأنهم صنفان : صنف يلتمس التقى في جهاده ، وآخر يريد أن يكفر عن ذنبه ، ويتوب إلى الله تعالى ، وأنهم جميعاً أبدوا من البسالة والصمود ما يفوق حد الوصف ، وأن من سقط منهم صرعى في ميدان القتال فإن ريح الصبا والجنوب تمر على قبورهم، وهي تحمل لهم التحية والسلام والرضوان .

ويتحدث أعشى همدان باعجاب واكبار عن زعماء الثورة وقادتها الذين استشهدوا في ساحة النضال فيثنى عليهم ثناءً عاطراً ، ويختم تحيته بالدعاء لهم بأن لا يبعدهم الله لأنهم حماة الدار . . . أن هذه القصيدة من أروع ما قيل من الشعر في ثورة التوابين .

وعلى أي حال فإن ثورة التوابين قد ملأت قلوب السفكة المجرمين من قتلة الإمام الحسين (ع) رعباً وفزعاً وخوفاً ، وهيأت الشيعة إلى النضال ضد الأمويين يقول الدكتور يوسف خليف : « ومهما تكن النتيجة التي انتهت إليها

---

(١) مروج الذهب ٣/ ٤٠ ـ ٤١ .

ثورة التوابين فإن الأمر الذي لا شك فيه هو أنها تعد أشد ثورة قام بها الشيعة بعد مقتل علي حتى ذلك الوقت ، وأنها كشفت الرماد عن جذوة التشيع ، وأشعلت فيها النار حتى ساعدت في النهاية على الإطاحة بحكم الأمويين كما أنها كانت ـ من ناحية أخرى ـ تمهيداً لثورة شيعية خطيرة هي ثورة المختار[1] .

ثورة المختار :

من ألمع الشخصيات العربية والإسلامية التي عرفها التاريخ هو المختار بن يوسف الثقفي الفارس العربي الذي استطاع أن يتغلب على مجريات الأحداث ، ويفجر أعظم ثورة اجتماعية تبنت العدل السياسي ، والعدل الاجتماعي وتحقيق الفرص المتكافئة بين الناس على اختلاف قومياتهم وأديانهم ، ونلمح ـ بايجاز ـ عن معالم شخصيته ، والمكاسب العظيمة في ثورته وإلى القراء ذلك .

معالم شخصيته :

أما المعالم البارزة في شخصية هذا العملاق العظيم فهي :

١ ـ شدة الذكاء :

كان المختار شديد الذكاء ، ومن ذكائه المفرط أنه كان يقرأ ما في أعماق النفوس ويخاطب عواطف الناس ، وقد استطاع بذكائه أن يفجر ثورته الكبرى ، ويجمع حوله القلوب والعواطف ، وكان من أدنى إشارة يفهم الأحداث ، ويحيط بالأمور وقد ذكر المترجمون له نوادر كثيرة من ذكائه .

٢ ـ الدهاء :

كان المختار من أبرز دهاة العالم العربي ، ومن دهائه أنه نجح نجاحاً باهراً في تنفيذ مخططاته السياسية الرامية إلى القضاء على القوى المعادية

---

(١) حياة الشعر في الكوفة (ص ٧٣) .

لأهل البيت عليهم السلام التي كانت تمثل الطبقة الرأسمالية ، والارستقراطية في الكوفة ، وقد استطاع أن يقضي على نفوذها ، وينزلها من كراسيها إلى ساحات السجون والقبور .

٣ ـ القيادة الملهمة :

ومن معالم شخصية المختار أنه كان قائداً حربياً ملهماً ، فقد كان من أبرز القادة العسكريين في رسم المخططات الحربية ، ووضع المناهج العسكرية ، للتغلب على الأحداث ، وهو الذي رسم الخطط الناجحة للانقلاب العسكري الذي قام به في الكوفة والذي لم يشهد له مثيلٌ في العالم الإسلامي في ذلك العصر . . .

٤ ـ التقوى والورع :

وكان المختار ورعاً تقياً محتاطاً في دينه كأشد ما يكون الاحتياط وقد وضع أسس حكومته على العدل الشامل بين الناس ، وبالرغم من مشاغله العديدة فقد كان يقعد بنفسه للقضاء ، والفصل في الخصومات ، وقد اتخذ سياسة الإمام أمير المؤمنين منهجاً به في حكومته ، ويحدث الرواة عن تقواه أنه كان في أيام خلافته القصيرة الأمد صائماً نهاره ، وكان لسانه يلهج بذكر الله تعالى .

٥ ـ الولاء لأهل البيت :

أما الولاء لأهل البيت عليهم السلام فهو من عناصر المختار ومن ذاتياته ، وقد هام في ولائهم وحبهم ، ومما يدل على ذلك أن مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة لم يستضعف في بيت أحد سوى المختار ، وكان يدلي إليه باسراره ، ويفاوضه في كل ما يتعلق بشؤون الثورة ويعرفه بكل من بايع للإمام الحسين عليه السلام ، ولما عين الطاغية يزيد والياً على العراق عبيد الله بن زياد ، كان أول ما عنى به إبادة العناصر الموالية للإمام الحسين عليه السلام واعتقالهم ، وكان من بين المعتقلين المختار ،

وقد بقي في سجنه حتى استشهد الإمام الحسين عليه السلام فتشفع به عبد الله بن عمر زوج أخته عند يزيد فشفعه فيه ، ولما خرج من السجن أخذ يناضل ويجاهد للاستيلاء على السلطة لتحقيق أهم ما يصبو إليه من الأخذ بثأر العترة الطاهرة ، ولما كتب الله له النصر واستولى على الحكم أخذ يتتبع بلا هوادة السفكة المجرمين من قتلة الإمام الحسين عليه السلام ، فسفك دماءهم ، وهدم ديارهم ، وفرقهم أيدي سبا ، وسنتحدث عن ذلك في البحوث الآتية عن سمو مكانته عند الأئمة :

سمو مكانته عند الأئمة :

وكان من الطبيعي أن يحتل المختار المكانة المرموقة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وينال الرضا في نفوسهم ، فقد أثلج قلوبهم ، وأدخل السرور عليهم حينما أخذ بثأرهم ، وأباد السفكة المجرمين من قتلتهم ، وقد تضافرت الأخبار بالثناء عليه ، والتقدير ، والاكبار لأياديه على آل النبي (ص) وفي ما يلي بعض تلك الأخبار .

١ ـ قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام : ما امتشطت فينا هاشمية ، ولا اختضبت ، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام[١] .

لقد ادخل المختار السرور على آل النبي (ص) الذين نخر الحزن قلوبهم على سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (ع) فقد أخذ بثأره من السفكة المجرمين .

٢ ـ قال الإمام أبو جعفر عليه السلام : لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلتنا ، وطلب بثأرنا ، وزوج أراملنا ، وقسم فينا المال على العسرة[٢] .

٣ ـ روى عبد الله بن شريك قال : دخلنا على أبي جعفر (ع) يوم

---

(١) الكشي .
(٢) الكشي .

النحر ، وهو متكيء ، وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها ، فمنعه ، ثم قال : من أنت ؟ قال أنا أبو محمد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، وكان متباعداً من أبي جعفر ، فمدّ عليه السلام يده إليه ، حتى كاد يقعده في حجره ، بعد منعه يده ، ثم قال : اصلحك الله أن الناس قد أكثروا في أبي ، وقالوا ، والقول والله قولك .

قال أبو جعفر : وأي شيء يقولون : ؟ قال : يقولون : كذاب. ولا تأمرني بشيء إلا قبلته ، فقال عليه السلام : سبحان الله !! أخبرني أبي والله ، إن مهر أمي كان مما بعث به المختار ، أو لم يبنِ دورنا ، وقتل قاتلينا ، وطلب بدمائنا ، رحمه الله[1] . . وفي هذا الحديث دلالة صريحة على سمو مكانته عند الإمام أبي جعفر (ع) وإن له اليد البيضاء على أهل البيت (ع) بما أسدى لهم من الأخذ بثأرهم ، واسعافهم بالأموال التي كانت منها مهر نسائهم ، وبناؤه لدورهم التي هدمتها السلطات الأموية .

٤ ـ ولما بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد إلى الإمام زين العابدين عليه السلام خر الإمام ساجداً لله ، وقال : الحمد لله الذي أدرك ثاري من أعدائي ، وجزى الله المختار خيراً[2] .

وكما كان مرضياً عند أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد كان مرضياً عند عموم العلويين ، وكانوا يشكرون له آياديه عليهم، فقد نقل الرواة عن محمد بن الحنفية أنه لما بعث إليه المختار برأس عبيد الله بن زياد ، ورأس عمر بن سعد ، خر ساجداً شكراً لله ، وبسط كفيه بالدعاء للمختار قائلاً : اللهم لا تنس هذا اليوم للمختار واجزه عن أهل بيت نبيك محمد خير الجزاء ، فوالله ما على المختار بعد هذا من عتب[3] .

---

(١) الكشي .

(٢) الكشي .

(٣) بحار الأنوار : ٤٥/باب احوال المختار .

اتهامات رخيصة :

واتهم هذا العملاق العظيم باتهامات رخيصة لفقها عليه أعداؤه وخصومه ومن بين هذه الاتهامات .

١ ـ اتهامه بأنه يوحى إليه ، وأن الملك جبريل ينزل عليه بالوحي ، وينبئه بالغيب[١] .

٢ ـ إن الملائكة تحارب معه في حروبه ، وإنها تنزل في صورة حمامات بيض تقاتل مع جيوشه[٢] .

٣ ـ إنه يضمن للناس الجنة ، ويكتب لهم كتباً بذلك تشبه صكوك الغفران في المسيحية[٣] .

وما اتهموه بهذه الاتهامات إلا لأنه أخذ بثأر الإمام العظيم أبي الأحرار عليه السلام واسقط بثورته الكبرى هيبة الحكم الأموي ، وساوى بين العرب والموالي واتخذ سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام منهجاً له في حكمه .

لقد احتل المختار كقائد سياسي محنك أعلى مرتبة في المجتمع في عصره ، وصار من أبطال التاريخ الذين تبنوا الحق ، ورفعو راية الثورة ضد التخلف والجمود ومن الطبيعي أن يكثر حاسدوه ، ويتهموه بالاتهامات الباطلة ، أما اتهامه بأنه ينبيء عن المغيبات ، فمن المؤكد أنه أخبر عن وقوع بعض الأحداث ، وقد وقعت فعلاً ، فقد استقى ذلك من ميثم التمار تلميذ الإمام أمير المؤمنين (ع) ومن المع حوارييه ، والذي أخبره عن كثير من الأحداث التي ستقع على مسرح الحياة الإسلامية ، فقد أسر بها ميثم إلى المختار حينما كان معه في سجن الطاغية عبيد الله بن زياد ، وهل في اخباره بذلك اتهام له بالنبوة ؟ .

---

(١) الفرق بين الفرق : (ص ٣٣ ـ ٣٤) .
(٢) الملل والنحل : ١/٢٨٧ .
(٣) الطبري : ٢/٢/٦٨٣ .

ثورته العملاقة :

فجر المختار ثورته العملاقة التي استهدفت تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس ، والأخذ بثأر الإمام أبي الشهداء الحسين عليه السلام ، وقد تبنى المختار ذلك ، وجعله شعاراً لثورته ، وقد نادى قومه في شوارع الكوفة وأزقتها ، بهذا النداء .

« يا لثارات الحسين . . » .

وقد دوى هذا النداء المؤثر في سماء الكوفة فكان كالصاعقة على الخونة والمجرمين من الذين اقترفوا أفظع جريمة سجلها التاريخ الانساني .

وقد استجابت له القوى الخيرة والمحرومة ، فانضمت إلى الثورة ، ولنستمع إلى رائعة عبد الله بن همام السلولي شاعر الثورة يحدثنا فيها من التفاف الجماهير وحماسها ، واندفاعها نحو المختار يقول :

وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى ... ويلهيه عن رود الشباب شموع
دعا: « يا لثارات الحسين »، فاقبلت ... كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك ... يقود جموعاً عبيت بجموع
ومن أسد وافى يزيد لنصره ... بكل فتى حامي الذمار منيع
وجاء نعيم خير شيبان كلها ... بأمر لدى الهيجا أحد جميع
وما ابن شميط إذ يخرض قومه ... هناك بمخذول ولا بمضيع
ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازنٍ ... وكل أخو اخباته وخشوع[1]

وتحدث ابن همام عن الشعار الذي هتف به المختار في حركته الانقلابية ، وهو (يا لثارات الحسين) وقد أثر تأثيراً بالغاً في نفوس الشيعة فاستجابوا له ، وقد تحدث عن القبائل التي اشتركت في هذا الانقلاب ، وذكر باكبار واعجاب اسماء القادة الذين ساهموا مساهمة إيجابية وفعالة في هذه الثورة .

---

(١) تاريخ الطبري : ٢/٢/٦٣٧ .

وعلى أي حال فقد نجحت الثورة نجاحاً باهراً ، وتوطدت أركانها ، وتولى المختار إدارة شؤون البلاد ، وشكل حكومة من أعضاء ثورته وقادة حزبه .

أهداف الثورة :

أما الأهداف الاصيلة التي كانت تنشدها الثورة فهي :

١ ـ المساواة بين العرب والموالي

حقق المختار المساواة بين العرب والموالي في كافة الحقوق ، والواجبات وهدم الحواجز التي أوجدتها الحكومة الأموية لتفضيل العرب على غيرهم ، وتخصيصهم بالامتيازات ، ويرى بعض المستشرقين أن مساواة المختار بين العرب والموالي قد خدمت الإسلام ، وأتاحت أن ينتشر فيما بعد بين الشعوب غير العربية[١] ويرى (فلهوزن) أن المختار خليق بالمديح لكونه كان أسبق من غيره في إدراك أن الأحوال القائمة آنذاك لا يمكن أن تبقى كما هي ، فقد كان العنصر العربي هو وحده المتمتع بالحقوق المدنية كاملة في الدولة ، ولو كان المختار ، قد حقق هدفه الأصلي لكان منقذ الدولة العربية[٢] ويقول الخرطوبي إن المختار هو الذي بث روح القوة والحياة في حزب الموالي ، فقد رفع شأنهم ، وأنصفهم ، ودافع عنهم ، وبث فيهم آمالاً وطموحاً ، وعمل على تحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية وحرص الموالي على هذه الحقوق طوال العصر الأموي والعباسي[٣] ومن الجدير بالذكر أن الموالي كانوا يشكلون العمود الفقري في حكومة المختار ، وقد أسند إليهم الوظائف الرفيعة في دولته ، وولاهم القيادات العامة في جيشه ، واثقاً باخلاصهم له .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣/٧٦٥ من الطبعة الفرنسية .

(٢) المختار : (ص ٦) .

(٣) المختار : (ص ٦) .

٢ ـ الأخذ بثأر الإمام الحسين :

ولم يفجر المختار ثورته الكبرى طمعاً بالملك وحباً للرياسة والسلطان ـ كما يتهمه بذلك بعض حساده ـ، وإنما كان يبغي الأخذ بثأر الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (ع) فكان قلبه يتحرق غيظاً وموجدة على الخونة المجرمين من قتلة الإمام الحسين (ع) ولما استتب له الأمر نكل بهم ، وتتبعهم تحت كل حجر ومدر ، فحصد رؤوسهم القذرة ، وصادر أموالهم ، وهدم دورهم ، ونعرض ـ بايجاز ـ إلى بعض اجراءاته ضدهم .

اشاعة الرعب والفزع :

وأشاع المختار الرعب ، والفزع في نفوس القتلة المجرمين من الذين حاربوا الله ورسوله ، وقتلوا ريحانة رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة ، وقد فر بعضهم إلى عبد الملك بن مروان ليحميه من المختار ، وقد خاطبه شخص من هؤلاء السفاكين فقال له :

أدنو لترحمني وترتق خلتي وأراك تدفعني فأين المدفع[1]

وانهزم عبد الملك بن الحجاج التغلبي ، وكان ممن شارك في حرب الحسين فلجأ إلى عبد الملك بن مروان فقال له :

« إني هربتُ إليك من العراق . . » .

فصاح به عبد الملك قائلاً :

« كذبتَ ليس لنا هربت ، ولكن هربت من دم الحسين ، وخفت على دمك ، فلجأت إلينا . . »[2] .

وممن ناله الخوف وطارده الرعب اسماء بن خارجة وهو من الذين حاربوا الإمام الحسين ، فقد قال فيه المختار : لتنزلن من السماء نار دهماء ،

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة .

(٢) حياة الإمام محمد الباقر ٢/١٧٦ .

فلتحرقن دار اسماء ، ونقل كلامه إلى اسماء ، ففر فزعاً ، وهو يقول : أوقد سجع بي أبو اسحاق ، هو والله محرق داري ، وهرب من الكوفة[1] .

الإبادة الشاملة :

وأسرع المختار في تنفيذ حكم الإعدام ، بلا هوادة بكل من اشترك في قتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام وقد قتل في وقت واحد مائتين وثمانية وأربعين شخصاً[2] ، فر الخبيث الدنس المجرم شمر بن ذي الجوشن ، وكان من أحقد الناس على الإمام الحسين (ع) فلاحقته شرطة المختار إلى أن أدركته ، وقتلته ، وألقيت جيفته للكلاب ، وكان المختار يقول : ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين احياءً بئس ناصر آل محمد (ص) أنا إذاً في الدنيا الكذاب ، وإني استعين بالله عليهم . . إنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم[2] وحمل إليه جماعة ممن اشتركوا في حرب الحسين ، وهم عبد الله بن اسيد الجهني ، ومالك ابن بشير البدي ، وحمل بن مالك المحاربي ، فقال لهم المختار « يا أعداء الله ورسوله ، أين الحسين بن علي ؟ أدوا إلي الحسين ، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم . . » .

فقالوا : بعثنا كارهين ، فامنن علينا ، واستبقنا ، فصاح بهم المختار قائلاً :

« هلا منتم على الحسين ابن بنت نبيكم فاستبقيتموه ، وسقيتموه »[3] وأمر بمالك بن بشير البدي فقطع يديه ورجليه ، وتركه يضطرب حتى هلك ، لأنه هو الذي سلب برنس الحسين ، كما أمر بقتل الرجلين الآخرين[1] وألقت شرطته القبض على كل من زياد ابن مالك الضبعي ، وعمران بن خالد

---

(١) الكامل ابن الأثير ٣/٣٦٨ .
(٢) الكامل ٣/٣٦٩ .
(٣) الكامل لأبن الأثير ٣/٣٦٩ .
(٤) المصدر السابق .

القشيري ، وعبد الرحمن بن أبي خشارة البجلي ، وعبد الله بن قيس الخولاني ، فلما مثلوا عنده قال لهم بصوت محنق مغيظ :

« يا قتلة الصالحين ، وقتلة سيد شباب أهل الجنة ، قد أقاد الله منكم الورس في يوم نحس . . » .

وهؤلاء هم الذين نهبوا الورس الذي كان مع الحسين (ع) ونفذ فيهم حكم الاعدام[1] .

وفزع الخبيث الدنس عمر بن سعد من المختار ، وخاف منه كأشد ما يكون الخوف ، فبعث إليه يطلب منه أن يكتب له أماناً ، فكتب له أماناً ، وشرط فيه أن لا يحدث ، وعنى به دخول الخلاء ، وأعلن المختار أمام أصحابه أنه سيقتل رجلاً عظيم القدمين ، غائر العينين ، مترف الحاجبين ، يسر قتله المؤمنين والملائكة المقربين ، وفهم الهيثم ابن الأسود النخعي أنه عنى عمر بن سعد ، وكان صديقاً له ، فأرسل إليه ابنه فأخبره ، وفزع الخبيث فركب ناقته ، وولى منهزماً من الكوفة ، وأخبر المختار بذلك ، فقال : إن في عنقه سلسلة سترده ، وقام ابن سعد طيلة الليل على ناقته ، وهو لا يشعر بشيء ، وجعلت تطوف به الكوفة ، وانتهت به عند الصبح إلى داره ، فدخل فيه ، فبعث إليه المختار أبا عمرة مع جماعة من الشرطة فهجموا عليه داره ، فقام ليأخذ سيفه ويدافع عن نفسه ، فعثر في جبة له ، فأسرع إليه ابو عمرة ، واحتز رأسه الخبيث ، وجاء به إلى المختار ، وكان إلى جانبه حفص بن عمر ، وقد بعثه أبوه ليطلب له أماناً ، فقال له المختار : أتعرف من هذا ؟ قال حفص : نعم ولا خير في العيش بعده ، وأمر به المختار فالحق بابيه وقال : هذا ـ وأشار إلى رأس عمر ـ بحسين ، وهذا ـ وأشار إلى رأس حفص ـ بعلي بن الحسين ، ولا سواء ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ، ما وفوا أنملة من أنامله[2] وانتهت بذلك حياة هذا الخائن الخبيث الذي حارب الله ورسوله ، وسعى في الأرض فساداً وقد ظن أنه بقتله للحسين سينعم بملك

---

(١) نفس المصدر .

(٢) الكامل ٣/ ٣٧٠ .

الري ، ويعيش في رفاهيته ، وسعة وأمرة ، إلاَّ أن الله خيب آماله ، فقد أخذ ابن زياد منه العهد الذي ولاه فيه الري ، وظل مقيماً في ارباض الكوفة ، وهو يتلقى التنديد والاهانة والاستخفاف من جميع الأوساط حتى ساقه المختار إلى جهنم وساءت مصيراً .

وممن نال العقاب العادل المجرم الممسوخ حرملة بن كاهل الذي قتل عبد الله الرضيع نجل الإمام الحسين ، فقد ترك هذا الخبيث بجريمته قروحاً في قلوب العلويين ، فقد روى المنهال بن عمر ، قال : دخلت على علي بن الحسين حال منصرفي من مكة فقال لي : « يا منهال ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي ؟ . . » .

ـ « تركته حياً بالكوفة . . » .

فرفع الإمام يديه إلى السماء ، وراح يدعو بحرارة قائلاً : « اللهم أذقه حر الحديد . . اللهم أذقه حر النار . . » .

قال المنهال : فلما قدمت إلى الكوفة ، قصدت المختار ، وكان لي صديقاً ، فسلمت عليه ، ورأيته مشغول الفكر ، يترقب أمراً وما هي إلا لحظات حتى جيء بالمجرم حرملة بن كاهل ، فأمر باحضار نار ، وتقطيع أوصاله والقائها في النار[1] ، فكبرت فالتفت المختار إلي ، وقال : إن التكبير لحسن ، لم كبرت ؟ فأخبرته بدعاء الإمام علي بن الحسين ، وعظم ذلك عند المختار وصام يومه شكراً لله على استجابة دعاء الإمام على يده لقد صبَّ المختار وابلاً من العذاب الأليم على رؤوس السفكة المجرمين من قتلة الامام الحسين عليه السلام ، وسقاهم كأساً مصبرة ، واسكن بيوتهم الثكل والحزن والحداد .

مصرع الطاغية ابن زياد :

وعلم المختار أن عبد الملك أرسل جيشاً مكثفاً بقيادة الجلاد عبيد الله بن زياد لفتح الكوفة ، وعهد إليه أن يبيحها ثلاثة أيام لجنده ، كما فعل مثل ذلك يزيد ابن معاوية في مدينة النبي (ص) ، فانتدب المختار

---

(١) اثبات الهداة : ٥/٢١٤ .

لمناجزته جيشاً عقائدياً قد أترعت نفوس الكثيرين منه بالولاء لآل النبي (ص) وبالعداء لبني أمية وكان عهد بقيادته إلى الزعيم الموهوب ابراهيم بن مالك الأشتر ، وكان جيش ابن زياد يفوق جيش المختار عدةً وعدداً ، إلا أنه كانت تنقصه الروح المعنوية ، والإيمان بالحرب ، وقد التحم الجيشان في معركة رهيبة ، وقد كتب الله النصر لجند الإسلام والإيمان ، فانهزم جيش الشام شر هزيمة ، وخسر خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وقد حصد الزعيم ابراهيم بسيفه رأس الكفر والضلال ابن مرجانة ، وقتل الحصين بن نمير، كما قتل أكثر القادة العسكريين من أهل الشام وحمل رأس ابن مرجانة إلى المختار ، فسر بذلك سرورا بالغاً ، ويقول المؤرخون : إن حية دخلت في فم رأس ابن مرجانة ثم خرجت من منخره وقد فعلت ذلك مراراً[1] ، ووجه المختار بالرأس الخبيث إلى الإمام علي بن الحسين، وعهد إلى رسوله بأن يضع الرأس بين يدي الإمام ، وقت ما يوضع الطعام على الخوان بعد الفراغ من صلاة الظهر ، وجاء الرسول إلى باب الإمام ، وقد دخل الناس لتناول الطعام ، فرفع الرجل عقيرته ونادى :

« يا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومهبط الملائكة ، ومنزل الوحي ، أنا رسول المختار بن أبي عبيدة ومعي رأس عبيد الله بن زياد . . »

ولم تبق علوية في دور بني هاشم إلا صرخت[2] فقد تذكرت ما اقترفه ابن مرجانة من الجرائم تجاه حرائر النبوة وعقائل الوحي ، ولما رأى الإمام رأس الطاغية سجد لله شكراً ، وقال :

« الحمد لله الذي لم يمتني حتى أنجز ما وعد ، وأدرك ثاري من عدوي . . »[3] والتفت الإمام إلى الحاضرين ، فقال لهم :

« سبحان الله !! ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله في عنقه نعمة ، لقد أدخل رأس أبي عبد الله على ابن زياد ، وهو يتغدى . . . »[4] .

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٣٨١/٣ .
(٢) تاريخ اليعقوبي : ٦/٣ .
(٣) غاية الاختصار : (ص ١٥٦) دعوات قطب الراوندي (ص ٥٩) .
(٤) العقد الفريد : ١٤٣/٥ .

ويقول المؤرخون : إن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يُر ضاحكاً منذ أن استشهد أبوه إلا في اليوم الذي رأى فيه رأس ابن مرجانة ، وقد كانت له ابل تحمل إليه الفاكهة من الشام ، وفي ذلك اليوم قدمت إليه ، فأمر عليه السلام بتوزيعها على أهالي المدينة[1] لهذه المناسبة الخالدة .

لقد كان لمقتل الطاغية صدى فرح واستبشار في جميع الأوساط الإسلامية ولعنه الناس جميعاً ، وقد هجاه الشعراء وسبوه وأظهروا الشماتة في قتله يقول يزيد بن المفرغ :

إن المنايا إذا ما زرن طاغية ... هتكن استار حجاب وأبواب
أقول : بُعداً وسحقاً عند مصرعه ... لابن الخبيثة ، وابن الكودن الكابي
لا أنت زوحمت عن ملك فتمنعه ... ولا متتت إلى قوم بأسباب
لا من نزار ولا من جذم ذي يمن ... جلمود إذا القيت من بين الهاب
لا تقبل الأرض موتاهم ... وكيف تقبل رجسا بين أثواب[2]

ويقول :

إن الذي عاش ختاراً بذمته ... ومات عبداً قتيل الله بالزاب[3]

وقال سراقة البارقي : يمدح ابراهيم الأشتر لقتله لهذا الرجس .

أتاكم غلام من عرانين مذحج ... جريء على الأعداء غير نكول
فيا بن زياد بُؤْ بأعظم هالك ... وذق حد ماضي الشفرتين صقيل
جزى الله خيرا شرطة الله إنهم ... شفوا من عبيد الله أمس غليلي[4]

وقال عمير بن الحباب السلمي يهجو الجيش الذي كان مع ابن زياد في هذه المعركة :

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٦/٣ .
(٢) الكامل ٣٨١/٣ . وفي هذا البيت زحاف .
(٣) العقد الفريد ١٤٣/٥ .
(٤) الكامل ٣٨١/٣ .

وما كان جيش يجمع الخمر والزنا محلا إذا لاقى العدو لينصرا[1]

إن الجيش الذي خف معه كان مؤلفاً من عصابة مجرمة لم تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، وإنما انطلقت معه سعياً وراء مصالحها وأغراضها ، وعلى أي حال فقد أدخل المختار السرور على قلوب العلويين بقتله لهذا الطاغية الأثيم ، وغيره من الجناة الذين شاركوا في قتل سيد شباب أهل الجنة ، ولم يقتصر المختار على هذه المبرة الكبرى للعلويين وإنما كان يمدهم بالمال الجزيل فقد بعث بعشرين ألف دينار إلى الإمام زين العابدين ، فقبلها ، وبنى بها دور بني عقيل التي هدمتها بنو أمية[2] وأوصل الإمام عليه السلام بمال كثير كما أوصل محمد بن الحنفية ، وسائر العلويين بأموال كثيرة .

لقد كان المختار من حسنات الدنيا ، ومن مفاخر الأمة العربية والإسلامية ومن ابطال التاريخ ، فقد ثار للحق ، وتبنى القضايا المصيرية للأمة وقد شفى الله بثورته الخالدة قلوب المؤمنين ، فقد قضى على تلك الزمرة الخائنة ، وأذاقها وبال ما جنت أيديها ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن ثورة المختار .

ثورة ابن الزبير :

وانطوت نفوس الحجازيين على كره عميق للأمويين وذلك لاعتدائهم الصارخ في أيام يزيد على مدينة النبي (ص) وعلى الكعبة المقدسة التي هي موضع عز المسلمين وفخرهم ، وعندما دعاهم ابن الزبير لمبايعته استجابت له الأكثرية الساحقة منهم ، وقد خلص له الحجاز بأسره كما خلص له غيره من سائر الأقاليم الإسلامية ، ولكن ابن الزبير لم يكن أهلاً لهذا المنصب الخطير ، فإنه لم يكن مهتما بصالح الأمة ، وانقاذها من ظلم الأمويين وجورهم ، وإنما كان يبغي الملك والسلطان ، وقد عرف عبد الله بن عمر نفسيته ووقف على

---

(١) الكامل : ٣/٣٨٢ .

(٢) سفينة البحار : ١/٤٣٥ .

اتجاهاته ، فقد الحت عليه زوجته بمبايعته فقال لها : أما رأيت نخلات معاوية التي كان يحج اليها الشهباء ، فإن ابن الزبير ما يريد غيرهن[1] .

وقد تسلح للاستيلاء على السلطة باظهار النسك والعبادة وملازمة البيت الحرام يطوف به تارة، ويصلي به أخرى وذلك لاغراء السذج والبسطاء، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : ينصب حبالة الدين لاصطفاء الدنيا[2] وقد كان له ماض أسود فهو الذي حارب وصي رسول الله (ص) وباب مدينة علمه ، ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو الذي دفع أباه الزبير لمحاربته ، وقد فسح بذلك المجال للأمويين أن يعلنوا العصيان المسلح على السلطة الشرعية ، ويستولوا أخيراً على زمام الحكم .

ونفرت منه الجماهير ، وكرهت حكمه ، وذلك لبخله ، حتى قيل إنه كان حينما يعطي مال الله للفقراء كأنه يعطي ميراث أبيه[3] ويقول الفخري : أنه كان عظيم الشح فلذلك لم يتم أمره[4] وقد عاب عليه أبو حرة بخله بقوله :

إن الموالي أمست وهي عاتبة ... على الخليفة تشكو الجوع والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا ... أي الملوك على ما حولنا غلباً[5]

وقد أراد ابن الزبير أن يسترشحه على الناس فكان يقول : إنما بطني شبر فما عسى أن ينسع ذلك من الدنيا ؟ وأنا العائذ بالبيت ، والمستجير بالرب[6] وقد أثارت عليه هذه الكلمة السخرية من جميع الأوساط فقد عرفه الجميع بأنه ذئب لا يتورع عن نهب أموال المسلمين ، وأنه يقضم أموال الله

---

(١) حياة الإمام الحسين : ٢/ ٣١٠ .
(٢) شرح النهج : ٧/ ٢٤ .
(٣) اليعقوبي : ٣/ ٩ .
(٤) الفخري : (ص ١٠٥) .
(٥) حياة الإمام الباقر : ٢/ ١٨٠ .
(٦) الاغاني : ١/ ٢٢ .

قضم الابل نبتة الربيع ، ويقول فيه الضحاك بن فيروز ساخراً :

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة ... وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت إذا ما نلت شيئاً قضمته ... كما قضمت نار الغضا حطب السدر
فلو كنت تجزي أو تبيت بنعمة ... قريباً لردتك العطوف على عمرو[1]

ويعزو المحللون السياسيون السبب في سقوط حكومته إلى بخله ، وفقره النفسي وأنه لو تم له الأمر لأشاع البؤس والفقر بين الناس .

بغضه للعلويين :

كان ابن الزبير يبغض آل النبي (ص) الذين فرض الله مودتهم على كل مسلم ، ويحقد عليهم كأشد ما يكون الحقد ، وبلغ من حقده عليهم أنه ترك الصلاة على النبي (ص) في خطبته ، فقيل له في ذلك ، فقال :

« إن له أهل سوء يشرئبون لذكره ، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به . . »[2] .

ويقول ابن الزبير لأبن عباس : أني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت ، منذ أربعين سنة[3] لقد تنكر هذا الجلف لعترة رسول (ص) الذين هم مصدر الوعي والفكر في الإسلام ، وتناسى فضل النبي العظيم (ص) على قومه فهو الذي أنقذهم من حياة البؤس في الصحراء ، وبنى لهم مجداً وملكاً وجعلهم سادة الأمم والشعوب .

اعتقاله للعلويين :

وطلب ابن الزبير من العلويين البيعة له ، فامتنعوا ، وقالوا : لا نبايع حتى تجتمع الأمة ، فأوعز إلى شرطته باعتقالهم ، فاعتقلوا في (زمزم) وتوعدهم بالقتل والاحراق ، وضرب لهم أجلاً مسمى ، وأشار على ابن

(١) حياة الإمام الباقر ٢/ ١٨٠ .
(٢) اليعقوبي : ٣/ ٨ .
(٣) مروج الذهب ٣/ ٢٦ .

الحنفية بعض أتباعه أن يستنجد بالمختار حاكم العراق فكتب إليه يعلمه بحاله ، فاستجاب له المختار على الفور ، وأرسل مفرزة عسكرية بقيادة أبي عبد الله الجدلي ، وأسرع الجيش في سيره حتى انتهى إلى مكة ، وقد رفعوا الرايات ، وهم ينادون : « يا لثارات الحسين » وانتهوا إلى المسجد الحرام وقد أعد ابن الزبير الحطب على باب السجن الذي فيه العلويون ، وقد عزم الباغي على احراقهم ، وهجم الجيش على السجن ، وأخرجوا منه العلويين وطلبوا من محمد بن الحنفية أن يخلي بينهم ، وبين ابن الزبير ليناجزوه الحرب فأبى ، وقال لهم مقالة الرجل المؤمن الكريم أني لا استحل الحرم ، ولم يسمح لهم بقتاله . . . وفي نجاة ابن الحنفية من سجن ابن الزبير يقول الشاعر كثير بن عبد الرحمن .

فمن ير هذا الشيخ بالخيف من منى ... من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمي النبي المصطفى وابن عمه ... وفكاك اغلال ونفاع غارم
أبى فهو لا يشري هدى بضلالة ... ولا يتقي في الله لومة لائم
ونحن بحمد الله نتلو كتابه ... حلولاً بهذا الخيف خيف المحارم
بحيث الحمام آمن الروع ساكن ... وحيث العدو كالصديق المسالم
فما فرح الدنيا بباق لأهلها ... ولا شدة البلوى بضربة لازم
تخبر من لاقيت أنك عائذ ... بل العائذ المظلوم في سجن عارم[1]

ونحن على ثقة أن ابن الزبير لو استتبت له الأمور لم يبق علوياً على وجه الأرض ، ولكن الله تعالى بلطفه قوض سلطانه ، وأطاح بملكه .

سقوط حكومته :

وكان من الطبيعي أن تسقط حكومة ابن الزبير بعد أن بلي بالبخل ، والاستبداد بالرأي والعجب بنفسه ـ كما يقول عبد الملك بن مروان ـ[2] وقد زحفت إليه جيوش الأمويين بقيادة السفاك الأثيم الحجاج بن يوسف الثقفي ،

---

(١) الأغاني ٨/٣١ .
(٢) حياة الإمام الباقر ٢/١٨٣ .

فاحتلت مكة المكرمة ، واعتصم ابن الزبير بالبيت الحرام ، وهو يرجو السلامة والنجاة ، ظاناً أن اعتصامه بالبيت الحرام سوف يوفر له الحماية ، وعدم الاعتداء عليه ، وقد أخطأ في ذلك، فإن الجيش الأموي لا يرجو لله وقاراً، ولا يرعى للبيت حرمة ، فقد أخذت قذائف النار تتساقط عليه ، وقد فر أكثر أصحابه ، وهم يطلبون من الحجاج الأمان ، وهو يمنحهم ذلك ، حتى بقي في عدد قليل من أصحابه ، فهجمت عليه جيوش الأمويين ، وحصدت رأسه ، وصلبه الحجاج إلى جانب المسجد الحرام ، وبقي مصلوباً ، لم يسمح الحجاج بمواراته ، حتى أذن له عبد الملك بذلك ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن ثورة ابن الزبير الذي لم يستهدف في ثورته إلا تحقيق رغباته الخاصة دون أن يحفل بأي مصلحة للأمة أو مكسب لها .

هذه بعض الثورات العامة التي تفجرت في ذلك العصر ، وهي وليدة الضغط السياسي الذي منيت به الأمة أيام الحكم الأموي ، وقد استهدف فقدان الاستقرار ، وانعدام الأمن ، ومطاردة السلطة لأحرار الأمة ، ورجال الوعي والفكر .

الحياة الاقتصادية :

أما الحياة الاقتصادية في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام فقد كانت مشلولة ، ومضطربة إلى أبعد الحدود ، فقد تدهورت الزراعة التي هي العمود الفقري للاقتصاد العام في ذلك العصر ، وذلك بسبب الفتن والاضطرابات الداخلية ، واهمال الدولة لمشاريع الري ، وما يوجب اصلاح الأرض ، وقد نجم عن ذلك شيوع مجاعات عامة ، عرض لها المؤرخون ، كما ارتفعت أسعار السلع ، وقد خلت أكثر البيوت من حاجات الحياة ، واصبحت بطون الناس طاوية ، وأجسامهم عارية، وقد صور شاعر اسدي[1] سوء حياته الاقتصادية وما فيه من بؤس وشقاء بقصيدة يمدح بها بعض نبلاء الكوفة ، طالباً منه أن يسعفه بمعروفه وبره . اسمعوا ما يقول :

يا أبا طلحة الجواد أغثني بسجال من سيبك المعتوم

(١) هو ابن عبدل ، وقد نظم القصيدة في (الفأر والسنور) ، وهي من ركيك النظم .

أحي نفس - فدتك نفسي - فإني ... مفلس ، قد علمت ذاك ، قديم
أو تطوع لنا بسلف دقيق ... أجره - إن فعلت ذاك - عظيم
قد علمتم - فلا تقاعس عني - ... ما قضى الله في طعام اليتيم
ليس لي غير جرة واصيص ... وكتاب منمنم كالوشوم
وكساء أبيعه برغيف ... قد رقعنا خروقه بأديم
وأكاف أعارنيه نشيط ... ولحاف لكل ضيف كريم[1]

أرأيتم هذا التملق والاستعطاف من هذا الشاعر البائس الذي نهشه الفقر والحرمان ؟ لقد أماته الجوع ، ويطلب أن يسعفه هذا الكريم بالطعام ليحيي نفسه ، وذكر ما يملكه من أثاث بسيط كان به في منتهى البؤس والفقر .

وكانت عامة الشعوب الإسلامية تعيش حياة بائسة لا تعرف السعة والرخاء ، وقد تحول الاقتصاد العام إلى جيوب الأمويين وعملائهم .

ترف الأمويين :

وانغمس الأمويون بالنعم والترف ، فكان فتيانهم يرفلون في القوهي[2] والعرشي كأنهم الدنانير الهرقلية[3] وكان عمر بن عبد العزيز يلبس الثوب باربعمائة دينار ، ويقول : ما أخشنه[4] وروى هارون بن صالح عن أبيه قال : كنا نعطي الغسال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا في أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطيب - يعني المسك - الذي فيها[5] وكان مروان بن ابان بن عثمان يلبس سبعة أقمص، كأنها درج ، بعضها أقصر من بعض ، وفوقها رداء عدني بالفي درهم[6] وقد ذكر المؤرخون نوادر كثيرة من ترفهم ، وتلاعبهم باقتصاد الأمة وثرواتها .

---

(١) حياة الحيوان للجاحظ : ٢٩٧/٥ - ٢٩٨ .
(٢) القوهي : الثوب من الخز الفاخر .
(٣) الأغاني طبع دار الكتب : ٣١٠/١ .
(٤) طبقات ابن سعد : ٢٤٦/٥ .
(٥) الأغاني : ٢٦٢/٩ .
(٦) الأغاني: ٨٩/١٧ .

هباتهم للشعراء :

وبالغ الأمويون في هباتهم للشعراء فقد اجزلوا العطاء إلى الأحوص شاعرهم ، فقد اعطوه مرة مائة الف درهم[١] واعطوه مرة أخرى عشرة آلاف دينار[٢] ويشير فى شعره إلى أن ثراءه الواسع لم يكن مكتسباً من تجارة أو ميراث ، وإنما هو من هبات الأمويين وعطاياهم يقول :

وما كان مالي طارفاً من تجارة ... وما كان ميراثاً من المال متلدا
ولكن عطايا من أمام مبارك ... ملا الأرض معروفاً وجوداً وسؤدداً[٣]

ويقول الأحوص في مدح الوليد بن عبد الملك :

أمام أتاه الملك عفواً ولم يثب ... على ملكه مالاً حراماً ولا دماً
تخيره رب العباد لخلقه ... ولياً وكان الله بالناس اعلما
فلما ارتضاه الله لم يدع مسلماً ... لبيعته إلا أجاب وسلماً
ينال الغنى والعز من نال وده ... ويرهب موتاً عاجلاً من تشأما
وأن بكفيه مفاتيح رحمة ... وغيث حيا يحيا به الناس مرهماً[٤]

ومعنى الأبيات الأخيرة من هذا الشعر أن من يتصل بالوليد ، ويكون من عملائه فإنه ينال الغنى والثراء العريض ، وأما من ينصرف عنه ، فإنه ينال الموت المعجل ، ومن الطبيعي أن هذه صفات الحكم الدكتاتوري الذي يسير وراء الأهواء والعواطف ، ولا يتقيد بالقانون .

هباتهم للمغنين :

وأجزل الأمويون العطاء للمغنين ، فقد أعطى الوليد بن يزيد معبداً

---

(١) الأغاني ١٧٢/٩ .
(٢) الأغاني ٨/٩ .
(٣) الأغاني ٨/٩ .
(٤) الأغاني ٢٩/١ .

المغني اثني عشر ألف دينار[1] واستقدم جميع مغنيي الحجاز فأجازهم جوائز كثيرة[2] ووفد على يزيد بن عبد الملك معبد ، و ومالك ابن أبي السمح وابن عائشة فأمر لكل واحد منهم بألف دينار[3] وطلب الوليد المفتى يونس الكاتب فذهب إليه وغناه ، فأعجب بغنائه ، وأجازه بثلاثة آلاف دينار[4] .

وهكذا كانت تتبدد ثروات الأمة على المغنين والعابثين ، والمجانين ، في وقتٍ أخذ الفقر والبؤس فيه بخناق المواطنين ، ولم يعد للاقتصاد الإسلامي أي وجود في واقع الحياة العامة .

حياة اللهو :

وسادت حياة اللهو والعبث والمجون في كثير من انحاء العالم الإسلامي وخصوصاً في الأماكن المقدسة كالمدينة المنورة ، ومكة المكرمة فقد عمدت الحكومات الأموية إلى اشاعة ذلك في المدينتين المقدستين لاسقاط هيبتهما من نفوس المسلمين ، ونعرض - بايجاز - إلى اللهو والمجون في المدينة المنورة .

الغناء :

شاع الغناء في المدينة المنورة ، حتى صارت مركزاً له ، يقول ابو الفرج : ان الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم ، ولا يدفعه عابدهم[5] ويقول ابو سيف لبعض أهالي المدينة : ما أعجب أمركم يا أهل المدينة ، في هذه الأغاني ، ما منكم شريف ، ولا دنيء يتحاشى عنها[6] وكان العقيق إذا سال ، وأخذ المغنون يلقون اغانيهم لم تبق في المدينة مخبأة ، ولا شابة ، ولا

---

(١) الأغاني ١/٥٥ .
(٢) الأغاني ٥/١١١ .
(٣) الأغاني ٤/ .
(٤) الأغاني ٤/٤٠٠ .
(٥) الأغاني ٨/٢٢٤ .
(٦) العقد الفريد ٣/٢٣٣ .

شاب ، ولا كهل إلا خرج ببصره[1] ويسمع الغناء ، ومن طريف ما ينقل انه شهد عند عبد العزيز المخزومي ، قاضي يثرب دحمان المغني الشهير لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق ، فأجاز القاضي شهادته وعدله ، فقال له العراقي : انه يغني ، ويعلم الجواري الغناء ، فقال القاضي : غفر الله لنا ، ولك ، واينا لا يتغنى[2] .

وكان فقيه المدينة مالك بن أنس له معرفة تامة بالغناء ، فقد روى حسين بن دحمان الأشقر ، قال : كنت بالمدينة فخلا لي الطريق وسط النهار ، فجعلت أغني .

ما بال أهلك يا رباب خزراً كأنهم غضاب

قال : فإذا خوخة قد فتحت ، وإذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء ، فقال : يا فاسق أسأت التأدية ، ومنعت القائلة ، واذعت الفاحشة ، ثم اندفع يغني فظننت ان طوياً قد نشر بعينه ، فقلت له : اصلحك الله ، من اين لك هذا الغناء ؟ فقال : نشأت وانا غلام حدث أتبع المغنين ، وآخذ عنهم ، فقالت لي أمي : ان المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء ، واطلب الفقه ، فانه لا يضر معه قبح الوجه ، فتركت المغنين واتبعت الفقهاء ، فقلت له : فاعد جعلت فداك ، فقال : لا ، ولا كرامة ، اتريد ان تقول : أخذته عن مالك بن أنس ، وإذا هو مالك بن أنس ، ولم أعلم[3] وسواء اصحت هذه الرواية أم لا تصح ، وان الحاقدين على الامام مالك قد وضعوها للحط من شأنه ، فان الذي لا ريب فيه ان المدينة المنورة في ذلك العصر كانت مركزاً من مراكز الغناء في العالم الإسلامي ، ومعهداً خاصاً لتعليم الجواري الغناء .

حفلات الغناء والرقص :

وكانت تقام في يثرب حفلات الغناء والرقص ، وربما كانت مختلطة بين

(١) العقد الفريد ٣/٢٤٥ .
(٢) الأغاني ٦/٢١ .
(٣) الأغاني ٤/٢٢٢ .

النساء والرجال ، ولم توضع بينهما ستارة[1] وروى ابو الفرج أن جميلة ، جلست يوماً ، ولبست برنساً طويلاً ، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك ، ثم قامت ورقصت ، وضربت بالعود ، وعلى رأسها البرنس الطويل ، وعلى عاتقها بردة يمانية ، وعلى القوم أمثالها ، وقام ابن سريج يرقص ، ومعبد، والغريدي، وابن عائشة، ومالك ، وفي يد كل منهما عود يضرب به على ضرب جميلة ، ورقصها ، فغنت وغنى القوم على غنائها ، ثم دعت بثياب مصبغة ، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ، وتمشت ومشى القوم خلفها ، وغنت ، وغنوا بغنائها بصوت واحد[2] وكانت عائشة بنت طلحة تقيم احتفالات مختلطة من الرجال والنساء ، وتغني فيها عزة الميلاء[3] .

تأثر المدنيين بالغناء :

لقد تأثر المدنيون بالغناء، بعدما استولى على مشاعرهم وعواطفهم ، وقد نقل الرواة عن قاضي المدنية محمد بن عمران التيمي أنه استمع إلى جارية عنده تغني ، فأثر ذلك عليه ، فقام بلا وعي إلى نعله ، فعلقها في أذنه من شدة الطرب ، وحبا على ركبتيه ، وأخذ بطرف أذنه، والنعل فيها ، وجعل يقول : أهدوني أنا بدنة ، أهدوني أنا بدنة[4] .

وسمع ابن أبي ربيعة صوتاً من (جميلة) فشق قميصه إلى أسفله فصار قباءاً، وهو لا يدري[5] وبلغ من شدة تأثرهم بالغناء أن يزيد بن عبد الملك لما اشترى المغنية (سلامة القس) من مولاها بعشرين ألف دينار ، خرج أهل المدينة لتوديعها ، وقد ملأوا رحبة القصر ، فوقفت بينهم ، فغنتهم :

فارقوني وقد علمت يقيناً ما لمن ذاق ميتةً من إياب

---

(١) الشعر والغناء في المدينة ومكة (ص ٢٥٠) .
(٢) الأغاني ٨/٢٢٧ .
(٣) الأغاني ١٠/٥٧ .
(٤) الأغاني ٧/٣٣١ .
(٥) الأغاني ٨/٢٠٦ .

ولم تزل تردد هذا الصوت ، والناس وراءها ينتحبون ويبكون[1] واشترى يزيد بن عبد الملك (حبابة) فجعلت تغني عنده ، وكان إلى جانبه الذي باعها وهو من أهل المدينة فعرض لحيته إلى شمعة فاحترقت ، وهو لم يحس بها من شدة الطرب[2] وقد نقل المؤرخون نوادر كثيرة عن شدة تأثر المدنيين بالغناء .

المغنيات في يثرب :

وكانت يثرب تعج بالمغنيات ، وكن يقمن بدور فعال في تعليم الغناء للفتيات والفتيان ، ونشر الغناء ، واشاعة المجون والفساد ، ومن المؤسف حقاً أن مدينة النبي (ص) صارت في العصر الأموي مركزاً للحياة العابثة ، وكان من المؤمل أن تكون معهداً للثقافة الدينية ومصدراً للاشعاع الفكري والحضاري في العالم العربي ، والإسلامي إلاَّ أنَّ الأمويين سلبوها هذه الظاهرة ، وأفقدوها زعامتها الدينية ، والسياسية .

مجون الأمويين :

وعاش ملوك الأمويين حياة كلها لهو وعبث وفسق ومجون ، فكانت لياليهم الحمراء تعج بالخمور والغناء والرقص ، وكان أول من اتخذ الغناء ، وآوى المغنين من بني أمية يزيد بن معاوية ، فقد طلبهم من المدينة[1] وكان يتجاهر بالفسق والفجور ، ويشرب الخمر علناً .

ومن مجانهم الوليد بن يزيد ، فقد طلب ابن عائشة المغني ، فغناه فطرب على غنائه ، وقال له : احسنت والله يا أميري ، ثم نزع ثيابه ، فالقاها عليه ، وبقي مجرداً إلى أن أتوه بمثلها ، ووهب له ألف دينار ، وحمله على بغلة ، وقال : اركبها بأبي أنت ، وانصرف ، فقد تركتني على مثل (المقلى) من حرارة غنائك[3] واستقدم الوليد عطرداً المغني ولما سمع منه أحد أصواته

---

(١) الأغاني : ٣٤٣/٨ .
(٢) الأغاني : ٣١٦/٦ .
(٣) الأغاني : ٣٢٤/٨ .

فقد وعيه، فشق حلة وشي كانت عليه ، ورمى بنفسه في بركة خمر، فما زال بها حتى أخرج كالميت سكراً فلما أفاق قال لعطرد : كأني بك قد أتيت المدينة ، فقمت في مجالسها وقعدت، وقلت : دعاني أمير المؤمنين ، فدخلت عليه فاقترح علي فغنيته ، وأطربته ، وشق ثيابه ، وفعل ، والله لئن تحركت شفتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضربن عنقك ، ثم اعطاه الف دينار فأخذها ، وانصرف إلى المدينة[1] .

ومن مجانهم يزيد بن عبد الملك ، فقد طلب ابن عائشة فلما مثل عنده أمره بالغناء ، فغناه صوتاً طرب منه حتى ألحد في طربه ، وقال لساقيه : إسقنا بالسماء الرابعة[2] .

واشاع هؤلاء الملوك الفسق والفجور في جميع انحاء العالم الإسلامي خصوصا في يثرب ، وذلك للقضاء على قدسيتها ، وما تتمتع به من مكانة مرموقة في نفوس المسلمين .

موقف الإمام :

وكان موقف الإمام زين العابدين عليه السلام أمام هذه التيارات الفاسدة المدمرة للأخلاق متسماً بالصلابة والقوة ، فقد سلط عليها أشعة من روحه المقدسة التي تحكيها الصحيفة السجادية التي تهز أعماق النفوس ، وذلك بما حوته من وعظ وارشاد ، وما اشتملت عليه من دروس اخلاقية ابرزت قيم الاسلام ، وهدى آل البيت عليهم السلام .

لقد وقفت الصحيفة السجادية التي هي انجيل آل محمد (ص) سداً منيعاً وشامخاً لحماية الإسلام ، وصيانته من هذا التفسخ الجاهلي الذي أوجده الحكم الأموي ، فقد نعت على الأمة ما هي فيه من الانحطاط الفكري والاجتماعي ، ودعتها إلى الانطلاق والتحرر من ذل المعصية إلى عز طاعة

---

(١) الأغاني : ٢/٢٢٦ .
(٢) الأغاني : ٣/٣٠٧ .
(٣) مروج الذهب : ٢/٩ .

الله خالق الكون وواهب الحياة .

ويضاف إلى الصحيفة السجادية هدى الإمام عليه السلام وسيرته التي كانت تحكي سيرة جده الرسول الأعظم (ص) فكانت تبعث على الهدى ، وترشد الضال ، وتهدي الحائر إلى الطريق القويم .

الحياة العلمية :

أما الحياة العلمية في عصر الإمام عليه السلام فقد كانت مشلولة بما حوته هذه الكلمة من معنى ، فقد كان الخط السياسي الذي سارت عليه الدولة الأموية منذ تأسيسها مجافاة العلم ، واقصاء الوعي الثقافي من المسلمين ، واركاسهم في منحدر سحيق من الجهل لأن بلورة الوعي العام وإشاعة العلم بين المسلمين يهددان مصالحهم ، وملكهم القائم على الجهل ، وقد رأى الإمام زين العابدين عليه السلام محنة الأمة ، وما هي فيه من أخطار مدمرة لوجودها وكيانها ، فرفع عليه السلام منار العلم ، ودعا شباب الأمة إلى التحرر من قيود الجهل .

لقد فتح الإمام زين العابدين عليه السلام آفاقاً مشرقة من العلم لم يعرفها الناس من ذي قبل ، فقد عرض لعلوم الشريعة الإسلامية من الحديث والفقه ، والتفسير وعلم الكلام ، والفلسفة ، ويقول بعض المترجمين له : إن العلماء رووا عنه من العلوم ما لا يحصى .

مدرسة التابعين :

وأنشئت في عصر الإمام عليه السلام (مدرسة التابعين) وهي أول مدرسة اسلامية أقيمت في يثرب بعد مدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد عنت هذه المؤسسة بعلوم الشريعة الإسلامية، ولم تتجاوزها. أما اعضاؤها فهم : سعيد بن المسيب ، عروة بن الزبير ، القاسم بن محمد بن أبي بكر ، ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، سليمان بن يسار ، عبيد الله بن عتبة بن مسعود ، خارجة بن زيد ، وفيهم يقول الشاعر :

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر ... روايتهم ليست عن العلم خارجة
فقل : هم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجة

وقال شاعر آخر :

ألا كل من لا يقتدي بأئمة ... فقسمته ضيزى عن العلم خارجة
فحدهم : عبيد الله ، عروة ، قاسم ... سعيد ، سليمان ، أبو بكر ، خارجة[1]

ومن الجدير بالذكر أن بعض هؤلاء العلماء كانوا ممن تتلمذوا على يد الإمام زين العابدين عليه السلام ، وأخذوا عنه الحديث والفقه ، خصوصاً سعيد بن المسيب، الذي كان أحد رواة الإمام (ع) وقد لازمه، وأخذ عنه الكثير من مسائل الحلال والحرام[2] وعلى أي حال فإن الحياة العلمية في عصر الإمام عليه السلام كانت شبه معدومة ، فقد انشغل المسلمون بالأحزاب السياسية التي كانت تتصارع على الظفر بالحكم ، والاستيلاء على خيرات البلاد .

الحياة الأدبية :

أما الطابع الخاص للحياة الأدبية ، فهو ما يحكيه شعراء ذلك العصر في شعرهم ، فهو ـ من المؤسف ـ لم يمثل أي مشكلة اجتماعية من مشاكل ذلك العصر على كثرتها كما أنه لم يمثل جداً في الحياة العقلية والأدبية، وإنما كان شعراً قبلياً يحكى فيه كل شاعر ما امتازت به قبيلته من كرم الضيافة ، والشجاعة ، ووفرة المال والعدد ، وغير ذلك مما يفخرون به ، كما غدا سوقاً للهجاء المر، والتنابز بالألقاب مما جعله أداة للتخريب، وقد برز ذلك بصورة ظاهرة في شعر الفرزدق وجرير ، فإنك تجد أكثر شعرهما في الهجاء ، والسباب والقذف ، حتى لم تبق في قاموس الهجاء والشتم كلمة إلا وقد نظمت في هجاء كل منهما للآخر، وان دلّ ذلك على شيء فعلى أن الحياة الجاهلية الأولى التي حاربها الإسلام قد عادت بجميع صورها القذرة في أيام الحكم

(١) ابو الفداء .
(٢) حياة الإمام محمد الباقر ٢ / ١٣٠ .

الأموي . . . وقد انتهز هذه الفرصة شاعر الإسلام الأكبر الكميت الأسدي ، فأشاد بمناقب قومه المضريين ، وفضلهم على القحطانيين فأثار بذلك الفتنة بين القبائل ، مما يعتبر من العوامل الأصيلة في الاطاحة بالحكم الأموي ، اسمعوا ما يقول في مدح قومه وهجاء القحطانيين .

لنا قمر السماء وكل نجمٍ ... تشير إليه أيدي المهتدينا
وجدت الله إذ سمى نزاراً ... وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات ... وللناس القفا ولنا الجبينا
وما خرجت هجائن من نزار ... فوالخ من فحول الأعجمينا[1]
وما حملوا الحمير على عتاق ... مطهمة فيلفوا مبغلينا[2]
وما ولدت بنات بني نزار ... حلائل أسودين وأحمرينا
بني الاعمام أنكحنا الايامى ... وبالآباء سمينا البنينا[3]

لقد فخر بهذه الأبيات على القحطانيين ، فقد نسب لقومه قمر السماء والكواكب المضيئة من رجالهم ، وقد اختصوا بالمكارم والمآثر وأما خصومهم من القحطانيين فقد عيرهم بأنهم يزوجون بناتهم من الحبش والفرس فيولدن السود والحمر ، وكان هذا النسل يشبه تلقيح الحمير للخيل العتاق التي تنتج البغال . . . وقد اثار هذا الهجاء حفائظ القحطانيين ، وأجج نار الفتنة والبغضاء فيما بينهم وبين المضريين ، وقد انبرى شاعر العقيدة دعبل الخزاعي للرد على الكميت والاشادة بقومه القحطانيين وقد بلغت قصيدته ستمائة بيت ، ومما جاء فيها .

أفيقي من ملامك يا ظعينا ... كفاك اللوم مر الاربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي ... يشيبن الذوائب والقرونا
أحيي الغرَّ من سروات قومي ... لقد حييت عنايا مدينا
فإن يك آل اسرائيل منكم ... وكنتم بالأعاجم فاخرينا

---

(١) الهجائن : الحرات الكريمات ، الفوالخ : جمع فالخ وهو الزوج .
(٢) عناق مطهمة : يراد بها النساء العربيات الشريفات .
(٣) مروج الذهب ٢/١٩٦ .

فلا تنس الخنازير اللواتي مسخن مع القرود الخاسئينا
بأيلة والخليج لهم رسوم وآثار قَدُمن وما محينا
وما طلب الكميت طلاب وتر ولكنا لنصرتنا هجينا
لقد علمت نزار أن قومي إلى نصر النبوة فاخرينا

ويقول المؤرخون : إنه تتابع فخر النزارية على اليمنية ، وفخر اليمنية على النزارية حتى تخربت البلاد ، وثارت العصبية في البدو والحضر[1] .

وعلى أي حال فإن الطابع للأدب والشعر في العصر الأموي كان هو التفاخر والتنابز ، وليس فيه أي جد وانطلاق في الحياة الفكرية ، كما لم يكن فيه أية دعوة إلى الخير والفضيلة ، بل إلى الانحطاط والتأخر . . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن عصر الإمام عليه السلام .

---

(١) مروج الذهب ٢/١٩٧ .

الى جنة المأوى

وكان كلما تقدم سن الإمام زين العابدين عليه السلام ازداد ضعفاً وذبولاً ، فقد أجهد نفسه أي إجهاد ، وحملها من أمره رهقاً من كثرة عبادته وعظيم طاعته ، فكان ـ فيما أجمع عليه المؤرخون ـ قد قضى معظم حياته صائماً نهاره ، قائماً ليله ، وفي نفس الوقت كانت تلاحقه ذكريات كربلاء ، وما جرى على أبيه ، وعلى آل البيت من النكبات والخطوب ، وكان كلما نظر إلى عماته واخواته تذكر فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة ، ومنادي القوم ينادي أحرقوا بيوت الظالمين ، فيحزن أشد الحزن ، وأقساه ، ومن الطبيعي أن لذلك أثراً وضعياً على صحته التي أذابتها هذه المآسي .

وعلى أي حال فنحن في الشوط الأخير من هذا الكتاب ، ونعرض إلى المرحلة الأخيرة من حياة الإمام عليه السلام ، وما رافق ذلك من احداث .

اغتياله بالسم :

كان الإمام يتمتع بشعبية هائلة ، فقد تحدث الناس ـ باعجاب ـ عن علمه وفقهه وعبادته ، وعجبت الأندية بالتحدث عن صبره ، وسائر ملكاته ، وقد احتل قلوب الناس وعواطفهم ، فكان السعيد من يحظى برؤيته ، والسعيد من يتشرف بمقابلته والاستماع إلى حديثه ، وقد شق ذلك على الأمويين ، وأقضّ مضاجعهم وكان من أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك ، فقد

روى الزهري أنه قال: « لا راحة لي ، وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا »[1] واجمع رأي هذا الخبيث الدنس على اغتيال الإمام حينما آل إليه الملك والسلطان، فبعث سما قاتلاً إلى عامله على يثرب ، وأمره أن يدسه للإمام[2] ونفذ عامله ذلك، وقد تفاعل السم في بدن الإمام ، فأخذ يعاني أشد الآلام وأقساها ، وبقي حفنة من الأيام على فراش المرض يبث شكواه إلى الله تعالى ، ويدعو لنفسه بالمغفرة والرضوان ، وقد تزاحم الناس على عيادته ، وهو عليه السلام يحمد الله ، ويثني عليه أحسن الثناء على ما رزقه من الشهادة على يد شر البرية .

نصه على إمامة الباقر :

وعهد الإمام عليه السلام بالامامة إلى ولده الباقر عليه السلام رائد الحركة العلمية والثقافية في الإسلام ، يقول الزهري : دخلت عائداً اياه ، فقلت له :

« إن وقع من أمر الله ما لا بد منه ، فإلى من نختلف بعدك ؟ . . »

فنظر الإمام إليه برفق ، وقال له :

« إلى ابني هذا ـ وأشار إلى ولده محمد الباقر ـ فإنه وصيي، ووارثي ، وعيبة علمي ، هو معدن العلم وباقره . . » .

فقال الزهري :

« هلا أوصيت إلى أبر ولدك ؟ . . »

ولم يفقه الزهري أمر الإمامة ، وإنها لم تكن بأي حال خاضعة للاعراف القبلية ، وقد رد عليه الإمام قائلاً :

« يا أبا عبد الله ليست الإمام بالكبر والصغر ، هكذا عهد إلينا رسول الله (ص) وهكذا وجدناه في اللوح والصحيفة . . » .

---

(١) حياة الإمام الباقر ١/ ٥١ .

(٢) الاتحاف بحب الاشراف (ص ٥٢) الصواعق المحرقة (ص ٥٣) .

وطلب الزهري المزيد من الايضاح قائلاً :

« يا ابن رسول الله ، عهد إليكم نبيكم أن تكونوا الأوصياء بعده ؟ . . »

فأجابه عليه السلام .

«وجدنا في الصحيفة واللوح اثني عشر اسماً مكتوبة في اللوح امامتهم واسماء آبائهم وأمهاتهم، ثم قال: ويخرج من صلب محمد ابني سبعة من الأوصياء منهم المهدي . . »[1] ودخل عليه جماعة من شيعته عائدين اياه ، فدلهم على إمامة ولده محمد الباقر ، وأمرهم بالرجوع إليه ، ودفع إليه سفطا وصندوقاً فيه مواريث الانبياء ، وكان فيه سلاح رسول الله (ص) وكتبه[2] .

وصاياه لولده الباقر :

وعهد الامام زين العابدين إلى ولده الامام محمد الباقر عليه السلام بوصاياه ، وكان مما أوصاه به ما يلي :

١ ـ أنه أوصاه بناقته ، فقال له : إني حججت على ناقتي هذه عشرين حجة لم أقرعها بسوط ، فإذا نفقت فادفنها ، لا تأكل لحمها السباع ، فإن رسول الله (ص) قال : ما من بعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلا جعله الله من نعم الجنة ، وبارك في نسله[3] ونفذ الإمام الباقر ذلك .

٢ ـ أنه أوصاه بهذه الوصية القيمة التي تكشف عن الجوانب المشرقة من نزعات أهل البيت عليهم السلام ، فقد قال له : « يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ، فقد قال لي : يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله[1] .

---

(١) كفاية الأثر للخزاز ، اثبات الهداة : ٥/٢٦٤ .

(٢) بصائر الدرجات (ص ١٤٦) اثبات الهداة: ٥/٢٦٨ .

(٣) محاسن البرقي : ٢/٦٣٥ .

٣ ـ أنه أوصاه أن يتولى بنفسه غسله وتكفينه[٢] وسائر شؤونه حتى يواريه في مقره الأخير .

إلى جنة المأوى :

وثقل حال الإمام ، واشتد به المرض ، وأخذ يعاني آلاماً مرهقة ، فقد تفاعل السم مع جميع أجزاء بدنه ، وأخبر الإمام أهله أنه في غلس الليل البهيم سوف ينتقل إلى الفردوس الأعلى ، وأغمي عليه ثلاث مرات : فلما أفاق قرأ سورة (الفاتحة) وسورة (إنا فتحنا) ثم قال (ع) : ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده ، وأورثنا الجنة نتبوأ منها حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾[٣] .

وارتفعت روحه العظيمة إلى خالقها كما ترتفع أرواح الأنبياء والمرسلين ، تحفها باجلال واكبار ملائكة الله ، والطاف الله وتحياته .

لقد سمت تلك الروح العظيمة إلى خالقها بعد أن أضاءت آفاق هذه الدنيا بعلومها وعبادتها وتجردها من كل نزعة من نزعات الهوى ، .

تجهيزه :

وقام الإمام أبو جعفر الباقر بتجهيز جثمان أبيه ، فغسل جسده الطاهر ، وقد رأى الناس مواضع سجوده كأنها مبارك الإبل من كثرة سجوده لله تعالى ، ونظروا إلى عاتقه كأنه مبارك الأبل ، فسألوا الباقر عن ذلك ، فقال أنه من أثر الجراب الذي كان يحمله على عاتقه ، ويضع فيه الطعام ، ويوزعه على الفقراء والمحرومين[٤] وبعد الفراغ من غسله أدرجه في أكفانه ، وصلى عليه الصلاة المكتوبة .

---

(١) الأمالي (ص ١٦١) الخصال (ص ١٨٥) .
(٢) الخرايج (ص ٢٠) .
(٣) روضة الكافي .
(٤) حياة الإمام محمد الباقر ١/ ٥٤ .

تشييعه :

وجرى للإمام تشييع حافل لم تشهد يثرب له نظيراً فقد شيعه البر والفاجر ، والتفت الجماهير حول النعش العظيم والهين جازعين في بكاء وخشوع ، واحساس عميق بالخسارة الكبرى ، فقد فقدوا بموته الخير الكثير ، وفقدوا تلك الروحانية التي لم يخلق لها مثيل لقد عقلت الالسنة ، وطاشت العقول بموت الإمام ، فازدحم أهالي يثرب على الجثمان المقدس فالسعيد من يحظى بحمله ، ومن الغريب أن سعيد بن المسيب أحد الفقهاء السبعة في المدينة لم يفز بتشييع الإمام والصلاة عليه ، وقد أنكر عليه ذلك حشرم مولى أشجع ، فأجابه سعيد : أصلي ركعتين في المسجد أحب إلي من أن أصلي على هذا الرجل الصالح في البيت الصالح[1] وهو اعتذار مهلهل فإن حضور تشييع جنازة الإمام عليه السلام الذي يحمل هدي الأنبياء من افضل الطاعات وأحبها عند الله تعالى .

في مقره الأخير :

وجيء بالجثمان الطاهر وسط هالة من التكبير والتحميد إلى بقيع الغرقد ، فحفروا له قبراً بجوار قبر عمه الزكي الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله (ص) وأنزل الإمام الباقر عليه السلام جثمان أبيه فواراه في مقره الأخير ، وقد وارى معه العلم والبر والتقوى ، ووارى معه روحانية الأنبياء والمتقين .

وبعد الفراغ من دفنه هرع الناس نحو الإمام الباقر ، وهم يرفعون إليه تعازيهم الحارة ، ويشاركونه في لوعته واساه ، والإمام مع اخوته وسائر بني هاشم يشكرونهم على مشاركتهم في الخطب الفادح الجلل ، والمصاب العظيم ! . . .

---

(١) رجال الكشي (ص ٧٦) .

الفهرس

الإهداء ٥
تقديم ٧
السيدة شاه زنان ١٩
الوليد العظيم ٣٣
نشأته وسلوكه ٤٥
عناصره النفسية ٧٣
إمامته ١٠٣
انطباعات عن شخصيته ١٢٣
مع رزايا كربلاء ١٥١
عباداته ١٨٧

الفهرس

من علوم الإمام ٢٦٣
من مواعظه وحكمه ٣٠٥
مؤلفاته ـ ١ ـ الصحيفة السجادية ٣٧٣
مؤلفاته ـ ٢ ـ المناجيات الخمس عشرة ٤٥٩
مؤلفاته ـ ٣ ـ رسالة الحقوق ٤٧٧
مؤلفاته ـ ٤ ـ كتاب علي بن الحسين ٥١٣
حياة الإمام زين العابدين عليه السلام دراسة وتحليل
ملوك عصره ٥٩١
عصر الإمام ٦٢٩
إلى جنة المأوى ٦٧٧

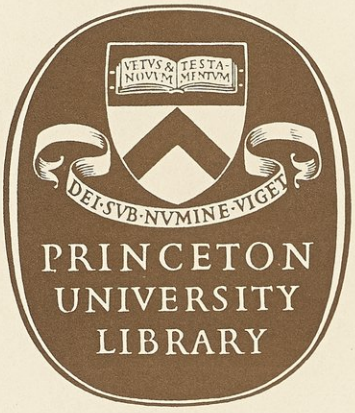
VETVS &
NOVVM
TESTA
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 059171429